

شعبة: الجغرافيا
وحدة : الدينامية المحلية : الإعداد والتنمية
الترابية
مختبر : الجيومرفلوجيا، البيئة، والمجتمع
مراكش



كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
ⵜⴰⴷⴰⵢⵜ ⵏ ⵓⴷⴰⵢⵔ ⵏ ⵎⴰⵔⴰⵎⴰⵏ ⵏ ⵓⴷⴰⵢⵔ
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines - Marrakech

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في موضوع :

الهشاشة الاجتماعية وتأثيرها على المجال الغابوي بغالية حوض نفيس حالة الجماعات الترابية : أغبار، تلات نيعقوب، اجوكاك.

اشرف:

د. عبد الرحيم بنعلي
د. نعيمة المدني

من انجاز الطالب

عبد الله أيت ايشو

السنة الجامعية 2022/2021

كلمة شكر

هذا العمل مدين بالشكر والامتنان والتقدير لكل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجازه وأخص بالذكر :

- استاذي الفاضل **الدكتور عبد الرحيم بنعلي** على قبوله الإشراف على هذا العمل المتواضع، ولما أحاطه به من عناية واهتمام وإشراف وتوجيه. كما نشكره على تفاعله الدائم والمستمر طيلة أطوار هذا البحث، رغم انشغالاته العلمية والتأطيرية والإدارية فضلا عن الثقة الكبيرة والتشجيع المستمر اللذين حضينا بهما من شخصه الكريم وكانا لنا خير معين على العمل والبحث. وذلك العديد من الصعوبات التي اعترضت طريق هذا البحث وكانت توجيهاته السديدة وملاحظاته الدقيقة قيمة مضافة لهذا العمل المتواضع فله مني عميق الشكر وعظيم الامتنان
- استاذتي الفاضلة **الدكتورة نعيمة المدني** : التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث، من خلال توجيهاتها النيرة وملاحظاتها القيمة التي ساهمت في تدليل كل الصعوبات. ولدورها الكبير في إخراج هذا البحث إلى حيز الوجود. لقد وجدت فيها المحفز القوي على البذل والعطاء، فلها منا كل الشكر والتقدير وعظيم الامتنان لشخصها الكريم.
- الشكر موصول إلى كل أساتذة الجغرافيا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش وإلى كل الإداريين بها. كما لا يفوتني أن أتقدم ببالغ شكري للأستاذ الفاضل **محمد السبتي** الذي انار لنا الطريق لإتمام هذا البحث من خلال توجيهاته وملاحظاته القيمة التي قومت هذا العمل فله مني كل الامتنان والتقدير.
- الشكر موصول لأخي **محمد أيت ايشو** والصديق **رشيد مديب** اللذان لم يتأخرا أبدا في تقديم يد المساعدة طيلة أطوار هذا البحث حيث كان لهما فضل كبير في إتمام هذا العمل بسبب تشجيعاتهما وتفاعلهما مع كل الصعوبات والتحديات التي واجهتني خلال مسيرة انجاز هذا العمل.
- وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل لساكنة الجماعات الترابية موضوع البحث على حسن التواصل وكرم الضيافة وعلى كل المعطيات التي قدموها لنا خلال أطوار البحث الميداني، والشكر موصول لكل الإداريين والتقنيين في عدد كبير من المؤسسات المختصة والتي تمت زيارتها خلال مراحل البحث والذين قدموا لنا المساعدة المرجوة وأخص بالذكر الكاتب العام لعمالة الحوز وموظفي وكالة الحوض المائي لتانسيفت بمراكش والمديرية الإقليمية للفلاحة ومنذوبية المياه والغابات ومحاربة التصحر بمراكش وغيرها من المؤسسات .
- أشكر جزيل الشكر أعضاء لجنة المناقشة على صبرهم وتحملهم مشقة وعناء قراءة الأطروحة ومناقشة نتائجها وتصويب أخطائها.

اهداء

إلى والداي وجميع أفراد عائلتي ؛

إلى زوجتي مريم ؛

إلى ولدي عمران ؛

إلى كل الأصدقاء ؛

تقديم عام

اشتغلت الجغرافيا على الدوام بمختلف القضايا و المواضيع التي تهتم بدراسة العلاقة الأبدية بين الإنسان والمجال الذي يعيش فيه. وكانت الغاية دائما هي تفكيك عناصر هذه العلاقة من أجل حل معادلة صعبة تتمثل في مسألة الحفاظ على عناصر الوسط الطبيعي، وفي الوقت نفسه خلق دينامية سوسيو-اقتصادية حقيقية تعطي للإنسان آفاقا فضلى للعيش الكريم.

إن مهمة الجغرافي اليوم هي تقديم تشخيص حقيقي للأوساط الطبيعية للوقوف على مظاهر الاختلالات الكبرى التي يعاني منها المجال حتى يتسنى له المساهمة في توجيه المدبرين والفاعلين للأخذ بها في التدبير وفي السياسات المجالية التي تتبناها الدولة ومختلف الفاعلين في هذا الإطار.

إن الهشاشة الاجتماعية التي نسجلها في العديد من مناطق المغرب عامة، وفي المجال المدروس على وجه الخصوص ليست وليدة اليوم، بل هي نتيجة طبيعية لعقود طويلة من التدبير للمجالات الريفية بالمغرب، يمتزج فيها التهميش بالارتجالية وبالمصالح الضيقة لبعض الجهات على حساب مصلحة الإنسان والمجال. هذا الإنسان الذي من كثرة إحساسه بالإقصاء و التهميش، تحول هو الآخر إلى عامل من عوامل الإضرار بخصوصيات الوسط الذي يعيش فيه! هل هو مجبر على هذا الاختيار؟ هل هو واع به وبتبعاته؟ إلى أي حد يمكن ربط هذه السلوكات الفردية والجماعية الصادرة من ساكنة هذه المناطق، والمضرة في أغلبها بالموارد الطبيعية وبالسياسة التدبيرية للدولة لهذه المجالات؟... تساؤلات وغيرها تفرضها علينا زاوية النظر التي اخترناها لمقاربة موضوع تدهور الموارد الطبيعية في عالية حوض نفيس وعلاقة ذلك بالهشاشة الاجتماعية في المنطقة.

لعل مسألة الربط بين ثنائية تدهور المورد الغابوي في «عالية حوض نفيس» و الارتفاع الكبير لنسب الهشاشة الاجتماعية بالمنطقة، هي من بين نقط القوة التي تتميز بها هذه الدراسة عن غيرها من الأعمال التي اشتغلت بقضايا الإنسان والمجال عامة. ذلك أن تدهور الغابة تحكمه متغيرات متعددة من ضمنها الوضع السوسيو-اقتصادي لساكنة هذه المجالات. كما أن هذا الوضع هو الآخر له ارتباط وثيق بالموارد الطبيعية التي كانت ولا تزال مصدرا من مصادر عيش السكان في المجالات الريفية بالمغرب. فأى خلل في الوضع الاجتماعي والاقتصادي للساكنة سيجد له انعكاسا حتميا على الموارد الطبيعية. والعكس صحيح.

لا أحد ينكر حقيقة كون الموارد الطبيعية بمختلف أنواعها ركيزة أساسية في قيام التجمعات البشرية، بل ومحركها للبقاء، وهي كذلك رصيد أساس لإنعاش مجموعة من الأنشطة السوسيو-اقتصادية. وهو

ما انتبه إليه المنتظم الدولي الذي سيولي أهمية متزايدة لمختلف الموارد الطبيعية التي يزخر بها كوكبنا الأرض، وعلى رأسها المورد الغابوي.

من هذا المنطلق، وعلى هذا الأساس سيعطي مؤتمر ريو دي جانيرو سنة 1992، أهمية بالغة للغابة، على اعتبار أن تجاوز التغيرات المناخية التي يشهدها العالم وما ينتج عنها من تدهور للبيئة. مرتبط أساسا بمدى الحفاظ على هذه المجالات الهشة، لما تلعبه من أدوار إيكولوجية وسوسيو - اقتصادية. وفي نفس السياق عمل المغرب بدوره على أجراً وتفعيل مختلف الموائيق الدولية التي لها علاقة بهذا الموضوع من خلال تبني المذكرة 21 المحلية وتفعيل مقتضياتها في مجموعة من الجهات التي تعاني مواردها الطبيعية من الهشاشة، كما هو الحال بالنسبة لجهة مراكش آسفي بهدف الحد من تدهور الأنظمة الغابوية والبيئية بصفة عامة.

لعل من نافلة القول التصريح بأن قضية تدهور الأوساط الطبيعية شكلت على الدوام أهم القضايا والمواضيع التي شغلت و لا تزال تشغل بال العلماء و الباحثين من مختلف التخصصات العلمية، خصوصا في العقود الأخيرة التي شهدت تدهورا سريعا لهذه الأوساط، بحكم تضافر العديد من العوامل، من قبيل التغيرات المناخية السريعة، والنمو الديمغرافي المتزايد الذي شهدته أو تشهده مختلف المجتمعات البشرية. وهو ما أثر بشكل سلبي على مختلف الأوساط الطبيعية، على الرغم من كل المجهودات الجبارة التي بذلها الإنسان على مر التاريخ من أجل التكيف مع كل هذه المتغيرات، والتأكيد على أن وثيرة الاستغلال والاستنزاف التي تتعرض لها الموارد الطبيعية عموما، والمجال الغابوي على وجه الخصوص، خلال القرن العشرين وبداية القرن الحالي، تبقى هي الأشد تأثيرا ومساهمة في خلق مجالات عطوبة وغير متوازنة في مختلف مناطق العالم، لاسيما في البلدان النامية التي تقتصر إلى الموارد والإمكانات الضرورية، التي من شأنها أن تجعلها في مأمن من الانعكاسات السلبية المترتبة عن تدهور هذه المجالات.

إن ميزة التنوع الإحيائي الذي يتسم به المغرب منذ القدم، بفضل تنوعه التضاريسي والمناخي: جبال، سواحل، صحاري، القرب من المؤثرات الشمالية الباردة وكذا الجنوبية المدارية الحارة تم وجود غطاء نباتي متنوع وموروث عن أزمنة غابرة (الأركان - سرو الأطلس)، أضحى مهددا في وقتنا الراهن. ومرد ذلك إلى مجموعة من العوامل النوعية التي نجد الإنسان فيها دوما من وراء الستار.

فإذا كان تدهور المجال الغابوي في البلدان المتقدمة ناتجا بالأساس عن مخلفات الثورة الصناعية التي شهدتها هذه المجالات منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فإنه كذلك على صعيد البلدان النامية ومن ضمنها المغرب الذي عرف في الآونة الأخيرة حدة على مستوى التدخل البشري وليس الوجود البشري، على اعتبار أن الإنسان وجد بالمغرب منذ أمد بعيد. وإن كانت عدوانية الظروف الطبيعية بكل

تجلياتها (تغايرية المناخ، تردد موجات الجفاف...) ماثلة بالمنطقة، غير أن وقعها يظل محدودا في نظرنا بحكم كونها تعمل بوثيرة بطيئة من جهة، وبحكم كونها من الخصوصيات الطبيعية والمعطيات النبوية المميزة للتاريخ الطبيعي لهذه الأوساط من جهة ثانية، وبالتالي فإن التأثير الأشد يظل رهينا بفعل الإنسان الذي هو معطى طارئ والذي من شأنه أيضا أن يساهم في تقاوم حدة هذه العدوانية ويضعف من وقعها على المنظومات البيئية للمجال، إن كان متجاوزا لحدود الاستغلال العقلاني⁽¹⁾، كما هو الشأن بالنسبة للمغرب الذي عرف منذ النصف الثاني من القرن العشرين تراجعاً كبيراً على مستوى مختلف موارده الطبيعية، لاسيما الغابوية منها، الأمر الذي جعله يفقد تنوعه الإحيائي الذي كان يجعله ضمن المجالات الأكثر تنوعاً على مستوى منطقة البحر الأبيض المتوسط بعد تركيا التي تحتل المرتبة الأولى عالمياً.

ولقد ارتأينا في هذه الدراسة الاشتغال على مجال له خصوصية متميزة، ونقصد هنا «عالية حوض نفيس» باعتباره مجالا من المجالات التي تكتسي أهمية بالغة بالنظر إلى الدور الذي أدته هذه المجالات عبر التاريخ. فاختيار مجال الدراسة موضوع البحث ليس من قبيل الصدفة، وإنما لكون الأودية التي تميز هذه الأحواض تشكل حلقة وصل بين العالية المنتجة والسافلة المستهلكة والمستقبلية لهذه الموارد، ومن ثم فهي بمثابة حبل سري تمر عبره عناصر الحياة باتجاه معظم السهول الجافة وشبه الجافة⁽²⁾. مثال ذلك نفيس الذي ظل يحمل الخصب والنماء من عالية الأطلس الكبير الغربي إلى سهل الحوز، عاملا على إغنائه بمختلف التوضعات التي تخصبه، في انسجام تام بين الإنسان وبين المجال الذي يعيش فيه عبر قرون ممتدة.

إلا أن هذا الانسجام وهذا التناغم سيشهد تحولا جذريا، إن لم نقل قطيعة، مع مطلع القرن العشرين ومع فرض نظام الحماية على المغرب ابتداء من سنة 1912، حيث عمل الاستعمار على نهج سياسة قائمة على استغلال واستنزاف مختلف الموارد الطبيعية وعلى رأسها المورد الغابوي. فبدأت الموارد الطبيعية عموما والمجال الغابوي على وجه الخصوص في التدهور والتراجع، بفعل هذه السياسة الاستعمارية التي أدخلت المنطقة عصر الاستهلاك المرتبط بحاجيات السوق. وبعد حصول المغرب على استقلاله السياسي بعد 44 سنة من ذلك التاريخ، حدثت مجموعة من التحولات المتمثلة أساسا في ربط الاقتصاد المغربي بالاقتصاد العالمي وبالسوق الدولية من جهة، ومن جهة ثانية، كان قد تم تغيير البنيات السوسيو-اقتصادية للمغاربة، عبر تفكيك مختلف البنيات التقليدية، وخلق مجتمع جديد ببنية مركبة على حد تعبير السوسيولوجي «بول باسكون»، وبالتالي تغيير العلاقة بين الإنسان والوسط الذي يعيش فيه، وبينه وبين

(1) ادريس شحو 2011- التوازنات البيئية الغابوية بالأطلس المتوسط الغربي: مقارنة صون- تنمية لمنطقة أزرو، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء الطبعة الأولى، ص: 24-25

(2) الاكلح المختار، (2004)، دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية المحلية، حالة هضبة بن سليمان، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الرباط، ص 349

موارد هذا الوسط. فارتفعت وثيرة الاستغلال والاستنزاف، بارتفاع حاجيات المدن ومتطلبات الحياة المعاصرة من هذه الموارد وعلى رأسها خشب الغابة. وبحكم الضغط الديموغرافي وحجم الهشاشة والفقر في المجالات الجبلية خاصة والقروية بصفة عامة، فقد تزايدت مختلف أشكال الاستغلال غير المعقلن مما انعكس سلبا على المجال الغابوي بالمنطقة.

إذا كان التدهور الذي تشهده الموارد الطبيعية بالمنطقة مرتبطا بالأساس بالضغط البشري الذي أشرنا إليه سلفا وبمختلف أشكال التعرية التي ساهمت في تراجع الغطاء النباتي. فإن من شأن تثمين مختلف المجال الغابوي والعمل على الرفع من قيمتها المضافة، أن يمكن الساكنة المحلية من تحسين ظروفها الاجتماعية والاقتصادية، وبالتالي كسب رهان التنمية المستدامة باعتباره المدخل الأساسي للحفاظ على المجال الغابوي.

إن الفقر والتهميش يعدان من الأسباب الرئيسية التي تسرع من وثيرة تراجع وتدهور الغابة المغربية عموما وغابة نفيس بشكل خاص، لذلك كان لزاما تبني مقاربة تنموية ذات مدخل تشاركي حقيقي يأخذ بعين الاعتبار حاجيات ومتطلبات الساكنة المحلية، وتجاوز كل السياسات العمودية والمقاربات أحادية الجانب التي تنهجها الدولة عبر مختلف المؤسسات الفاعلة في مجال تدبير المجال الغابوي .

وحتى نتمكن من إدراك مكنم الخلل الذي تعاني منه المجال الغابوي في عالية حوض نفيس، جاز لنا التساؤل حول ما إذا كان الأمر يتعلق فقط بالعامل البشري الذي نقصد من ورائه الساكنة المحلية؟ أم أن هذا العامل البشري يتعدى السكان المحليين إلى منظومة قائمة بذاتها، تجعل من الساكنة المحلية مجرد أداة للتنفيذ؟ أم أن الأمر يستدج عوامل أخرى غير العامل البشري؟ بعبارة أخرى، هل حدة الاستغلال البشري هي المفسرة لتراجع المجال الغابوي لعالية حوض نفيس؟ أم أن إكراهات أخرى متنوعة (طبيعية واقتصادية وثقافية...) هي التي عجلت بهذا التدهور؟

أهمية الدراسة وأهداف البحث:

تكمن أهمية موضوع « الهشاشة الاجتماعية وتأثيرها على المجال الغابوي لعالية حوض نفيس حالات الجماعات الترابية: أغبار، ثلاث نيعقوب، أجوكاك »، فيما للمجالات الغابوية من أهمية بالغة على مستويات مختلفة. فهي تؤدي أدوارا اقتصادية مهمة على الصعيدين المحلي والوطني، إذ تساهم في الدخل الوطني الخام، وتساهم في إغناء ميزانية الجماعات الترابية، والساكنة المحلية. ناهيك عن أدوارها البيئية خاصة في ظل التغيرات المناخية التي بات يشهدها العالم وما لها من تأثير على الأنظمة البيئية. هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن أهمية الدراسة نابعة بالأساس من كون المنطقة تعاني من مختلف مظاهر الهشاشة

الاجتماعية، الأمر الذي جعلها تحتل مراتب متدنية في سلم التنمية البشرية على الصعيد الوطني، ناهيك عن كون مجال الدراسة ينتمي لمجال جبلي عطوب، يعاني من مختلف أشكال الهشاشة الطبيعية.

وعموما فإن هذه الدراسة تستهدف بالأساس إثارة مجموعة من التساؤلات المرتبطة بدينامية المجال المستدامة بالمجالات الجبلية عموما، وبحوض عالية نفيس على وجه الخصوص، وكذلك لفت الانتباه إلى مختلف الاختلالات البيئية الموازية للتحويل الحاصل في علاقة الإنسان بالوسط الطبيعي الذي يعيش فيه، واقتراح بدائل وحلول قد تساهم في عقلنة التدخلات في الحاضر والمستقبل.

إن الاشتغال على عالية حوض نفيس، يعتبر محاولة منا لرصد خطورة التحولات الكبرى التي ميزت دينامية المناطق الجبلية المهمشة والمستثناة من مخططات التنمية منذ الاستقلال إلى اليوم. والدليل على ذلك هو زيادة حدة تدهور المجال الغابوي بهذه المناطق في ظل ضعف استراتيجيات التنمية أو التهيئة الغابوية علاوة على العزلة الطبيعية التي تفرضها التضاريس والمناخ، مما يجعل هذه المجالات تعيش عزلة مزدوجة إن صح التعبير.

وعلى اعتبار أن أي تدخل عقلاني من طرف الجهات المسؤولة يستدعي القيام بدراسات رصينة تشخص واقع الحال وتقدم في الوقت نفسه البدائل الممكنة لتحقيق غاية التنمية المستدامة، وفي ظل ضعف - بل غياب - هذا النوع من الدراسات فيما يتعلق بالمجال الغابوي لعالية حوض نفيس وعلاقتها بالدينامية السوسيو - اقتصادية العامة بالمنطقة، يمكن اعتبار هذه الدراسة بمثابة لبنة أولى و أرضية لمشاريع بحثية مستقبلية حول هذا المجال يتغيا تصحيح الاختلالات الكبرى بهذه المناطق العطوبة.

و للمساهمة في الإجابة على الإشكالية البحثية المؤطرة لهذا العمل، كان لابد من وضع مجموعة من الغايات والأهداف التي يسعى هذا العمل إلى توخيها والتي تتمثل أساسا فيما يلي:

- ① التعرف على المؤهلات الطبيعية والبشرية لعالية حوض نفيس.
- ② رصد كل أشكال الهشاشة الاجتماعية بالمنطقة والعوامل المفسرة لها.
- ③ إبراز أهم التدابير المتخذة لمواجهة الهشاشة الاجتماعية وبالتالي الحفاظ على المجال الغابوي.
- ④ إنجاز مجموعة من الخرائط الخاصة بالمجال الغابوي للمنطقة اعتمادا على نظم المعلومات الجغرافية.

إشكالية البحث:

قصد المشاركة في معالجة قضايا المجال الغابوي لعالية حوض نفيس وعلاقتها بالهشاشة الاجتماعية التي تعاني منها المنطقة، يتساءل البحث عن دور هذه الهشاشة الاجتماعية في التأثير على المجال الغابوي لا سيما وأن وضعيته جد مقلقة، في ظل وضع اجتماعي مترد سواء تعلق الأمر بمجال الولوج إلى الخدمات الاجتماعية الأساسية، أو بقضايا الهجرة القروية والانتقال الديمغرافي، أو بالتحويلات التي تعرفها مختلف أنماط العيش بالمنطقة.

إن التحدي الكبير الذي يطرح نفسه في مثل هذه المجالات الهشة، هو تحدي تحقيق التنمية المستدامة عبر الاعتماد على الإمكانيات المحلية المتاحة. وفي حالتنا هذه تبقى المعادلة التي تستعصي على التحقق هي: الحفاظ على الموارد الطبيعية وتنميتها في أفق تحقيق تنمية مستدامة، مع استحضار إكراهين اثنين: تدهور وتراجع المجال الغابوي من جهة، وتزايد الطلب عليها من جهة ثانية.

ينبغي لهذه المعادلة أن تستحضر كذلك إكراها ثالثا يتمثل في عدم استطاعة السكان المحليين التأقلم مع أشكال التدخل التي تنهجها الجهات الوصية على القطاع، أو في عدم رغبتهم في ذلك إن صح التعبير! حيث تعتبر الساكنة المحلية الغابة مصدرا أساسيا للعيش. فيما المصالح الغابوية تجعل من المحافظة على التوازنات البيئية أهم أولوياتها لاسيما في ظل التراجع المهول الذي يعرفه المجال الغابوي بصفة عامة، والموارد الغابوية بصفة خاصة (سرو الأطلس والبلوط الأخضر)، مما جعل المديرية الجهوية للمياه والغابات ومحاربة التصحر بالحوز تتدخل بكل الوسائل من أجل حماية ما تبقى من الإرث الطبيعي بالمنطقة، سواء بتنظيم حملات توعية وتحسيس لفائدة الساكنة المحلية، بخصوص أهمية الحفاظ على تراثهم الغابوي، و ضرورة العمل على تنميته بشراكة مع باقي الفاعلين، أو باعتماد المقاربة الجزرية في حالة مخالفة القوانين المنظمة لاستغلال المجال الغابوي .

بذلك نكون قد خلصنا إلى إشكالية رئيسية للبحث، مفادها: **أي دور للهشاشة الاجتماعية في تدهور المجال الغابوي لعالية حوض نفيس؟** على اعتبار أن حوض نفيس عرف عبر التاريخ أشكالا تقليدية مختلفة لاستغلال المجال الغابوي. على الأقل منذ عهد الدولة الموحدية التي انطلقت من تتم. غير أن وثيرة التدهور ارتفعت في السنوات الأخيرة، بحكم تظافر مجموعة من العوامل المتمثلة أساسا في الانفجار الديمغرافي وارتفاع مظاهر الهشاشة الاجتماعية، إلى جانب التوجه نحو أنماط استغلال حديثة من أجل الاستجابة للطلب المتزايد على كل ما له علاقة بالموارد الغابوية. بل إن الاستراتيجية الجديدة المتبعة

بالمجالات الغابوية أصبحت تعتمد على مبدأ المردودية واقتصاد السوق، مما أدى إلى ظهور العديد من الاضطرابات على مستوى التوازنات البيئية⁽³⁾.

تسمح هذه الإشكالية البحثية بطرح مجموعة من الأسئلة التي يمكن أن تساعدنا على تفكيك هذا الموضوع بداية من أجل إعادة تركيبه والخروج برؤية واضحة بخصوص طرفي هذه المعادلة: المجال الغابوي من جهة، والهشاشة الاجتماعية من جهة ثانية وعموما نقترح الأسئلة التالية:

- ⊙ ما أهم المحددات الكبرى لتدهور المجال الغابوي لعالية حوض نفيس؟
- ⊙ أين تتجلى مظاهر الهشاشة الاجتماعية لعالية حوض نفيس؟
- ⊙ ماهي الخصائص الكبرى التي تميز الوضع الهش بالمجال المدروس، سواء من الناحية الطبيعية أو البشرية؟
- ⊙ ما طبيعة العلاقة القائمة بين تدهور المجال الغابوي لعالية حوض نفيس و هشاشة الوضع الاجتماعي؟
- ⊙ ما البدائل الممكنة من أجل تدبير أمثل لهذه المجالات بهدف حماية وتثمين الوسط الطبيعي، وفي الوقت نفسه خلق دينامية سوسيو - اقتصادية حقيقية غايتها التنمية المستدامة بالمجالات الجبلية عموما وبالمجال المدروس على وجه الخصوص؟

فرضيات البحث:

لقد انطلق اهتمامنا بهذا الموضوع من خلال طرحنا للعديد من الفرضيات البحثية التي شغلتنا والتي يسعى هذا العمل في مجمله إلى تمحيصها وذلك إما إثباتا أو نفيًا. وهذه الفرضيات ترتبط تارة بالساكنة المحلية في علاقتها بالمجال الغابوي، وتارة بالجهات الوصية وتدبيرها للمجال وموارده وكذا بسياساتها التنموية في المناطق الريفية عامة والجبلية على وجه الخصوص، وترتبط تارة أخرى بالظروف الطبيعية المميزة لهذا المجال الريفي والجبلي، والتي ساهمت هي الأخرى في خلق نوع من أنواع العزلة التي تعيشها هذه المناطق.

وعموما فإنه من أجل العمل على الإجابة على إشكالية هذا العمل وعلى مختلف الأسئلة المتفرعة عنها، كان لابد من وضع العديد من الأفكار والرؤى قيد الدراسة والتمحيص على شكل فرضيات مؤطرة نظريا لهذا البحث، ولعل من أبرزها:

(3) نافع رشيدة، (1988)، البيئة الطبيعية والسلوك البشري في بيئة عطوبة، مثال هضبة سيدي بطاش، ورد ضمن مجلة بحوث ع 1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص 16.

الفرضية المركزية : ارتفاع معدلات الهشاشة الاجتماعية لعالية حوض نفيس تساهم بشكل كبير في تدهور المجال الغابوي .

⊙ طبيعة المنطقة الجبلية وذات التضاريس الوعرة أتر بشكل سلبي على علاقة السكان بالوسط الطبيعي عامة وبالمورد الغابوي على وجه التحديد.

⊙ صعوبة الظروف الطبيعية لمجال الدراسة ساهم في ارتفاع نسبة الهشاشة الاجتماعية بالمنطقة، والتي تؤثر هي الأخرى على حجم التدهور الذي تعرفه الغابة بالمجال المدروس.

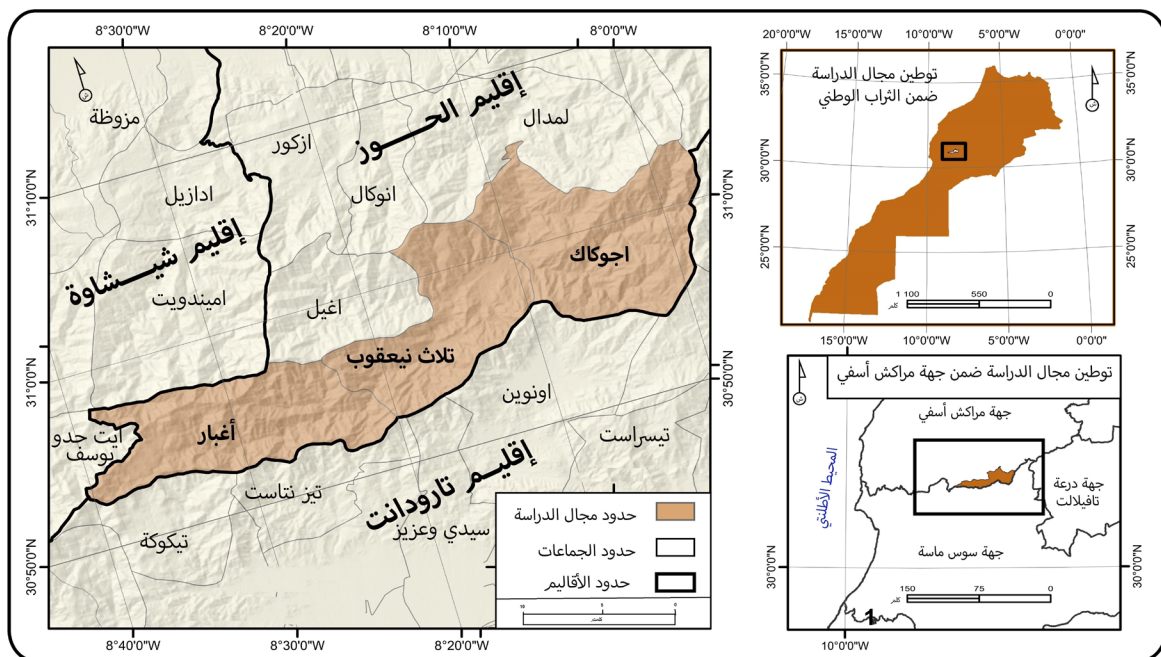
⊙ ضعف تدخل الجهات الوصية - ونقصد به هنا الدولة- وعدم تثمين الموارد الطبيعية وصيانتها بالمنطقة، أدى إلى ارتفاع حدة ووثيرة تدهور المورد الغابوي في عالية حوض نفيس، وفي الوقت نفسه تزايد مظاهر الهشاشة الاجتماعية بالمنطقة.

⊙ واقع الحال يخبرنا بأن معدلات الهشاشة الاجتماعية المرتفعة بالمنطقة بموازاة مع التدهور الكبير الذي يشهده المجال الغابوي في عالية حوض نفيس خاصة منذ الربع الأخير من القرن الماضي إلى اليوم. هو في الحقيقة مشكل مركب تتداخل فيه مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية تستدعي منا تدبيرا جديدا يراعي حاجيات ومتطلبات إنسان هذه المناطق بالدرجة الأولى، وتكون غايته الأساسية هي التنمية المستدامة.

مجال الدراسة:

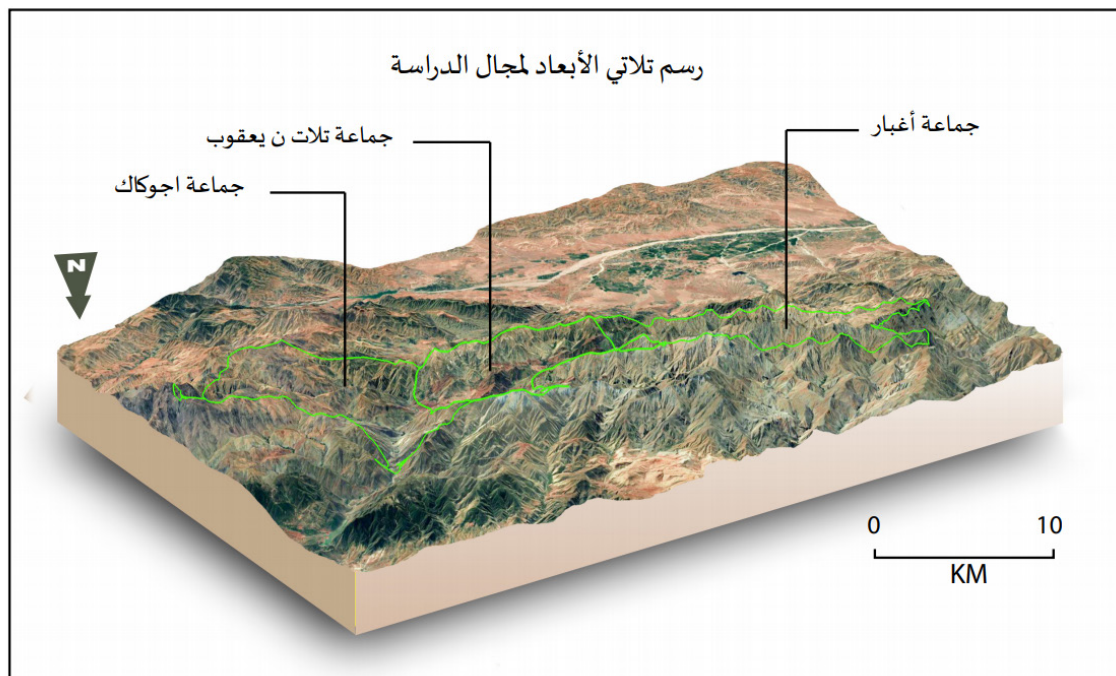
لم يأت اختيار مجال الدراسة لمعالجة هذه الإشكالية بمحض الصدفة، وإنما لما تطرحه الدينامية الكبيرة التي يعرفها المجال الغابوي لعالية حوض نفيس من تساؤلات متعددة سواء تعلق الأمر بحجم هذه الدينامية أم بأشكال وطبيعة الفاعلين المسؤولين عن دينامية هذا المجال. وكذلك نظرا للأهمية الاستراتيجية التي يكتسيها المجال الغابوي بالنسبة للسكان المحلية، التي تعاني من مختلف مظاهر الهشاشة الاجتماعية بالحوض الذي ينتمي إلى الكتلة القديمة للأطلس الكبير الغربي. حيث يمتد بشكل طولي على مساحة شاسعة تناهز 1442.72 كلم²، يوجد بالجبهة الغربية الشمالية للأطلس الكبير الغربي، بين خطي طول: «7°55 و 8°40 غربا وخطي عرض 30°5 و 31°2 شمال خط الاستواء. وتجدر الإشارة إلى أننا سنشتغل على ثلاث جماعات ترابية تنتمي لعالية نفيس وهي: أغبار، ثلاث نيعقوب، إجوكان، والتي تنتمي من الناحية الإدارية إلى إقليم الحوز، وحسب التقسيم الجهوي الجديد فهو ينتمي إلى جهة مراكش آسفي (الشكل رقم 1).

الشكل رقم I: خريطة توطين مجال الدراسة ضمن التراب الوطني



المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، التقسيم الإداري 2014 بتصرف

الشكل رقم 2: رسم ثلاثي الأبعاد لمجال الدراسة لعالية حوض نفيس



المصدر: صور القمر الاصطناعي لاندسات

منهجية البحث والتقنيات المستعملة فيه:

سنعمل من خلال مقاربتنا لهذا الموضوع على اعتماد مجموعة من المناهج التي يتم توظيفها عادة في مختلف الدراسات الأكاديمية التي تهتم بها العلوم الإنسانية وعلى رأسها البحث الجغرافي. حيث إن الإشكالية الرئيسية لهذا العمل تزوج بين ثنائية الإنسان والمجال باعتبار هذا الأخير يضم عناصر طبيعية وبشرية في إطار منظومة متكاملة ومتفاعلة فيما بينهما. لأجل ذلك ستعدد المناهج المعتمدة في هذا العمل وستجمع بين الشق الميداني الذي سيمكننا من الإحاطة بمختلف المعطيات المجالية والإحصائية التي لها علاقة بالظاهرة المدروسة وخاصة الشق المرتبط بالمعلومات التي يتطلبها العمل الكارطوغرافي الذي يشكل ركيزة أساسية في هذا العمل، وأيضا المعطيات المرتبطة بالسكان المحلية من خلال المقابلات الشخصية والاستمارات التي بواسطتها سنعمل على استخلاص مجموعة من الخصوصيات المميزة للمجال المدروس.

أما في تحليلنا للمعطيات فسنعتمد بالأساس على نظام المعلومات الجغرافي لإنجاز خرائط نقف من خلالها على حجم التدهور الذي يشهده المجال الغابوي بالمنطقة المدروسة على الأقل منذ الربع الأخير من القرن الماضي إلى اليوم. برصد الثابت والمتحول في حجم ومساحة هذه الموارد. وسنعمل على إبراز حجم الضرر والعمل على تفسيره من خلال تأطير نظري محكم يستند إلى مجموعة من الدراسات التي لها علاقة بهذا الموضوع سواء في شقه المتعلق بالجانب الطبيعي أو في شقه الخاص بالجانب السوسيو-اقتصادي. وسنستعين في ذلك بالمنهج الجغرافي وبمناهج علم الاجتماع والاقتصاد والتاريخ... وبما توفره التكنولوجيا الحديثة عبر نظم المعلومات الجغرافية... وغيرها من الأدوات التي يستند بها البحث العلمي في إطار مقارنة نسقية تحاول استحضار مختلف العمل الجوانب المتعلقة بالظاهرة المدروسة، وذلك في أفق العمل على تشخيص دقيق لكل الاختلالات التي يعاني منها مجال الدراسة فيما يتعلق بدينامية المجال الغابوي في علاقاتها بالهشاشة الاجتماعية .

العمل الميداني:

تشكل الاستمارة الميدانية أداة أساسية في البحث الجغرافي حيث اعتمدنا عليها من أجل رصد كل المؤشرات السوسيو اقتصادية للسكان المحلية بهدف الوقوف على مظاهر الهشاشة الاجتماعية التي تعاني منها الساكنة وسلوكاتها تجاه المجال الغابوي الذي تعتمد عليه بشكل أساسي في ظل غياب بدائل حقيقية من شأنها أن تساهم في تحسين الوضعية الاجتماعية لفئات عريضة من السكان لعالية حوض نفيس وبالنظر إلى أن أي باحث عند دراسته لمشكلات اجتماعية، لا يمكنه الاتصال بجميع أفراد المجتمع نظرا لصعوبة ذلك، الأمر الذي يدفعه إلى اختيار عينة من المجتمع المراد بحثه يراعي فيها التمثيل الصحيح للمجتمع المبحوث ثم تعميم نتائج البحث على جميع وحدات المجتمع أو الحالات الأخرى المشابهة.

وحتى يتم ذلك، على الباحث أن يحدد أولاً وبدقة المجتمع الأصلي الذي سيبحثه، وأن يتوفر على قائمة بمفرادته إن أمكن. ثم بعد ذلك يختار العينة بطريقة عشوائية تضمن عدم التحيز أو المحاباة.

ومعلوم أن حجم العينة التي يختارها الباحث تعتمد على معايير إحصائية دقيقة حسب موارده المالية والوقت المتاح له وعدد الباحثين الذين يعملون معه، ونوعية المعلومات التي يرغب في جمعها وتحليلها، ودقة ودرجة وصحة النتائج المتوقعة من البحث الإحصائي.

ولهذا اخترنا عينة عشوائية منتظمة اعتبرناها من الممكن أن تكون تمثيلية وتوصلنا إلى النتائج المتوخاة، بعد قيامنا بعدة جولات ميدانية للمنطقة المعنية بالبحث. وهكذا تم توزيع من 514 الاستمارات الميدانية على عينة من ساكنة الجماعات الترابية الثلاث لعالية حوض نفيس : ثلاث نيعقوب، إجوكانك ، أغبار. حيث تم التركيز على كل فئات المجتمع (فلاحين، حرفيين مهنيين ...) والتي لها صلة مباشرة بالمجال الغابوي.

كان اختيارنا للعينة حسب المعايير الآتية:

- المعيار الأول: هو البعد عن الطريق الرئيسية المعبدة أو القرب منها، والموقع في منطقة جبلية أو طيبلية.
- المعيار الثاني: يتمثل في مدى المحافظة على الطابع القروي التقليدي أو تجاوزه للاستفادة من الوسائل الحديثة.

أما بالنسبة للدواوير، فقد تم اختيارها وفق ضوابط ومعايير موضوعية للاختيار، وبالإستعانة بأطر وأعيان المنطقة نظرا لمعرفتهم الدقيقة بكل ما يتعلق بالدواوير من حيث الموارد الطبيعية والبشرية ومن حيث الهشاشة الاجتماعية. ويوضح الجدول الآتي عدد أرباب الأسر بالجماعات المختارة:

جدول رقم I: الجماعات الترابية لمجال البحث

الجماعة الترابية	عدد السكان	عينة البحث	النسبة %
إجوكانك	6700	174	34
أغبار	5182	143	28
ثلاث نيعقوب	7859	197	38
المجموع	19741	514	100

المصدر: تحريات ميدانية وإحصاء 2014

يتبين من خلال الجدول أن مجموع عدد السكان 19741 ن، وهو عدد ضخم يتطلب تكلفة مادية وزمنية هامة، فبعد استشارتنا لخبراء الإحصاء وبعد دراسة مدققة لمختلف التقنيات ووسائل البحث من خلال مرجعين هامين: أولهما للباحثة بوشنين f.n Bouchanine وهو Enquête et mode d'emploi

بالإضافة الى الكتاب القيم للباحث GAUTHIER.B وهو la problématique a la collecte des données توصلنا لدراسة عالية حوض نفيس الذي يضم ثلاث جماعات الى التقنية التي نعتبرها مثالية.

وفي هذا السياق تم اختيارنا للعينة المعبرة على قاعدة ترتكز على تجانس وتباين مفردات المجتمع الإحصائي، وتتعلق من كون نسبة احتمال الخطأ ضعيفة جدا. وبناء عليه فقد اخترنا الاشتغال على 2 % من مجموع ساكنة حوض عالية نفيس للجماعات الترابية الثلاث لكل من: اغبار، ثلاث نيعقوب، إجوكان، حيث اشتغلنا على عينة تقدر ب 514 وذلك نظرا للتجانس الذي يميز العينة في مجال نفيس حيث ليست هناك تباينات كبيرة بينها وبالتالي فهي عينة معبرة جدا.

الباب الأول: الخصوصيات الجغرافية والبشرية لعالية حوض نفيس

مقدمة

تتميز عالية حوض نفيس بكونها مجالا جغرافيا متعدد الأشكال التضاريسية والتي يغلب عليها طابع التضرس، حيث هناك تلال وهضاب - تجسد تضاريس المناطق المنخفضة - والتي تتداخل مع سفوح وعرة وشديدة الانحدار - تعكس تضاريس المناطق المشرفة -.

تساهم الشبكة النهرية التي يجسدها واد نفيس بشكل خاص في تشكيل السطح والتحكم في الدينامية الجيومرفولوجية للحوض. سواء خلال الفترات القديمة أو الراهنة، في تناغم تام مع نوعية الغطاء النباتي الذي يتسم بالتنوع، والبنية الجيولوجية لهذا الجزء من الأطلس، الذي يتكون من صخور متفاوتة من حيث درجة مقاومتها، والتي يغلب عليها الشيست والكلس مما يضيف على الحوض دينامية من نوع خاص، تقسر لنا إلى حد كبير الهشاشة الطبيعية التي يعاني منها هذا المجال، لاسيما فيما يتعلق بالتعرية التي تزداد حدتها في ظل الاستغلال البشري المفرط، وما يترتب عنه من انعكاسات كبيرة لاسيما على المستوى الاجتماعي الذي نحاول مقارنته في هذا البحث. بهدف فهم العلاقة التي تربط بين الهشاشة الاجتماعية من جهة، وتدهور المجال الغابوي من جهة ثانية، وإذا ما كان لهذه الهشاشة دور في الدينامية التي يعرفها هذا الأخير، أم أنه تدهور طبيعي ناتج عن تظافر مجموعة من العوامل التي يتداخل فيها ما هو طبيعي بما هو بشري وغيرها من العوامل.

إن الإجابة عن إشكالية البحث دفعنا إلى التساؤل في هذا الباب حول ما إذا كانت عناصر الوسط الطبيعي والبيئي بذات الحوض هي المسؤولة عن الدينامية التي يعرفها المجال الغابوي بالنظر إلى الاختلالات البيئة التي تطبع هذا المجال، والتي ساهمت التغيرات المناخية الناتجة عن الاحتباس الحراري في تكريسها، أم أن الهشاشة الاجتماعية التي تميز مجال الدراسة لها علاقة مباشرة بالتدهور العام الذي يميز هذا الوسط الطبيعي الهش والعطوب. بعبارة أخرى هل معدلات الهشاشة الاجتماعية المرتفعة نسبيا بالمنطقة ناتجة عن الهشاشة الطبيعية أم أن هذه الأخيرة هي نتيجة حتمية للهشاشة الاجتماعية التي جعلت الساكنة المحلية تعمل على استغلال واستنزاف الموارد الطبيعية بالمنطقة؟

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي للبحث

مقدمة

شهد المغرب منذ أوسط السبعينات إلى اليوم، اهتماما متزايدا من طرف الباحثين من مختلف التخصصات و الاتجاهات العلمية، بمفهوم «الهشاشة» و الهامشية»، و ذلك على غرار مختلف المقاربات البحثية في العالم بأسره، نظرا لارتباط المفهومين بمختلف التحولات الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية بل و المجالية التي يعرفها العالم.

فالهشاشة في مفهومها العام، هي شكل من أشكال الوضع غير القار، بل هو وضع مهدد بالانهيار والتراجع في أية لحظة، من خلال وجود صعوبة كبيرة في تحقيق العيش الكريم مع ما يرافق ذلك من تدهور لجميع المؤشرات التنموية من صحة و تعليم و شغل... الأمر الذي عادة ما يخلف انعكاسات سلبية على الصعيدين الاجتماعي و الاقتصادي، و بالتالي ينعكس مجاليا بتوليده لشكل من أشكال الاستبعاد المجالي *la marginalité ou bien l'exécution spatiale*، الذي ليس سوى المفهوم الثاني الذي سبقت الإشارة إليه و هو «الهامشية» *la marginalité*.

و سنحاول في هذا الفصل أن نتطرق لموضوع الهشاشة *fragilité* و الهامشية *la marginalité* بشكل يسمح بالوقوف على الثابت و المتحول في المجال المغربي. مع إبراز الذاتي و الموضوعي في هذا الإطار، و ذلك من خلال إبراز مختلف الإكراهات الطبيعية والبشرية المتمثلة في الاستغلال المكثف للموارد، إضافة إلى سوء التدبير و ضعف الحكامة... الشيء الذي كانت له انعكاسات سلبية على قطاعات اقتصادية مختلفة و شرائح اجتماعية واسعة.

هكذا سنتطرق إلى الهشاشة و الهامشية كمفهومين متداولين في الحقل الأكاديمي المغربي من خلال مدخل مفاهيمي تتخلله قراءة نقدية للمفهومين. كما سيتناول الفصل مختلف المقاربات التي تناولت الهشاشة والهامشية بمختلف أبعادها. إضافة إلى مختلف المظاهر العامة للهشاشة و مؤشرات قياسها.

هذا الشق الأول من هذا الفصل سيكون شقا نظريا بامتياز، ليتم تعزيزه في الشق الثاني بمحاولة ميدانية لتشخيص هذا الواقع و محاولة الوقوف على حقيقته في المجال المدروس، و ذلك من خلال نتائج البحث الميداني الذي انصب أساسا على دراسة و تشخيص مختلف مظاهر الهشاشة و الهامشية في المنطقة. و كذلك محاولة تحليل هذا الواقع و البحث عن حلول و بدائل ممكنة.

⊙ فما مفهوم الهشاشة و الهامشية؟ و هل نتحدث هنا عن هشاشة الواقع أو المجال أم عن هشاشة و هامشية الفاعل في هذا المجال؟ بل قد يذهب بنا التحليل بعيدا لنتساءل عن دور التفكير الهش في خلق واقع هش و هامشي؟

⊙ ما هي مختلف المقاربات التي تناولت هذا الموضوع؟

⊙ ما أبعاد الهشاشة و الهامشية؟

⊙ ما هي مظاهرها العامة و مؤشرات قياسهما؟

⊙ إلى أي حد ينطبق كل ذلك على الواقع أي المجال المدروس؟

1. الهشاشة و الهامشية مدخل مفاهيمي.

إن مشكلة أي مجال ترابي تتمثل في ذلك الضغط المتزايد على الموارد الطبيعية واستغلالها بطريقة غير عقلانية . مما يؤدي إلى استنزاف هذه الموارد المحدودة مع ما يرافق ذلك من مشاكل اجتماعية و اقتصادية و بيئية تولد واقعا هشاً و تهميشاً واسعاً على الصعيدين الاجتماعي و المجالي. فما المقصود بالهشاشة و الهامشية؟ سنحاول في هذا المحور أن نؤطر مفاهيمياً معنى و دلالات مفهومي الهشاشة و الهامشية.

1.1. مفهوم الهشاشة:

الهشاشة في اللغة هي اسم لفعل هش أي خار و ضعف، و هش هشاشة و هشوشا الشيء، لين و استرخى. و هشه أي استضعفه، و الهش هو الرخو اللين من كل شيء.... و هش العود صار هشاً سريع الانكسار...⁽⁴⁾

و في الفرنسية: fragilité، و تعني كل ما هو قابل للتأثر بسرعة. ما هو قابل للكسر أو مقاومته ضعيفة أو ضعيف ضد قوي. « Tout ce qui est fragile » كما تعني زائل، و سريع الزوال، و تعني قصم، قصف، هش. Qui se casse facilement⁽⁵⁾

و في الانجليزية: « fragility » لها تقريبا نفس المعنى، فهي تفيد، «قابلية الكسر، و سهولة الكسر» و «الهشاشة»⁽⁶⁾ هذا على المستوى اللغوي، أما في الاصطلاح فإن «الهشاشة» كمفهوم رافقتها تعاريف متعددة بتعدد المقاربات و التخصصات العلمية، فهي من الزاوية التي تناولها فيها علماء الاجتماع تعني: البطالة، و الفقر، و الصراع... و هذه بالأحرى بعض مظاهرها و ليس مفهومها. كما يعتبرونها «منطقة وسطى بين

(4) أنظر: منجد الطلاب ص 50 – ص 874. دار الشرق بيروت.

(5) انظر carousce و كذلك قاموس المعاني www.alonaony.com

(6) قاموس المعاني www.almoany.com

الاندماج و الانعزال (7)، فهي لا تنطبق على الفقراء و لا على المهمشين بل هي ازدواجية العزلة: غياب النشاط، العمل و الانعزال العلائقي (8) في حين ينظر إليها علماء النفس باعتبارها شكل من أشكال الرهاب و الإحباط... و عموما فالهشاشة بهذا المعنى هي غياب الاستقرار و الطمأنينة و الأمن على الحاضر و المستقبل معا. أو هي شكل من أشكال الانحلال و التفسخ لمختلف البنيات الاقتصادية و الاجتماعية...الخ.

أما الجغرافيون فيعتبرون الهشاشة وضعية تكون فيها الساكنة أو الجماعة معرضة لمهددات و مخاطر معينة (9) فهي ظرف ناتج عن مجموعة من العوامل الفيزيائية و الاجتماعية و الاقتصادية و البيئية...الخ، المسؤولة عن الإخلال بالمنظومة أو النظام العام للمجال أو الساكنة (10). و هذه العوامل أجملها الجغرافيان: J.C.L Thouret و d'école R في الجدول التالي:

العوامل	المؤشرات
اجتماعية - ديمغرافية	العمر - الجنس - القرف - البنية الاجتماعية...
معرفية - ثقافية	التمثلات - الاحاسيس - الذاكرة...
سياسية - مؤسساته	البنية الإدارية - المؤسساتية.

المصدر Responsabilité & Environnement N° 43 Juillet 2006

فالهشاشة إذن: مفهوم مركب، تختلف حدته (11) و درجته حسب المؤشرات الدالة عليه. كما تختلف مستوياته بين ما هو عام وما هو خاص وبين ما هو محلي و جهوي و وطني و دولي.

2.1. مفهوم الهامشية:

الهامشية في اللغة العربية هي من الهامشي و من الهامش و المهمش...و تعني الثانوي غير الأساسي أو المهمل، و كل ما يمكن وضعه جانبا، و همش الرجل: أكثر الكلام في غير صوابه... و الشاب المهمش: أي يعيش خارج المجتمع (12)

أما في اللغة الفرنسية فنجد مصطلحين بنفس المعنى تقريبا: morganite و précarité، و هي مشتقة من الهامش la marge و هي حاشية النص. أو تلك المساحة البيضاء الفارغة الموجودة هامش الكتابة... و قد تعني المجال الفارغ أو الفارق في الزمان او المكان... و في الفرنسية عموما، فالهامش

(7) اودروش إسماعيل: الهشاشة البيئية بالأحواض الهامشية: حالة حوض الزات / نقلا عن -castel R « La dynamique des processus de marginali- sation de vulnérabilité à la désaffiliation » in les coulisse de recherche sociologique N°22. 1994 من مجلة دراسات تنمية عدد 2. 2019 ص 41

(8) نفسه 15 4-9/9/2001 Cameroun d'école d'été évaluation environnementale dola

(9) اودروش إسماعيل، نقلا عن D kuiksouc

(10) نفسه

(11) Thouret T.J.CL. et école R. 1996 « vulnérabilité aux risques naturels milieu urbain

(12) « Effect factures et repoussés sociales » cahier des sciences humaines. 31. (2) 96 p 410-415

يعني الحاشية⁽¹³⁾، و في الانجليزية تحيل على «الدونية» inferiority، و ارتبطت بالفئات الدنيا في النظام العسكري البريطاني منذ ق 18م.

و قد استعمل الجغرافيون هذا المفهوم للدلالة على المناطق⁽¹⁴⁾ التي تغطي فيها مظاهر «الهشاشة» الاقتصادية و الاجتماعية، و المجالية... من فقر و إقصاء و بالتالي فهي مناطق لا تساهم في البناء الاقتصادي و الاجتماعي والثقافي للأمة. فهي بذلك ضد أو عكس «المركز» المهيمن و الفاعل الأساسي و الحقيقي. إنها مجرد «هامش» تابع لهذا المركز⁽¹⁵⁾. فهذا المفهوم عند الجغرافيين له دلالة اقتصادية.

فالمهمش يفتقر دائما إلى آليات ووسائل تضمن له حضورا متوازنا و فاعلا داخل المجتمع و الدولة. و الهامش و الهامشي هو دائما موضوع لمختلف الاختلالات المجالية التي تسبب فيها التعامل غير العقلاني مع المجال و مع موارده و إمكاناته⁽¹⁶⁾.

لذلك فإن مفهوم «الهامشية» على غرار مفهوم «الهشاشة» هو الآخر مفهوم مركب لا يرتبط بفئة معينة أو بمجال مجرد أو بزمان ما بل بسياقات و أنظمة بأكملها في إطار دينامية معقدة و سلسلة من العلاقات المتغيرة باستمرار.

من خلال كل ما سبق يتضح أن مفهومي الهشاشة و الهامشية هما مفهومان متعددي الدلالة و الأشكال و المظاهر و الأبعاد... حسب الحقول المعرفية التي تتناولهما، مما يترتب عنه بالتالي تعدد المقاربات التي حاولت أن تدرس هذين المفهومين أو الظاهرتين. من مختلف الزوايا المعرفية.

فما هي أهم المقاربات التي تناولت هذين المفهومين بالدراسة؟

2. المقاربات المعتمدة في معالجة مفهومي الهشاشة و الهامشية و أبعادهما:

من أجل بناء تصور شمولي و مكتمل لمفهوم الهشاشة و الهامشية، كان لا بد من الوقوف عند مختلف الزوايا التي تناولت المفهومين، و على مختلف وجهات النظر حسب الحقول المعرفية و الأكاديمية. و من أهم هذه المقاربات التي عالجت مفهومي نجد:

(13) انظر مثلا: la robert/ la roure

(14) اليعقوبي: و طحطح 2016. التاريخ من أسفل: تاريخ الهامش و المهمش، منشورات الزمن من س شرقات العدد 81 مطبوع في يناس - سلا ص 9. تصرف.

(15) انظر «نظرية المركز و الهامش» - 5 عند قائم أمين مثلا / كذلك عند Antonio Gramsci / و راتزل

(16) هذه الاختلالات ليست و ليدة اليوم بل هي على أقل تقدير مرتبطة بالسياسات الكولونيالية في المنطقة. ثم ما أعقها في بداية الاستقلال.

1.2. بعض المقاربات المعتمدة:

المقاربة	أبعادها	خصائصها
الجغرافية	اهتمت بـ 3 أبعاد: - البعد المجالي. - البعد الاستمولوجي. - البعد السوسيو مجالي.	- اهتمت بتحليل المسارات السوسيو مجالية التي يقع داخلها تفاعل بين الفرد و الوسط الذي يعيش فيه. - اعتبرت الهشاشة و الهامشية ظواهر سوسيو ثقافية لها تأثيرات مجالية. - انتقدت مفهوم الحتمية، المجالات الهامشية.
السوسيولوجية	اهتمت ببعدين: - البعد العام المرتبط بالجمع. - البعد الخاص المرتبط بالفرد.	كان للمدرسة الاجتماعية السبق في الاهتمام بالظاهرتين، خاصة مفهوم الهامشية حيث ميزت بين الهامشية و التهميش. ميزت في الهامشية بين ثلاث مستويات: - هامشية ثقافية: ناتجة عن صعوبة التلاقح الثقافي. - هامشية اجتماعية: ناتجة عن قطائع علائقية. - هامشية بنيوية: ناتجة عن أنظمة ركزت على سلوكيات الأفراد و غيّبت البعد المجالي.
نفس اجتماعية	اهتمت بثلاثة أبعاد: - البعد الإنساني - البعد المجالي - البعد النفسي الاجتماعي	اعتبرت المفهومين شكلا من أشكال «الإدراك» و التفاعل بين البعد السوسيو ثقافي و البعد المجالي، بواسطة مسار نفسي اجتماعي: اعتبرت الهشاشة واقع معاش اعتبرت الهامشية مجال معاش. سقطت في الهشاشة و الهامشية

المصدر: مجلة دراسات تنمية عدد 2، 2019.

اقتصرنا على هذه المقاربات الثلاث، لا يعني أن المفهومين لم يتم تناولهما إلا على هذه المستويات بل على العكس، فقد تعددت المقاربات بتعدد الحقول المعرفية، و إنما اقتصرنا على هذه المقاربات الثلاث لكونها تستحضر بشكل كبير مفهوم المجال باعتباره أحد أهم أبعاد المقاربة الجغرافية في تناول موضوع الهشاشة و الهامشية. فما هي أبعاد تناول و دراسة مفهومي الهشاشة و الهامشية؟

2.2. أبعاد دراسة مفهومي الهشاشة و الهامشية:

تعتبر الهشاشة من أهم الإشكاليات التي تعاني منها المجالات الهامشية و هي المسؤولة غالبا عن إعاقة جهود التنمية. لكن هذا الحكم يبقى عاما و فضفاضا مما يقتضي طرح السؤال عن أي هشاشة و عن أي هامشية نتحدث؟ من هنا كان لابد من الحديث عن أبعاد المفهومين باعتبارهما مفهوميين مركبين كما سبق و أشرنا إلى ذلك. بل أن من الباحثين و الدارسين من يعتبر المسألة بل يدعو إلى اعتبارها و النظر إليها «كنسق»⁽¹⁷⁾ باعتبار التركيب الذي يلزمها و التداخل بين مختلف مكوناتها و عناصرها و أبعادها و تأثير بعضها على الآخر. و امتدادها في الزمن و المجال...

(17) أنظر مثلا: عبد الجليل، أميم: مدخل إلى البيداغوجيا، أو علوم التربية. في التأسيس البيداغوجيا السياقات المغربية المركبة. ط 2016. ص 21

هذه النسقية لا تمنعنا من التمييز بين هشاشة الفرد و المجتمع و بين الهشاشة الاقتصادية و التقنية... و الهشاشة الطبيعية و البيئية... و التمييز كذلك بين التهميش المجالي و الاقتصادي و التهميش الاجتماعي...

1.2.2. الهشاشة و التهميش الاجتماعي:

لاشك أن هشاشة الفرد و المجتمع تكون نتيجتهما معا: التهميش و الإقصاء الاجتماعي « Social exclusion » و هذه شكل من أشكال إعاقة مخططات التنمية البشرية بأبعادها الثلاثة المعروفة:

● التربية و التعليم .Education.

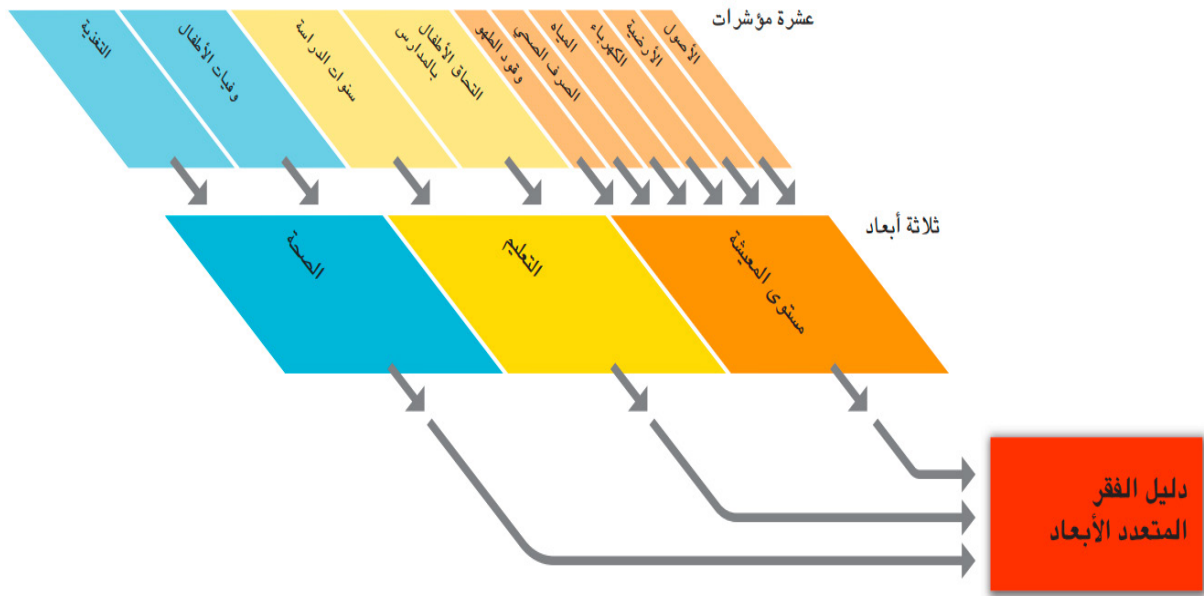
● الصحة santé

● شروط العيش الكريم. condition de vie.

و بهذا الصدد يمكننا الاستعانة بـ multi dimensionnelle (IP.M) l'indice de la pau- vreté⁽¹⁸⁾ الذي يعتبر مؤشرا إحصائيا لقياس الفقر في البلدان النامية و الذي وضعه «جامعة أكسفورد» 2000/2010 و تم اعتماده من طرف برنامج الأمم المتحدة للتنمية (PNUD) في تقريرها حول التنمية البشرية «أكتوبر 2010» و بالرغم من كون هذا المؤشر يعتمد لقياس الفقر إلا انه يعطي صورة عن مختلف الأبعاد التي تشملها الهشاشة و التهميش في علاقتهما بالإنسان و بالتنمية البشرية. و هي الأبعاد التي يوضحها الخطاطة التالية:

(18) يعرف كذلك ب: Oxford ouvert oud développement initiative université d'oxford

الشكل رقم 3: مؤشر الفقر المتعدد الأبعاد



المصدر: نقلا عن درديش، أحمد (2019)، مجلة التنمية وإدارة الموارد البشرية، ص، 63

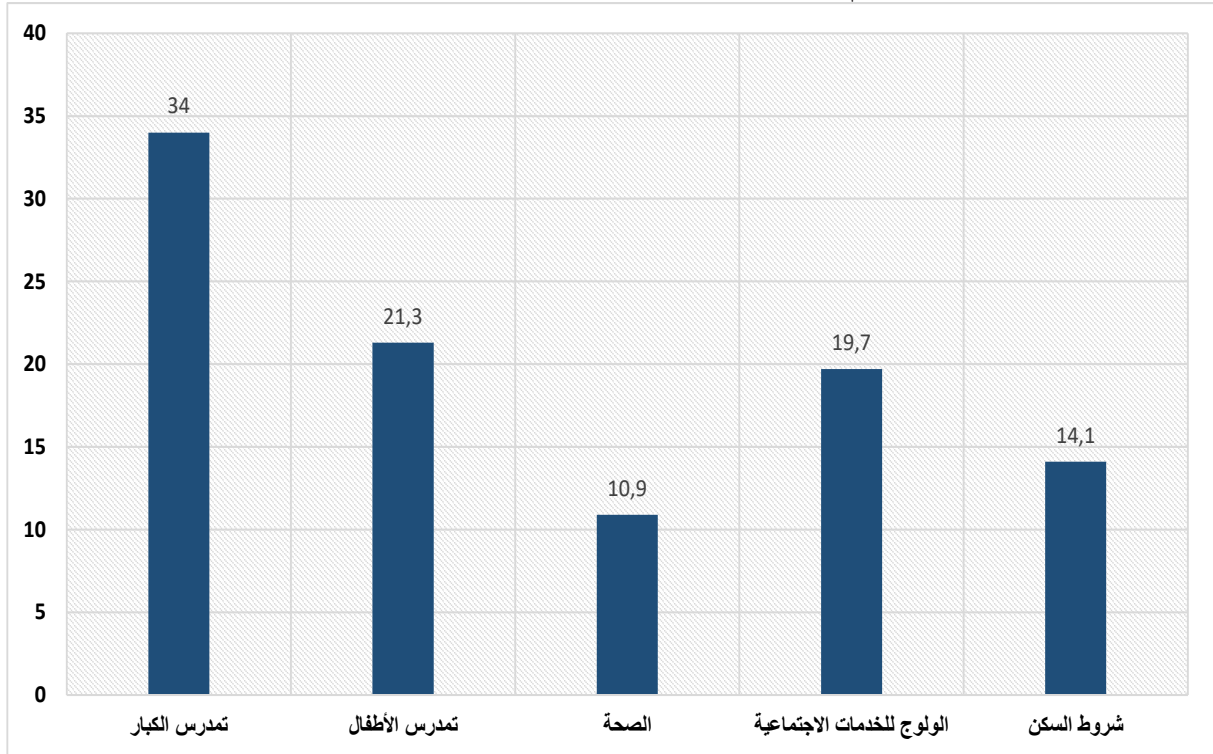
جدول رقم 2: بعض المؤشرات المقارنة بين 2004-2014، المغرب.

السنوات	عدد الساكنة تحت عتبة الفقر	I.P.M مؤشر الفقر بتعدد الأبعاد	I.P.M في الوسط الحضري	I.P.M في الوسط القروي
2004	7.5	25	9.1	44.6
2014	2.8%	8.2%	2.0%	17.7%

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2004 - 2014

من خلال هذا الجدول وبالعودة إلى إحصاء السكان والسكنى لسنة 2014 يتضح أن المغرب و ان كان قد حقق بعض التحسن في مؤشرات التنمية البشرية مقارنة ب سنة 2004 إلا أن مظاهر الهشاشة ما زالت مرتفعة و تعرقل جهود التنمية و تؤدي بالضرورة الى خلق حالة من التهميش و الإقصاء. ومن خلال الرجوع إلى بعض مؤشرات التنمية بالمغرب حسب الإحصاء الأخيرة لسنة 2014 فإننا سنجد ما يلي:

الشكل رقم 4: بعض مؤشرات التنمية بالمغرب سنة 2014 بالنسبة



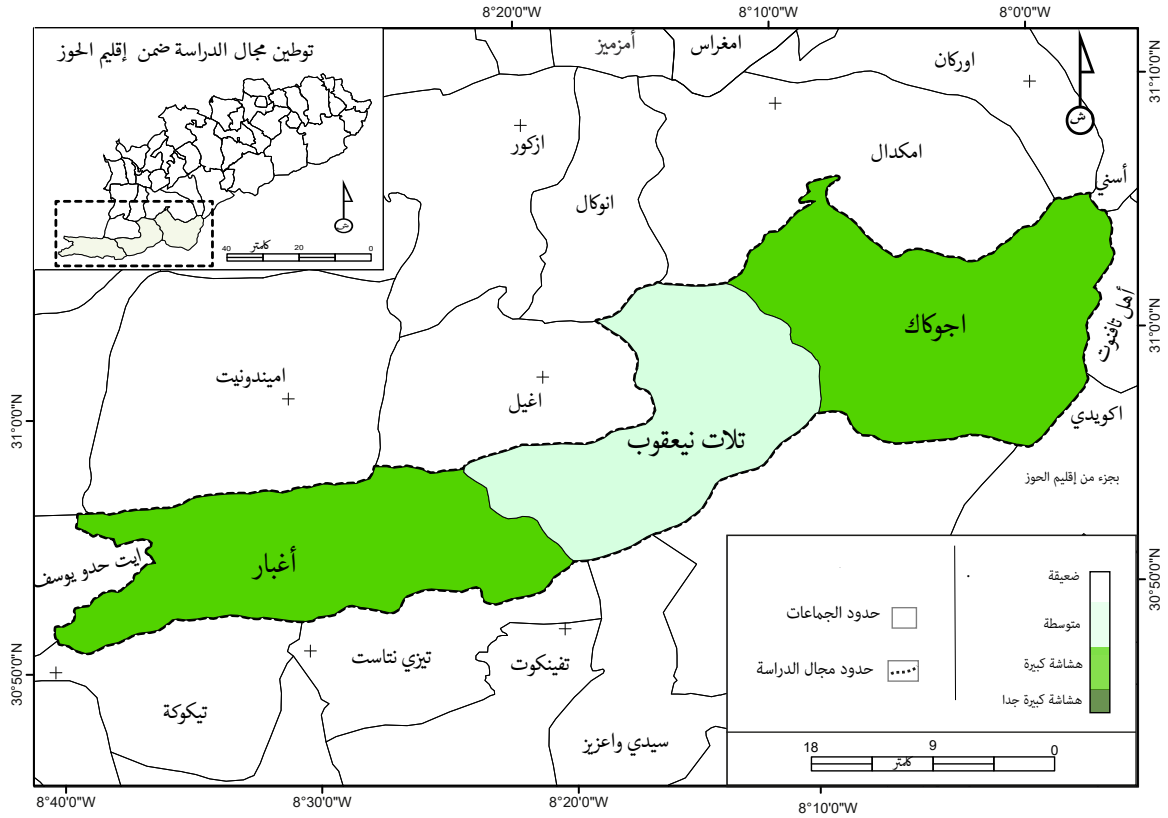
المصدر: الإحصاء العام للسكان و السكن 2014:

انطلاقاً من (الشكل 4)، نلاحظ بشكل جلي أن المغرب لازال يسجل عجزاً مهماً على مستوى العديد من مؤشرات التنمية رغم المجهودات التي بذلها من أجل تجاوز كل هذه الاكراهات، حيث لازال هناك تأخر كبير على مستوى الاستفادة من الخدمات الصحية إذ لا تتجاوز 10% في العالم القروي وهو ما يفسر العزلة الشديدة التي يعيشها هذا الأخيرة على مستوى الولوج للصحة وباقي الخدمات الاجتماعية الأخرى كالتعليم الذي يسجل هو الآخر تأخراً⁽¹⁹⁾، حيث نسبة التمدرس لدى الكبار لازالت ضعيفة ولا ترقى إلى مستوى تطلعات بلادنا في هذا المجال.

عموماً فإن الهشاشة الاجتماعية التي يعاني منها مجال الدراسة في مختلف تجلياتها ومظاهرها الكبرى كانتشار الفقر و الأمية و صعوبة الولوج إلى الخدمات الاجتماعية و المرافق العمومية. جعل المنطقة تسجل معدلات مرتفعة في هذا الموضوع كما يتضح من خلال (الشكل 5)، حيث معدلات الهشاشة مرتفعة بشكل كبير جداً في كل من الجماعة الترابية أغبار وإحوكاك، في حين تسجل هشاشة كبيرة في الجماعة الترابية ثلاث نيعقوب. ويمكن تفسير ارتفاع نسبة الهشاشة الاجتماعية بمجموعة من العوامل المتمثلة أساساً في ظروف الوسط الطبيعي التي تتسهم بالهشاشة (انجراف التربة، عدم استقرار السفوح،

(19) تجدر الإشارة إلى أننا سنشير بالتفصيل إلى مظاهر الهشاشة الاجتماعية في قطاعي الصحة والتعليم في الفصل الباب الثاني من هذا البحث والخاص بمظاهر الهشاشة الاجتماعية بحوض عالية نفيس

الشكل رقم 5: توزيع معدلات الهشاشة الاجتماعية لعالية حوض نفيس



المصدر: الاحصاء العام للسكان والسكنى 2014

2.2.2. الهشاشة البيئية أو التهميش البيئي:

إن الحديث عن الهشاشة البيئية، يقتضي منا استحضار بعدين اثنين يتمثلان في البعد الطبيعي و البعد البشري. أي الجمع بين ما هو طبيعي – الإمكان الطبيعي – و بين أشكال التدخل التي يقوم بها الإنسان، تلك المعادلة التقليدية في المقاربة الجغرافية و التي تكون نتيجتها احد أمرين: إما التوازن أو الاختلال حيث نتساءل في هذا الإطار عن معنى الهشاشة البيئية؟

الهشاشة و التهميش على المستوى البيئي، يمكن تعريفه على انه ذلك « التهديد المستمر لاستدامة الاستفادة من إمكانيات و موارد المجال الطبيعية» و هذا إما بسبب المخاطر المحدقة بالبيئة نتيجة تدخل الإنسان في الوسط الطبيعي أو نتيجة عطب هذا الوسط أصلا و محدودية إمكانياته أو هما معا. هذه الهشاشة البيئية قد تتخذ عدة مظاهر وعدة مستويات يمكن تلخيصها في الجدول التالي:

جدول رقم 3: مظاهر ومستويات الهشاشة البيئية

المستوى	المظاهر / المؤشرات
الطبيعي	● التلوث بمختلف أنواعه و مستوياته: الهيدرولوجي / الهوائي / التربة. ● التعرية الفيزيائية و الكيماوية ● انحراف و انهيار الأتربة ● تراجع المساحة الغابوية و المساحة الخضراء نتيجة الحرائق و الاجتثاث ● اختفاء بعض الأصناف الطبيعية من نبات و وحيش ● توسع مساحة المناخات الجافة و الشبه جافة... ● التصحر و تدهور الأراضي.
المستوى البشري	● المشاكل الاقتصادية المرتبطة بتراجع المردودية الاقتصادية لسبب من الأسباب المشار اليها في المستوى الأول «الطبيعي» ● المشاكل الاجتماعية و تفشي الأمراض و الأوبئة و التي هي نتيجة للمستوى الأول «الطبيعي» و للشق الاقتصادي في المستوى الثاني «البشري» ● المشاكل المرتبطة بتدمير البنيات التحتية من طرق و قناطر و مسالك، و أعمدة الكهرباء و شبكات الصرف الصحي، و شبكات الصرف الصحي، و شبكات المياه الصالحة للشرب نتيجة كوارث طبيعية أو بيئية... يتسبب فيها الإنسان.

المصدر: منظمة التنمية والتعاون في الميدان الاقتصادي، 2016 :

هكذا يتضح بان الهشاشة الطبيعية أو البيئية تتخذ عدة مظاهر وتتجلى في عدة مستويات وهو ما يبرز حجم التحدي الذي يطرحه هذا النوع من الهشاشة التي تتجلى مظاهره بشكل كبير في مجال الدراسة بل إنها تؤدي في أحيانا كثيرة إلى هشاشة اجتماعية والعكس صحيح والخطاطة التالية تبرز أهم العوامل المفسرة لها.

جدول رقم 4: خطاطة العوامل المفسرة للهشاشة البيئية

العوامل الاقتصادية	العوامل المؤسسية	العوامل الديمغرافية	العوامل الطبيعية
- نمط الإنتاج - البنيات الاقتصادية	- الدولة - المؤسسات - المنتخبين	- عدد السكان - الدينامية السكانية - البنية الديمغرافية	- التضاريس - المناخ - التربة

المصدر مجلة دراسات تنمية عدد 2، 2019.

ب- الحوض النهري:

لاشك أن مفهوم الحوض ليس مفهوما جديدا بقدر ما هو مفهوم متداول منذ القدم من طرف الجغرافيون، حيث كان معروفا كوحدة مجالية محددة بخط تقسيم المياه والتي يتم من خلالها تصريف جميع المياه السطحية نحو مجرى مائي رئيس ينقلها غالبا نحو البحر أو نحو مجرى مائي أكثر أهمية. (مختبر الجيو مرفلوجيا والبيئة، 2015)، غير أن مفهوم الحوض بمعناه الحالي استعمل كأساس لتدبير الموارد المائية لم يظهر إلا في مطلع القرن العشرين بالغرب، حيث شكلا تحولا كبيرا فيما يتعلق بتدبير وتهيئة الأحواض النهرية التي كان يتم تدبيرها فيما مضى على مستوى وحدات أقل من الحوض من قبيل (عين، ساقية، جدول....)، كما كان يتم تدبير الماء قطاعيا وحسب استعمالاته المتنوعة (السقي، الماء الشروب، الصناعة والطاقة...)

3. الدراسات السابقة

حظيت المناطق الجبلية بالعديد من الدراسات والأبحاث العلمية التي اهتمت برصد الخصائص الطبيعية والبشرية وفي هذا السياق تعتبر أطروحة جون دريش -Dresch (Jean).1941: Recherches sur l'évolution du relief dans le Massif Central du Grand Atlas, le Haouz et le Sous.pp714، مع أهم الأطاريح التي تناولت التطور الجيومرفولوجي للأطلس الكبير المغربي عبر مختلف الأزمنة الجيولوجية، والتي ساهمت في تشكيل معالمه الحالية، حيث ركز دريش بشكل خاص على تتبع مسار تشكل الاودية الجبلية من العالية نحو السافلة وهو الأمر الذي يعيننا في بحثنا هذا حيث سنعمل على دراسة الخصائص الطبيعية والبشرية لعالية حوض نفيس.

تكمُن أهمية أطروحة دريش أيضا في رصده للتفاعل الكبير بين الانسان والوسط الطبيعي ولاسيما في ما يتعلق بالدرجات الرباعية التي تكتسي أهمية بالغة باعتبارها أساس قيام الأنشطة الفلاحية سواء في تخوم الاطلس أو على مستوى مخارج الاودية الجبلية على مستوى مجال الدير.

اعتمدنا أيضا في هذا البحث على الدراسة التي قام بها الأستاذ عبد الجليل الكريفة الدينامية الطبيعية لحوض جبلي، الاطلس الكبير (1993)، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط. حيث عمل الباحث في هذه الدراسة على رصد مختلف الخصائص الطبيعية لحوض نفيس باعتباره مجالا متفردا يجمع بين الوحدة الجبلية والوحدة المرتبطة بالمنخفضات الطيغبلية وتكوينه الجيولوجي إلى جانب دراسة الأشكال والتوضعات التي يعرفها حوض نفيس من خلال الوقوف عند العديد من المقاطع التي توضح وتبين هذه الأشكال والتوضعات. ونظرا للأهمية التي تحظى بها هذه الدراسة فإننا سنعمل في بحثنا هذا على دراسة كيف أن هشاشة الوسط

الطبيعي لعالية حوض نفيس ساهمت في ميلاد هشاشة اجتماعية وبذلك فإن مجال نفيس هو مجال عطوب سواء من الناحية الطبيعية أو البشرية وهو الأمر الذي كانت له انعكاسات وخيمة على الموارد الطبيعية بصفة عامة والموارد الغابوية بصفة خاصة.

يعتبر الأستاذ المباركي حسن من بين الأساتذة الذين عملوا على رصد الاختلالات والاكراهات التي يعرفها المجال المغربي عامة خاصة فيما يتعلق بتدبير الموارد المائية في أطروحاته: الري وندرة الماء: مشكل الفلاحة العصرية بحوز مراكش، مثال حوض نفيس الأسفل، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط. حيث عمل الباحث على إبراز مظاهر التحديث الفلاحي بسافلة حوض نفيس على مستوى التنظيم والآلة إذ ركز على مختلف التحولات التي عرفها مجال نفيس في هذا المجال وقد أشار الباحث إلى أن القطاع الفلاحي بالمنطقة حظي باهتمام خاص من طرف سلطات الحماية التي عملت على توفير مختلف البنيات التحتية الهيدروفلاحية خاصة بعد تدشين سد لانتراكوست سنة 1935 إلى جانب العديد من القنوات والسدود التحويلية بهدف تسهيل استغلالها، والجدير بالذكر أن الباحث أشار في بحثه هذا إلى الصعوبات والاكراهات التي واجهت تحديث القطاع الفلاحي بالحوز بالنظر إلى طبيعة المجتمع التقليدي الذي راكم تقاليد متجذرة في تدبير الموارد المائية ولاسيما فيما يتعلق بالأعراف المحلية التي كان يتم اللجوء إليها من أجل تدبير مختلف الخلافات والنزاعات التي قد تنشأ بسبب ندرة الماء. وبالنسبة لبحثنا فسنحاول رصد علاقة الإنسان بالماء وكيف ساهم هذا الأخير في الهشاشة الاجتماعية التي تعرفها المنطقة خاصة فيما يتعلق بالفلاحة التي تعتبر النشاط الأساسي للسكان المحلية.

إلى جانب هذه الاعمال هناك أيضا أطروحة الأستاذ السعيد بوجروف، الحبال المغربية: أي تهيئة؟ أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب تخصص جغرافية التهيئة، جامعة القاضي عياض، مراكش -2006 2007، وتكمن أهمية هذا العمل في حرص الباحث على إبراز الدور القيادي للجبال في هيكلة المجال العالمي بصفة عامة، والمجال المغربي بصفة خاصة، إذ يعتبر بأن الجبل يكتسي أهمية بالغة بالنظر إلى الثقل الذي يمثلته بحمولته الثقافية والاجتماعية. وقد حاول الباحث البحث عن النموذج الذي يمكن اعتماده من أجل تهيئة هذه المجالات الهشة حيث وقف على العديد من نماذج التهيئة التي تشترك في كون عملية تدبيرها كانت تعتمد أساسا لأهداف سلطوية حيث كان متخذي القرار يسعون للسيطرة على الجبل والتحكم فيه بالنظر إلى الأدوار التي يلعبها. وقد اعتمدنا على هذه الأطروحة بالنظر إلى القيمة المضافة التي تشكلها في سعينا لفهم مختلف التحولات التي تعرفها المناطق الجبلية وبالنظر إلى أهمية التهيئة في تجاوز الاختلالات والاكراهات التي تعاني منها المجالات الجبلية وفي مقدمتها مجال نفيس باعتباره مجالا هشاً يحتاج إلى تهيئة مندمجة.

اعتمدنا أيضا على الدراسة التي قام بها الأستاذ الباحث محمد الأكلع: أزمة البيئة من خلال علاقة الإنسان بالوسط الطبيعي بالحوز الشرقي، لنيل شهادة دبلوم التأهيل الجامعي 2014-2015، حيث اعتمد الباحث على مقارنة تجمع بين ما هو جغرافي وتاريخي من اجل تسليط الضوء على العلاقة التي تربط بين الإنسان والوسط الطبيعي باعتبارها علاقة جدلية بمعنى أن الإنسان يؤثر ويتأثر بالوسط الطبيعي ونفس الشيء بالنسبة لهذا الأخير حيث خلص الباحث إلى أن الانسان بالحوز عمل على التكيف مع دينامية الوسط الطبيعي عبر العديد من الآليات التي تروم التهيئة والاعداد في أفق تحقيق التنمية المستدامة التي تحقق التوازن بين الانسان ووسطه الطبيعي.

خلاصة الفصل

إن مقارنة موضوع الهشاشة بالنسبة لنا يجب ان تكون مقارنة «نسقية» وذلك بغية تكوين فكرة متكاملة عن هذا الموضوع الذي أضحى يشكل هاجسا كبيرا بالنسبة لمختلف الفاعلين وذلك بحكم الأهمية التي يكتسيها في الدراسات الاجتماعية التي تؤكد على أن تحقيق التنمية المستدامة يبقى رهينا إلى حد كبير بمدى النجاح في التغلب على إشكالية الهشاشة، وحتى يتسنى لنا المساهمة في هذا الجهد العلمي نقترح ضرورة التركيز في معالجة هذا الموضوع على «العلاقات و التفاعلات» داخل هذا النسق، وكذا التأثيرات المتبادلة بين مختلف هذه الأبعاد من أجل فهم الظاهرة في «كليتها» لا في أجزائها و بالتالي تحقيق رؤية واضحة يمكن معها القيام بتقييم موضوعي تبنى على أساسه سياسات و استراتيجيات التدخل في أي مجال يعاني الهشاشة و التهميش.

الشكل رقم 6: المقاربة النسقية لمشاكل الهشاشة و التهميش



المصدر تركيب شخصي

الفصل الثاني: الخصائص الطبغرافية و الهيدروغرافية لعالية حوض نفيس

مقدمة

نروم من خلال هذا الفصل الى تسليط الضوء على مختلف مقومات وعناصر الوسط الطبيعي لعالية حوض نفيس، وذلك بهدف وضعه في إطاره العام الذي لم ينفصل عنه والمتمثل في الأطلس الكبير الغربي، فالموقع الجغرافي المتميز لحوض نفيس جعل منه مجالا بيئيا خصبا للدراسة على اعتبار تفرد أشكاله التضاريسية.

إلى جانب التنوع التضاريسي الذي يطبع ويميز مجال عالية حوض نفيس لابد من التأكيد على أنه يتسم أيضا بتدرج بيو مناخي وطبوغرافي مما انعكس إيجابا على الغطاء النباتي والغابوي بصفة عامة، لذلك سنعمل على رصد مختلف المقومات البيئية التي تحدد كيف يستغل الانسان في عالية حوض نفيس مجاله هذا وإلى أي حد يؤثر ذلك على التوازن الايكولوجي الذي يطبع هذا المجال الى غاية القرن العشرين حيث بداء الاستغلال المكثف وبالتالي بدأت معه مظاهر اختلال هذا التوازن من خلال ظهور عدة اعطاب افرزت لنا مجالا اقل ما يمكن القول عنه أنه يعاني اليوم ويساهم أيضا في تكريس واقع الهشاشة الاجتماعية التي ترتفع معدلاتها مقارنة بباقي التراب الوطني.

1. حوض نفيس: تاريخه وخصائصه العامة

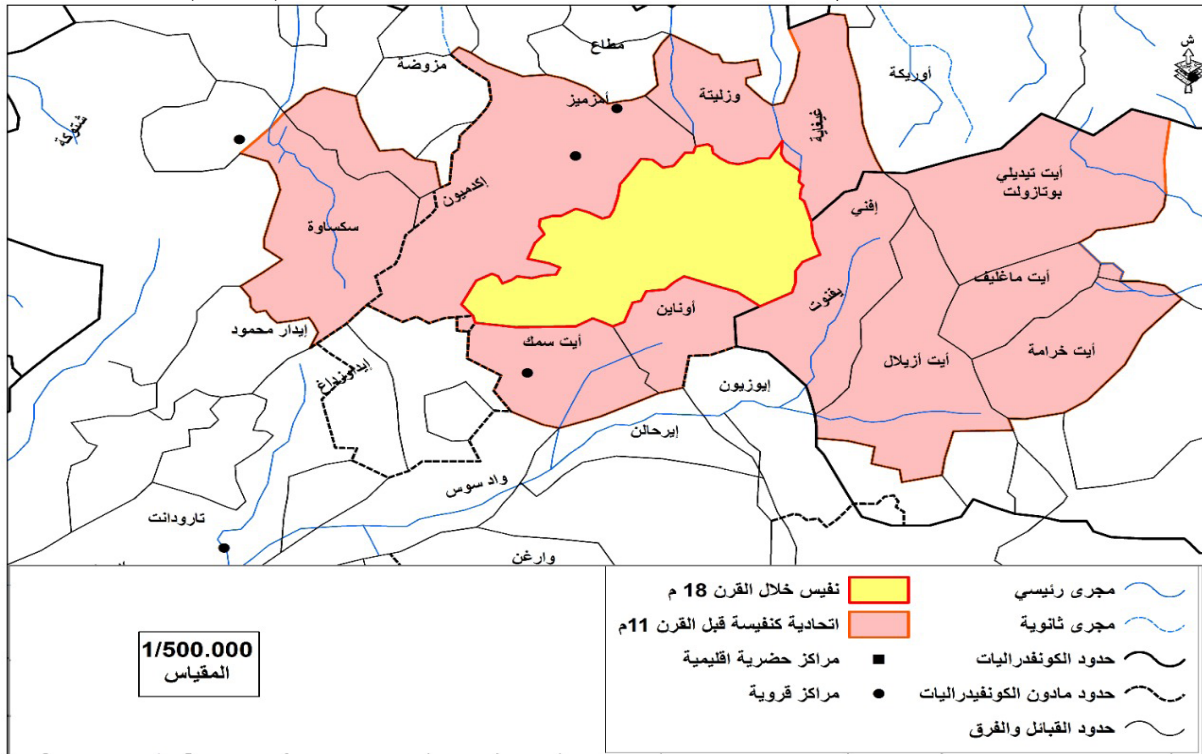
قبل الخوض في الخصائص الجغرافية لمجال الدراسة والذي وقع اختيارنا عليه ولاسيما عالية الحوض لابد من الإشارة إلى أن أهمية هذا المجال تكمن في الدور التاريخي الذي كان يضطلع به رغم أنه ليس من السهل ضبط هذا المجال والذي كانت تستقر به قبيلة كنفيسة كاتحادية قبلية مصمودية، لما تعرفه الاتحاديات من توسع وانكماش بحسب الظروف التاريخية التي تمر منها. لكن يغلب الظن أن مجال كنفيسة كان يمتد من قمة السفح جبل تيزي ن تاست وجبل أونان جنوبا إلى سفح جبل تيشكا ن سكاوة غربا وسفح جبل توبقال شرقا وحدود مصب نهر نفيس شمالا؛ إذ سبق أن قام «جاك بيرك» بدراسة تاريخ اتحادية «كنفيسة» من أجل دراسة تاريخ سكاوة التي كانت تنتمي إليها، وأكد أن كنفيسة وسكاوة كما باقي قبائل الأطلس كانت تمتد إلى السهول الغربية؛ حيث «يشير تاريخهم القديم إلى أن أراضيهم السابقة امتدت على نطاق واسع فوق السهل». وهو ما كتبه ابن خلدون خلال تحديده لمجال سكاوة، مصرحا أن: «من بطون كنفيسة أيضا قبيلة سكاوة [...] الموطنون بأمنع المعازل بهذه الجبال المطل جبلهم على بسيط السوس من القبلية وعلى ساحل البحر المحيط من المغرب، ولهم بمنعة معقلهم ذلك اعتزاز على أهل جلدتهم [...] وكان لهؤلاء المصامدة صدر الإسلام بهذه الجبال عدد وقوة». والأمر عكس ما ذهب إليه الباحث علي صدقي أزيكو الذي نظر بكون كنفيسة تتضوي تحت

لواء اتحادية أو ما سماه «مملكة» أيت واوزكيت، غير أنه ربما خانه الظن في أن الأمر يتعلق فقط باللف أو الاتحاد العام فقط. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن طبونيمية المجال ليست محل اجماع بين مختلف الباحثين لكن نميل إلى الطرح الذي قدمه لباحث أحمد الهوزالي إذ يشير إلى أن المقصود بنفيس هو: «الواقع أن كلمة نفيس مستمدة من وادي نفيس يعد تعريبه من أسيف، أو نفيس ومعناها وادي العيون المتدفقة؟، وقيل إن الكلمة مستمدة من إفيس وهي الضبع الذي مازال موجودا بغابات جباله» . ويرجح الباحثون المهتمون بالموضوع أن نفيس تعني الوادي؛ إذ هي من نفس مشتقات كلمات أسيف وتانسيفت وأنسيفن. وبذلك تكون لفظة كنفيصة هي كلمة مكونة من شقين: «ك» وتعني فوق، ونفيس التي تعني الوادي، فيقصد بها المجموعة السكانية المستوطنة لعالية وادي نفيس.

يضم أساسا وادي نفيس، وخاصة حوضه الذي توجد فيه مدينة تتمل، بالإضافة إلى روافده العليا: أكنضيس وأوكدمت وأغبار وأخيرا بلاد إيداو ساطوك. وأول من أشار إلى مجال كنفيصة أو مجال نفيس - حسب ما نعرفه إلى حد الآن - هو المؤرخ البيذق، حوالي القرن 12 الميلادي، وذلك حينما تحدث عن تحركات المهدي المنتظر عبد الله بن محمد بن تومرت في كتابه «أخبار المهدي» وكتابه المقتبس من كتاب «معرفة الاصحاب»، حينما أجرى الحديث عن وقائع خروج ابن تومرت من مراكش هاربا من المرابطين واتجه نحو جبل درن المراكشي. غير أن مجال كنفيصة الجغرافي اتسع حينما كانت قوية، وخاصة زمن الموحدين؛ حيث كان أهل نفيس/أهل تتمل يأتون مرتبين في الدرجة الثانية بعد أرغن قبيلة المهدي بن تومرت.

ويبدو أن المجال الجغرافي النفيسي بقي كما كان تقريبا منذ ذلك الوقت، وبقيت المجموعات البشرية المكونة لاتحادية كنفيصة محتفظة في ذاكرتها بانتمائها إليها، وعلى اساس هذه الذاكرة رسمت حدود كنفيصة على خريطة القبائل التي أنجزت عام 1962، مع الإشارة الى وجود بعض الاختلافات بين المصادر المعتمدة في هذه الخريطة. (الشكل 7).

الشكل رقم 7: قبائل اتحادية كنفيسة: ما بين القرنين IIم. و I8 م.



المصدر: نقلا عن ازايكو، لمحة من ماضى كونفيدرالية أيت واوزكيت

1.1. المميزات العامة للمجال الجغرافى لكنفيسة:

في البداية لابد من الإشارة إلى أن حوض نفيس يعتبر نموذجا منفردا في المجال المغربي باعتباره يشكل نموذجا للأحواض النهرية المتوسطة، وينتمي إلى الكتلة القديمة للأطلس الكبير ونظرا لشساعة هذا الحوض الذي يتشكل إلى جانب قطاع العالية - وهو النموذج الذي وقع اختيارنا عليه - من قطاع انتقالي وأخيرا قطاع السافلة ويتميز بكونه يمتد بشكل طولي على مساحة شاسعة تناهز 1442.72 كلم²، يوجد بالجهة الغربية الشمالية للأطلس الكبير الغربي، بين خطي طول 55° و 70° و 40° غربا وخطي عرض 30°5 و 31°2 شمالا. وتجدر الإشارة إلى أن المجال قيد الدراسة ينقسم ترابيا إلى ثلاث جماعات تنتمي إداريا إلى إقليم الحوز وهي: اغبار، ثلاث نيعقوب، و إجوكاك (الشكل 1).

ينبع وادي نفيس: «من هضبة تيشكا بقلب الأطلس الكبير المراكشي، ويبلغ طوله الإجمالي 181 كلم، ومنها 150 كلم بالجبل والباقي بالسهل». وله روافد ومنها واد تانسفت وواد أنكال وواد المخزن. وعلى طول هذا المسار يتكون وادي نفيس من توالي مجالات ضيقة عبارة عن خوانق وأخرى متسعة عبارة عن منخفضات طي-جبلية أهمها من العالية نحو السافلة:

- منخفض تاكوندافت الذي توجد به قسبة تاكوندافت التاريخية.
- منخفض ثلاث ن يعقوب الذي بعاليته قسبة تتمل الموحدية.
- منخفض إمارغا وبركان الذي يتميز بالانسع والتهوية.

ويعد مجال نفيس مجال منطقة التلاقي والتواصل بين منطقتي سوس والحوز، ويحتوي على غطاء غابوي متنوع، وعلى مرعى جبلي بتيشكا نْ سكساوة المتواجد في أعلى واد نفيس.

ومن مميزات مجال نفيس:

- امتداد مجاله بين سوس والحوز، وهي المنطقة الوحيدة التي يمكن أن يتواصل عن طريقها سكان الجنوب الغربي وسكان جبل درن الأطلس الكبير الغربي بكل سهولة عبر تيزي نْ تاست.
- وقوعه في منطقة تعتبر حلقة وصل واتصال حوض سوس وحوض تانسيفت في أجزائها العليا يوجد مجال كنفيسة ما بين قبائل مراكش شمالا وقبائل سوس جنوبا.
- اشتماله على منطقة جبلية كبيرة الارتفاع تتلقى تساقطات كبيرة ويسود فيها النشاط الزراعي وتربية المواشي، ويتركز هذا النشاط غالبا في أودية الوادي.

1.1.1. يتميز عالية حوض نفيس بأشكال تضاريسية متنوعة وذات خصائص متفردة

يحتضن حوض نفيس عدة أشكال تضاريسية ذات خصائص طبوغرافية متنوعة باعتباره مجالا جغرافيا مركبا عرف العديد من الحركات البنائية التي أفرزت العديد من الوحدات التضاريسية التي يغلب عليها الطابع الجبلي الذي يمثل 80 % من مجموع مساحة الحوض، مقابل 20 % بالنسبة للوحدة السهلية التي تكتسي رغم ذلك أهمية بالغة في فهم مختلف التطورات التي عرفها هذا المجال (عبد الجليل الكريفة، 1993).

تتميز الوحدات التضاريسية بالتباين في خصائصها المرفولوجية، وتتشترك في كونها تنتمي إلى الأطلس الكبير السليسي المشيد في الزمن الثالث، والتميز بأوديته العميقة وقممها العالية. وسنحاول انطلقا من الخرائط الطبوغرافية المتوفرة: خريطة تافنكولت وخريطة ثلاث نيعقوب وخريطة اثنين تكوكة، إبراز أهم المعالم السطحية التي ينتمي إليها المجال المدروس.

يقدم الحوض الأعلى لنفيس بشكل عام مشهدا طبوغرافيا جد متضرس، حيث أن 75% من المساحة الإجمالية للحوض تقع في الأجزاء العليا التي يتجاوز ارتفاعها 1780م، و25% من الأجزاء ذات ارتفاعات لا تقل عن 1000م. فتضاريس المجال تتراوح معدلات ارتفاعها ما بين 1500 م إلى 2600 م، أي أنه يجمع بين وحدات الجبال العليا والمتوسطة، تتخللها مجموعة من المنخفضات الطيبلية. (الشكل رقم 2) وينتمي الحوض في جزء كبير منه إلى السلسلة المحورية للأطلس الكبير، المشكلة من مجموعة من القمم التي تتجاوز 3000م، وذات الصخور الكلسية الكرانيتية، وتتميز هذه الوحدة الجبلية بشدة وقوة انحدار سفوحها، وتخرقها مجموعة من المسيلات على شكل شجري كما أن سفوحها تتميز بعدم التماثل، حيث أن السفوح الجنوبية أكثر انحدار من السفوح الشمالية. مما يوحي أن المجال يغلب عليه طابع التضرس، وقوة

الانحدارات، هذه الأخيرة تلعب دورا كبيرا في دينامية الوسط بفعل التعرية المائية التي تحول دون استقرار السفوح وتجريدها بالتالي من الغطاء النباتي.

2.1.1. تعتبر الجبال أهم الأشكال التضاريسية بعالية نفيس:

تتميز الكتل الجبلية بعالية حوض نفيس بضخامتها حيث توافق أعلى الارتفاعات التي تتجاوز 4000م ويمثل جبل وانكريم أعلى قمة بالحوض مقابل 2000 م بمنخفض ثلاث نيعقوب، وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن معظم هذه القمم تتخذ أشكالا دائرية. لكن يمكننا ان نميز فيها بين ثلاث أجزاء رئيسية وهي كالآتي:

أ- **العالية الشرقية:** تتميز هذه العالية بكونها تحتضن أعلى القمم وبالتالي أقوى الانحدارات التي تتجاوز 50% لكن هذه الأخيرة تقل في اتجاه وسط الحوض إذ تقل عن 25% قرب منخفض ثلاث نيعقوب.

ب- **العالية الجنوبية الشرقية:** تمتد هذه العالية من اسيف وانكريم إلى تزي أوشدن ويتسم هذا الجزء بالانخفاض التدريجي للارتفاعات حيث لا تتجاوز أعلى قمة 3000م الشيء الذي يفسر أيضا تراجع حدة الانحدارات التي تقل على العموم عن 27%

ج - **العالية الجنوبية:** إن الخاصية المميزة لهذا الجزء الممتد بين تزي أوشدن إلى تزي نتاست هي تشكله من عدة سفوح طويلة تنطلق مباشرة من القمم الجنوبية، والتي توافق خط تقسيم المياه، حيث تتعدى الارتفاعات 2800 م إلى منخفض ثلاث نيعقوب، وتتميز هذه السفوح بالانتظام وقلة التقطع، لكن الانحدارات تصل نسبتها إلى حوالي 35%. أما الكتل الغربية فتصل أعلى قممها إلى 3616 في قمة إكدات، وتتميز إجمالاً بالاستدارة والتسطح، على أن السفوح في هذا الجزء أكثر انتظاماً والانحدارات تتميز بتقعر خفيف، وتتراوح درجة انحدارها ما بين 45% و 35%. وتظم هذه الكتل مجموعة من الأعراف كعرف إكدات وعرف رأس إميل وعرف أغبار-كلأت. كما تخرقها مجموعة من الفجاج أهمها فج تزي نتاست وفج تزي نورغ وتري نغبار، وكلها فجاج تميز الجبال العليا لهذه الوحدات التضاريسية إذا كانت هذه أهم خصائص وسمات العالية الشرقية والجنوبية الشرقية، فإن العالية الغربية تتسم بدورها بعدة مميزات، الأمر الذي جعلها تختلف بشكل كبير عن العالية الشرقية، وذلك بالنظر إلى كونها تتكون من وحدتين طبغرافيتين متباينتين:

د- **الوحدة هضبية :** تقع في أقصى غرب الحوض وتشكل هضبة تيشكا التي يصل ارتفاعها إلى أكثر من 3000 م ويمكن التمييز داخلها بين عدة مستويات نحددها على الشكل الآتي:

- **مستوى أول:** يجمع هضاب ذات ارتفاع يتراوح ما بين 2800 م و 2900 م وهو المستوى العلوي الذي يتكون أساسا من هضبة أمسكرا (2850 م)، وهضبة وادار وتسعيموت التي يتجاوز ارتفاعهما 3000 م.

أما المستوى الثاني فيعتبر أكثر امتداد وانتظاما حيث يتراوح ارتفاعها ما بين 2675 م و 2750.

هـ - **الوحدة الجبلية:** في البداية لابد من التأكيد على أن قمة إكدات التي تعتبر أعلى قمة داخل هذه الوحدة يتجاوز ارتفاعها 3616 م تتميز بكونها على غرار الوحدات الشرقية بالاستدارة والتسطيح، في حين أنها تتميز بسفوح منظمة بشكل كبير من الشرق رغم أنها درجة انحدارها تتراوح ما بين 45% و 35 % حيث يظل الانحدار خفيفا بالمقارنة مع الجهة الشرقية (عبد الجليل الكريفة، 1993).

3.1.1. تتميز عالية حوض نفيس بمنخفضات ممتدة :

أ- منخفض ثلاث نيعقوب:

يمتد من أوتاخري شمالا حتى اشراون جنوبا، وتتميز الارتفاعات بهذا المنخفض بكونها أقل قيمة من منخفض تكندافت، إذ تبلغ في المتوسط 1200م، أما الانحدارات فتختلف من الحاشية إلى القعر، حيث تصل في جبل إشروالن ما بين 25% و 35%، بينما تختلف في القعر إلى أقل من 15%، غير أنه يمكن التمييز بين الحواشي الجنوبية والشرقية، بتزايد الانحدارات إلى (35%) والحواشي الشمالية (25%). وتظهر بهذا المنخفض مجموعة من الانقطاعات في الانحدار خصوصا في السفوح الشرقية والجنوبية، وتمثل هذه الانقطاعات مستويات طبوغرافية عبارة عن حادورات متدرجة تحت الحادور الأول، حيث يشرف بعضها على البعض حتى تتصل بالواد، أما في الغرب فالمنخفض يتميز بقوة الانحدار واستمراريته إلى قعر الواد.

ب- منخفض تاكدافت:

على الرغم من أن الشكل العام الذي يطبع هذا المجال هو شكل منخفض الذي يفصله جبل إشروالن عن منخفض ثلاث نيعقوب، فإن هذا لا يمنع من وجود عدة تضرسات والتي تمثل مجموعة من القمم والأعراف والتي يعتبر عرف تبخسين من أبرزها، والذي يتسم أيضا بوجود العديد من المستويات الطبوغرافية المتمثلة في الحادورات التي تتدرج حتى تتصل بالواد.

هكذا يظهر أن حوض نفيس الأعلى ذو طبوغرافية مركبة ومعقدة تتميز بطابعها الجبلي، تتخلله مجموعة من المنخفضات الطي جبلية، تحدها هضبة تشكا غربا التي تشكل المنابع الرئيسية لواد نفيس

ومنخفض إجوكان شرقا. وتتميز هذه الوحدات التضاريسية بتبايناتها من حيث الارتفاع وقوة الانحدارات، إذ تشتد في الأجزاء العليا الغربية وتقل في المنخفضات الشرقية، وهذه الوضعية لها تأثير كبير على الجريان السطحي، وعلى حجم التعرض للتعرية المائية بين القطاعين، هذه الأخيرة التي تنشط في العالية حيث السفوح الشديدة الانحدار. كما تنعكس هذه الوضعية الطبوغرافية على الغطاء النباتي الذي تختلف كثافته من العالية نحو السافلة، وتأثير ذلك على نوع التشكيلات التي تسود بكل قطاع.

2. الشبكة الهيدروغرافية والخصائص الهيدرولوجية لعالية حوض نفيس

يعتبر واد نفيس من أهم المحاور المائية في حوض نفيس حيث ويقطع مسافة مهمة داخل سلسلة الأطلس الكبير الغربي، إذ يتخذ شكل خانق عميق من هضبة تشكا إلى حدود منخفض ثلاث نيعقوب، حيث يبدأ في الاتساع ويخترق مجموعة من المتون، ويتميز انحداره بالقوة حيث يصل إلى 7% ما بين هضبة تشكا وأمسوي، و2% بين أمسوي ومنخفض تاكدافت، والجدير بالذكر أن واد نفيس يكتسي أهمية بالغة من الناحية الهيدروغرافيا والهيدرولوجيا، بالنظر إلى الدور المحوري الذي يقوم فيه بالمنطقة على كافة المستويات الاقتصادية والاجتماعية، فهو يستفيد من نظام مطري ثلجي يمنحه صبيبا مهما على العموم ويغذي سد للاتركوست وباقي السدود بنسب كبيرة من الموارد المائية التي تستغل في النشاط الاقتصادي ولاسيما القطاع الفلاحي وفي توفير مياه الشرب.

يخترق واد نفيس المنطقة من الجنوب في اتجاه الشمال ويعتبر بذلك المجرى المائي الرئيسي بحوض نفيس، ويتميز بتوافقه مع البنية، لاسيما في الوحدة الجبلية حيث يظهر شبه متعامد مع التخطيط العام للتضاريس رغم أن هذا المعطى لا يمنع من وجود عدة اختلافات في مناطق أخرى بالنظر الى طبيعة الركيزة الصخرية التي يقطعها واد نفيس الذي ويحتوي على شبكة مائية كثيفة ذات مجاري مائية سطحية في غالبيتها مؤقتة، تأخذ من الجبال العليا وهضبة تشكا التي تعد المصدر الرئيسي لأهم المنابع المائية لواد نفيس، هذه المجاري تصب في شعاب ثانوية والتي تصب بدورها في أودية فرعية. ويعد سهل الحوز المستفيد الأكبر من هذه الكميات القادمة من الأطلس الكبير، الذي يلعب دورا مهما في تخزين المياه بفعل كميات الثلوج التي تتلقاها المرتفعات، ويدوم الجمد بها من دجنبر إلى أبريل، وبعد الذوبان يعمل على تغذية الأودية.

الشكل رقم 8: لوحة خاصة بواد نفيس



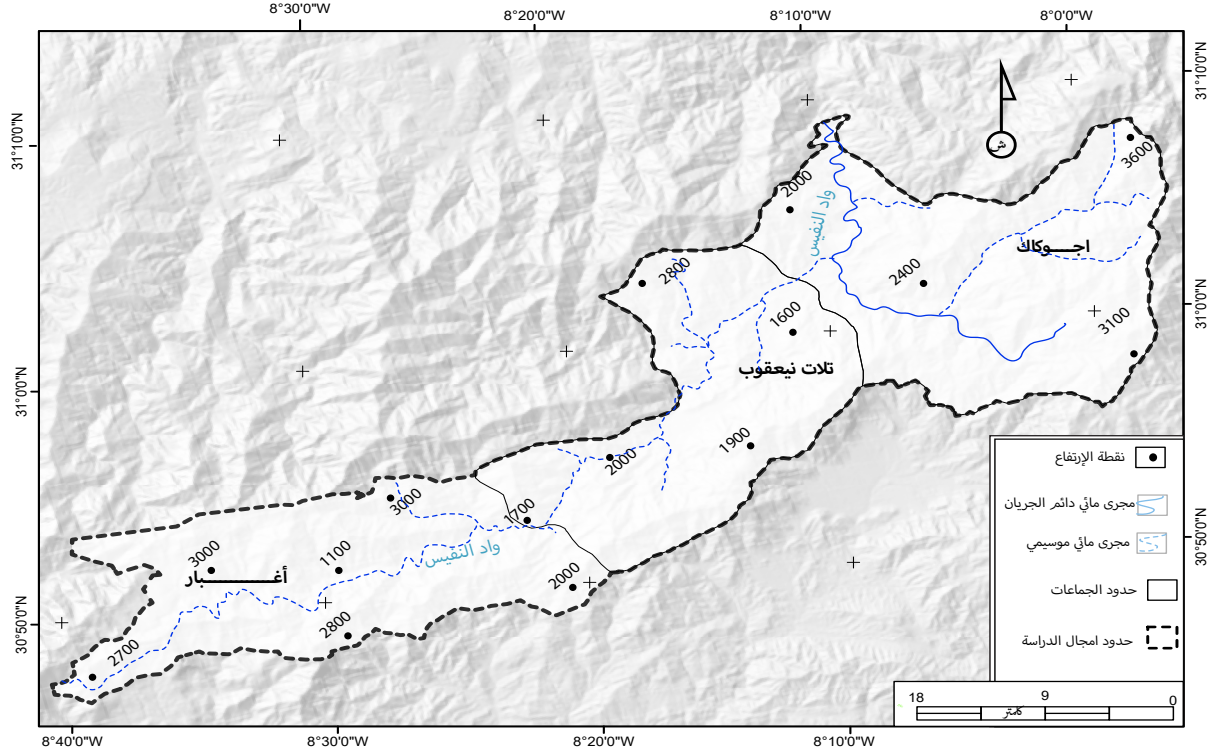
المصدر: المصدر: <http://www.tawadatrekking.com> تاريخ الاطلاع 14 ابريل 2020

1.2. مميزات الشبكة المائية بعالية حوض نفيس

يتسم عالية حوض نفيس بوجود شبكة مائية غنية وكثيفة وذات خصائص متعددة، حيث نجد من جهة أودية رئيسية ودائمة الجريان ويمثلها واد نفيس، تم أودية كثيفة وموسمية الجريان وعدة شعاب ومسيلات مائية، ومن جهة أخرى تعمق الشبكة المائية وكثافة التصريف عند الحوض.

يبدو جليا، انطلاقا من خريطة توزيع الشبكة الهيدروغرافية بعالية حوض نفيس (الشكل 09)، أن الشبكة المائية كثيفة نسبيا بالمنطقة خاصة في عالية الحوض، حيث كان لعوامل نشاط الجريان السطحي والانحدار وسيادة الصخور الهشة التي تتسم بنفاذية ضعيفة، دورا رئيسيا في تشكل شبكة كثيفة من الروافد والمسيلات النشطة.

الشكل رقم 9: خريطة الشبكة المائية لعالية حوض نفيس



المصدر: صور القمر الاصطناعي لاندسات من نوع SRTM

يحتوي حوض نفيس الأعلى على شبكة مائية كثيفة ذات مجاري مائية سطحية في غالبيتها مؤقتة، تأخذ من الجبال العليا وهضبة تشكا التي تعد المصدر الرئيسي لأهم المنابع المائية لواد نفيس، هذه المجاري تصب في شعاب ثانوية والتي تصب بدورها في أودية فرعية. ويعد سهل الحوز المستفيد الأكبر من هذه الكميات القادمة من الأطلس الكبير، الذي يلعب دورا مهما في تخزين المياه بفعل كميات الثلوج التي تتلقاها المرتفعات، ويدوم الجمد بها من دجنبر إلى أبريل، وبعد الذوبان يعمل على تغذية الأودية.

● **المجرى الرئيسي لواد نفيس:** يتخذ شكل خانق عميق من هضبة تشكا إلى حدود منخفض ثلاث نيعقوب، حيث يبدأ في الاتساع ويخترق مجموعة من المتون، ويتميز انحداره بالقوة حيث يصل إلى 7% ما بين هضبة تشكا وأمسوي، و 2% بين أمسوي ومنخفض تاكدافت.

● **أسيف أمسوي:** من أهم روافد واد نفيس في العالية، انحداره قوي يتميز بكونه دائم الجريان، يشكل إلى جانب أسفناكيس أودية متوازية وتتقاسم مجموعة من المسيلات.

● **واد اكنديس:** يشكل هذا الواد أحد الروافد الرئيسة بالنسبة لواد نفيس حيث يظهر على شكل خانق حقيقي إذ لا يعرف اتساعا مهما إلا عند التقائه بواد أيت احمد، والجدير بالذكر أن واد اكنديس يعتبر من أكثر المجاري المائية انحدارا داخل حوض نفيس حيث تبلغ درجة انحداره 11.2% وذلك باعتباره ينطلق من قمة وانكريم التي تبلغ 4088 م.

© **واد أكدمت:** يتميز هذا الواد بكونه يظهر في الضفة اليسرى لواد نفيس ويعتبر من أهم روافده داخل منخفض ثلاث نيعقوب متعامدا بذلك مع الأعراف الثانوية بعالية الحوض الغربية. حيث ينطلق هذا الواد من كتلة إكدات تدافلت ليصب بواد نفيس عند مزوزيت (1224م) وعلى مسافة تبلغ حوالي 27 كلم.

إن ارتفاع درجة الانحدار في معظم هذه المجاري المائية الرئيسية في عالية حوض نفيس ينتج عنه ارتفاع نسبة التصريف الخارجي للشبكة المائية مما يؤدي إلى نشاط قوي لدينامية التعرية والنقل والتعمق الرأسي والجانبى بتلك الأودية، مما ينتج عنها نشاط التخديد أمام ضعف مقاومة السفوح وانكشافها من الغطاء النباتي، وبالتالي تظل هذه الأودية أحد الأسباب المنشطة للدينامية السطحية، لمساهمتها القوية في التعمق فوق الركيزة الصخرية والدليل على ذلك حجم الأطنان المنقولة في قعورها.

هكذا يمكننا الاستنتاج بان الشبكة المائية بحوض عالية نفيس، تلعب دورا مهما في التصريف الباطني وبالتالي تغذية الفرشات المائية الباطنية، والتصريف الخارجي، حيث نشاط السيل و النحت والنقل وبالتالي فإن هذا العامل إلى جانب الانحدارات يتحكمان في النظام الهيدرولوجي للحوض، ويلعبان دورا كبيرا في التشكيل وتراجع السفوح، من خلال إزالة الأتربة و التكوينات السطحية نتيجة التراجع الكبير للغطاء النباتي

2.2. الخصائص الهيدرولوجية لعالية حوض نفيس

مما لا شك فيه أن دراسة الخصائص الهيدرولوجية لعالية حوض نفيس تكتسي أهمية بالغة وذلك بالنظر إلى الإمكانيات الكبيرة التي تتيحها لنا من أجل فهم الدينامية الحالية التي يعرفها الحوض. لذلك يمكننا القول كما سبقنا الإشارة إلى ذلك بأن واد نفيس يمتاز بنظام جريان خاص، بفعل تظافر عدة عوامل، منها الخصائص المورفومترية والركيزة الصخرية والمميزات المناخية، وكلها عوامل تتحكم بقوة في الصبيب ونظام الجريان الى جانب الدينامية النهرية للمجرى الرئيس.

إن النظام الهيدرولوجي لواد نفيس يعرف عدم استقرار في وارداته المائية من سنة لأخرى ومن فصل لأخر، إذ يلاحظ تفاوتات زمنية للصبيب حسب الأيام والشهور والسنوات، فالصبيب يصل إلى ذروته عند حدوث فيضانات استثنائية في فصل الصيف، أو عند ذوبان الثلوج في بعض أيام فصل الربيع. لكن لا بد من الإشارة في هذا السياق إلى أن التفاوت الذي يطبع صبيب واد نفيس لا يقتصر فقط على المستوى الزمني بل حتى على المستوى المجالي كيف ذلك؟ فالتباين الكبير الذي يميز حوض نفيس بمعنى (بين عاليته وسافلته)، ينعكس أيضا على مستوى الصبيب حيث أنه في عالية الحوض يكون مستوى الصبيب

مرتفعاً وذلك بالنظر الى ارتفاع معدلات التساقطات عكس السافة حيث مستوى صبيب الواد يقل بحكم قلة التساقطات هذه الأخيرة التي ترتفع كلما اتجهنا داخل الجبل.

وحسب الفصول فإن الصبيب يعرف تراجعاً كبيراً في فصل الصيف، ولا سيما في شهر غشت وذلك بفعل ندرة التساقطات، وتعاقب سنوات الجفاف في السنوات الأخيرة، الشيء الذي ينعكس سلباً على حقينة السدود. (الشكل 10) حيث ساهم تراجع صبيب واد نفيس في التأثير بشكل سلبى على حقينة سد وريكان، مما يطرح تحديات كبيرة على مستوى تلبية حاجيات القطاع الفلاحي، والماء الشروب لسكان المنطقة التي تعاني أصلاً من ارتفاع معدلات الهشاشة الاجتماعية، والتي ساهمت فترة الجفاف التي يعرفها المغرب في السنوات الأخيرة في تفاقمها، خاصة في المناطق الجبلية حيث كل أسباب الهشاشة متوفرة. وهو ما يطرح أكثر من سؤال حول ضرورة استحضار خصوصيات هذا المجال في النموذج التنموي الجديد بهدف تجاوز الإخفاقات التي واكبت مختلف برامج تنمية العالم القروي التي تم اعتمادها منذ الاستقلال.

الشكل رقم 10: لوحة مظاهر تراجع حقينة سد وريكان باجوكاك



المصدر: google earth، تحريات ميدانية 2019

3.2. التغيرات الزمنية والمجالية للصبيب بحوض عالية نفيس:

تكمن أهمية دراسة التغيرات التي يعرفها الصبيب على المستويين الزماني والمكاني، في استيعاب مدى تفاعل عناصر الطبيعة من تضاريس وغطاء نباتي، هذا الأخير الذي يلعب دوراً في عرقلة الجريان السطحي في بعض الحالات، وبتنظيمه في أخرى. وتساعد على تحديد فترات الشح المائي وفترات الفيض، ومدى تفاوت معدلات الصبيب الشهرية والفصلية بين العالية والسافة. وسنعمد في تحليل هذه العناصر على معطيات محطتي إكرنكوريس في العالية، وللاتركوست في السافة:

جدول رقم 5: أهم خصائص تغيرات الصبيب بين العالية وقطاع السافلة ما بين 1975 - 2014.

إكرنكوريس	0.3	2.2	0.9	6	7.9	3.8	2.2	1.4	$3^3\text{م}^3/\text{ث}/\text{كم}^2$
تاكركوست	0.7	2.3	0.9	3.1	6.1	2.1	2.1	1.3	$2^3\text{م}^3/\text{ث}/\text{كم}^2$

المصدر: وكالة الحوض المائي لتانسيفت

بناء على المعطيات الواردة في الجدول أعلاه، نلاحظ أن هناك تباينا كبيرا في متوسط الصبيب السنوي لواد نفيس، وذلك بالنظر إلى الوضع الطبوغرافي للحوض الذي يتميز بتزايد الارتفاع في اتجاه الحوض الأعلى، فإنه من الطبيعي أن تكون سرعة الجريان السطحي مرتفعة، ويكون معدل الصبيب مرتفع، حيث الارتفاعات تتجاوز 2000 متر وتقل كلما اتجها نحو السافلة. وبالتالي واستنادا إلى معطيات محطتي إكرنكوريس وتاكركوست، فإن المعدل السنوي للصبيب يعرف اختلافا واضحا بين القطاعين، إذ يسجل في العالية $3^3\text{م}^3/\text{ث}/\text{كم}^2$ ، بينما ينزل في السافلة إلى $2^3\text{م}^3/\text{ث}/\text{كم}^2$ ، آخذا بعين الاعتبار الفترة المرجعية المعتمدة، مما يدل على أن معدل الصبيب السنوي يعرف تفاوتات مجالية، حيث يرتفع في العالية عكس السافلة حيث يقل متوسط الصبيب.

إن معطيات متوسط الصبيب الشهري أو السنوي خلال الفترة المدروسة، توضح مدى تعقد دينامية جريان واد النفيس، وخضوعه للظروف والتقلبات المناخية التي يشهدها العالم بصفة عامة ويتأثر بها المغرب باعتباره من بين البلدان النامية التي تعاني أكثر من غيرها من هذه التغيرات المناخية وتجدر الإشارة أن موقع واد النفيس في الأطلس الكبير الغربي فهو يتأثر بالتساقطات المطرية بمختلف أشكالها حيث أن التساقطات المسجلة في كل المحطات تؤكد ذلك بحيث يرتفع الصبيب خلال فترة الشتاء ليلبلغ ذروته عند نهاية فصل الشتاء وبداية فصل الربيع حيث ذوبان الثلوج في قمم الأطلس الكبير ليعرف الصبيب بعد ذلك انخفاض كبيرا في فصل الصيف ولاسيما في شهر غشت مع بعض الاستثناءات التي يسجل فيها الصبيب أرقاما قياسية في هذا الشهر نتيجة حدوث فيضانات فجائية⁽²⁰⁾

1.3.2. يتسم الصبيب بعالية حوض نفيس بعدة تغيرات زمنية تنعكس على الموارد

المائية بالحوض:

تسمح لنا دراسة التغيرات المنية بالتعرف على العلاقة بين تغيرات التساقطات والتذبذبات التي يعرفها نظام الجريان، حيث أن معدلات الصبيب تعرف تباينات سنوية وببيسنوية، كما يمكن ذلك من معرفة الفصول الأكثر مساهمة في تدفق الصبيب، ومنه يمكن معرفة تغيرات نظام الجريان الذي له التأثير الكبير

(20) عرفت منطقة نفيس على غرار باقي مناطق الحوض بصفة عامة فيضانات فجائية يوم 22 نونبر 2014 بسبب ارتفاع منسوب مياه الوديان بشكل غير مسبق والذي أدى إلى خسائر مادية هامة في الممتلكات الخاصة والعامة حيث أدى الفيضان إلى ائلاف جزء كبير من الإنتاج الفلاحي في مختلف المناطق التي يمر عبرها واد النفيس

على الخصائص الطبيعية للمجال. وسنعمد في دراسة هذه التغيرات على محطة إكرنكوريس التي تقع في العالية، ما بين سنوات 1974 إلى 2006.

يتضح ان صبيب واد نفيس يعرف نوعا من الاستقرار على العموم، غير ان ذلك لا يلغي وجود اختلافات وتباينات من سنة إلى أخرى، ويمكن تمييز السنوات التي يصل فيها الصبيب أعلى معدلاته وهي سنوات 1988 و1990 و1995 و1992 و1997، حيث وصل معدل الصبيب ما بين 8.2 و13.2 م³/ث، وهذه السنوات هي التي تعد سنوات الوفرة. أما السنوات التي ينزل فيها الصبيب إلى أدنى مستوياته فهي سنوات 1975، 1976 و1977 و1983 و1986 و1987 و2002 و2001، حيث لم يتجاوز معدل الصبيب ما بين 0.14 إلى 1.3 م³/ث، أما باقي السنوات فيبقى معتدلا، حيث يتراوح ما بين 2.8 إلى 8.2 م³/ث، ومنه نستنتج أن:

- ⊙ أن المعدل السنوي خلال الفترة الممتدة ما بين 1974 إلى 2006 لا يتجاوز 3.58 م³/ث،
- ⊙ أن هذه الاختلافات البيسنوية التي يسجلها الصبيب بين فترة وأخرى تؤثر على تغيير نسبة الجريان من سنة إلى أخرى، حيث تكون هناك سنوات وفرة وسنوات تعرف العجز.

خلاصة الفصل:

هكذا نخلص من خلال تحليلنا لمعطيات الإطار العام والخصائص الطبوغرافية، أن المنطقة ذات الخصائص المناخية المتوسطة تتوفر على شبكة هيدروغرافية كثيفة على العموم، معظمها موسمي وغير منتظم الجريان تتحكم فيها الامتطاحات الفيضية المؤقتة والفجائية أحيانا كما اشرنا الى ذلك سابقا، كما أن الشبكة المائية تخترق مناطق ذات الانحدارات القوية حيث الصخور الهشة الأمر الذي يفسر لنا التطور السريع للأشكال التضاريسية حيث تأكدنا من خلال البحث الميداني على مدى قدرة قوة السيل على تغيير الكثير من المعالم التضاريسية بمجال الدراسة وهو الأمر الذي من شأنه أن يساهم في تكريس واقع الهشاشة الطبيعية التي تؤدي بدورها إلى تفاقم الهشاشة الاجتماعية بمجال الدراسة الذي يعتبر مجالا عطوبا بامتياز ويعيش بالتالي هشاشة مزدوجة⁽²¹⁾ فهو من جهة يعاني من الهشاشة الطبيعية ومن جهة أخرى يعاني من الهشاشة الاجتماعية.

(21) رغم أن المنطقة تعيش هشاشة مزدوجة غير أن هذا لا يمنع من الإشارة إلى أنها تتوفر على موارد طبيعية جد مهمة (الغابة، الموارد المائية، المؤهلات السياحية...) والتي من شأن استغلالها بشكل أفضل أن يساهم في تحقيق تنمية مستدامة بالمنطقة ويقلص بالتالي من واقع الهشاشة التي ترزخ تحتها المنطقة في ظل محدودية البرامج التنموية والتدخلات الرسمية للدولة ولباقى الفاعلين.

الفصل الثالث: الإطار الجيولوجي لحوض عالية نفيس: سيادة التوضعات الرباعية

مقدمة:

في البداية لابد من الإشارة الى أن دراسة موضوع جيولوجية حوض نفيس ليس بهدف سرد أهم الخصائص الجيولوجية لهذا الحوض فقط، بل سنسعى الى ربط العلاقة التي تربط بين الخصائص الجيولوجية ودورها في الهشاشة الطبيعية والاجتماعية التي يعرفها مجال الدراسة، ذلك أن تشكل حوض عالية نفيس، على غرار باقي الأحواض التي تميز الأطلس الكبير الغربي عموماً، بامتداده فوق قاعدة صخرية عرفت عدة تطورات عبر تاريخها الجيولوجي المعقد، سواء من حيث الإرساب وظروف التشكل أو التشويه اللاحق بها و الحوادث البنائية التي تعرضت لها عبر مختلف الحقب الزمنية، أو خاصياتها الصخرية المتباينة على مستوى الصلابة والمقاومة، وكلها معطيات رسابية تبدو معقدة بهذا الجزء من الحوض⁽²²⁾ ويمكن اجمالها من خلال الوقوف على العناصر الآتية:

1. الإطار الجيولوجي: تكوينات جيولوجية متباينة أترت عليها البنائية بشكل خاص ما بين نهاية

الزمن الأول إلى غاية نهاية الزمن الثاني

1.1. القاعدة الصخرية وتجليفاتها الرسوبية خلال الجوراسي:

يندرج عالية حوض نفيس بنيويا ضمن كتلة الأطلس الكبير الغربي، وحسب مجموعة من الجيولوجيين الذين عملوا على دراسة هذا الجزء من الأطلس المغربي (A.Le Marrec j. Ferranduni ...) فإن مورفولوجية هذه الوحدة تتفرد بوجود ارتفاعات كبيرة تتعدى 2000 م، الشيء الذي يساهم في تكريس واقع الهشاشة الاجتماعية بالمنطقة على اعتبار أن غلبة طابع الارتفاع على عالية حوض نفيس يكرس واقع الهشاشة الاجتماعية، بل إنه يساهم في ترسيخ هشاشة مزدوجة بالمنطقة، حيث أن الساكنة التي تعيش في هذه الأوساط عادة ما تجد صعوبة كبيرة في الولوج من الخدمات الاجتماعية كالمدارس والمستوصفات مما يفاقم حدة الهشاشة الاجتماعية وتجدر الإشارة إلى أن حاشية حوض نفيس تعرضت (منطقة الدير والسهل) إلى حركات بنائية منذ نهاية الترياس حيث عرفت تهديلاً سمح بحدوث غمر بحري على شكل بحار ضحلة غير عميقة لم تسمح بتوضع سوى الفتاتات الآتية من القارة.

وفي هذا السياق يؤكد M.Monbaron سنة 1981، حدوث فترة رسابية جديدة خلال بداية الدوكير Dogger، ترتبط بانفتاح الأخدود الأطلسي على المسيطا شمالاً والقاعدة القديمة التي تمثل هوامش الدرع الصحراوي جنوباً، وبذلك شهدت شواطئ الهور الأطلسي نشاطاً رسابياً مختلفاً ومتافراً مع القاعدة القديمة

(22) تجدر الإشارة إلى أن عالية حوض نفيس على غرار باقي أجزاء الكتلة القديمة للأطلس الكبير عرف تعرية قارية مهمة خلال الستيفاني، ويحتمل أن تكون هذه الفترة قد عرفت عدة تطورات عبر تاريخها الجيولوجي المعقد والذي اتسم بمناخ رطب حار في الأول ثم معتدل في الأخير، ويتجلى هذا التغير المناخي من خلال تزايد المواد الدقيقة التي ترسبت خلال هذه الفترة بالأحواض الهرسينية والتي استمرت في التهديل خلال نفس الفترة. عبد الجليل الكريفة. 1993

اللياسية (Ibrouh.h et al.2008)، لاسيما في فترة الدوميري -الطوراسي، مع طغيان الغمر البحري للتيتيس، وتجدر الإشارة في هذا الإطار إلى أن هذا الاستنتاج هو ما ذهب إليه أيضا كل من (A.Le ... (Marrec j. Ferranduni (23) حيث يعتبرون أن السلسلة الجبلية لحوض نفيس لم تكون مكشوفة بل كانت منطقة متهدلة شيئا ما خلال الجوراسي و الكريتاسي و الأيوسين. وأن التعرية النيوجينية هي المسؤولة عن إزالة كل الطبقات الثلاثية والثانوية، خصوصا أن التوضعات لم تكن سميكة (بحار ضحلة).

2.1. التعرية القبل كريتاسية و الترسيب الكريتاسي:

بحكم العمليات البنائية ولاسيما حركات الرفع التي عرفها مجال الدراسة وبقائها مكشوفة أمام عوامل التعرية، فإن الجزء الجبلي لحوض نفيس قد عرف خلال نهاية الفترة الجوراسية و بداية الكريتاسي فترة تعرية أدت إلى تكوين مجموعة من سطوح التعرية. غير أنه مع بداية الكريتاسي تقدمت البحار من الغرب نحو الشرق إلى حدود أسيف المال، بينما استمرت على شكل خليج شمال الكتلة القديمة إثر تهدل حوض أكادير -الصويرة، وبالتالي فإن السحنات الكريتاسية لم تتوغل داخل هذه الكتلة رغم أن بعض الدراسات كما اشرنا إلى ذلك تشير إلى أن منطقة بحثنا لم تكن بارزة (الجزء الجبلي) (24).

بعد الحركات الأيوسينية التي ساعدت على توضع كميات مهمة من الفتاتات تعرض حوض نفيس ومعه كتلة الأطلس الكبير القديمة برمتها لأهم حركة بنائية على الاطلاق الأزمنة الأطلسية الكبرى الثانية **p.Huvelin 73** حيث شهد حركات عمودية وأخرى جانبية ساهمت في رفع المنطقة، مما جعلها خلال الأزمنة اللاحقة في وضعية انتهاض بفعل التأثير بالبنائية الحديثة المعروفة بالحركات الألبية - الأطلسية التي انطلقت مع الجوراسي الأعلى قبل حوالي 160. وكانت بداية هذه الحركات مزامنة لتوضع تلك الفتاتات، غير أن أوجها كان بعد توضع التكوينات الميوليوسينية.

تميزت الحركات البنائية التي تعرض لها حوض نفيس بكونها أعنف من سابقتها حيث تعتبر هي المسؤولة عن أهم التضاريس بكتلة الأطلس الكبير القديمة بل في المغرب ككل، وفي هذا السياق لابد من الإشارة إلى أن هذه الحركات هي التي تحكمت في رفع الوحدة الجبلية السهلية.

(23) نقلا عن عبد الجليل الكريفة، 1993، حوض نفيس، الدينامية الطبيعية لحوض جبلي (الأطلس الكبير)،

(24) كشفت نتائج الدراسة التطبيقية، أن جبال الأطلس المغربية تمتلك خاصية منقطعة النظير، تتمثل في كونها ليست ثابتة، وإنما تطفو فوق كتل من الصهارة الصخرية المتحركة توصلت دراسة أمريكية إلى أن سلاسل جبال الأطلس المغربية تتمتع بخاصية جيولوجية فريدة، تتجلى في كونها عبارة عن جلاميد صخرية عملاقة تطفو فوق كتل من الصهارة الصخرية الذاتية التي تنبع متدفقة من تحت مايسى بطيخة «ليتوسفير» التحت-أرضية، التي تعتبر أشد طبقات القشرة الأرضية صلابة. فقد كشفت نتائج الدراسة التطبيقية، التي قام بها فريق من الباحثين الجيولوجيين بقيادة العالمين الأمريكيين «ميغان ميلر» و«ثورستن بيكر»، من قسم علوم الأرض بجامعة كاليفورنيا الجنوبية للجيولوجيا بالولايات المتحدة، والتي قدمت ضمن منشور جامعي، أن جبال الأطلس المغربية تمتلك خاصية منقطعة النظير، تتمثل في كونها ليست ثابتة، وإنما تطفو فوق كتل من الصهارة الصخرية المتحركة، مفندة بذلك نماذج النظريات الجيولوجية الحالية، التي تخلص إلى كون جبال الأطلس تنتصب فوق طبقات من الصخور الصلبة. وقد أثار هذا الأمر جدلا بين كبار العلماء الجيولوجيين، نظرا إلى كون هذا الاكتشاف الجديد من شأنه أن يقلب المفاهيم التي أنشأها علماء الجيولوجيا عن تركيبة السلسلة الأطلسية منذ وقت طويل، فقد صرحت رئيسة فريق البحث العلمي للدراسة، «ميغان ميلر»، بأن التشكيلة الجيولوجية لجبال الأطلس المغربية هي «أكثر تعقيدا مما كان متصورا».

هكذا وبعد تتبع التطور الجيولوجي لحوض نفيس والذي تحكم فيه الاختلاف النوعي و المجالي لصخرة و بنائية نفس الحوض من جهة، ووجوده بين كتلتين كرانيتين مختلفين من جهة أخرى فإن هناك سؤال يطرح نفسه إذا ما هي شواهد هذا التطور على المستوى الجيومورفولوجي ؟ وما هي أهم الأشكال البنيوية التي تعتبر نتيجة لهذا التطور الطويل و المعقد ؟ و ماهي خصائص صخرة و بنائية هذا الحوض؟

2. التوزيع المجالي و النوعي لصخرة و بنائية عرض نفيس:

ارتباطا بالمنهجية التي رسمناها لهذا البحث فإن المعطيات الجيولوجية (الصخرة و البنائية) لحوض نفيس سنحاول من خلالها أن نجتمع بين نقطتين أساسيتين:

⊙ الأولى: تتعلق بالاختلافات المجالية للصخور و الأسلوب لبنائي داخل هذا الحوض.

⊙ الثانية: تخص الاختلافات النوعية للصخور والأسلوب البنائي.

وهكذا فالتبويب لهذه المعطيات لن يكون كرونولوجيا، بل سيكون حسب درجة مقاومة الصخور وذلك من أجل إبراز تباينات الحوض من خلال درجة مقاومته من جهة، وخلق أسس يمكن أن نقارن من خلاله بين عالية الحوض وسافلته على اعتبار أن الصخور تشكل عنصرا أساسيا لفهم الدينامية التي يعرفها المجال الغابوي بعالية نفيس

1.2. يتميز عالية حوض نفيس بهيمنة الصخور الصلبة:

أ. يعتبر الريوليت و الأنديسيت أصلب صخور الحوض:

في البداية لابد من الإشارة إلى أن حوض نفيس يتميز بخصائص متعددة ومن أهمها ذلك التنوع الذي يطبع مجاله لاسيما فما يتعلق بالصخرة، حيث تشكل الصخور الصلبة الهيكل الأساسي للحوض وفي مقدمة هذه الصخور نجد الريوليت والانديسيت والتي تتوافق في الغالب مع أعلى القمم وخاصة قمتي تزغارت وقمة وانكريم (4088 م) غير أنه لابد من الإشارة في هذا السياق إلى أن التباين هو الذي يطبع توزيع هذه الصخور داخل الحوض، إذ تتركز فقط بالجهة الشرقية لعالية الحوض بينما تتعدم بالمنابع الجنوبية والغربية، أما سمك هذه السحنات فيتروح ما بين 600م كأدنى سمك و 2000 م كأعلاه وذلك بالقرب من وانكريم، أما المساحة النسبية لصخور الريوليت و الأنديسيت من مجموع مساحة الحوض فتبلغ (25) 6.7%

(25) تجدر الإشارة إلى أن التأريخ لهذه السحنات عرف عدة نقاشات، ويمكن إجمالها في اقتراحين رئيسيين: ذلك أن الريوليت يوجد فوق الكرانيت الأركي، هذا الأخير يخترق الريوليت على شكل مدخنتات، كما أن الريوليت يوجد أسفل الطبقات الرسوبية التي تبدأ بالجورجي الأعلى، هذا ما دفع بالاعتقاد أن هذه السحنة إما أن تكون الكوكونية أو أن تكون كميرية (بداية الكميري). وقد أخذ بلاقترح الأول Gigout حيث اعتبر أن السحنة الكوكونية لكن في مناطق خارجة عن حدود بحثنا. بينما اعتبرها Neltner كميرية و العلة في ذلك هي عدم وجود أي تنافر بين هذه السحنة و السحنة الجيولوجية المؤرخ لها. (عبد الجليل الكريفة 1993)

ب. تشكل الصخور الكلسية نسبة مهمة داخل حوض نفيس

تحتل الصخور الكلسية المرتبة الثانية من حيث الأهمية داخل الحوض بعد الريوليت والانديست وتجدر الإشارة إلى أن عالية حوض نفيس تتميز بسيادة كلس صلب جدا وقديم على عكس السافلة والمجال الانتقالي حيث هيمنة الكلس الحديث (كريتاسي - أيوسين) والذي يتميز بكونه أقل صلابة. وفي هذا الإطار لابد من الإشارة إلى أن الصخور الكلسية تظهر أساسا بالصفة اليمنى لواد نفيس حيث تمتد من تزي نتاست إلى مريغة شمالا مروراً باكنديس جنوباً⁽²⁶⁾ في حيث يظهر الشكل الثاني من هذه الصخور في بعالية الحوض الغربية.

ج. تتميز عالية حوض نفيس الغربية بانتشار الكرانيت

تتميز عالية حوض نفيس بوجود جيلين كرانيتين متباينين، حيث ينتشر الجيل الأول والذي يعد أكثر صلابة بشرق منخفض نفيس، في حين يسود الجيل الأقل صلابة في غرب نفيس، والذي يتميز بكونه هرسينيا على اعتبار أنه يخترق الطبقات الكامبرو اردوفيزية المكونة اساسا من الشيست. غير أن هذا النوع من الصخور يتميز بهشاشة النسبية و قابليته للتفكك⁽²⁷⁾، وهو الأمر الذي يفسر الهشاشة الطبيعية التي تعاني منها المنطقة لاسيما فيما يتعلق بالتعرية والانجرافات الكثيرة التي تعرفها المنطقة، علما أن هذه الهشاشة الطبيعية هي التي تؤدي أيضا الى هشاشة اجتماعية وذلك بحكم أن ساكنة المنطقة تعتمد بشكل كبير على الموارد الطبيعية التي تزخر بها المنطقة والتي تتأثر بالهشاشة الطبيعية، وبذلك تعرف المنطقة هشاشة مزدوجة فمن جهة هناك هشاشة طبيعية حادة، ومن جهة أخرى هناك هشاشة اجتماعية تساهم في تكريس الهشاشة الطبيعية التي لا يمكن فهمها إلا من خلال الوقوف على الركيزة الجيولوجية للمنطقة باعتبارها المفتاح الرئيسي لفهم كل الاكراهات التي يعاني منها مجال الدراسة.

د. يعتبر عالية حوض نفيس حوضا شيبستيا بامتياز

إذا كانت الصخور تكاد تنحصر بالعالية حيث تكون حزاما يحيط بحوض نفيس، فإن السحنات المتوسطة الصلابة تنتشر بمعظم حوض نفيس حيث تتكون صخور الشست و تعتبر هذه الاخيرة الميزة الأساسية للحوض حيث يمكن نعتة حوض شيبستي أساسا (عبد الجليل الكريفة 1993). غير ان السحنات

(26) ويتضح ذلك من خلال المقطع الذي قام به L.Nelner عند خانق اكنديس (من الاعلى نحو الاسفل): ظلفاء كلسية علوية من 4 الى 500 م. عدسة رصيبة من 20 الى 30 م. فرشاة من الشيبست الاخضر، كلس و رصص من 20 الى 30 م. ظلفاء كلسية وسطى حوالي 50 م. طين كلسي وحي من 40 الى 50 م. ظلفاء كلسية سفلى حوالي 50 م. شيبست أخضر و فرشاة حثية في القاعدة من 70 الى 30 م لكن هذا التطبيق قد يعرف تغيرات محلية كما هو الشأن عندما نصل الى أسيف أيت احمد (احد روافد اكنديس) حيث يغيب الشيبست الاخضر و تبتدئ السلسلة مباشرة بالعارضة الكلسية السفلى. (عبد الجليل الكريفة 1993).

(27) هنا لابد من الإشارة إلى أن وجود هذا النوع من الصخور داخل محدبات محاطة بصخور جد صلبة (الكلس الجورجي) كما هو الشأن بهضبة تيشكا جعله يظهر بمظهر الصخر المقاوم للتعرية، لكن هذا لا يمنع من اعتباره من الصخور الهشة ذات صلابة ضعيفة.

الشيستية تتنوع داخل حوض نفيس بشكل كبير، وتتخذ هذه السحنات لونا اخضر في معظمها خصوصا عندما تكون طينية_ كلسية او غنية بالميكالسوداء.

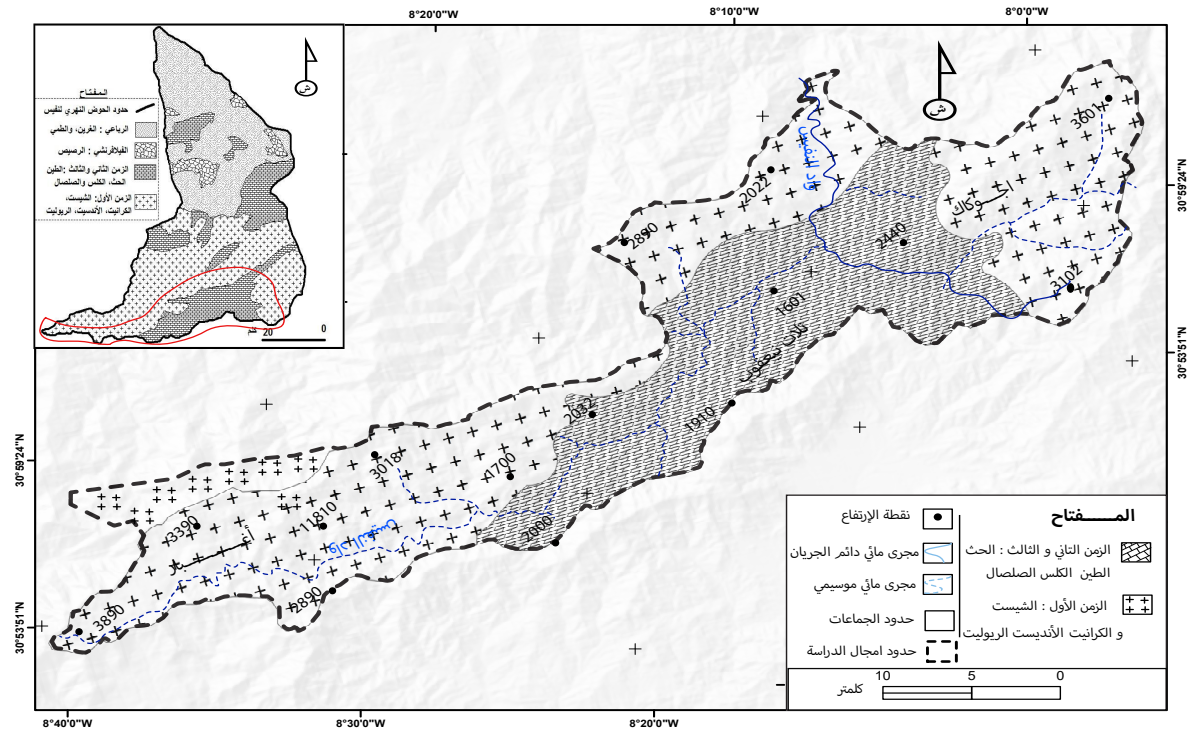
هكذا يظهر أن صخارة حوض نفيس تتميز بالتناقض الصارخ بين صخور في غاية الصلابة تقابلها صخور في منتهى الهشاشة، هذا التناقض يعطينا فكرة عن مواقع الضعف ومواقع القوة أمام عوامل التعرية الشيء الذي يساهم بشكل كبير في تدهور المجال الغابوي بمجال الدراسة .

جدول رقم 6: التوزيع المجالي لصخرة حوض نفيس

الصخور المكونة لعالية حوض نفيس	مساحتها من الحوض بالنسبة %
الريوليت والاندسيت	6.7
الكلس القديم والحديث	22
الكرانيت	5
الشيست	47
التكوينات النيوجينية	8
المركب البرموترياسي	8.3
التوضعات الرباعية	3
الصخور الصلبة	
الصخور المتوسطة الصلابة	
الصخور الهشة	

المصدر: عبد الجليل الكريفة، حوض نفيس، الدينامية الطبيعية لحوض جبلي (الأطلس الكبير)، 1993، ص 40

الشكل رقم II: خريطة جيولوجية لحوض عالية نفيس



المصدر: الخريطة الجيولوجية لمراكش 1/500000 بتصرف

انطلاقا من (الجدول 6 والشكل 11) أعلاه نلاحظ أن حوض نفيس يتميز بتناقض كبير بين الصخور المشكلة له حيث نجد أن الصخور المتوسطة الصلابة تحتل المرتبة الأولى من حيث الانتشار

إذ تمثل حوالي 63,3% من إجمالي صخور الحوض والتي يمثل فيها الشيست بمفرده 47% الشيء الذي يجعل منه حوضا شيسيتيا بامتياز رغم أن هذا الأخير ينتشر على نطاق محدود في عالية الحوض على عكس القطاعات الأخرى المكونة للحوض، أما بالنسبة للصخور الصلبة فتشكل ما مجموعه 33.7% من مجموع الصخور والتي تتركز بشكل خاص في عالية حوض نفيس ولاسيما في شماله وجنوبه الشرقي، وفي هذا السياق لابد من الإشارة إلى أن الكلس القديم والحديث يمثل نسبة كبيرة من إجمالي هذه الصخور بما مجموعه 22%.

وأخيرا فإن الصخور الهشة لا تشكل سوى 11,4% من مجموع الصخور التي يتكون منها حوض نفيس وتتركز بالخصوص في المنخفضات الطيجبلية ولاسيما منخفض ثلاث نيعقوب الذي ينتمي بدوره لعالية الحوض الشيء الذي يمكننا من فهم الدينامية المجالية لحوض نفيس حيث أن حدة التعرية تتركز بالخصوص في هذه المنخفضات التي تعرف استقرارا بشريا كبيرا بالمقارنة مع المناطق الجبلية حيث الكثافة السكانية أقل وبالتالي فإن ارتفاع حدة التعرية سيؤدي لا محالة إلى تكريس واقع الهشاشة المزدوجة التي يعيشها حوض نفيس والمتمثلة في الهشاشة الطبيعية والهشاشة الاجتماعية الأمر الذي يفسر ضعف مختلف مؤشرات التنمية البشرية بهذا المجال وبالتالي فإن أي تدخل لابد أن يستحضر جيولوجية المنطقة باعتباره المفتاح الرئيسي.

هكذا يتضح بأن عالية حوض نفيس يتميز كما هو الشأن بالنسبة لباقي الأحواض التي تميز الأطلس الكبير بامتداده فوق قاعدة صخرية عرفت عدة تطورات عبر تاريخها الجيولوجي المعقد، من حيث الإرساب أو ظروف التشكل أو التشويه اللاحق بها والحوادث البنائية التي تعرضت لها، حيث يتميز بصخور ضعيفة الصلابة و تتوافق غالبا مع جوانب المنخفضات الطيجبلية.

2.2. التوزيع المجالي و النوعي لبنائية حوض نفيس:

شهد عالية حوض نفيس على غرار سائر كتلة الأطلس القديمة عدة حركات بنائية منذ الحركات قبل كمبرية حتى الحركات الأطلسية، التي لعبت دورا كبيرا وحاسما في تشكيل تضاريس الحوض لذلك سنعمل على رصد أهم الأحداث الجيولوجية التي ساهمت في هذه الحركات البنائية بهدف الوقوف على أهم الأشكال التضاريسية التي أفرزتها

1.2.2. تعرض حوض نفيس الحركات بنائية هرسينية عنيفة:

ساهمت مختلف الأحداث البنائية التي شهدها حوض نفيس في تعرض الركيزة الصخرية الصلبة ولاسيما الريوليت، لاندسيت، والكرانيت الاركي لحركات عنيفة، لكن لابد من الإشارة في هذا الصدد إلى أن حوض نفيس يمكن اعتباره حدا فاصلا بين عالمين بنائيين مختلفين كيف ذلك؟

أولاً من حيث نوعية الحركات البنائية التي ساهمت في تشكيله وتكوينه عبر أزمنة مختلفة و تانيا من خلال عنف هذه الحركات التي كانت جد عنيفة في عالية الحوض نظرا لطبيعة الصخور المشكلة له، لذا يمكن التمييز بين بنائية شرق نفيس و التي تعتبر هادئة و بنائية غرب نفيس و التي تعتبر عنيفة. هذه البنائية تحكم فيها و بشكل أساسي حادث تزي نتاست الذي يعتبر الخاصية البنائية لحوض نفيس بل المسؤول عن كل الحوادث البنائية التي عرفها حوض نفيس ولاسيما الجزء الجبلي.(عبد الجليل الكريفة،1993).

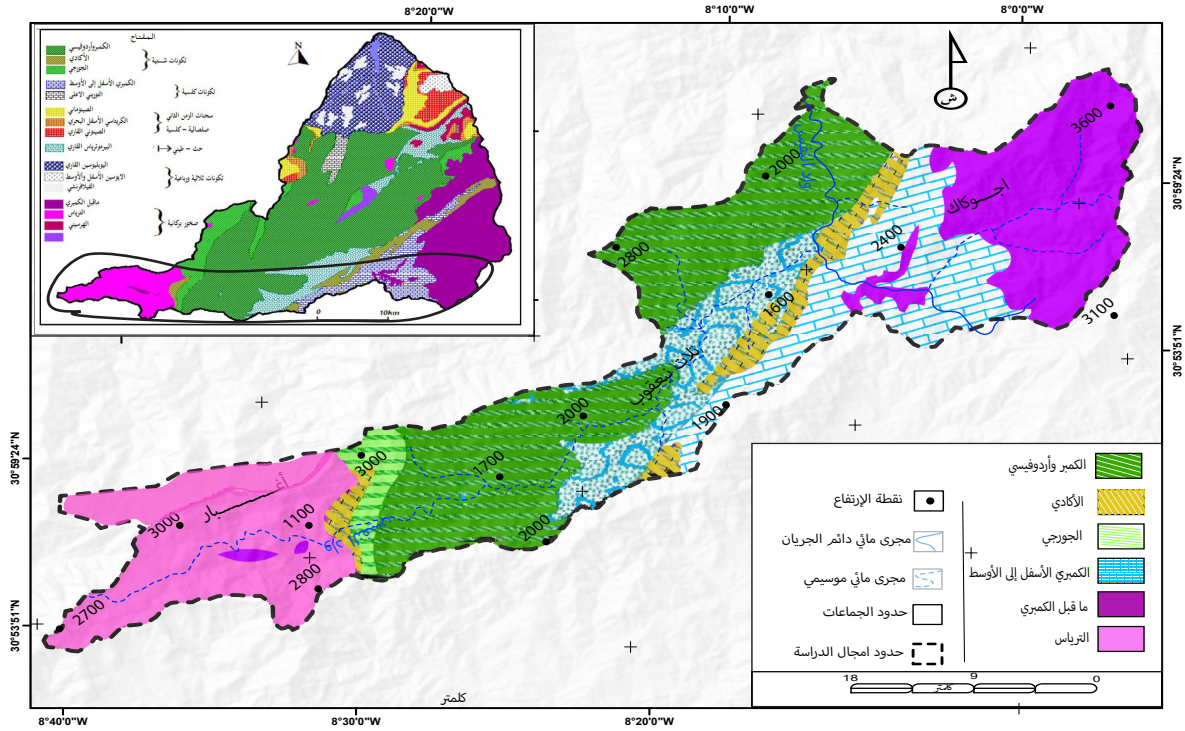
وقد أدت هذه الحركات الى التواءات ذات اتجاه ش - ج يصعب التمييز بينها و بين الالتواءات الاطلسية التي تتخذ نفس الاتجاه، هذه الالتواءات تتقلب في بعض الاحيان إلى انكسارات تتداخل هي الاخرى مع الانكسارات الاطلسية لأنها ذات اتجاه ش. غ خصوصا في المناطق التي عرفت تراجعاً كبيراً في الغطاء النباتي كما هو الشأن بالنسبة للمناطق المتواجدة بالقرب من ثلاث نيعقوب حيث تراجع الغطاء النباتي بوثيرة سريعة ⁽²⁸⁾. وعلى العموم يمكن تتبع مجموعة من التشوهات التي أصابت الطبقات الجورجية التي تظهر إما على شكل طيات عريضة ذات جوانب عمودية او منقلبة (J.P.Petit 76).

وهكذا نلاحظ أن السلسلة الكمبرية (الكلس، الشست) تعرضت لعدة طيات متوازية ذات اتجاه ش. ج ، وذلك بين جبل اردوز و واد نفيس وتظهر بشكل واضح بالمجال الانتقالي للحوض، إذ تتخذ شكل مقعر كبير يمتد من منخفض ثلاث نيعقوب حتى الحاشية الجبلية شمالاً وذلك بين وادي امزميز، حيث يشغل الشست الطورنزي - الفيزي محوره. ثم محدبات صغيرة و التي يبرز من خلالها الكلس الجيولوجي (جبل راس اومليل).أما فما يتعلق بالشرق فإن تأثير الحركات البنائية لا يظهر اثرها بشكل كبير على التضاريس وذلك لكونها كانت ضعيفة وهادئة. حيث تمثلت في بعض الثنيات التي تظهر في كتلة تكنت بالشيست الاكادي قرب وركان. (عبد الجليل الكريفة،1993).

لقد تميزت هذه الفترة كذلك بمجموعة من التحولات والتي صاحبت صعود كراتيت تيشكا، حيث نلاحظ مجموعة من التحولات سواء كانت تحولات بالاتصال أو تحولات اقليمية: خصوصاً الكلس الجورجي حيث يتم تحويله بفعل الحرارة والضغط الى رخام. (عبد الجليل الكريفة،1993).

(28) للمزيد من التفاصيل حول وثيرة تراجع الغطاء النباتي يمكن الاطلاع على الباب الثالث حيث حاولنا تتبع الغطاء النباتي منذ سنة 1972 إلى غاية 2019 عبر استثمار صور الأقمار الاصطناعية التي مكنتنا من الوصول لمعطيات دقيقة حول مستوى التدهور الذي يعرفه حوض عالية نفيس

الشكل رقم I2: خريطة جيولوجية لعالية حوض نفيس



المصدر: الخريطة الجيولوجية للمغرب 1/500000

2.2.2. تنظيم المورفولوجية العامة للحوض على شكل بنية التوائية أطلسية:

مما لاشك فيه أن الحركات البنائية الأطلسية تختلف بشكل كبير عن الحركات الهرسينية على اعتبار أنها تتسم بالتواءات عنيفة بشكل كبير، رغم أنها تظل منتظمة ويغلب عليها اتجاه ش-ش/ ج - ج.غ. غير أن هذه البنائية (الأطلسية) تتميز بكونها أكثر تعقيدا وتداخلًا مع الكتلة القديمة لحوض نفيس خصوصا في العالية حيث تداخل المقعرات الانكسارية والانشئات الأطلسية مع الانكسارات و الانشئات ذات الاتجاه (ش - ج) لكنها تعود للبنائية الأطلسية (عبد الجليل الكريفة، 1993). غير أن نتائج هذه التكتونية تختلف من قطاع لآخر داخل حوض نفيس لكننا سنركز في هذا الجزء على عالية الحوض باعتباره مجال دراستنا رغم أن هذا لا يعني تهيمش باقي القطاعات المشكلة لحوض نفيس بحكم أن ذلك من شأنه أن يساهم في فهم أكبر لموضوع الحركات البنائية الأطلسية.

3.2.2. المحدبات المختلفة الامتداد والشكل بالحوض:

لقد عملت الحركات البنائية على أنسقة هذه الحقبة لاسيما بعد حادث تزي نتاست في اتجاه معين يهيمن عليه طابع الاتجاه الشمال الشرقي -نحو الجنوب الغربي، وتؤكد عدة دراسات قديمة وحديثة هذا الطرح (Choubert.G et al,1971). (J,P,Ptit 76)(عبد الجليل الكريفة،1993) مما ساهم

في وجود مجموعة من الانكسارات و الانتشاءات التي تزيد من تعقد هذه البنائية التي كان من نتائجها فرز مجموعة من المحدثات و المقعرات لكن يمكن اجمال هذه الحركات فيما يلي:

⊙ التواءات غرب نفيس: تتخلص هذه الالتواءات في التوائين اساسيين مرتبطين بمحدثين:

⊙ محدب اردوز - إكدات و يقع بالحدود الغربية لحوض نفيس حيث يوافق بروزات الكلس الجورجي ويتخذ اتجاه الشمال - الشمال الشرقي / الجنوب - الجنوب الغربي من اردوز حتى إكدات ثم يتخذ اتجاه الشمال الشرقي/ الجنوب الغربي حيث يظهر الشست الكمبرو اروفيزي، هذا المحدب يعتبر درعا واقيا لكرانيت تيشكا.

⊙ ثم هناك محدب اصغر يقع شرق المحدب السابق و يوافق جبل او مليل حيث يظهر الكلس الجورجي من جديد في وضع بنائي عمودي، ويظهر هذا المحدب شبه متوازي مع المحدب شبه متوازي مع المحدب السابق.

⊙ التواءات شرق نفيس: يمكن اجمالها في محدب كبير و هو محدب اوشدن الذي يتخذ اتجاه الشمال-الجنوب الشرقي/غ-ش-غ، هذا المحدب ينطلق من ايت السمك (خارج الحدود الجنوبية للحوض) ويستمر حت وانكريم حيث ينتهي بانكسار واضح.

هذه المحدثات سواء الواقعة شرق نفيس او غربه تحيط بمقعر كبير و الذي يعتبر الخاصية الاساسية لحوض نفيس و هو مقعر ثلاث نيعقوب.

4.2.2. يجسد مقعر ثلاث نيعقوب أهم المقعرات الرئيسية بالحوض:

ينتمي مقعر ثلاث نيعقوب إلى عالية حوض نفيس وهو عبارة عن مقعر بنيوي عريض يشهد تكدرس رواسب مكونة أساسا من الصخور البرموترياسية وهو ناتج أساسا عن الحادث الذي شهده الجنوب الاطلسي الكبير والمتمثل في حادث تيزي نتاست ويتميز هذا المقعر بمجموعة من الانكسارات والانتشاءات خصوصا من الجهة الشرقية حيث تظهر الطبقات الاولى متراكبة فوق الصخور البرموترياسية. كما أن هذا المقعر الكبير تظهر داخله محدبات صغيرة كما هو الشأن عند تكدافت.

هذا التنظيم البنيوي على شكل بنية التوائية تتكون من محدبات ومقعرات، سمحت بتطور عدة أشكال مورفوبنيوية ناتجة عن عوامل البناء أو التعرية الانتقائية، ويمكن التمييز في هذا الصدد بين امتداد واتجاه وخصائص المحدثات التي توافق الأجزاء المرتفعة والمقعرات التي توازي الأجزاء المنخفضة والتي يعتبر منخفض ثلاث نيعقوب من أبرز نماذجها لعالية حوض نفيس.

هكذا يتضح بان حوض نفيس يتميز عن باقي كتلة الأطلس الكبير القديمة من خلال وجود مقعر كبير ينتهي بانكسارات كبيرة تقطع السلسلة بشكل مائل والتي ماهي الا استمرار للأخدود الشبه اطلسي الجنوبي (J,Dresch).

3.2. الاشكال المرفوبيونية لعالية حوض نفيس

تتميز عالية حوض نفيس بشكل خاص والحوض بصفة عامة بندرة الأشكال المرفوبيونية رغم شساعة مساحة حوض نفيس التي تناهز حوالي 1700 كلم² التي تنحصر في منخفض وركان و ثلاث نيعقوب و بمجال الاتصال بين السهل و الجبل، وهذه الندرة راجعة في معظمها لغياب الغطاء الرسوبي الثانوي و الثلاثي في معظم هذا الحوض (عبد الجليل الكريفة، 1993)، وجلي أن هذه الاشكال قد تحكمت فيها بالإضافة للعوامل الخارجية عوامل داخلية كدرجة تفاوت مقاومة الصخور، الاسلوب البنائي المتمثل في الطيات، الثنيات، الانكسارات. ويمكن الإشارة الى بعض الاشكال المرفوبيونية بشكل مختصر والمتمثلة في بعض العوارض التي تكون سفوح منتظمة وقوية الانحدار حتى قعر واد نفيس. بالإضافة إلى عوارض اخرى خارج منخفض ثلاث نيعقوب مشكلة في الكلس الجورجي حيث يوجد في وضع بنائي شبه عمودي وذلك بجبل اومليل حيث تظهر العارضة الجورجية على شكل هرم، وفي النهاية الجنوبية لمحدب اردوز - إكدات. أما السطوح القبل كريتاسية فإن محاولة تتبعها سواء كانت هذه السطوح حديثة او قديمة ليست بالأمر الهين، على اعتبار أن ذلك يتطلب وجود شواهد تمثل حقبا و ادوارا مختلفة العمر، غير ان هذه الشواهد تبقى نادرة داخل الوحدة الجبلية و التي تمثل معظم حوض نفيس، فباستثناء التكونات البرموترياسية وبعض الشواهد الكريتاسية التي توضع مباشرة فوق الركيزة فإن الوحد الجبلية تتكون فقط من الركيزة الاولى. هكذا فالتمييز بين السطوح من حيث العمر بحوض نفيس يبقى عملا صعبا للغاية.

أ. الأشكال والتوضعات الرباعية لعالية حوض نفيس

يعتبر حوض نفيس نموذجا للأحواض النهرية المتوسطة التي تجمع ما بين الوحدة الجبلية والوحدة المرتبطة بالمنخفضات الطيغبلية لذلك فإننا سنقتصر على دراسة بعض النماذج من التراكبات الرباعية التي تتخذ أشكالا مختلفة ومتعددة وتتركز بشكل خاص في المنخفضات الطيغبلية والحاشية الجبلية، على عكس المجالات الأخرى التي تعرف انتشارا محدودا لهذه التوضعات الرباعية والجدير بالذكر ان هذه الأخيرة تتخذ أشكالا مختلفة وتتنظم في عدة حالات يمكننا تلخيصها على الشكل الآتي:

ب. تعتبر الحادورات من أهم الأشكال الرباعية لعالية حوض نفيس

يعرف حوض نفيس على العموم انتشارا واضحا للحادورات لكنها تتركز بشكل خاص في المنخفضات الطيغبلية كما هو الأمر بالنسبة لمنخفض ثلاث نيعقوب، ويعزى ذلك إلى التنوع الصخاري الذي تعرفه هذه المنخفضات التي تتكون عادة من صخور صلبة في عالية السفوح وصخور هشة في سافلتها، ويمكن التميز بين نوعين من الحادورات: فمن جهة هناك حادورات إزالة والتي تتشكل في الركيزة الصخرية لاسيما مجال الاتصال ما بين الصخر الصلب والصخر الهش والتي تعود بشكل أساسي إلى الرباعي القديم ومن جهة أخرى، نجد حادورات تراكم والتي تنتشر بالأساس في المنخفضات الطيغبلية (ثلاث نيعقوب)، غير أن معظم الحادورات تظهر على شكل حادورات تراكم والتي ترجع إلى أجيال مختلفة كحادورات الفلافرنشي الأعلى التي تتركز في منخفض ثلاث نيعقوب لكنها تنتشر على نطاق ضيق على عكس حادورات الرباعي الأوسط التي تطبع المجال على نطاق واسع وأخيرا لابد من الإشارة إلى أن حادورات الرباعي الحديث تمثل نسبة ضعيفة داخل المجال إذ يكاد وجودها يقتصر على منخفض تاكنداقت. (عبد الرزاق نهيز 2004)، (عبد الجليل الكريفة 1992).

ج. الدرجات النهرية بعالية حوض نفيس خاصية مميزة للمنخفضات الطيغبلية

يتميز عالية حوض نفيس بانتشار الدرجات النهرية بشكل خاص في المنخفضات الطيغبلية في حين أنها لا تظهر في المجالات الفاصلة ما بين المنخفضات إلا على شكل درجات قليلة الامتداد والمرتبطة أساسا بالمنعطفات التي يرسمها واد نفيس (عبد الجليل الكريفة 1992)، ويمكن تفسير الانتشار المحدود لهذه الدرجات النهرية بالتراجع الذي تعرفه بسبب نوعية الركيزة الصخرية التي توضع عليها والتي تتشكل أساسا من الطين البرموترباسي ويمكن رصد أهم هذه الدرجات النهرية بعالية الحوض على الشكل الآتي:

- ⊙ **درجات الفلافرنشي الأعلى:** عرفت هذه الدرجات تراجعها مهما إذ أنها تنعدم تماما في بعض المجالات الفاصلة بين المنخفضات الطيغبلية كمنخفض تكدافت ومنخفض ويركان غير أنها تظهر في منخفض ثلاث نيعقوب حيث تظهر على شكل بقايا درجات معلقة ومحدودة الامتداد، ويمكن تفسير هذا التراجع الذي تعرضت له درجات الفلافرنشي الأعلى بعملية الإزالة التي قامت بها مجموعة من الخدات المنحدرة نحو واد نفيس إلى جانب كون هذه التوضعات توجد فوق ركيزة صخرية هشة
- ⊙ **درجات الرباعي الأوسط:** تعتبر الأكثر انتشارا داخل حوض نفيس، إذ أنها تنتشر داخل المنخفضات وكذلك بالحاشية الجبلية، غير أن هذه الدرجات تعرف تفاوتا واضحا في توزيعها داخل الحوض بصفة عامة حيث أن المستوى الثالث من هذه الدرجات ينتشر بشكل خاص في عالية

الحوض ولاسيما في منخفض ثلاث نيعقوب حيث يتم استغلالها في النشاط الزراعي على نطاق واسع وذلك نظرا لكونها تغلب عليها التوضعات الدقيقة (الرمال، الطمي) على عكس باقي المستويات.

◎ **درجات الرباعي الحديث:** تنتشر هذه الدرجات على طول المجاري المائية على شكل مصطبات متواضعة الامتداد حيث غالبا ما تصادف مجال المغروسات وتتكون في معظمها من توالي فرشتين متناقضتين، فرشة رصيصية خشنة في الأسفل تعلوها فرشة دقيقة في الأعلى (عبد الجليل الكريفة 1992).

خلاصة الفصل

إن دراسة الخصائص البنيوية والجيولوجية لعالية حوض نفيس، مكنتنا من الوقوف عند سياق تكوينه وتطوره المورفولوجي الذي يرتبط بطبيعة التطور الطويل والمركب لجبال الأطلس الكبير عموماً، كما أن هذا السياق الباليوجغرافي تحكم إلى حد كبير في اختلاف التكوينات وظروف الارساب والوضعية البنائية للحوض، حيث أن هذا الوضع ساهم في اكتساب مجال الدراسة لمقومات بيئية وجيومرفولوجية خاصة، تتمثل أساساً في احتضانه لمختلف عناصر الهشاشة الطبيعية بفعل سيادة الانحدارات وانتشار الصخور الهشة على نطاق واسع مما ساهم في تزايد حدة التعرية ومختلف مظاهر تدهور السطح.

إن وسطاً طبيعياً بخصوصيات مورفولوجية يغلب عليها طابع التضرس، وبنية جيولوجية معقدة، ومتناقضة من حيث الصخارة والتكوين ومهدد بمختلف المخاطر الطبيعية (الجفاف، انجراف التربة، عوامل الجمد...)، لا يمكن إلا أن يكون وسطاً محتضناً لمختلف العناصر التي من شأنها أن تزيد من عزلة المنطقة طبيعياً ومن تدهورها وهشاشتها بيئياً.

الفصل الرابع: الخصائص البيو مناخية وأثرها على التشكيلات الغابوية بعالية نفيس

مقدمة:

من خلال تحليل مختلف الخصائص الطبوغرافية والهيدروغرافية والجيولوجية في الفصلين السابقين توصلنا إلى أن عالية حوض نفيس يتسم بمشاهد جغرافية متنوعة ومتفردة تشكلت عبر التطور البنيوي للحوض في سياقه الأطلسي العام.

هكذا نستنتج إذن أن عالية حوض نفيس يتميز بخصائص متفردة على المستوى البيومناخي بفعل تضافر جملة من العوامل المتمثلة أساسا في الارتفاع واتجاه تعرض التضاريس، إلى جانب الشبكة المائية وطبيعة الجريان وميزانية التساقطات وكذا التربة والغطاء النباتي، وبذلك يمكننا القول بأن كل هذه العوامل مرتبطة بشكل كبير بطبوغرافية وجيولوجية الحوض ناهيك عن جيومرفولوجيته.

وفي هذا السياق سنسعى خلال هذا الفصل إلى رصد كل المميزات المناخية والبيومناخية قصد تكوين صورة واضحة عن الظروف المناخية التي تميز عالية حوض نفيس عن غيره من الأحواض التي تتسم وتتميز بخصائص متفردة اكتسبتها من خلال انتمائها الى الأطلس الكبير.

1. الخصائص المناخية لعالية حوض نفيس: التساقطات والحرارة

يشكل المناخ أحد العناصر الفاعلة في الطبيعة؛ إذ به تتحدد معالم السطح والغطاء النباتي من حيث نوعه وطبيعته...، حيث يساهم في تهيئ مختلف الظروف البيئية المحلية وبالتالي توفير الشروط اللازمة لتطور ونمو الموارد الطبيعية. فمن جهة تؤدي دورا أساسيا في تحضير الصخور وتفكيك عناصر التربة وتغذية وتنظيم الجريان السطحي والباطني، بعبارة أخرى توفير كل ما يتعلق بالخصيلة الهيدرولوجية، كما أنه يؤثر على نوعية التشكيلات النباتية المنتشرة في مجال الدراسة، ومن جهة أخرى فإن دراسة المعطيات المناخية وعناصرها الرئيسية تمكننا من الوقوف على أحد العوامل الفاعلة في المنظومة البيئية المحلية، من خلال إبراز مختلف الآليات البيومناخية التي تساهم بشكل كبير في استقرار المنظومة وبالتالي ضمان توازنها أو اختلالها، وذلك عن طريق الكشف عن طبيعة المناخ المحلي ومدى ارتباطه وتأثره بالدينامية المناخية بصفة عامة والمتمثلة أساسا في الدورة الهوائية العامة والارتفاع والغطاء النباتي وأخيرا الإطار البيومناخي.

1.1. البيانات المناخية: عواملها وخصائصاتها وتوزيعها الزمني والمكاني.

1.1.1. تتسم عالية حوض نفيس بخصائص مناخية شبه جافة خاضعة لعوامل

جغرافية محلية.

في البداية لابد من الإشارة إلى أن مجال الدراسة يندرج ضمن المناخ شبه الجاف المعتدل ذي المؤثرات الجبلية⁽²⁹⁾، والذي يتميز بمجموعة من الخصائص المرتبطة بعامل الارتفاع والتوجيه، إذ يعمل الأول على التأثير في كميات الأمطار. أما العامل الثاني، فيجعل من الخاصية الجبلية المسيطرة ملطفة للجو، وتحد من ارتفاع درجة الحرارة خلال فصل الصيف، لكن البرودة تزداد قساوة في فصل الشتاء وذلك كلما زاد الارتفاع، ولاسيما في منطقة أغبار حيث تنخفض درجة الحرارة إلى حدود صفر درجة لعدة أشهر من السنة، حيث تكون السفوح العليا مغطاة بالثلوج بمقادير تتجاوز 100 سنتيمتر سنوياً⁽³⁰⁾. (محمد السعدي 1998)

إن فهم المميزات المناخية لمجال الدراسة يرتبط بشكل كبير بمدى إبرازنا لمختلف العوامل والميكانيزمات التي تساهم في تحديد طبيعة المناخ المحلي، حيث نشير في هذا الصدد إلى عدة عوامل في مقدمتها الظروف الجغرافية والدورة الهوائية العامة والتغيرات المناخية.

إن عناصر المناخ المحلي لعالية حوض نفيس تتحكم فيه جملة من العوامل التي جعلته يكتسب خصائص المناخ المتوسطي المعتدل رغم وجود مجموعة من التباينات بين سافلة الحوض حيث سيادة المناخ شبه الجاف مقابل سيادة المناخ شبه الرطب في العالية حيث الارتفاعات تتجاوز 3000 م، ويمكن تفسير هذا التباين المناخي بمجموعة من العوامل المتمثلة أساساً في:

تأثير الموقع العرضي والتضاريس حيث أن الامتداد العام للتضاريس الجبلية يلعب دوراً مهماً في توزيع الأمطار، من خلال معامل الارتباط القوي الذي يجسد وجود علاقة طردية بين الارتفاع والتوجيه وكميات التساقطات، فالأمطار تزداد كميتها مع الارتفاع (باحو عبد العزيز 2002).

هناك أيضاً عامل الدورة الهوائية العامة والياتها التي تبقى حاسمة في ضبط عناصر المناخ المحلي، فهي تلعب دوراً كبيراً في التوزيع المجالي للتساقطات ولاسيما في فصل الشتاء أثناء تراجع الضغط العالي الأصورى نحو العروض المدارية في الجنوب (باحو عبد العزيز 2002)، مما يدل على أن خصائص المناخ المتوسطي يبنى على أساس هذه الآلية القوية في ديناميته عبر الزمن.

(29) إن إصدار هذا الحكم على نوع المناخ لم يأت من فراغ بقدر ما يستند إلى مجموعة من الاعتبارات التي تفرضها مميزات عناصر المناخ ولاسيما درجة الحرارة التي تسجل ارتفاعاً في فصل الصيف وانخفاضاً في فصل الشتاء، إلى جانب التساقطات التي تتميز بعدم انتظامها زمنياً ومجالياً.

(30) محمد السعدي، الأحواض النهرية بالمغرب أشكال الهيمنة، أعمال الملتقى السابع للجيومرفولوجين المغاربة. ص 18-19. مارس 1998.

2.1.1. تتسم البيانات المناخية لعالية حوض نفيس بخصائص متباينة زمنياً ومجالياً

1.2.1.1. توطين المحطات المرجعية

مما لاشك فيه أن منطقة عالية حوض نفيس بشكل خاص وحوض نفيس بصفة عامة يعرف تساقطات مهمة على العموم حيث يبلغ المتوسط حوالي 344 ملم، وتتسم بتركزها خلال نونبر ودجنبر ويناير ومارس وأبريل، في حين تتراوح درجة الحرارة ما بين 9 درجات للحرارة الدنيا و 23 للحرارة العليا. غير أنه لابد من التعامل مع هذه الأرقام بنوع من الحذر لأنها قد تضللنا وبالتالي نسقط في نتائج وأحكام قيمة بعيدة كل البعد عن الواقع، على اعتبار أن المعطيات المناخية هي معطيات تتغير بشكل كبير عبر الزمن، ولاسيما في العقود الأخيرة مع التغيرات المناخية السريعة التي يشهدها العالم والتي ساهمت في اتساع طبقة الأوزون⁽³¹⁾ وارتفاع درجة الحرارة بشكل كبير مقابل ندرة التساقطات، الأمر الذي جعل المناخ المتوسطي بالمغرب يعرف الكثير من التقلبات إلى درجة أنه لم يعد يستقر على حال واحد (باحو عبد العزيز، 2002)، لذلك سنعمل على اختيار محطات مرجعية قريبة من مجال الدراسة بهدف دراسة عنصري التساقطات والحرارة خلال مدة زمنية تبلغ في المتوسط 30 سنة، وعلى تحليل كل المعطيات الإحصائية التي تقدمها بهدف تكوين فكرة أقرب ما تكون إلى الواقع. ويمكن تلخيص أهم المحطات المرجعية في الجدول التالي:

جدول رقم 7: توطين المحطات المناخية المدروسة وفترتها المرجعية

المحطة	الاحداثيات (x و y) Lambert	الفترة المرجعية	المعدل العام للتساقطات
إكرن نكوريس	X238380 – Y55000	2019-1973	225,8
ارمد	X259300 – Y62100	2019-1998	376,9
سد يعقوب المنصور		2019-2008	432,8
تاكركوست	X239500 – Y88200	2019-1962	253,1
تحنات	X255900 – Y80400	2019-1970	360,9

المصدر: وكالة الحوض المائي مراكش تانسيفت 2019

(31) ساهمت أزمة وباء الكوفيد 19 الذي انطلق من مدينة ووهان بالصين منذ شتنبر 2019 - لينتقل بعد ذلك ليشمل مختلف ربوع العالم التي عاشت أسوأ كارثة وبائية عبر التاريخ البشري من خلال إلحاق شلل كبير بالاقتصاد العالمي. لكنه بالمقابل -تراجع ثقب الأوزون، حيث أعلن خبراء في وكالة الفضاء الأوروبية أن ثقب الأوزون الضخم فوق القطب الشمالي الذي نتج عن انخفاض درجات الحرارة في طبقة الستراتوسفير، سينغلق في أواسط أبريل، ووفقاً للباحث ديبجو لوبلا من المركز الألماني للطيران والفضاء، بدأ عمود الأوزون فوق القطب الشمالي بالتقلص إلى المستوى الطبيعي الذي يعادل 2.2 وحدة دوبسون، وذلك منذ 14 مارس، ونتوقع أن ينغلق هذا الثقب تماماً في أواسط شهر أبريل الجاري.

2.2.1.1. التوزيع الزمني للتساقطات المطرية السنوية بمجال الدراسة مقارنة مع

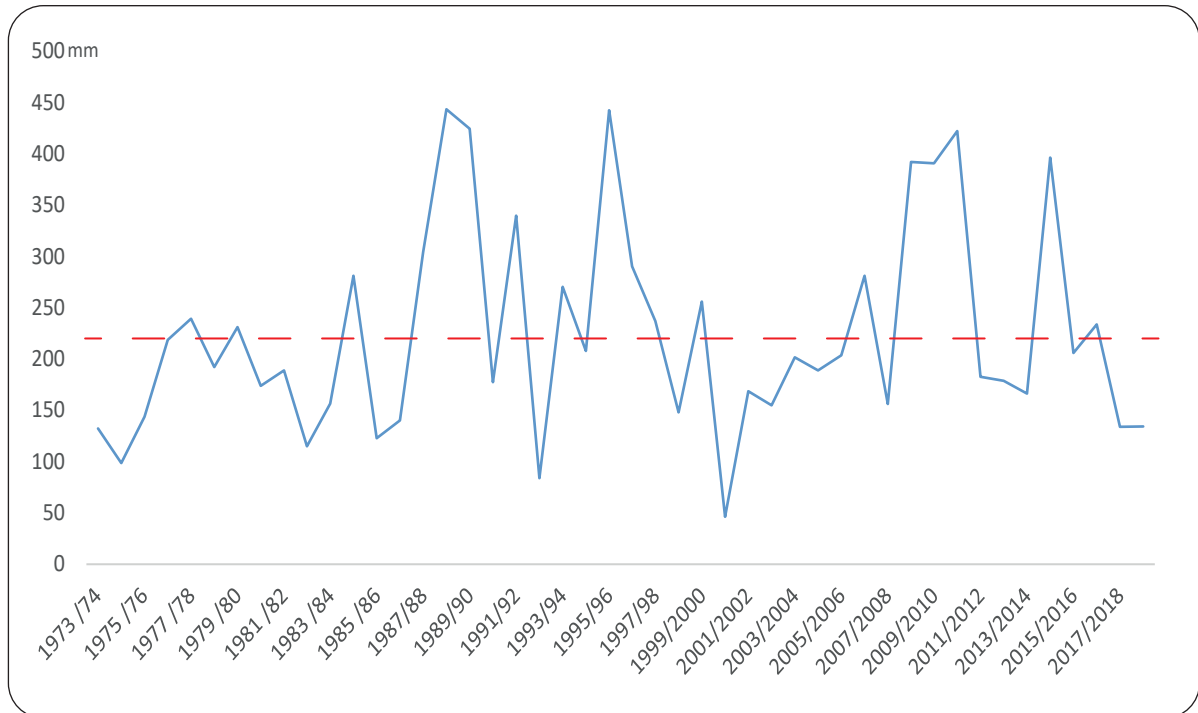
المحطات المجاورة

انطلاقاً من (الشكل 13)، يلاحظ أن التوزيع السنوي للتساقطات المطرية بمجال الدراسة يعرف تبايناً واضحاً من محطة إلى أخرى، غير أن هذا لا يمنع من القول بأن التساقطات تبقى في معظم المحطات المرجعية متذبذبة وغير مستقرة زمنياً، حيث سجل أعلى معدل في سنة 2014 بما مجموعه 647,9 ملم،⁽³²⁾ في حين سجل أدنى معدل للتساقطات سنة 2000 حيث لم تتجاوز 40 ملم⁽³³⁾. كما نستنتج من خلال الشكل رقم 8 أن حجم التساقطات في جل المحطات المناخية المرجعية يظل أقل من المعدل السنوي، إلى جانب كون المعدلات البيسنوية لهذه المحطات غير منتظمة، الشيء الذي يفسر الاختلافات الجوهرية على مستوى التساقطات التي تتلقاها كل محطة على حدة خلال الفترة المرجعية، حيث تجاوزت في محطة أرمد 376,9 ملم.

(32) يمكن تفسير ارتفاع معدل التساقطات في سنة 2014 إلى الفيضانات الفجائية التي عرفها المغرب والتي تصنف ضمن الفيضانات الأسوأ منذ عقود، إذ حصدت أكثر من 41 شخصاً لاسيما في الجنوب المغربي ودمرت قرى بكاملها، لتفتح الجدل من جديد حول هشاشة البنية التحتية وقدرة البلاد على التعامل مع الكوارث الطبيعية.

(33) إن ضعف معدل التساقطات في هذه السنة مرتبط أساساً بفترة الجفاف التي عرفها المغرب حيث أضحى في تزايد مستمر، إذ يظهر تقرير منشور على موقع التنمية المستدامة للأمم المتحدة أن معدل سنوات الجفاف يزداد في المغرب في كل عشرية: 4 سنوات جفاف ما بين 1996 و2006، مقابل سنة جافة واحدة لكل عشرية ما بين 1940 و1979 ويمكن تفسير ارتفاع وتيرة الجفاف هاته بالتغيرات المناخية التي يشهدها العالم بسبب ارتفاع الانبعاثات الغازية، وبالتالي تزايد حدة الاحتباس الحراري التي تؤدي دول الجنوب، كالمغرب، ثمناً غالياً، حيث يؤثر على القطاع الفلاحي الذي يعد العصب الحقيقي لاقتصاديات هذه البلدان ويزيد بالتالي من حدة الهشاشة الاجتماعية التي تنخر كيانات هذه المجتمعات مما يؤثر على السلم الاجتماعي، وبالتالي نستنتج هنا الارتباط الوثيق بين التدهور البيئي وتزايد معدلات الهشاشة الاجتماعية والفقر. وسنعمل في الباب الثالث على إبراز هذه العلاقة من خلال دراسة عدة حالات لعالية حوض نفيس.

الشكل رقم I3: توزيع متوسط التساقطات السنوية محطة نكوريس ما بين 1973 و 2019



المصدر: وكالة الحوض المائي مراكش تانسيفت، 2019

في هذا السياق يتضح من خلال تحليل مختلف معطيات المحطات المدروسة، أن كمية التساقطات خلال الفترة المرجعية المحددة في ثلاثين سنة، متقاربة عموما في سماتها العامة، حيث تنزع أكثر نحو الجفاف رغم وجود استثناءات محدودة سجلت بها كميات وافرة من التساقطات كسنوات 1988 – 1995 – 2010-2014. لكن بالمقابل يلاحظ تردد سنوات أكثر جفافا منها 1970 – 1974 – 1992 – 2000.

إجمالا يمكننا تلخيص أهم النتائج المتوصل إليها من خلال تحليل المعطيات المناخية للمحطات المرجعية في كون المناخ المحلي للمنطقة يتسم بالخصائص الآتية:

● التناسب الطردي لكميات الأمطار مع الارتفاع، أي كلما زاد الارتفاع إلا وزادت كميات الأمطار المتساقطة.

● التذبذب الكبير للتساقطات من سنة إلى أخرى ومن محطة إلى أخرى، وهذا يفسر أن المناخ يتميز بخاصية عدم الاستقرار، حيث ينتقل من مناخ رطب وشبه رطب إلى مناخ شبه جاف حسب مستويات الارتفاع والتوجيه.

توالي السنوات المطيرة والسنوات الجافة له تأثير كبير على السطح والغطاء النباتي، بحيث تساهم السنوات الجافة، نتيجة لذلك، في إفقار التربة التي يزيد النشاط البشري من تدهورها، وبالتالي تأثر الغطاء النباتي. في حين تؤثر السنوات المطيرة في تجريد السطح من المسكة الأفقية للسفوح العارية من الغطاء النباتي بفعل الرعي الجائر والاجتاث، وبالتالي تعرض المجال لتدهور مركب في موارده الطبيعية وبالتالي

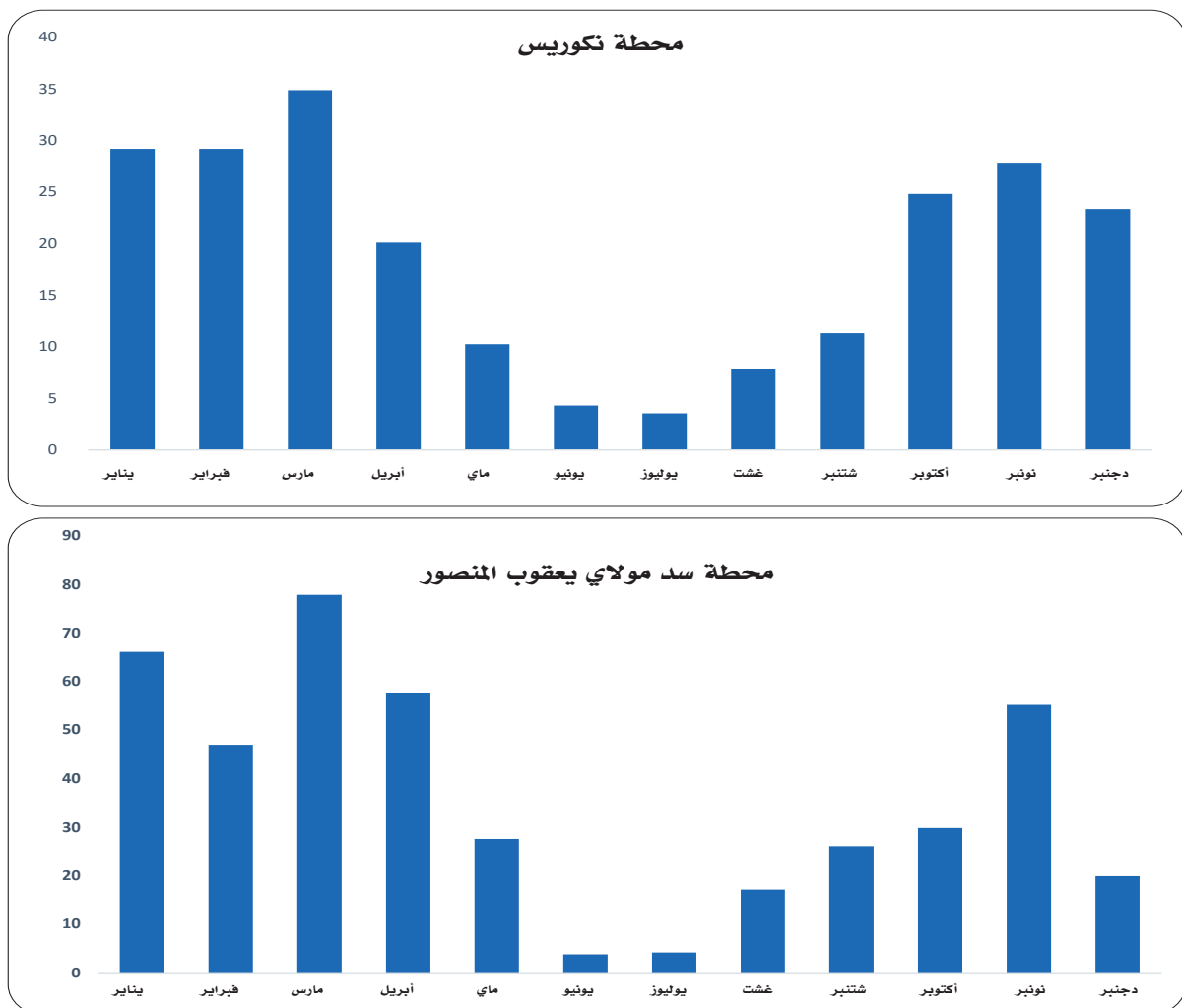
اختلال التوازن على مستوى النظم البيئية، مع ما يرافق ذلك من انعكاسات سلبية على القطاع الفلاحي، مما يساهم في ارتفاع ظاهرة الهجرة القروية⁽³⁴⁾.

3.2.1.1. التوزيع الزمني للتساقطات الشهرية

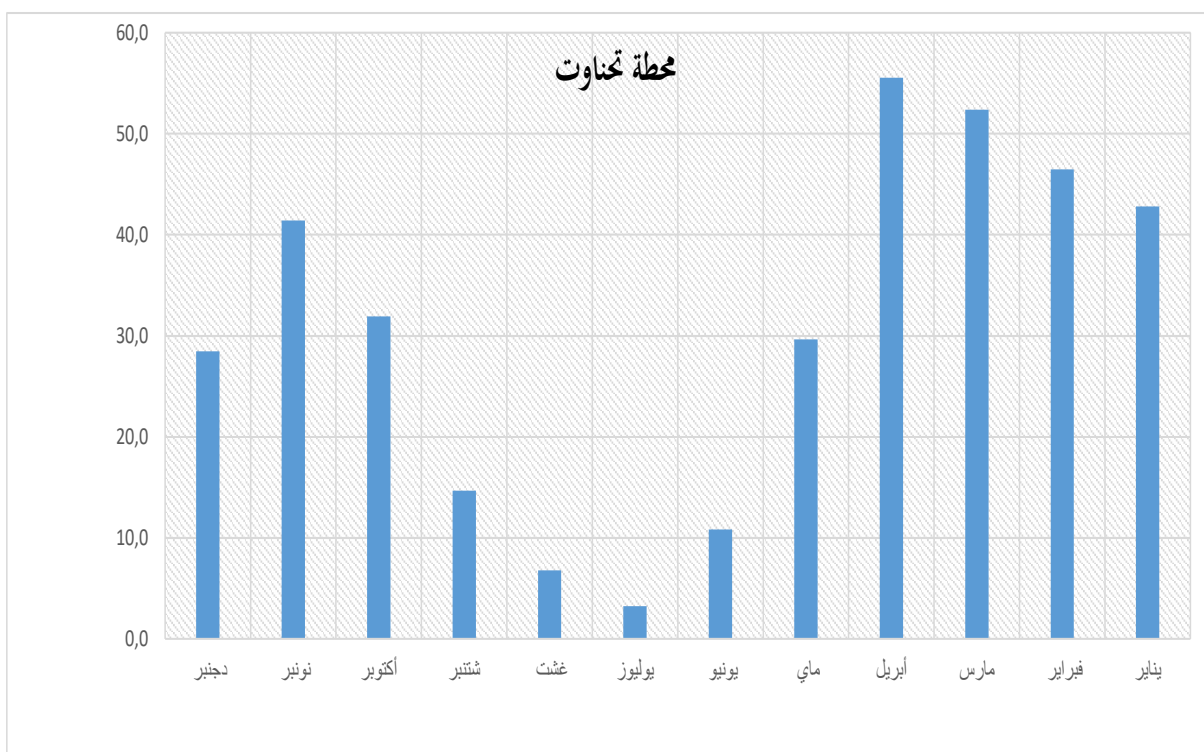
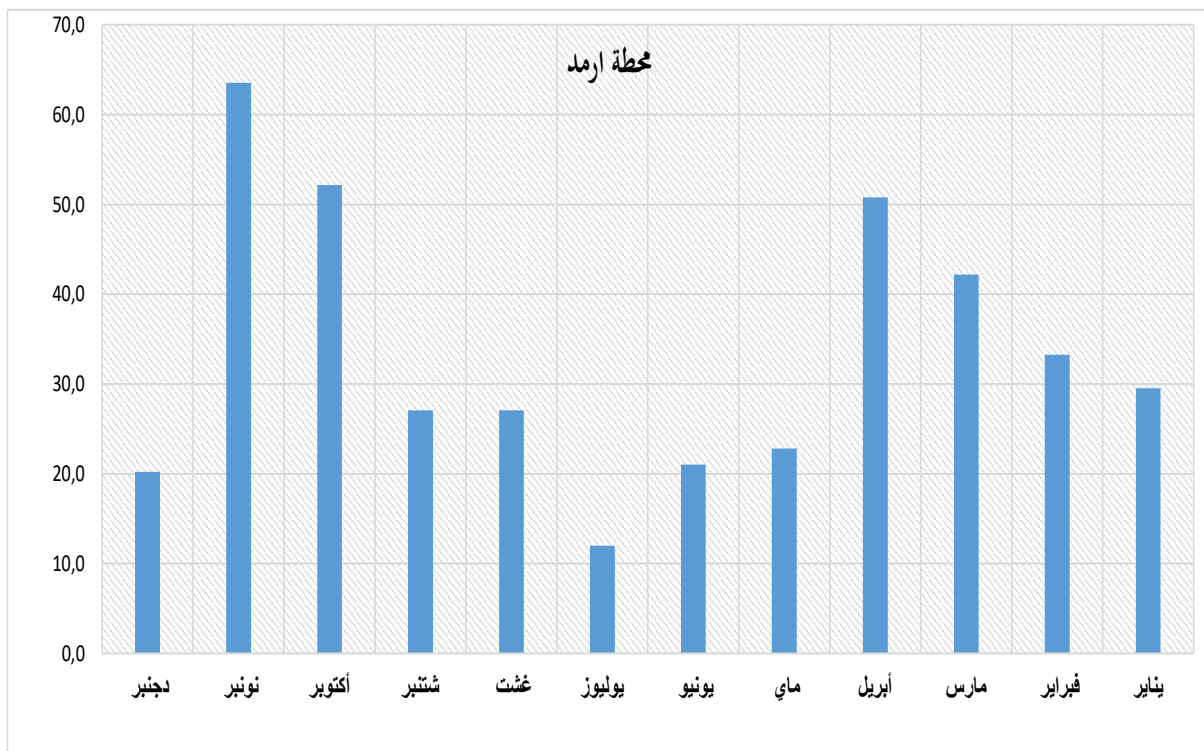
إن دراسة التغيرات الشهرية للأمطار تمكننا من تقريب الصورة بشكل واضح بالنسبة للأشهر الجافة، التي تساهم في تهشيم الصخر وتفقير تربة السفوح لتصبح عرضة لأنواع التعرية سواء المطرية أو الريحية، وذلك له انعكاس كبير على الغطاء النباتي، إذ أن السفوح الجرداء تكون سببا في بداية تشكيل أساحيل وبالتالي بداية تدهور الأحياء النباتية. كما تمكننا من معرفة الأشهر الرطبة والتي تؤثر في دينامية السطح.

الشكل رقم I4: المعدلات الشهرية للتساقطات المطرية بالملم بالمحطات المدروسة ما بين

2008-2019



(34) مقابلة رقم 1 يقول محمد علاوي، مزارع من جمعية محلية بجماعة تزارت، إقليم الحوز، أن أسرة أو أسرتين تهاجر القرية كل سنة بسبب توالي الجفاف.



المصدر: وكالة الحوض المائي مراكش تانسيفت، 2019

انطلاقاً من المعطيات البيانية للمحطات المناخية المرجعية (الشكل 14)، نلاحظ أن المعدلات الشهرية للتساقطات تعرف تبايناً ملحوظاً رغم تقاربها النسبي على مستوى التوزيع، ويعزى هذا التباين إلى جملة من العوامل المتحركة في حدوث التساقطات والمتمثلة أساساً في عاملي القارية والتضاريس، إلى جانب الدورة العامة للهواء. لكن تبقى السمة الملازمة لكل المحطات هي أن الشهور التي تعرف كميات كبيرة من التساقطات تمتد في الغالب ما بين نونبر وأبريل في جل المحطات (35)، بمعدلات تتراوح ما بين 30 و 60 ملم، ويظل شهر يونيو ويوليوز وغشت من أكثر الشهور التي تسجل فيها أدنى معدلات التساقطات في جل المحطات، حيث تتراوح المتوسطات الشهرية ما بين 3 و 20 ملم.

هكذا يتضح أن التباينات الشهرية للتساقطات المطرية، تؤدي بشكل مباشر إلى تركيز نسبة مهمة من الأمطار خلال فترة محددة في السنة (36)، مما يؤثر سلباً على الغطاء النباتي والموارد المائية بشكل خاص، ذلك أن تركيز التساقطات خلال فترات معينة من السنة أو تعاقب سنوات جافة طويلة وأخرى مطيرة استثنائية، عادة ما يؤدي إلى عدم استقرار السطح وتدهور الغطاء النباتي لاسيما عندما تتشكل السيول العنيفة بفعل سرعة الجريان السطحي كما هو الشأن بالنسبة للفيضانات التي شهدتها حوض نفيس في العقود الأخيرة (37).

4.2.1.1 دراسة النزعة العامة للتساقطات خلال الفترة المدروسة

في البداية لابد من الإشارة إلى أن المنظمة العالمية للأرصاد الجوية، تؤكد على أن دراسة عناصر المناخ يجب أن تشمل على الأقل الثلاثين سنة، لذلك عمدنا إلى دراسة عنصر التساقطات خلال فترة الثلاثين سنة الأخيرة 1989-2019 (38) من خلال توظيف طرق إحصائية متعددة بالاعتماد على دراسات مناخية متخصصة، (محمد بسلام، 1997)، (باحو عبد العزيز، 2002)، بهدف تكوين صورة واضحة ودقيقة للسلوك العام للتساقطات، وبالتالي اكتشاف نزعتها العامة سواء نحو الارتفاع أو الانخفاض من خلال معالجة إحصائية بسيطة لقيم القياسات التي تم رصدها عبر مختلف المحطات المناخية المرجعية (39). لكل

(35) يمكن الإشارة في هذا السياق إلى أن نسبة التساقطات المطرية في معظم المحطات المناخية تبقى منخفضة في شهر دجنبر وذلك لكون معظم التساقطات في هذه الفترة بحوض نفيس ولاسيما في المناطق ذات الارتفاعات المهمة تكون على شكل ثلوج.

(36) تتلقى المنطقة كمية غير منتظمة من التساقطات التي لا تتعدى 500 ملم في المعدل، مع التمييز بين فصلين: فصل رطب ما بين أكتوبر وأبريل- حيث تستقبل المنطقة معظم التساقطات والتي تمثل 84% من إجمالي التساقطات السنوية – وفصل جاف بين ماي إلى غاية شتنبر حيث لا تتعدى كمية التساقطات 16% من معدل التساقطات السنوية.

(37) في هذا الصدد لابد من الإشارة إلى أن التوزيع الشهري لكميات التساقطات في معظم المحطات المناخية المرجعية التي تغطي جزءاً كبيراً من الأطلس الكبير الغربي، تعكس أهمية الأمطار الخريفية والشتوية وقوة العواصف الرعدية في فصل الصيف بالمنطقة، حيث تشهد (التساقطات) تركيزاً كبيراً سواء من حيث الزمن أو المجال، وتأتي بعد فترة جافة طويلة وبكميات كبيرة مما يؤدي إلى حدوث عصف مطري قوي، لكون السطح عارياً ومكشوفاً من الغطاء النباتي وكون المنطقة تتميز بشدة انحدارها، مما يسرع من السيول والانجرافات التي تساهم في زيادة معدلات الهشاشة الطبيعية بحوض نفيس.

(38) تجدر الإشارة إلى أن بعض المحطات المناخية المرجعية التي اشتغلنا عليها لا تغطي ثلاثين سنة وذلك بالنظر إلى أنها حديثة النشأة كما هو الشأن بالنسبة لمحطة سد يعقوب المنصور التي شرع في استغلال معطياتها ابتداءً من 2008، لكن بحكم أهميتها في التعرف على نظام التساقطات وخصائصها في حوض نفيس، فإننا عملنا على اختيارها رغم أنها حديثة النشأة نسبياً. ونفس الشيء بالنسبة لمحطة أرمد التي شرع في استغلالها أيضاً سنة 1998.

(39) إن الهدف الأساسي من اعتماد مختلف هذه الطرق الإحصائية هو محاولة تجاوز المشاكل التي تتخلل البيانات المتعلقة بالتساقطات لاسيما في بعض

هذه الاعتبارات سنعتمد على مؤشري الانحراف عن المعدل السنوي للتساقطات والمعامل المطري السنوي للتساقطات.

أ. مؤشر الانحراف عن المعدل السنوي للتساقطات

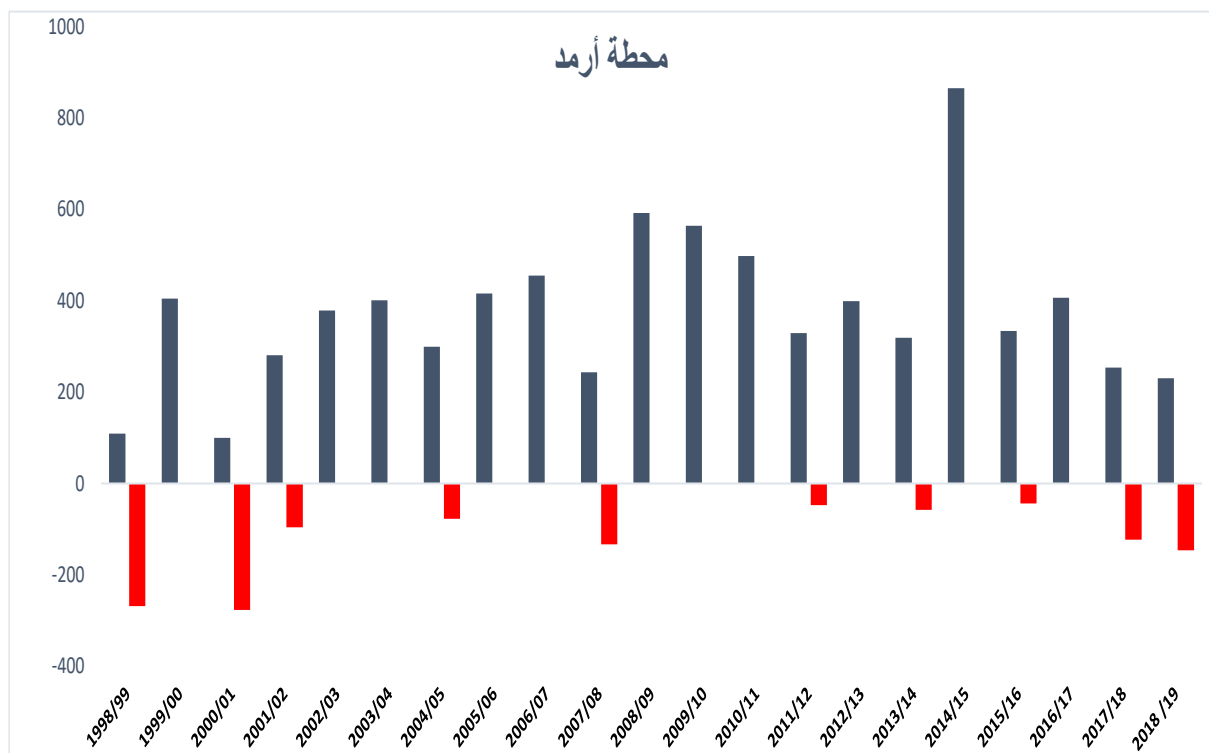
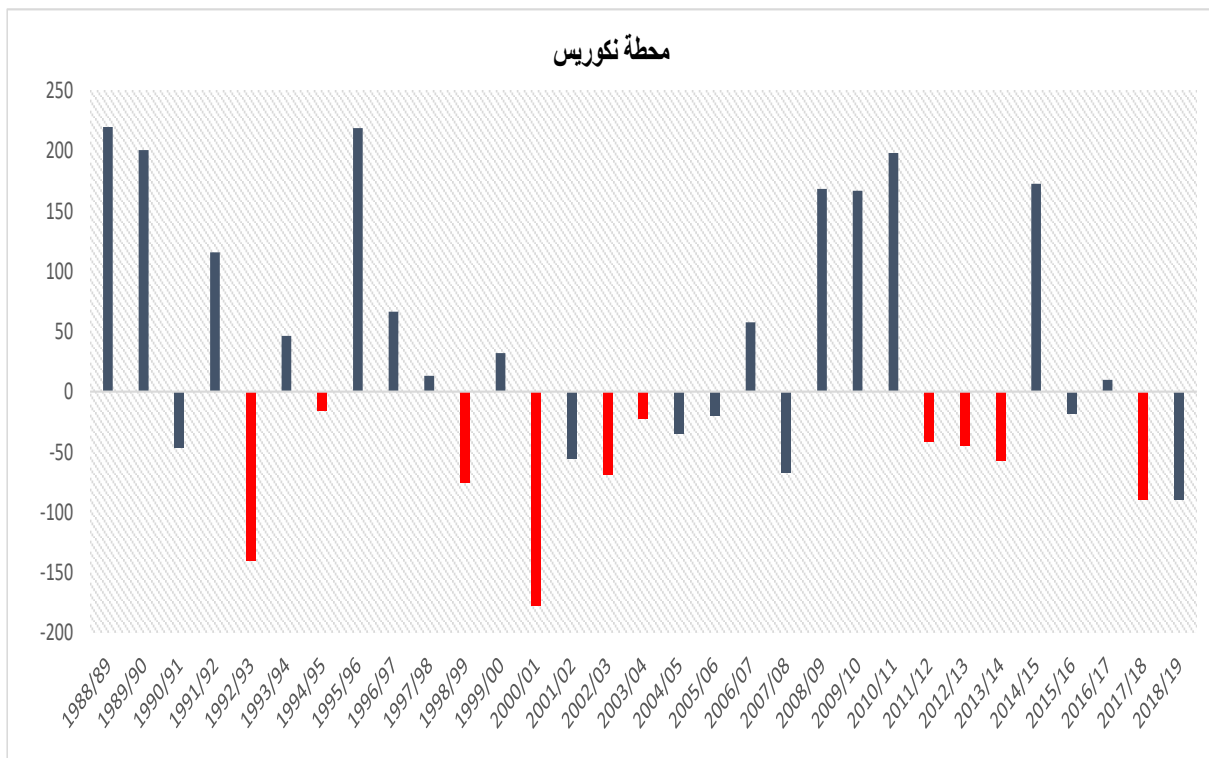
يقصد بمؤشر الانحراف عن المعدل السنوي للتساقطات ذلك المؤشر الذي يتم التوصل إليه من خلال دراسة المعدل السنوي للتساقطات في علاقته بالمعدل المطري العام المسجل خلال الفترة المدروسة، ويلاحظ من خلال تتبع هذا المؤشر عبر مجموع المحطات المرجعية أنه يتسم بانحراف عام ونزعة نحو العجز المطري في بعض المحطات، حيث يلاحظ أن بعض السنوات تعرف عجزا كبيرا في التساقطات مقارنة مع المعدل السنوي، مما يؤكد تزايد حدة الجفاف الشيء الذي سيؤثر لا محالة على الذخيرة المطرية في المنطقة منذ التسعينيات من القرن العشرين إلى وقتنا الراهن. لكن بناء على دراسة وتحليل عنصر الانحراف للتساقطات، والقيم المسجلة في مختلف المحطات المرجعية، نستنتج أن النظام المطري بها يعرف نوعا من التذبذب وعدم الاستقرار، مع تسجيل فترات مطيرة ورطوبة كتلك المسجلة في محطة سد مولاي يعقوب المنصور (40).

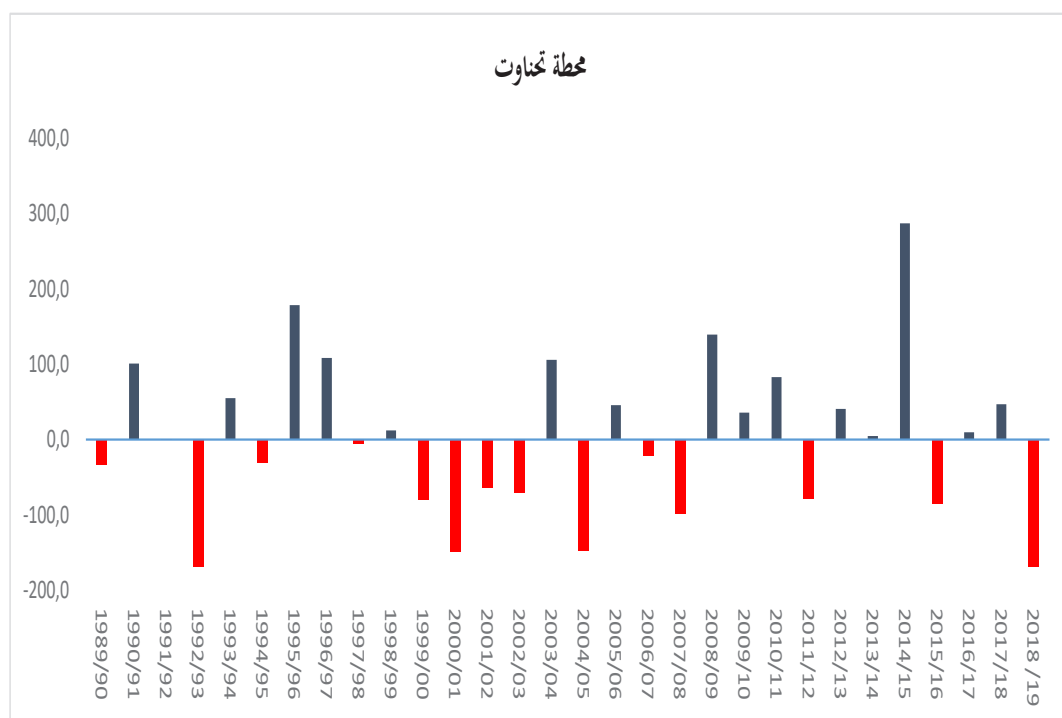
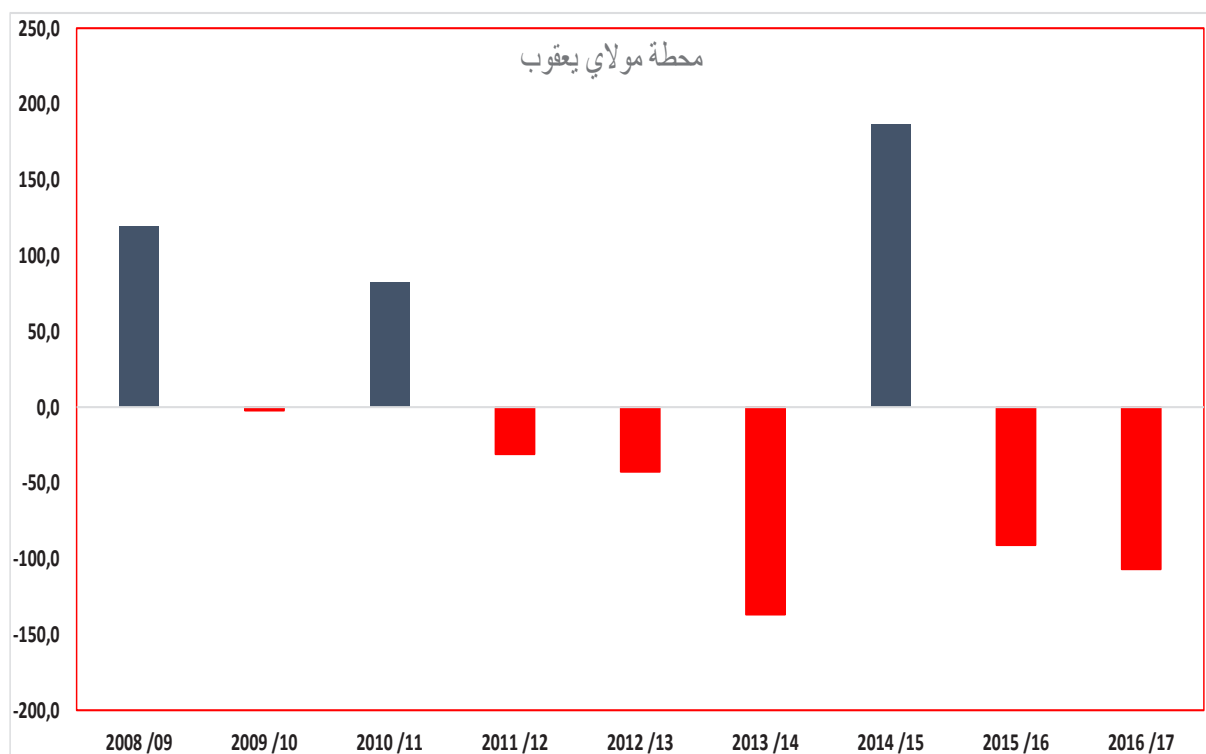
هكذا يتضح من خلال معطيات (الشكل 15)، تعاقب فترات جافة بقيم تقل عن المعدل السنوي وكمية تساقطات تتراوح ما بين المرتفعة والمتوسطة مما يدل على أن حوض نفيس، على عكس باقي الأحواض النهرية في المغرب، لا يعاني بشكل كبير من الجفاف الطيسنوي، نظرا إلى أن هناك سنوات استثنائية رطبة تتجاوز فيها قيمة التساقطات المعدل العام بشكل كبير كما هو الشأن بالنسبة لمحطة نكوريس التي سجلت سنة 1988 أكثر من 443 ملم مقارنة ب المعدل السنوي الذي لم يتجاوز 223 ملم. والشيء نفسه بالنسبة لسنة 2014 التي عرفت فيها جل المحطات أرقاما قياسية، فإذا أخذنا على سبيل المثال محطة أرمد، فقد تجاوزت كميات التساقطات خلال هذه السنة 865 ملم مقابل 378 ملم كمعدل سنوي. أما بالنسبة لأدنى القيم المسجلة، فقد سجلت سنة 2000 بقيم تقل عن 46 ملم.

الحالات التي يتعذر فيها، لظروف معينة، تسجيل القيم الخاصة بالتساقطات داخل السلسلة المناخية أو وجود قطيعة في بعض القيم وذلك من أجل تتبع التطور العام للتساقطات خلال الفترة المدروسة بشكل دقيق.

(40) تعتبر محطة سد مولاي يعقوب المنصور بوبركان استثناء مقارنة بباقي المحطات وذلك راجع إلى أن تاريخ الشروع في استغلال نتائج هذه المحطة هو سنة 2008 وبالتالي فإنها لا تعبر عن الواقع بشكل دقيق مقارنة بباقي المحطات المرجعية.

الشكل رقم 15: الانحراف عن المعدل السنوي للتساقطات بالمحطات المدرسة





المصدر: وكالة الحوض المائي لتانسيفت

ب. المعامل المطري السنوي للتساقطات

بهدف دراسة الحجم العام للتساقطات وفهم خصائصها العامة في سياق التغيرات المناخية التي يشهدها العالم بصفة عامة، والمغرب بصفة خاصة، عملنا على دراسة كمية الأمطار المسجلة ومقارنتها من زاوية المعامل المطري الذي يكشف مظاهر التغيرية لكمية الأمطار خلال السنوات المرجعية، عن طريق مقارنة كمية التساقطات المسجلة خلال السنة، وقياسها بالمعدل المطري طيلة الفترة الزمنية المرجعية والمحددة في ثلاثين سنة الأخيرة.

تعتبر طريقة المعامل المطري من أهم الطرق التي يتم الاعتماد عليها من أجل تحديد الخصائص العامة لكمية التساقطات وتوزيعها عبر الزمن، ويتجلى دورها في التمييز بسهولة بين السنوات الجافة والرطبة والمتوسطة للمطر، ⁽⁴¹⁾ من خلال عتبات ترتب فيها السنوات حسب درجة خصوبتها أو جفافها، فعندما تكون قيمة المعامل المطري للسنة أقل من 100% فإن ذلك يدل على نزعة السنة نحو الجفاف، والعكس صحيح، بمعنى إذا تجاوزت النسبة أكثر من 100% فإن السنة ذات نزعة رطبة. (الشكل 16)

تتحدد طريقة المعامل المطري، من خلال تطبيق معادلة خاصة لقياس النزعة العامة للتساقطات كما يلي:

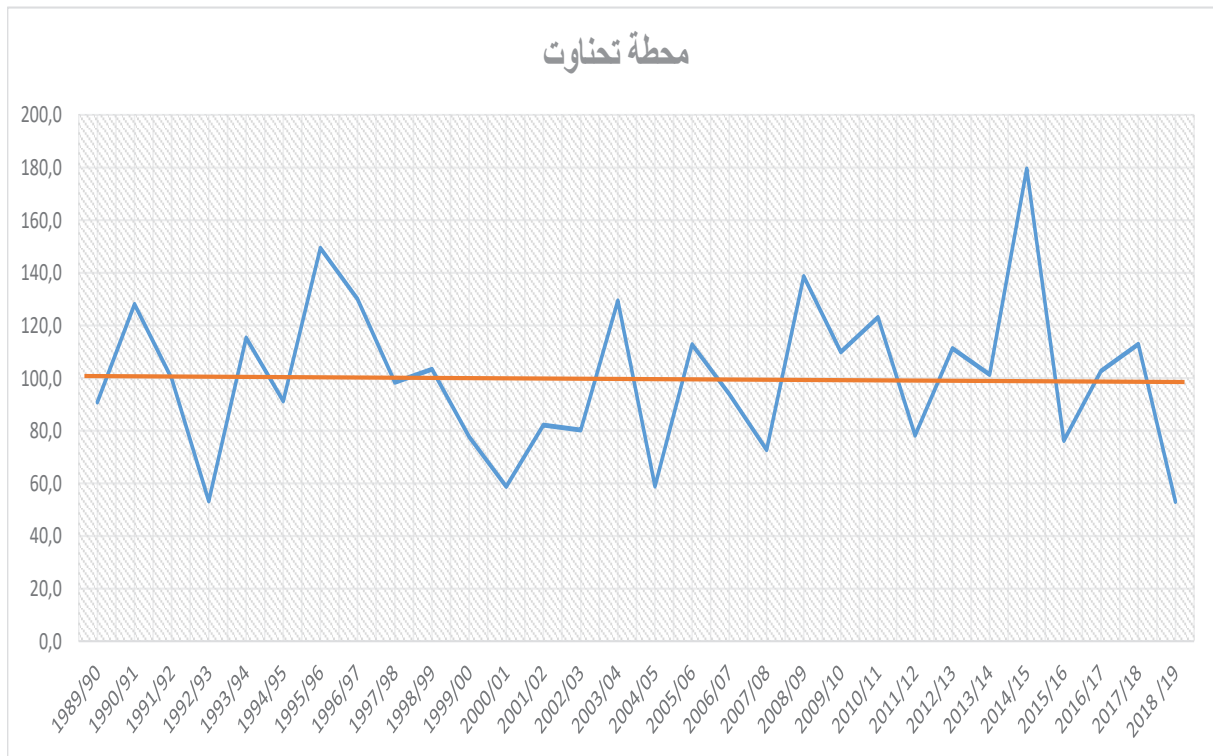
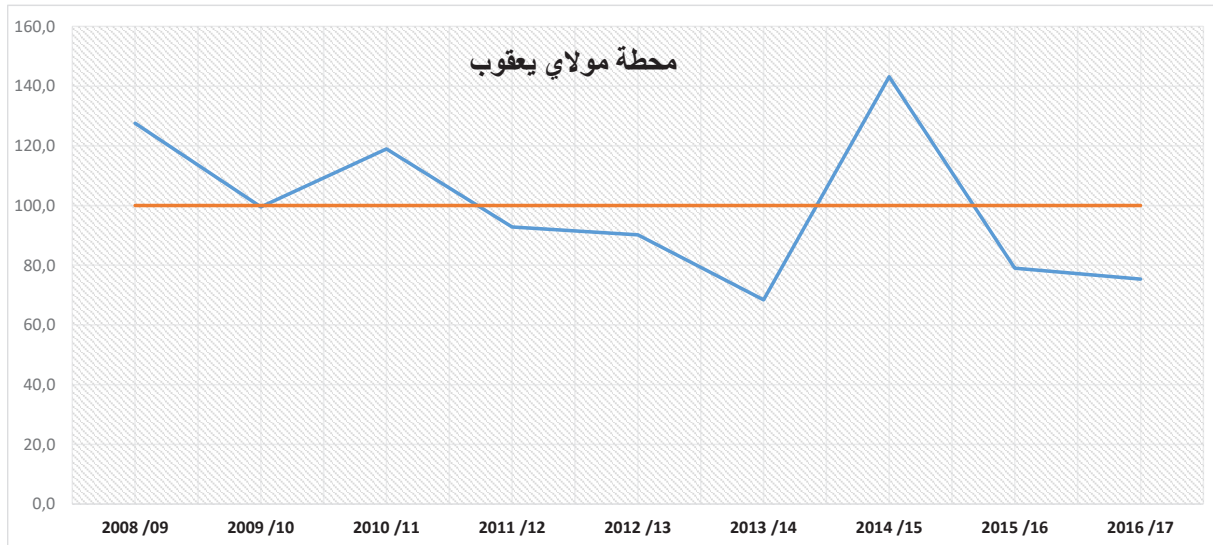
$$\text{المعامل المطري} = \text{كميات التساقطات السنوية} \times 100$$

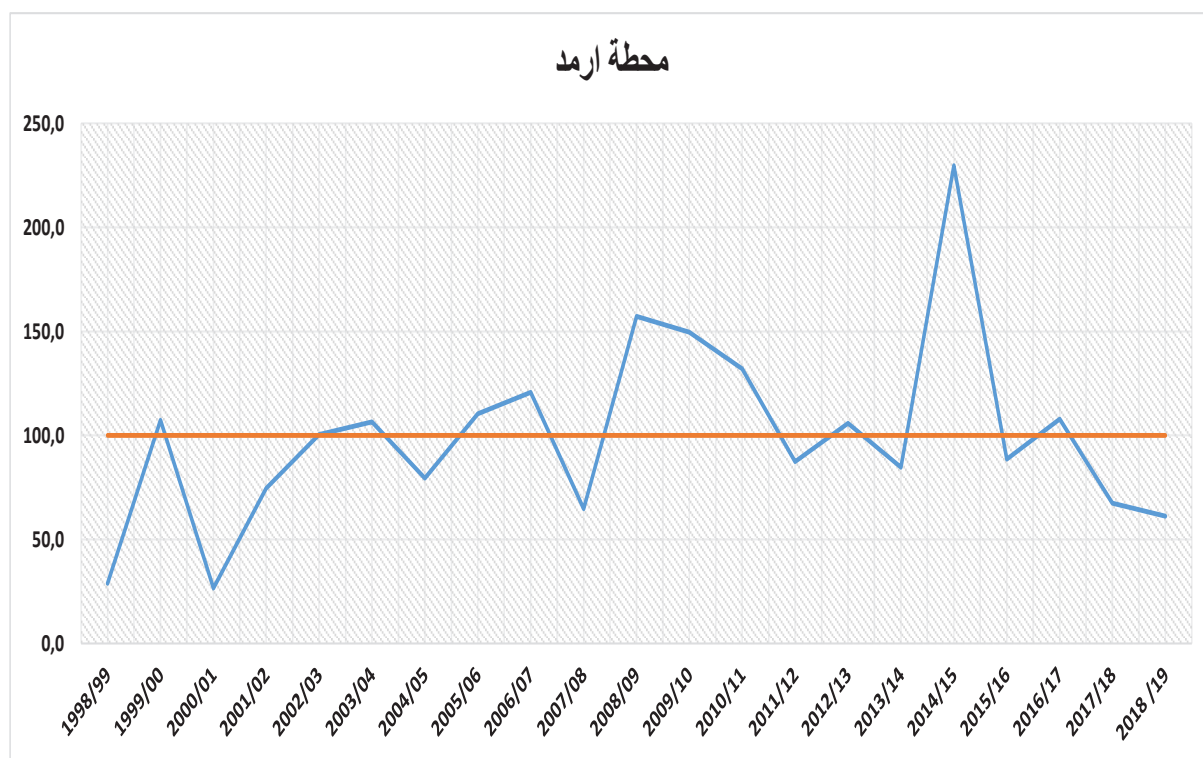
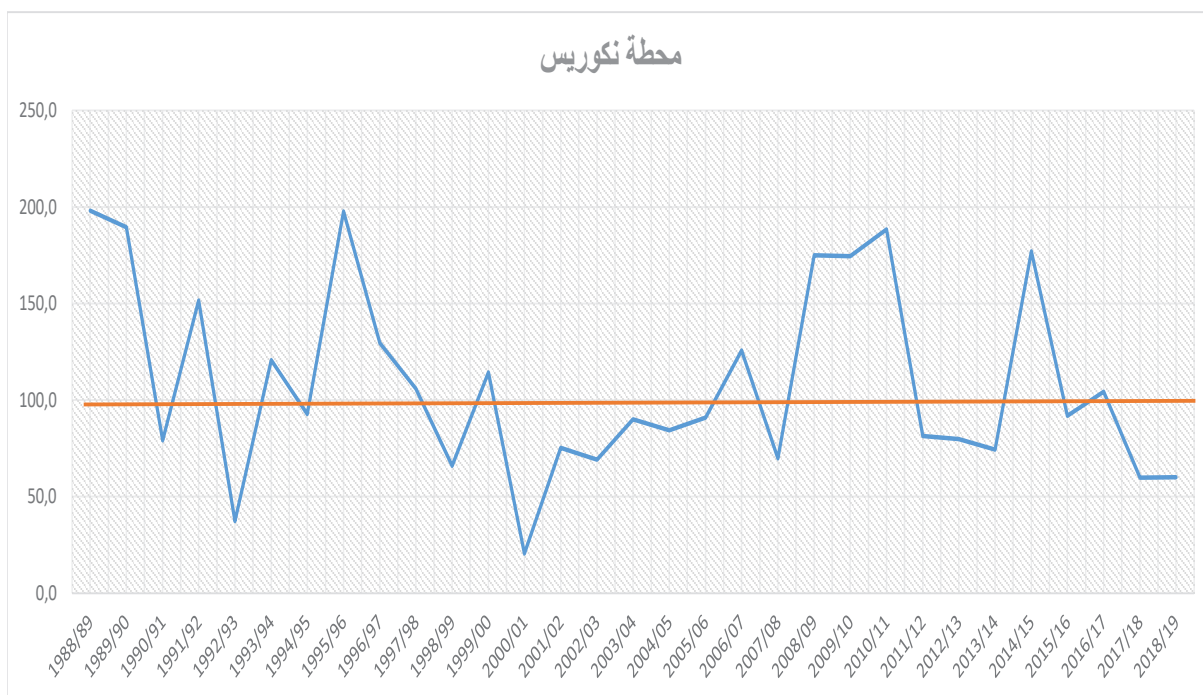
المعدل المطري السنوي

وانطلاقا من النتائج المتوصل إليها (الشكل رقم 16)، نلاحظ أن السلاسل المطرية الطويلة بالمحطات المدروسة تتخذ بعدا عاما يطغى عليه العجز المطري. ومن أبرز معالم ذلك محدودية السنوات التي سجلت فائضا مطريا، فباستثناء سنوات 1995 - 2010 - 2014 التي عرفت تساقطات وفيرة بمعامل مطري يفوق 170% في معظم المحطات، فإن باقي السنوات، بالمقابل، سجلت ضعفا في كمية التساقطات بمعدل يتراوح ما بين 100% و 105%.

(41) تعرضت طريقة المعامل المطري لمجموعة من الانتقادات على مستوى مصداقية نتائجها بحكم ارتكازها على المعدل العام كأساس مرجعي للمقارنة (باحو عبد العزيز 2002).

الشكل رقم I6: المعامل المطري السنوي بالمحطات المدرسة





المصدر: وكالة الحوض المائي لتانسيفت، 2019

5.2.1.1. التوزيع الزمني لدرجة الحرارة

مما لاشك فيه أن الحرارة تعد عاملا مهما، في تفسير الخصائص المناخية والبيئية للمنطقة وفهم مميزاتها في علاقة الحرارة بباقي عناصر المناخ الأخرى من رطوبة وتبخر وذخيرة مائية، وهي بذلك تمكن من:

● تحديد الفترات الرطبة والجافة على مدار السنة.

● تحديد نسبة الجريان السطحي السنوي والفصلي وذلك من خلال عملية التبخر.

ولدراسة التغيرات الحرارية بحوض نفيس الأعلى، فقد تم الاعتماد على معطيات ثلاث محطات متباعدة من حيث الموقع ومن حيث الفترة المرجعية المعتمدة، وذلك من أجل استجلاء المنحنى الحراري والاتجاه العام الذي تتخذه المتغيرات الحرارية بالمنطقة، بهدف التمكن في النهاية من تحديد المستويات البيومناخية للمجال بناء على متغيري الحرارة والرطوبة المحدد في كمية التساقطات.

يتضح من خلال تحليل معطيات المحطات الثلاث، أن الحرارة على غرار التساقطات تتأثر بعوامل الارتفاع والتوجيه، إذ هناك تباينات في المتوسطات السنوية والشهرية، وذلك ارتباطا بموقع المحطة ودرجة ارتفاعها، حيث تنقص درجة الحرارة كلما زاد الارتفاع وهي نتيجة عكسية للتساقطات المطرية والثلجية، إذ ترتفع الرطوبة في المرتفعات وترتفع الحرارة والتبخر في المنخفضات الطيغالية، كما هو الحال بمنخفض ثلاث يعقوب وتاكنداقت، التي ترتفع فيها درجة الحرارة إلى أعلى مستوياتها 45^0 . (Maselli 1996).

التغيرات السنوية والشهرية للحرارة:

يوحي تتبع التغيرات السنوية والشهرية للمحطات الثلاث (الجدول 8)، أن درجات الحرارة بحوض نفيس تعرف تباينات زمنية ومكانية، فمعدل الحرارة القصوى بمحطة للا تاركوست وصل إلى $48,2^0$ ، تليه محطة أمزميز $25,4^0$ ، وتزي نتاست $17,9^0$ ، مما يدل أن الحرارة تزداد ارتفاعا كلما اتجهنا نحو السافلة، كما أن عامل التوجيه أدى دورا كبيرا في هذه التغيرات المجالية، إذ أن المناطق المواجهة للمحيط في غرب نفيس تتأثر بالرياح المحيطة القادمة من المحيط، وذلك له تأثير كبير على التفاوت الحراري. بيد أن الملاحظ هو أن معدل الحرارة الدنيا المسجل في محطة تاكرکوست، وصل درجات مئوية تحت الصفر $-7,7^0$ ، فيما سجلت تزي نتاست أدنى معدل حراري $8,5^0$ ، ويفسر ذلك بتفاوت السنوات المرجعية التي تم اعتمادها.

جدول رقم 8: توزيع معدل الحرارة بالمحطات الرئيسة بحوض نفيس

المحطة	الحرارة °C	الفترة	يناير	فبراير	مارس	أبريل	ماي	يونيو	يوليو	غشت	شتنبر	اكتوبر	نونبر	دجنبر
تكرکوست	المتوسط	-1938 1974	28.8	29.4	36	39.4	42.8	44	45.8	48.2	43.5	39.8	31.8	29
	القصوى		11.4	13.2	15	16.4	19.5	23.5	27.6	27	23.6	21.7	17.2	14
	الدنيا		-7.4	-4.8	-2.6	-4.2	1	3.8	6.4	8.4	3.6	2.2	2.2	-6.4
أمزميز	المتوسط	-1925 1949	18.2	19.9	21.8	22.5	16.2	30.2	34.5	34.7	29.5	26	25.5	18.9
	القصوى		10.7	12.2	14.4	15.2	18.4	21.5	25.8	25.8	21.6	18.5	15.3	11.6
	الدنيا		3.1	4.6	7.1	8	10.6	12.9	17.2	17	13.7	11.1	8.2	4.4
تزي فتاست	المتوسط	-1933 1963	9.9	11.4	12.7	15.8	19	24.4	29.8	29.6	24.9	17.3	12.1	8.9
	القصوى		6	7	8.4	11.4	13.8	18.2	24	23.8	19	12.7	8.6	5.4
	الدنيا		2.4	2.7	4.1	9.6	8.6	12	18.2	18.1	13.5	5.1	5.1	1.8

المصدر: وكالة الحوض المائي لتانسيفت

ومن خلال تحليل معطيات (الجدول 8)، يتضح أن قيم درجات الحرارة متباينة من شهر إلى آخر، حيث بلغت أقصاها خلال شهر غشت في محطتي تاكركوست وأمزميز، بينما في تزي نتاست سجل أقصاها في شهر يوليوز، أما أدنى متوسط شهري فقد سجل في يناير بالنسبة لتاكركوست وأمزميز، حيث وصل، على التوالي، إلى $7,4^{\circ}$ - و $3,1^{\circ}$ وفي محطة تزي نتاست يعتبر شهر دجنبر أبرد شهر، إذ تنخفض الحرارة إلى $1,8^{\circ}$.

انطلاقاً من تحليل معطيات الجدول، يمكن أن نميز بين ثلاث مستويات في توزيع الحرارة:

⊙ الجبال المتوسطة، ما بين 1000 و 2000 متر، يصل متوسط الحرارة القصوى إلى 30° ، وقد يتجاوزها في بعض الحالات إلى 36° ، ويعتبر شهر غشت أحر أشهر السنة بمعدل $29,6^{\circ}$ ، ويوليوز $29,8^{\circ}$ ، أما معدل الحرارة الدنيا فيسجل في شهري دجنبر ويناير، ويصل على التوالي إلى $1,4^{\circ}$ - و $2,4^{\circ}$.

⊙ الأودية الداخلية (منخفض تاكدافت وثلاث نيعقوب ما بين 1000 و 1200 متر)، هي الأجزاء المنخفضة أو المنخفضات الطيبلية الداخلية بواد نفيس، تعرف درجات حرارية مرتفعة، إذ يتراوح أقصاها في فصل الصيف ما بين $40,6^{\circ}$ إلى $41,8^{\circ}$ كمعدل، وقد يتعدى هذا المتوسط إلى $49,4^{\circ}$ ، أما معدلات الحرارة الدنيا فتسجل في شهري يناير وفبراير وتصل على التوالي إلى $1,9^{\circ}$ و $3,4^{\circ}$.

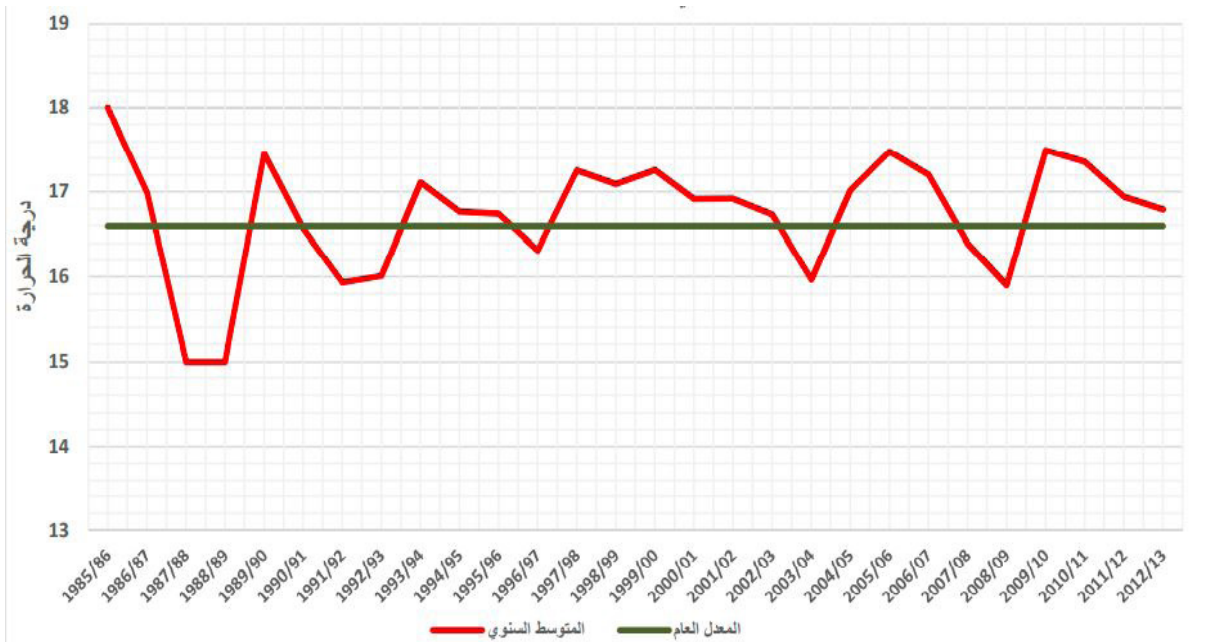
⊙ الجبال العليا، (أكثر من 2000 متر): يصل أقصى معدل بها إلى $29,8^{\circ}$ وأدناه إلى $1,4^{\circ}$ - أما المعدل الحراري السنوي الذي سجل بمحطة تزي نتاست فلا يتعدى $13,2^{\circ}$ ، مما يدل أن عامل الارتفاع يؤثر على الحرارة.

المدى الحراري لعالية حوض نفيس يعرف تباينا واضحا

يعتبر المدى الحراري نتيجة طبيعية للفارق بين الحرارة العليا والدنيا، ويمكن أن نعرف من خلاله درجة القارية وذلك بمعرفة الفرق بين درجة متوسط أسخن الشهور ومتوسط أبردّها، وهو ما يعرف بالمدى الحراري الأقصى.

ويعرف المدى الحراري لعالية حوض نفيس تباينا واضحا بين المرتفعات العليا والداخلية، إذ لا يتعدى 9° في الأولى بمحطة تزي نتاست خلال فصل الشتاء، أما بالأحواض الداخلية فيعرف ارتفاعا ملحوظا. غير أنه لا يعدو أن يصل إلى ما هو عليه في المناطق السهلية، وبذلك يسجل 15° خلال فصل الصيف.

الشكل رقم I7: منحنيات المعدلات الحرارية بمحطات الدراسة



المصدر: وكالة الحوض المائي لتانسيفت، 2019

6.2.1.1. تعرف عالية الحوض تساقطات ثلجية مهمة تنعكس إيجابا

على واد نفيس.

تشكل التساقطات الثلجية جزءا مهما من التساقطات التي يعرفها حوض عالية نفيس، حيث يتلقى كمية معتدلة من الثلوج التي لها دور إيجابي في تعزيز الذخيرة المائية بالمنطقة طيلة السنة، غير أن الخاصية التي تميز هذه التساقطات - ليس فقط في حوض نفيس وإنما في الأطلس الكبير - هي أنها محدودة في الزمان والمكان، أي تهمل بالأساس قمم الأعراف الجبلية التي يتجاوز علوها 2500م في غالب الأحيان، ويتجاوز سمكها 50 سنتم.

تمتد فترة تساقط الثلوج من نونبر إلى ماي تبعا للوضع الأوروغرافي للأعراف، إذ يكون أقل في مستويات ارتفاعية أقل من 1000م، وما بين 15-20 يوما عند الارتفاعات ما بين 1000-1500م، في حين يتجاوز 2000م، وهذا الوضع ينعكس بطبيعة الحال على عدة مؤشرات كالرطوبة والتبخر والصقيع الذي قد تتعدى مدته في مرتفعات الأطلس الكبير ستة أشهر حسب كوفرور Gouvreur خاصة في المرتفعات التي يتجاوز ارتفاعها 1600 م (Gouvreur.G1988). وفي عالية حوض نفيس ولاسيما في منطقة أغبار تظهر هذه المعطيات بشكل كبير حيث تستقبل قمة تزي نتاست كميات مهمة من الثلوج (الشكل 18).

غير أن هذه الثلوج ورغم أهميتها كاحتياط مائي، فإن تردد الجمد له انعكاسات عكسية على الوسط كمجال طبيعي، حيث يعمل على تفعيل الآليات الميكانيكية للتعرية، وعلى المجال الغابوي وعلى الوسط كمجال للاستغلال البشري (من حيث الاستغلال الفلاحي، وتربية الماشية...). هذا التردد في الجمد يتمدد ويقصر حسب الارتفاع وأهمية استغلال الإنسان للمجال (سعيد منير 2003)، وبالتالي فهو (الجمد) على نحو التساقطات المطرية، يعرف اختلافات وتباينات زمكانية، في ارتباط بعاملي الارتفاع والتوجيه، إذ كلما اتجهنا نحو المرتفعات إلا وأصبحت إمكانية نزول الثلوج أوفر. وتتحصر مدتها ما بين شهر نونبر إلى حدود شهر مايو، لذا فتوزيعها المجالي وكميتها يتحكم فيهما عاملا الارتفاع والتوجيه، (عبد الجليل الكريفة 1993):

- ⊙ ما بين 0.10 و 1 متر: في المناطق التي ارتفاعها 1500م،
- ⊙ أكثر من 1 متر: في المناطق التي يفوق ارتفاعها 1500 متر،
- ⊙ 2 متر: ما بين 2000م إلى 2400م،
- ⊙ 2 متر: ما بين 2000م إلى 2400م،
- ⊙ أكثر من 2 متر: حين تتجاوز الارتفاعات 2400م.

غير أن هذه الكميات تتفاوت حسب السنوات الرطبة والجافة، حيث في الأولى لا تقتصر على القمم المرتفعة بل تشمل المنخفضات الطيبلية، أما في الثانية فحدود التساقطات الثلجية عند 2000 متر ونادرا ما تنزل عند هذه الحدود.

الشكل رقم I8: لوحة للثلوج في منطقة اغبار بعالية نفيس



المصدر: تحريات ميدانية بتاريخ، 17-12-2019

2. التصنيف البيومناخي للمنطقة على ضوء البيانات المناخية المتاحة.

مما لا شك فيه أن تمتع منطقة ما بمعطيات بيومناخية إيجابية من شأنه أن يوفر الشروط الملائمة لبيئة متوازنة على جميع المستويات، لكن عندما تكون هذه الأخيرة (الظروف البيومناخية) أكثر عدوانية، فإن ذلك يساهم لا محالة في تسريع وثيرة التدهور وبالتالي اختلال التوازن البيئي. غير أن عدم توفر المعطيات المناخية الدقيقة والمتكاملة حول الرطوبة النسبية ودرجة الضبابية والندى والصقيع والرياح في المحطات المدروسة، يدفعنا إلى الاعتماد على معاملات وبيانات لدراسات مناخية متخصصة في المناخات المتوسطة، بهدف وضع المنطقة في إطارها البيومناخي الخاص.

إن اعتمادنا أساسا على معامل لامبرجي مرتبط أساسا بكون المعاملات الأخرى، لاسيما معاملي كوسن gaussen و أنكو Angot⁽⁴²⁾ قد تعرض لمجموعة من الانتقادات خاصة بالنسبة للدراسات البيئية المتوسطة التي تتميز بتعقدها وتغيرها الدائم، حيث أن الأخطوط المطر - حراري لكوسن ومعامل أنكو، لا يفيدان كثيرا عند تمييز العوامل المناخية التي تواجهها الكائنات الحية، لأنهما لا يأخذان بعين الاعتبار أن حياة النبات تتعلق دائما بمعدل التحمل أو التكيف مع الوسط البيئي، من خلال معدل درجة الحرارة القصوى والدنيا، والتي قد تعرف تفاوتات كبيرة خلال السنة داخل نفس المحطة⁽⁴³⁾.

إن مختلف النقائص التي سبقت الإشارة إليها، حاول الباحث النباتي L.Emnerger تجاوزها من خلال اقتراح صيغة مناسبة للأوساط البيومناخية، وعمل على تطويرها ما بين 1930-1955، وتجدر الإشارة إلى أنها استعملت بشكل خاص في المغرب وفي حوض البحر الأبيض المتوسط بصفة عامة، من خلال مؤشر يعتمد على المعدلات الحرارية القصوى والدنيا وكميات التساقطات السنوية، والتي يتم تحويلها إلى رسم بياني انطلاقا من القاعدة الآتية:

حيث:

● Q تدل على الحاصل المطري لمنطقة معينة

● P: المعدل السنوي للأمطار بالمللتر، تضرب في معامل ثابت 1000، لتجنب الكسور أثناء

العملية الحسابية.

(42) بالنسبة لمعامل كوسن يستحضر عند دراسته للعوامل المناخية العلاقة بين الفجولة والرطوبة باعتبارها تلعب دورا محوريا في حياة النبات والكائنات الحية والسطح، بل وتساهم بشكل كبير في فهم مختلف العوامل المحددة لعوامل الوسط البيئي، في حين يقترح معامل أنكو توزيع الفصول في السنة وانعكاسات ذلك على الطبقات الهيمناخية الخاصة وبالتالي فهو يفيد بالدرجة الأولى في دراسة العلاقة بين خصائص توزيع التساقطات والفصول على الوسط البيئي.

(43) يعتبر الباحث شحو ادريس في كتابه التوازنات البيئية الغابوية بالأطلس المتوسط الغربي أن معامل كوسن تعثره عدة نقائص ولاسيما فيما يتعلق بتميشه للخبرة المائية الكامنة في التربة، باعتبارها تلعب دورا مهما من الناحية الإحيائية والتي لا يعكسها المنحنى الحراري لكوسن، نظرا لكون طول الفترة الجافة أو قصرها قد تتأثر كذلك بالعوامل الترايبية.

⊙ M: معدل درجة الحرارة القصوى خلال الشهر الأكثر حرارة، معبر عنها بالدرجات المطلق (CO+273)

⊙ M: معدل درجات الحرارة الدنيا أثناء الشهر الأكثر برودة، معبر عنها كذلك بالدرجات المطلق.

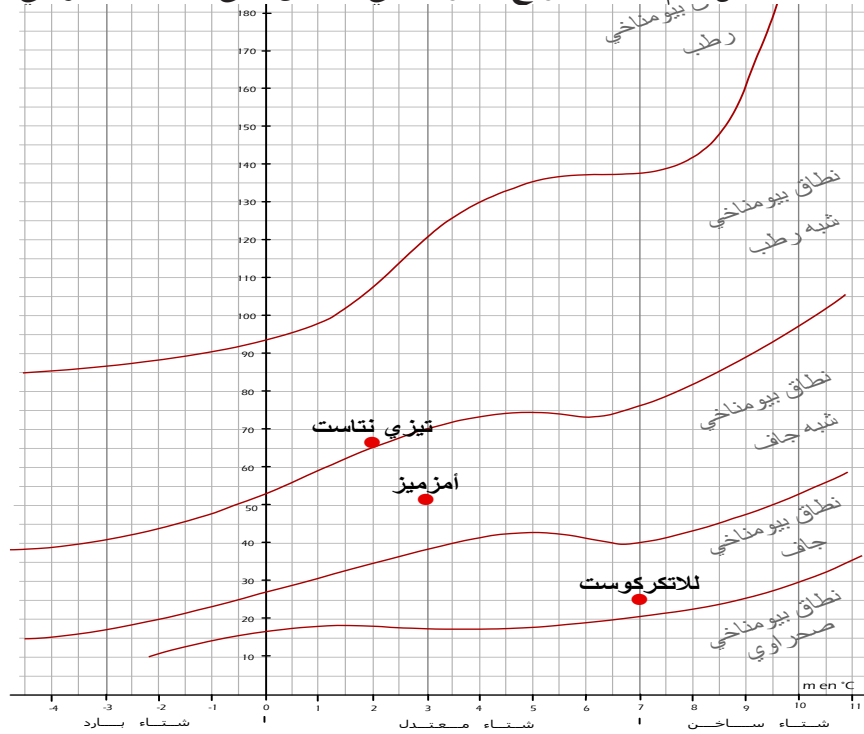
⊙ M + m المعدل الحراري السنوي

⊙ M - m: تتعلق بالفارق الحراري

جدول رقم 9: أهم الخصائص المناخية لنفيس

المحطة	P	M	m	Q	المستوى البيومناخي
للاتركوست	288.8	45.8	7.4-	27	جاف
أمزميز	481	34.7	3.1	43	شبه جاف
تزي نتاست	544	29.8	1.8	43	شبه رطب

الشكل رقم 19: الموقع البيومناخي لنفيس على مبيان أومبرجي.



المصدر: المديرية الجهوية للمياه والغابات مراكش

بناء على المعطيات المناخية التي تم تمثيلها على المبيان المناخي لامبرجي (الشكل 19)، نستنتج أن مجال الدراسة يمتد بين مستويين بيومناخيين اثنين، هما الطابق شبه الجاف بالنسبة لمنخفضات «تلات نيعقوب» و «تاكندافت» والطابق شبه الرطب بالنسبة للمرتفعات ك «تزي نتاست».

إجمالاً يمكننا تحديد المستويات البيومناخية بنفيس في أربعة مستويات:

⊙ في السافلة يجمع هذا القطاع بين مستويين بيومناخيين:

- مستوى شبه جاف مع شتاء معتدل في أمزميز،
- مستوى جاف مع شتاء معتدل في تاكركوست،
- في العالية يجمع بين مستويين:
- مستوى شبه جاف مع شتاء بارد بثلاث نيعقوب،
- مستوى شبه رطب مع شتاء بارد جدا ويهم الجبال العليا.

غير أن الخصائص المناخية لا يمكن تحديدها انطلاقاً من الحرارة والتساقطات، إذ لا بد من وجود تأثيرات أخرى خارجية إلى جانب العوامل الموجهة المحلية كالتضاريس والارتفاع وعامل التوجيه، والأمر يتعلق هنا بالكتل الهوائية التي تساعد على تحديد المجالات المناخية، حيث يتأثر وادي حوض نفيس الأعلى على العموم بالرياح المحيطية القادمة من المحيط غرباً والرياح القارية شرقاً. والنتيجة أن لكل هذه الكميات المتساقطة انعكاسات إيجابية على الجريان السطحي.

خلاصة الفصل

حاولنا من خلال هذا الفصل الوقوف على أهم الخصائص المميزة للمناخ لعلالية حوض نفيس حيص اتضح بأن عالية حوض نفيس تتمتع بخصائص بيئية تسري على المناخ شبه الجاف المعتدل ذي المؤثرات الجبلية، ذلك ان المعطيات المناخية، تحكمها في الغالب تغييرات فصلية وسنوية وبيسنوية واضحة، على مستوى التوزيع الزمني أو المكاني، حيث تتحكم فيها عدة مؤثرات وآليات سواء تعلق الامر بتوزيع كميات التساقطات أو الثلوج والرطوبة، أو درجة الحرارة التي تعرف توزيعا فصليا وسنوياً متبايناً في العادة مما يضفي على هذه العناصر المناخية نزعة نحو الجفاف وعدم الاستقرار، وهو ما يعكس حجم الهشاشة البيئية بمجال الدراسة التي تؤثر لا محالة على التشكيلات النباتية في المنطقة والميزانية الهيدرولوجية . وهو ما يبرز أهمية المناخ في تحديد معالم السطح والغطاء النباتي من حيث نوعه وطبيعته...، حيث يساهم في تهيئة الظروف البيئية المحلية وبالتالي توفير الشروط اللازمة لتطور ونمو الموارد الطبيعية.

الفصل الخامس: الخصائص البشرية لعالية حوض نفيس وعلاقتها بالمجال الغابوي

مقدمة:

مما لا شك فيه أن هشاشة الوسط الطبيعي لعالية حوض نفيس مسؤولة إلى حد كبير عن هشاشة التوازنات البيئية للحوض والتي يلعب فيها العنصر البشري دورا مهما باعتباره أحد العناصر الرئيسية في مختلف التحولات التي يعرفها هذا المجال العطوب عبر تفاعله الإيجابي أو حتى السلبي الذي برز خلال العقود الأخيرة أمام تزايد حاجيات الساكنة المحلية وتغيير علاقاتهم بوسطها الطبيعي الذي اضحى يتعرض لاستغلال مفرط.

إن فهم التحولات الديمغرافية التي عرفها ويعرفها مجال نفيس تكتسي أهمية بالغة من أجل الوقوف على الثابت والمتحول في علاقة السكان مع وسطهم الطبيعي وهذا لن يتأتى إلا من خلال استحضار المقاربة السوسيو تاريخية والديمغرافية باعتبارها القادرة على تحديد مختلف التنظيمات والتحولات المجالية بالمنطقة وذلك من خلال العمل على تفكيك البنية السوسيو اقتصادية لساكنة المجال والدور الطلائعي الذي لعبته في المجال الذي يكتسي أهمية بالغة باعتباره عرف مند القدم توافد العديد من القبائل التي كانت لها بصمة واضحة على المجال سواء من الناحية الإيجابية أو السلبية فكيف تفاعلت ساكنة نفيس مع مجالها قديما وحديثا ؟

1. يتميز مجال نفيس باستقرار بشري متجدد في القدم وتنظيم اجتماعي قبلي

كنفيسة اسم لمجموعة قبلية استوطنت قديما واد نفيس، ويسمى أهلها بـ: «أهل نفيس»⁽⁴⁴⁾. وهي من المجموعات البشرية الأطلسية المعروفة اسما وموقعا منذ القرن الحادي عشر الميلادي على أقل تقدير، إذ حددها الجغرافي الإدريسي بقوله: «ويسكن بقبلة مراكش من قبائل البربر إيلان وهم مصاميد وحولها من القبائل نفيس وبنو يدفر وكمال ورجرجة وزودة وهسكورة وهزرجة ويسكن بغربي أغمات وشرقيها مصاميد وريكة»⁽⁴⁵⁾، وذكر البكري نفيس المدينة الكبرى التي كانت تعد مركز قبيلة كنفيسة ومسجدها خلال فتح عقبة بن نافع الذي «قام ببناء مجموعة من المساجد أثناء حملته على المغرب الأقصى مثل مسجد نفيس وغيره»⁽⁴⁶⁾.

(44) عبد الرحمان بن خلدون (ت: 808 هـ / 1406 م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، [تحقيق: خليل شحادة]، دار الفكر، بيروت، ط. 2، 1988، ج. 6، ص. 311.

(45) محمد الشريف الإدريسي (ت: 560 هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1409 هـ، ج. 1، ص. 236.

(46) أبو عبيد الله البكري (ت: 487 هـ)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، 1992 م. 2، ص. 346.

1.1. تشغل اتحادية كنفيسة حيزا كبيرا من مجال نفيس

وذكر المؤرخ البيذق أنها تتكون من 22 فحذا وهي: «زداغة، متاكة، أيت تكوكا، بنو مصاظواطن (إداوزداغ)، سكساوة، ملاوة، إيمدلاون، أسنان، بنو وكاس، مصغالة»⁽⁴⁷⁾، وكانت من السابقة إلى دعم المهدي بن تومرت؛ إذ يكتب ابن خلدون في هذا الصدد أنه: «وكان أهل تلك السابقة قبل فتح مراکش، ثمانى قبائل سبعة من المصامدة: هرغة وهم قبيلة الإمام المهدي، وهنتاة وتين ملل، وهم الذين بايعوه مع هرغة على الإجارة والحماية، وكنفيسة وهزرجة وكدميوة ووريكة»⁽⁴⁸⁾. ويضيف عن عددهم: «وفيهم بطون كثيرة أوسعها بطن هسكورة. وأمّا سواهم من بطون كنفيسة فأنفقتهم الدولة بما تولوا من مشايعتها، وإبرام عقدتها، فهلك رجالاتهم في إنفاقها سبل الأمم قبلهم في دولهم»⁽⁴⁹⁾.

وقد تلاشت اتحاديات كنفيسة بالأطلس الكبير الغربي وظهرت مكانها اتحاديات جديدة أقل حجما؛ مثل أيت واوزكيت وسكساوة وكدميوة وكندافة التي ظهرت مكانها في مركز نفيس.

2.1. مجتمع نفيس مجتمع مركب:

رغم أن الباحث علي صدقي أزيكو صرح خلال تحقيقه لرحلة الوافد التي فصلت تاريخ المنطقة؛ بأن نفيس خلال القرن 18 م. هي: «نفس المجال تقريبا، الذي شهد بداية الموحدين الأولى»⁽⁵⁰⁾. ومضيفا أنه «يكتسي مجال الرحلة، في نظرنا، أهمية قصوى لأنه يعتبر كذلك، بالإضافة إلى ما سبق، من بين المناطق التي لم تتأثر كثيرا بما يلحق البنيات المجتمعية والسياسية عامة، من تصدع واضطراب بسبب التدخلات المتتالية للمخزن المركزي منذ عصر المرابطين»⁽⁵¹⁾، ومستنتجا بعد استقرائه أن «البنيات المجتمعية والسياسية، كما تبدو من خلال الرحلة بقيت فيه، نتيجة لذلك، اقرب إلى النموذج المثالي لتطور بطيء في مجتمع جبلي تتحكم الجغرافية إلى حد كبير في مختلف بنياته، ومما يزيد هذا الواقع أهمية، كون المنطقة المعنية هي موطن هؤلاء المصامدة القدامى، الذين هم فلاحون مستقرون في مغرب أصبح مضطربا إلى حد ما منذ أن وصل إليه رحل إيزناتن أوزناتة وصنهاجة أو إيزناكن»⁽⁵²⁾. وفي هذا السياق لابد من الإشارة إلى أنه خلال البحث التاريخي الذي قمنا به وقفنا على أن المجال هو مجال تحرك وعبور، فكيف ذلك؟

(47) أبو بكر الصنهاجي (البيذق)، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، [تحقيق: عبد الوهاب بن منصور]، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص. 48.

(48) ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج. 6، ص. 359.

(49) نفسه، ص. 354.

(50) التاساقي، رحلة الوافد، مصدر سابق، ص. 11.

(51) نفسه.

(52) نفسه.

وكيف تفاعلت ساكنة هذا المجال مع المورد الغابوي باعتباره المورد الرئيسي الذي تزخر به المنطقة والذي كان يشكل المصدر الأول في نمط عيشها؟

2. يعتبر مجال نفيس مجال عبور وحلقة وصل بين مراكش وسوس:

كنفيسة هي مجموعة قبائل تقع مواطنها على طول ضفاف وادي نفيس بالأطلس الكبير، وتعرف بالأمازيغية باسم (ايكنفيسن) وتحدها شرقا اتحادية قبائل أيت واوذكيط، وغربا قبائل كدميوة، وجنوبا حدود قبائل القطر السوسي في قبيلة أيت سمك التي تعتبر المدخل الطبيعي بالنسبة لوادي نفيس إلى السهول السوسية.

وتتوزع كنفيسة على مجال عبور توجد به عدة معاير ومنها تيزي ن تاست وتيزي ن اوماشو التي كانت تحت نفوذها زمن قوتها خلال العصر الموحيدي⁽⁵³⁾؛ ذكر المختار السوسي أنه: «في: «رحلة عبد المؤمن إلى سوس»، في مجموعة الرسائل الموحدية المطبوعة رسالة كتبها عبد المؤمن من مدينة (إيجلي)، فصل فيها رحلته من مراكش على طريق حاحة، إلى أن كان في طريق رجوعه على طريق وادي نفيس»⁽⁵⁴⁾، نحو تنمل مركز كنفيسة ونفيس. وذلك أن مجال نفيس هو مجال عبور وتنقل الهاربين من سلطة مراكش إلى الجنوب ومجال تنقل القبائل المتنقلة ومجال تنقل التجار كذلك، لكونه مجال جذب؛ إذ يكون الانجذاب أكبر بالنسبة للهجرة الجماعية نحو الأراضي الصالحة للرعي، بحثاً عن أراض جديدة وخصبة وذات مياه كثيرة كالسهول الشمالية، وفي اتجاه الجبال في فترات الجفاف، دون إهمال المناطق الموجودة على الممرات الجبلية وأفواه الوديان⁽⁵⁵⁾؛ حيث «تؤكد دراسة القبائل والخرائط القبلية أن هذه الحركات المستمرة للقبائل والمجموعات ظلت تتحرك من الجنوب إلى الشمال، وأن هذه الرحلة البشرية تحدث وفقاً للطرق الطبيعية النهرية والجبلية»⁽⁵⁶⁾، التي تعتبر معبرا للجيش وأيضاً للهجرات السكانية، ويغلب عليها طابع التنوع والتمازج «العربي» واللغوي والثقافي، لما يصاحب هذه الحركية من مؤثرات ثقافية ودينية واقتصادية وسياسية مثل حوض إيناون، وحوض دادس، وحوض إمي ن تانوت، وحوض نفيس بمراكش.

والتركيبة البشري زمن البيذق تدل على هجرة متنوعة جمعت بين عدة قبائل، وكذلك امتداد المجالي للقبيلة الكبرى جعلها متنوعة؛ إذ تعرف هذه المناطق الكثيرة العبور أيضاً، وجود «طبقات سكانية يمكن

(53) Jacques Berque, «Antiquités Seksawa», op.cit., p. 383.

(54) محمد المختار السوسي، سوس العامة، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960، ج. 1، ص. 228.

(55) ننصح الباحثين في موضوع الهجرات من خلال الوثائق، البحث عنها في هذه الممرات؛ لأنها عرفت تحركات قبلية كثيرة، وذاكرة حية لتاريخ الهجرات.

(56) Robert (Montagne), Naissance du prolétariat marocain, Enquête collective exécutée de 1948 à 1950, Centre Jacques-Berque, Rabat, 2016, p.115- 116.

ويكون التدفق البشري العابر لأفواه الوديان الأطلنتية من الجنوب إلى الشمال وفق اتجاه الوديان من الجنوب إلى الشمال في الجهة الشمالية والعكس في الجهة الجنوبية؛ حيث يكون التوجه عكس مسار الوديان ليسهل التنقل نحو الشمال (الشكل 21).

Map of the Taurus mountain range and surrounding regions. The map shows the Taurus mountains in orange, the Euphrates river in blue, and the Taurus mountains in orange. The map also shows the Taurus mountains in orange, the Euphrates river in blue, and the Taurus mountains in orange. The map includes a legend with symbols for mountain ranges, rivers, and cities. The legend also includes a scale bar and a north arrow.

Legend:

- مناطق جبلية (Mountain regions)
- شبكة مائية (Water network)
- ٢٠ كم (20 km)
- Active Waters (Active Waters)
- التيارات وسمات التيارات (Currents and current features)
- سواحل (Coastlines)

ولهذا السبب نجد تموضع القبائل المصمودية في الأطلس الكبير الغربي والحوز يتخذ الاتجاه: جنوب - شمال؛ مثل مسغوية عبر واد الزات ومزوضة عبر واد أسيف المال وسكساوة عبر واد سكساوة وكنفيسة على طول واد نفيس إلخ؛ حيث تكون العديد من الوديان في اتجاه مستقيم يمتد جنوبًا إلى الشمال.

(57) عبد الرحمان المودن، البوادي المغربية قبل الاستعمار: قبائل إيناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 25، ط1، 1995، ص. 202، ص. 114.

1.2. عرف مجال نفيس عبر التاريخ هجرات متعددة إلى حدود القرن 15 ومطلع القرن 16

يصل مجال اتحادية كنفيسة إلى المحيط وأعالي الجبل، وهو مجال عبور الرحل⁽⁵⁸⁾ والقوافل لتجارية بين الجنوب والشمال، ولم تعرف هذه الجبال الاستقرار والنماء الذي وصلت إليه، ولم تستقر أسماء القبائل التي ذكرها الوزان ومارمول إلا مع نهاية القرن 15 م و بداية القرن 16 م، فهي «نهاية سيرورة نمت أثناء القرن 15 م.»⁽⁵⁹⁾، وما قبله؛ إذ امتدت لفترة طويلة منذ القرن 14 م، منذ وصف «ابن الخطيب»⁽⁶⁰⁾ ووصف «ابن قنفذ»⁽⁶¹⁾ خلال رحلتها عبر تراب المغرب.

أصبح الجبل بسبب الأزمات التي شهدتها المجال المغربي وسهوله، من جفاف وأوبئة وكوارث وحروب خلال الفترة ما بين نهاية القرن 14 م.(فترة الطاعون الجارف) إلى بداية القرن 16 م، الملجأ الوحيد أمام الساكنة المغربية؛ خاصة مع ضعف السلطة وعدم وجود الأمن، نتيجة «هجمات البرتغاليين على السواحل المغربية وسهول الحوز وسوس»⁽⁶²⁾. وغير ذلك، مما ظل راسخا في الذاكرة الشعبية والروايات التاريخية التي تحتفظ بـ «أسطورة البرتقيز» في رواياتهم. وقد ظل الجبل منذ هذه الفترة يستقبل هجرات كثيفة ذات أصول جنوبية، ودل على ذلك تعدد المشارب واختلاف السحنات.

وقع تغير بنيوي بجبال الأطلس الكبير الأوسط، وتمثل في «اختفاء الكتلة الهسكورية، وازدياد تلاشي الروابط بين القبائل التي ذكر البيزق أنها كانت في عداد هسكورة؛ في حين بقي الاسم يطلق على تلك الجبال حسب التسمية القديمة»⁽⁶³⁾؛ حيث لم نعد نتكلم عن هسكورة؛ وإنما عن دمنات واينولتان وفطواكة. وهذا التطور لم يقتصر على هسكورة؛ بل نال المجموعات القبلية «الوسطوية» الكبرى، حتى في الأطلس الكبير الغربي⁽⁶⁴⁾؛ خاصة من جهة الجنوب ك: كنفيسة ووزكيتة.

(58) Jacques Berque, «Antiquités Seksawa», op.cit., p. 366

(59) عبد الرحمان المودن، البوادي المغربية قبل الاستعمار، مرجع سابق، ص. 76.

- Abdallah Laroui, L'histoire du Maghreb: Un essai de synthèse, centre culturel arabe, casablanca, 3ème éd., 2011, p. 213

(60) لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، [نشر وتعليق: أحمد المختار العبادي]، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، بدون تاريخ طبع.

(61) أحمد الخطيب (ابن قنفذ القسنطيني)، أنس الفقير وعز الحقيير، [نشره و صححه: محمد الفاسي وأدولف فور]، سلسلة الرحلات 2، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس كلية الآداب، الرباط، 1965.

(62) مجهول برتغالي، تاريخ سانتا كروز- أكادير، نص برتغالي من القرن السادس عشر، [ترجمة: أحمد صابر]، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، سلسلة الوثائق رقم 1، 2007، ص.ص. 19، 85.

(63) أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر إينولتان 1850 م- 1912 م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 63، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1983، ص. 86.

(64) نفسه.

ومن المؤكد أن للعامل الطبيعي، المتمثل في الكوارث الطبيعية كالأوبئة والجفاف والمجاعة، دورا في تحريك المجموعات السكانية وزعزعة استقرارها؛ إذ تهرب طلبا للأمن والاستقرار والنجاة مثل الطاعون الذي أدى إلى هجرة بعض قبائل الجنوب ما بين 1800 م - 1818 م واستوطنت نفيس في الحوز⁽⁶⁵⁾.

وفي هذا الإطار، تنوعت «البنية البشرية لجبل درن والتي لا يمكن أن تربطها بـ«عرق» سلالي قبلي، فهي خليط من قبائل الرعاة والزراع والتجار»⁽⁶⁶⁾، منذ القرن 10 م على الأقل، كان تغير المواقع والمواطن شيئا مألوفا؛ ما عدا بعض الجهات الاستثنائية؛ خاصة في شمال المغرب الأقصى أو بجبل درن بالأطلس الكبير⁽⁶⁷⁾، وهو ما يمكن إرجاعه إلى «خصائص القبائل الأطلسية، والتي تشبهها في بنيتها، كونها ترتبط بالأرض أكثر»⁽⁶⁸⁾؛ عكس القبائل الأخرى المترحلة التي ليس لها ارتباط بالأرض.

استمرت البنية القبلية بالأطلس الكبير الغربي، وخاصة بنفيس كما كانت عليه منذ الموحدين إلى حدود القرن 16م؛ الذي أصبحت فيه «الوفود الجماعية، بجانب التسربات والهجرات الأقل عددا، قد أسهمت في تغيير المضمون البنيوي للقبائل الأطلنتية باستمرار وبالتدرج، وذلك بسبب إضعافه للتلاحم والتضامن داخل المجموعات»⁽⁶⁹⁾. كل ذلك، عجل بتقلص المجال وتغير نمط العيش؛ بل وبظهور مجموعات ذات أسماء طبونيمية لها علاقة بالمجال، أكثر من إثنونيمية ذات أسماء ومصطلحات نسبية «عرقية»، ومنذ هذه الفترة (القرن السادس عشر) بدأ الاستقرار و«التموضع بالجبل»⁽⁷⁰⁾ الغربي، بعد هجرات متتالية من الجنوب، وبالأخص من سوس⁽⁷¹⁾.

لقد لحقت قبائل الأطلس تحولات بنيوية وجغرافية عديدة ومختلفة؛ إذ زرع البرتغاليون استقرارهم، إلى جانب مجيء العرب الجدد، الذين أربعوا بدورهم القبائل في سهولها كالسباعيين⁽⁷²⁾ والرحامنة وأهل سوس، وتقلص مجال قبائل مصمودة في السهل وتراجعت نحو الجبال⁽⁷³⁾ ككسساوة ومزوضة وغياغة ونفيس.

(65) Jean Brignon et autres, Histoire du Maroc, Hatier, paris, 1967

عن: محمد الأمين بزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرابط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 18، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، ص. 127.

(66) هاشم القاسبي العلوي، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري/ منتصف القرن العاشر الميلادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1995، ج. 2، ص. 188.

(67) نفسه، ص. 485.

(68) جاك بيرك، «في مدلول القبيلة بشمال أفريقيا»، ضمن: الأنثروبولوجية والتاريخ حالة المغرب العربي، [ترجمة: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق]، درا توبقال، الدار البيضاء، ط. 2007، (ص.ص. 113-125)، ص.ص. 122-123.

(69) أحمد التوفيق، المجتمع المغربي، م. س. ص. 78.

(70) Jacques Berque, Structures sociales, op.cit, p.95

(71) Ibid, pp.44, 96

(72) محمد الزهوني، العلاقات بين السلطة والسكان بمنطقة طرقي الأطلس الكبير الغربي في أعوام الستين من القرن التاسع عشر (1280 هـ/ 1863 م - 1290 هـ/ 1873 م)، منشورات كلية الآداب الدار البيضاء، مطبعة فضالة، 1998، ص. 52.

(73) Paul Pascon, Le Haouz de Marrakech, T.1, CURS et INAV, Rabat, 1983, Tome 1, p. 191

وقد أدى تغيير خريطة القبائل على السطح الشمالي إلى بروز قبائل جديدة بجانب القبائل القديمة⁽⁷⁴⁾؛ فقد بدأ بروز قبيلة دويران بين مزوضة ونفيفة، خلال القرن 16 م.، وصارت تلتحم في مخرج الوادي⁽⁷⁵⁾، وكذلك مسفيوة⁽⁷⁶⁾ التي ذكرها «البيزق» كقبيل صغير⁽⁷⁷⁾، ولم يذكرها «الوزان» ولا «مارمول»، ولم يسمع لها صوت من قبل، أصبحت خلال عهد السعديين مجالا كبيرا يلجأ إليها الأمراء الهاربون⁽⁷⁸⁾. ونفس الأمر مع قبيلة «كدميوة»، التي هي الأخرى كانت قبيلة صغيرة زمن «البيزق»⁽⁷⁹⁾، ولم يذكرها الوزان رغم مروره من مجالها⁽⁸⁰⁾، وتحولت خلال هذه المرحلة إلى قبيلة كبيرة.

وهو عكس ما ذهب إليه الباحث أزيكو الذي يصرح أن هذه التركيبة بقيت مستقرة في بنياتها القبلية منذ عصر البيزق⁽⁸¹⁾؛ حيث شهدت المنطقة تحركات سكانية كثيرة عبر تاريخ المنطقة رغم بقاء الإطار القبلي العام الذي لا يعني أن الإطار القبلي الصغير قد شهد تحولات عميقة.

غير أن قبيلة نفيس أو كنفيسة لم يقع لها أي تغيير إلى حدود ما بعد القرن 18م. وهو ما تدل عليه «رحلة الوافد» للتسافتي⁽⁸²⁾.

2.2. نتائج الهجرات في نفيس:

إن تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية في المنطقة ارتبط بعامل الترحال والاستقرار الذي حدث لكثير من المجموعات البشرية التي مرت واستقرت بها⁽⁸³⁾؛ إذ أثناء الاستقرار، يجدد السكان تنظيماتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وخلال الحروب والأوبئة، تقع هجرات كثيرة ويحدث معها تجدد سكاني، مما يؤدي إلى تغير في المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للقبيلة، وهو ما أشار إليه، أيضا، «روبير مونطان» في دراسته لمنطقة أغبار، التي هي منطقة تنقل بين سوس والأطلس؛ حيث يشير إلى أن «تنقل السكان يتناقض مع الاستقرار الشديد للمؤسسات الاجتماعية

(74) محمد الزرهوني، العلاقات، م. س.، ص. 51.

(75) نفسه.

(76) رشيد شحي، جوانب من قضايا الماء بقبيلة مسفيوة من خلال وثائق عدلية، من سنة 1704 م. إلى سنة 1929 م.: دراسة وتقديم، بحث لنيل شهادة الماستر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش، الموسم الجامعي: 2013-2014، ص. 49.

(77) أبو بكر البيزق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، [تحقيق: عبد الوهاب بن منصور]، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص. 31-32.

(78) أحمد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، [تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري]، دار الكتاب - الدار البيضاء، ج. 7، ص. 7.

(79) البيزق، أخبار المهدي، مصدر سابق، ص. 69.

(80) الحسن الوزان، وصف أفريقيا، [ترجمة: محمد حيي ومحمد الأخضر]، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط. 2، 1983، ج. 1، ص. 77-82.

(81) التسافتي، رحلة الوافد، مرجع سابق، ص. 11.

(82) نفسه.

(83) الكبير عطوف، الهجرات العالمية والمغربية قضايا ونماذج، مقارنة سوسيو- تاريخية (1045 م. - 2011 م.)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير، طباعة ونشر سوس، أكادير، ط. 2، 2012، ص. 84.

والسياسية»⁽⁸⁴⁾، ولأن الهجرة هي ظاهرة تعمل على إعادة التوازن للمجتمع⁽⁸⁵⁾، فبعد كل هجرة واستقرار تظهر مؤسسات تنظم المجتمع ومنها مؤسسة التوثيق.

3. البنيات الاجتماعية والاطار القبلي لنفيس:

يتكون المجتمع النفيسي بسبب كونه مجال عبور وتحرك ومجال جذب قبلي خاصة خلال سنوات الجفاف، من مختلف المجموعات البشرية المستقرة بوادي نفيس وروافده، ففي السفح الجنوبي للأطلس الكبير؛ حيث توجد أيت واوزكيت وتليها سكتانة وزناكة، اللتي غادرت أعالي سوس، وعبرت نفيس إلى كيك، على أقل تقدير منذ زمن الموحدين، وظهرت قرى ومجموعات مستقرة تحمل أسماءها: سكتانة ووزكيتة كقبائل، وزناكة كفخدة في نفيس، مضافة إليها مجموعة إيداوساطوك وإمسكالن وأيمدلاون وإسكساون وأيكدميون⁽⁸⁶⁾، كل هذا يكون جغرافيا وبشريا متنوعا.

ورغم تلك التغيرات ظل مجال نفيس، أكثر استقرارا في إطاراته الجغرافية القبلية؛ فقد أكد «جاك بيرك» أن «الماضي لا يشهد بتفكك الجنوب المغربي (الأطلس الكبير الغربي)؛ بل ظل يشهد تجمعه»⁽⁸⁷⁾. وأن الجغرافية الاجتماعية للأطلس الكبير امتازت بالثبات؛ حيث أكد صاحب إينولتان «إن الأطلس الكبير عرف أكثر من بقية المناطق المجاورة استقرارا في خريطته الاجتماعية الجغرافية»⁽⁸⁸⁾؛ وإن كان يقصد الإطارات القبلية الكبرى؛ وليست الصغرى، فهل هذا يدل على أن الأطلس الغربي لم يعرف هجرات؟ أم هناك أسباب أخرى؟

1.3. التنظيم الاجتماعي ومؤسسات المجتمع:

وتدخل المخازن الجماعية «أكادير» في حسابات العصبية المجالية الجديدة، ف«الشلوح [الأمازيغ] يقولون دائما أكادير أيت فلان؛ أي جماعة عائلات إيغس [فخذ] واحد أو أكثر»⁽⁸⁹⁾، وكان وجود المخازن الجماعية دليلا على التلاحم المجتمعي لمواجهة الظروف الصعبة، عوض التلاحم السلالي العصبى، وقد أشار «روبير مونطان» في دراسته للبنية الاجتماعية للقبيلة والجماعة في منطقة أغبار بالأطلس الكبير الغربي إلى أن وجود أكادير دليل على التلاحم المجتمعي لمواجهة الظروف عوض التلاحم السلالي

(84) R. Montagne, «Aghbar», in: Hespéris, T. VII, 1927, (pp. 1-32), p. 9

(85) عبد الرحمان المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2016، ص 135.

(86) التاساقتي، رحلة الوافد، مصدر سابق، ص. 11.

(87) Jacques Berque, «Antiquités Seksawa», op.cit., p. 359.

(88) أحمد التوفيق، المجتمع المغربي، م. س.، ص. 98.

(89) القبطان سوردون، «الحق العام في الجبال المغربية»، [ترجمة: بناصر بن عمر]، ضمن: المجلة المغربية للقوانين والمذاهب والأحكام الأهلية، عدد 6 و7، (ص.ص-17)، ص. 16.

العصبي⁽⁹⁰⁾؛ إذ «تقوم مجموعة من العائلات المكونة من عشرة أو خمس عشرة أسرة بالتضامن والتجمع في قرية ثم القيام ببناء برج مراقبة مشترك، وتعين رئيس واحد لتمثيلهم في مجلس المحافظة [إينفلاس]؛ من أجل مواجهة أعباء الحياة المشتركة تحت اسم مشترك»⁽⁹¹⁾.

2.3. السكان والمجال:

يعتبر مجال نفيس من بين المجالات الجبلية التي تلعب فيها العوامل الطبيعية دورا مهما وتؤثر فيه الجغرافيا إلى حد كبير خاصة فيما يتعلق ببنياته الاجتماعية⁽⁹²⁾، ومن العوامل التي تربط السكان بالمجال الجغرافي، هي مسألة علاقتهم بمحيطهم الطبيعي والقبلي؛ فعلاقتهم بمحيطهم الطبيعي هو الذي يتحكم في توجيه أنشطتهم، ويؤثر على تصرفاتهم وينعكس على سلوكياتهم. التي عرفت تحولا كبيرا كما سبقت الإشارة إلى ذلك حيث كانت علاقة السكان بالوسط الطبيعي هي علاقة توازن تم اختل هذا التوازن وأصبحت الوسط الطبيعي الذي يتسم أساسا بهشاشته يعرف العديد من المشاكل الناتجة عن الضغط الديمغرافي الذي شهده مجال نفيس خاصة في السنوات الأخيرة كما يتضح من خلال الجدول التالي:

4. الخصائص الديمغرافية لعالية حوض نفيس

1.4. يعرف عالية حوض نفيس نمو ديمغرافيا متزايدا

يتميز النمو الديموغرافي لعالية حوض نفيس بالتباين (الشكل 21)، حيث نجد على سبيل المثال أن جماعة أغباز تعرف نموًا بطيئًا، وينتظم السكان على شكل تكتلات على ضفاف واد أمسور وإجناتن وإكيس. مكونة من 20 دورا تضم 823 أسرة، ويبلغ عدد سكان الجماعة حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2004 ما مجموعه 4608 نسمة، بكثافة سكانية تصل إلى 28 نسمة في الكيلومتر المربع. وتقدر نسبة الناشطين الذين تتراوح أعمارهم ما بين 15 و60 سنة حوالي 50 % من مجموع السكان. ويوضح الجدول التالي تطور عدد سكان الجماعة:

جدول رقم 10: تطور عدد سكان عالية حوض نفيس ما بين 1994 و 2014

2014	إحصاء 2004	إحصاء 1994	
5182	4608	4332	اغبار
7859	7702	7390	
6700	6641	6305	اجوكاك

المصدر: الإحصاء العام لسكان والسكنى 1994 - 2004-2014

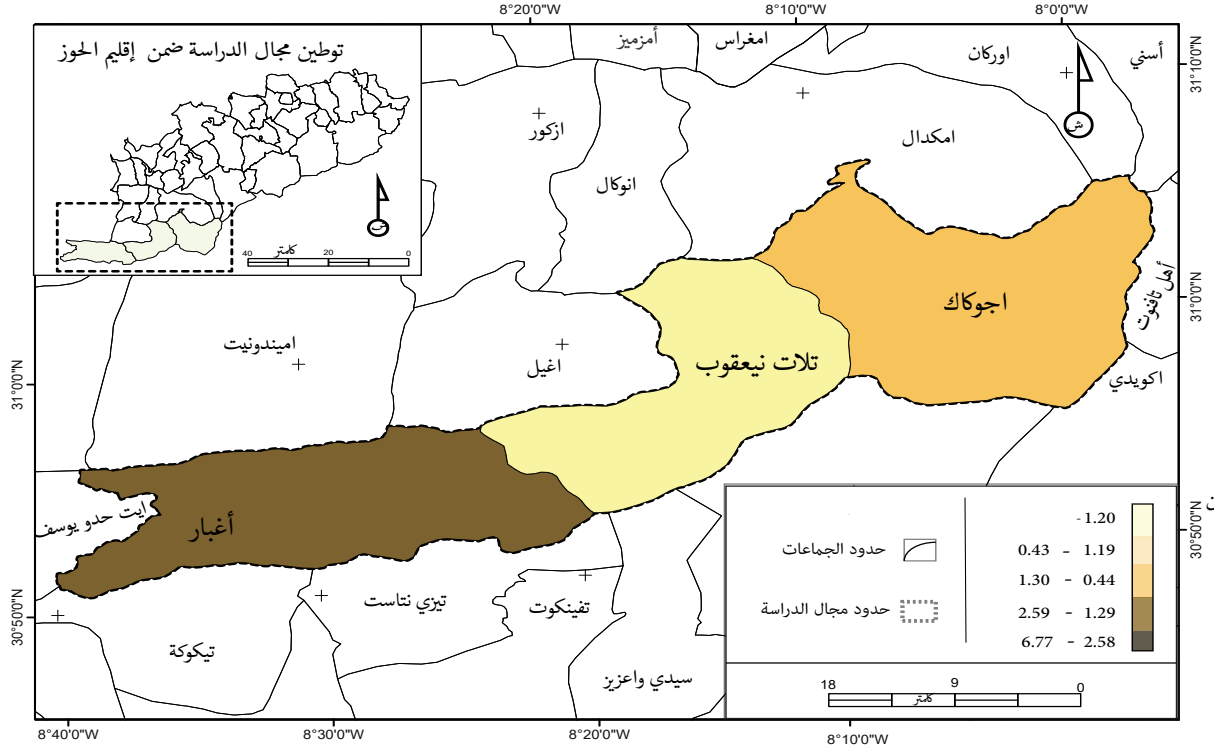
(90) R. Montagne, «Aghbag», op.cit., pp. 6-7

(91) R. Montagne, «Un magasin collectif de l'Anti-Atlas, l'Agadir de Ikounka», in: Hespéris, Tome IX, trimestre 2 et 3, 1929, (pp.145-163)، (الترابلية الثلاث التي نشغل عليها في هذا العمل تعرفا نمو ديمغرافيا متزايدا ومتباينا في نفس الوقت،

(92) التاساقي، رحلة الوافد، مصدر سابق، ص.11.

حيث يسجل أكبر عدد من السكان في الجماعة الترابية ثلاث نيعقوب والتي بلغ سكانها حسب الإحصاء الأخير 2014 ما مجموعه 7859 مقابل 5182 بالنسبة لجماعة اغبار ويعزى هذا الامر إلى كون ثلاث نيعقوب تستقطب نسبة مهمة من ساكنة المناطق المجاورة بالنظر الى ما تتوفر عليه من بنيات تحنية مهمة نسبيا بالمقارنة مع باقي الجماعات الترابية (ثانوية تنمل، دار للطالب، مركز البريد....)

الشكل رقم 2I: توزيع معدلات النمو بعالية حوض نفيس

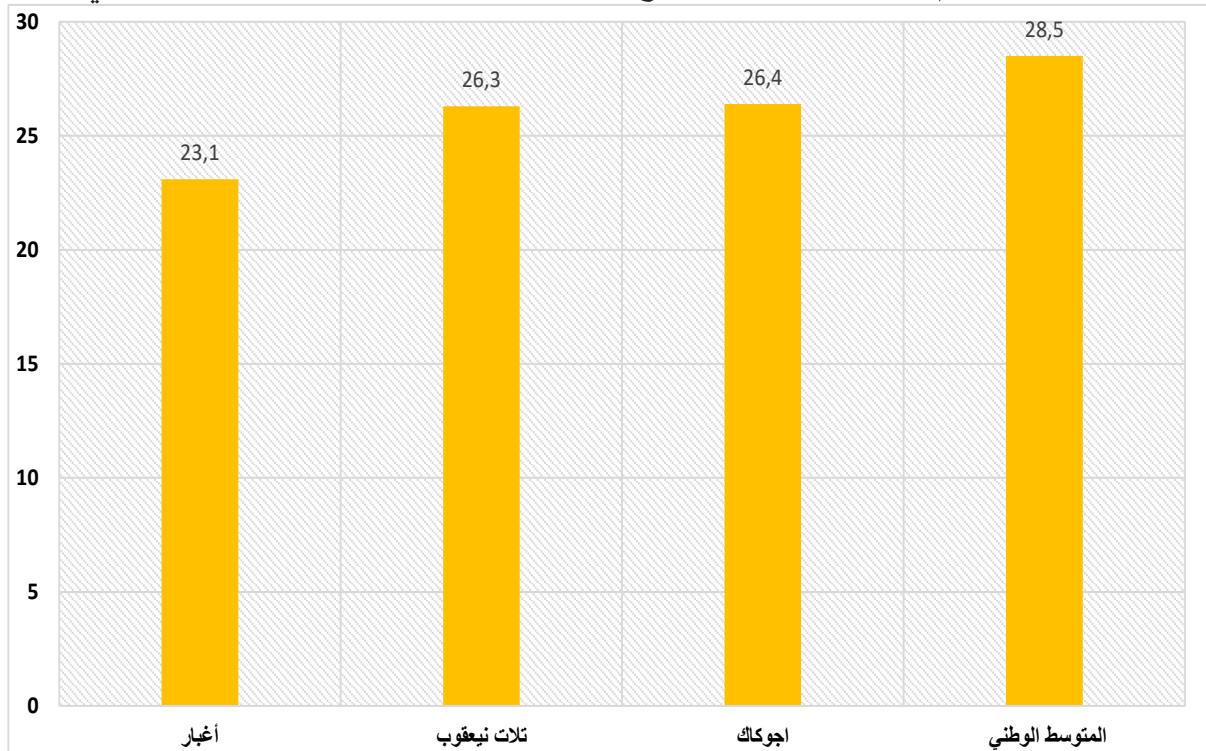


المصدر: الإحصاء العام لسكان والسكنى 2014-

على الرغم من التباين النسبي الملحوظ بين الجماعات الترابية قيد الدراسة من حيث النمو الديمغرافي، فإن المنطقة ككل عرفت نموا ديمغرافيا مهما تحكمه العديد من الخلفيات الاقتصادية والثقافية بالدرجة الأولى والتي تعكس الطابع القروي لمجال الدراسة والذي يتسم ببنية اجتماعية تقليدية قبلية تشجع على الانجاب بل وتعتبر الأبناء كمورد اجتماعي لضمان دخل اقتصادي متوازن للأسرة، بعبارة أخرى فإن العديد من الأسر بالمناطق الجبلية عموما تعتبر الأبناء بمثابة استثمار يتم الرهان عليه من أجل ضمان دخل إضافي لاسيما وأن المنطقة ذات هشاشة اجتماعية واقتصادية كما سنوضح ذلك في الفصول اللاحقة من هذا البحث. إذن كلها عوامل ساهمت في ارتفاع نسبة الخصوبة وبالتالي الحفاظ على وثيرة النمو المتزايد. لاسيما وأن المنطقة تتميز بانخفاض متوسط سن الزواج مقارنة بالمتوسط الوطني (الشكل 22) ففي الجماعة الترابية لاغبار» على سبيل المثال فإن سن الزواج هو 23.1 سنة مقابل 28.5 كمتوسط وطني وهذه الظاهرة ترتبط ارتباطا وثيقا بقيم المجتمعات القروية وعاداتها وتقاليدها التي تربط مكانة الرجل والمرأة بالزواج والانجاب.

إن ظاهرة الزواج المبكر التي تنتشر بشكل كبير في مجال الدراسة وإن كانت تعكس ضعف الوعي الاجتماعي وارتفاع نسب الأمية فإنها بالمقابل تساهم في تكريس وإعادة انتاج الهشاشة الاجتماعية على اعتبار هذه الظاهرة غالبا ما تنعكس سلبا على المجتمع ككل وخصوصا الشباب الذين يتوقفون عن استكمال دراستهم كما تعرقل وضعهم الاجتماعي والاقتصادي حيث يضطرون في غالب الأحيان الى الهجرة من أجل تحمل التكاليف الجديدة التي يفرضها تكوين الأسرة. أما بالنسبة للفتيات فإن هذه الظاهرة غالبا ما تخلف ندوب كبيرة على وضعها الصحي بالنظر الى حجم الضغوطات النفسية والفيسبولوجية التي تتعرض لها ف هذه المرحلة العمرية المبكرة

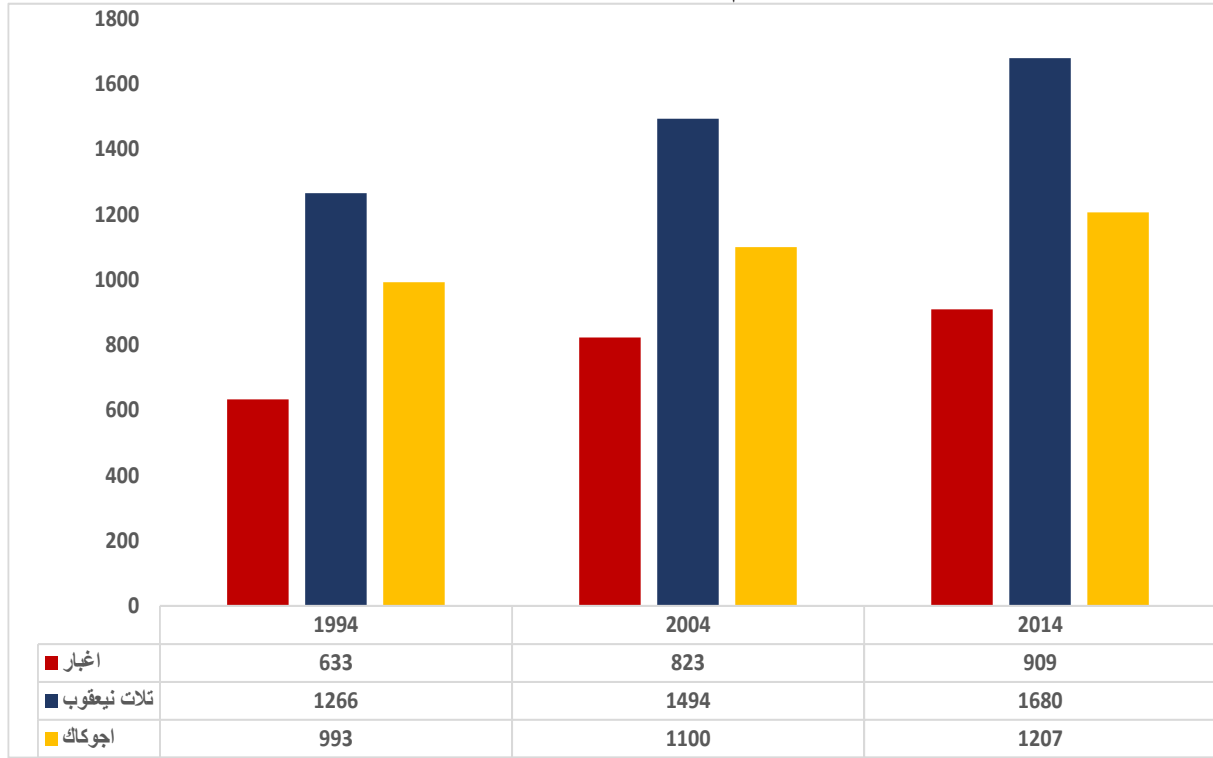
الشكل رقم 22: متوسط سن الزواج لعالية حوض نفيس مقارنة بالمتوسط الوطني



المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014

2.4. تتميز عالية حوض نفيس بارتفاع عدد الأسر الامر الذي ينعكس على المجال الغابوي

الشكل رقم 23: عدد الأسر لعالية حوض نفيس



المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014

أما بالنسبة لعدد الأسر فإننا نسجل ملاحظتين جوهريتين (الشكل 23):

① الملاحظة الأولى: عرف عدد الأسر لعالية حوض نفيس تزايدا مهما حيث انتقل على سبيل المثال من 1266 أسرة سنة 1994 إلى 1680 سنة 2014 بالنسبة لتلات نيفيس ونفس الشيء بالنسبة لباقي الجماعات الترابية وهو الأمر الذي من شأنه أن يؤثر سلبا على الوسط البيئي من خلال التوسع على حساب المجال الغابوي بهدف بناء المزيد من المساكن لهذه الأسر الجديدة التي تتزايد حاجياتها بحكم التحولات العميقة التي عرفت المناطق القروية عموما والجبالية خصوصا لاسيما في ظل ضعف التنمية المحلية وغياب مشاريع حقيقية يمكنها أن توفر دخلا مهما بالنسبة لهذه الأسر التي لا تجد امامها سوى الأرض فتعمل على استغلالها بشكل عشوائي غما عن طريق استصلاح أراضي جديّة أو توسيع القديمة منها أو بالرفع من حجم القطيع للمستوى الذي يتجاوز حمولة الطاقة الرعوية للمراعي وهذا الامر عايناه بشكل مباشر في العديد من الدواوير خاصة في اغبار كما هو الشأن بالنسبة لدوار «تتمرت»

② الملاحظة الثانية: تبرز معطيات (الجدول 8) أن عدد الأسر في تزايد مستمر وهو الامر الذي قد يجعل البعض يعتقد بان المجال لا يعرف نهائيا ظاهرة الهجرة القروية، لكن في الواقع فإن المنطقة

هي منطقة طاردة للسكان بامتياز ولاسيما فئة الشباب التي وجدت نفسها في مأزق كبير خاصة أمام ضيق الأفق وغياب بدائل حقيقية يمكن الاعتماد، صحيح ان غالبية الشباب الذين استقينا آرائهم خلال البحث الميداني تؤكد على ذلك الارتباط الوثيق الذي يجمعها بمجالها رغم الاكراهات والمشاكل التي يعاني منها سكان المنطقة إلا أنه يشكل جزء لا يتجزأ من هويتهم.

هكذا يتضح بأن الهجرة التي تعرفها المنطقة تعكس استفحال الازمة السوسيو بيئية، حيث ان تدهور الموارد الطبيعية وارتفاع معدلات الهشاشة والتهميش وكل مظاهر الإقصاء الاجتماعي التي جعلت مجال عالية نفيس يعاني من نقص حاد على مستوى التجهيزات الأساسية والبنيات التحتية والخدمات العمومية، كلها اذن عوامل ساهمت في هجرة هؤلاء الشباب لمجالهم والاتجاه نحو بعض المراكز الحضرية الناشئة كما هو الشأن بالنسبة تحناوت أو تارودانت، هذه المراكز الحضرية الجديدة التي وجدت نفسها هي الأخرى أمام ضغط كبير يستلزم ضرورة تأهيلها وتنميتها حتى يتسنى لها مواجهة مختلف الضغوطات التي تتعرض لها.

5. تمييز المؤشرات السوسيو اقتصادية بالهشاشة ويتحكم فيها نمط العيش السائد بالمنطقة

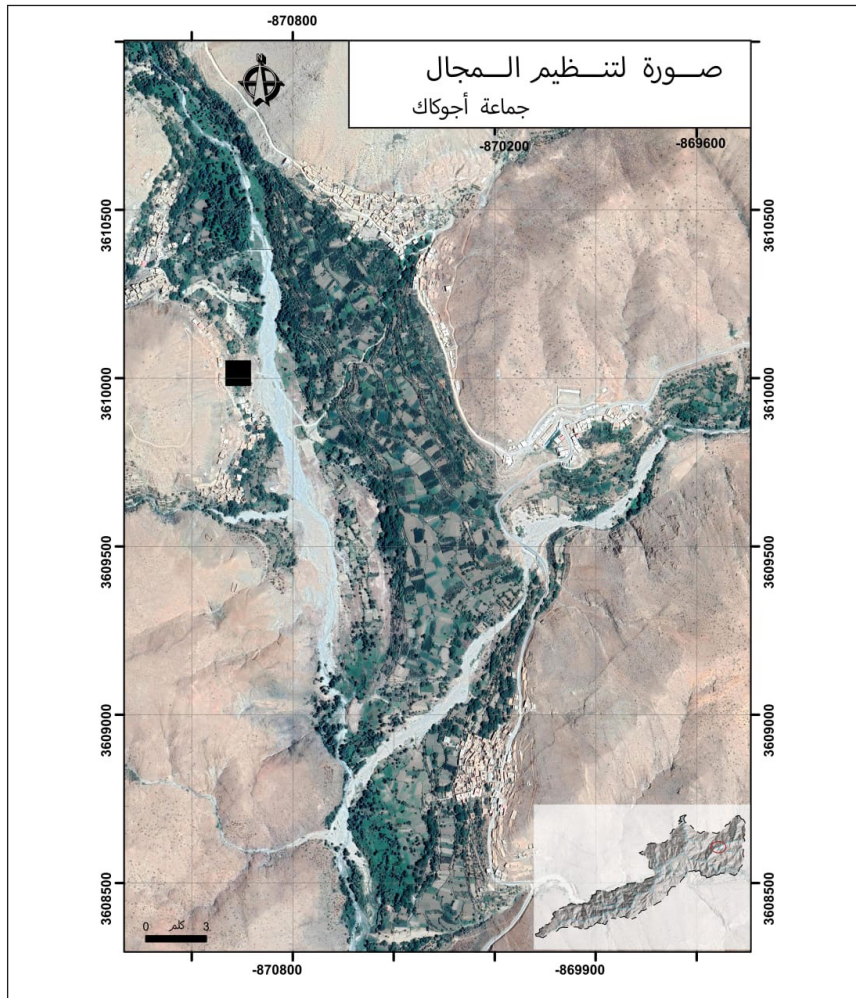
1.5. بنيات عقارية متباينة تطفئ عليها الحيازات المجهرية

يعد النظام العقاري للأرض بعالية نفيس على غرار النظام العقاري للأراضي بالمغرب ككل، نظاما معقدا؛ ذلك أن فهم التراتبية الاجتماعية والمشاكل التنموية وما ينتج عنها من اختلالات وإشكالات، رهين بفهم عميق للوضعية العقارية، فمن خلالها يمكن فهم وضعية الفلاحين بالمنطقة ووضعهم الاقتصادي الهش، إذ لا يمكن الحديث عن أية تنمية ناجحة بالمنطقة من دون العودة إلى تاريخ الملكية العقارية وتتبع مساراتها الممكنة أملا في الفهم والتفسير، خاصة وأن ملكية الأرض لم تكن عادلة في كثير من الأحيان، كما أن الأعطاب التنموية وفشلها مرتبط بتعدد النظام العقاري بالمناطق الجبلية خاصة وبالمغرب بصفة عامة. ولعل السؤال الموقر في هذا الصدد هو: من يملك الأرض بعالية نفيس؟ وهل يمكن الحديث عن التنمية بعالية نفيس في ظل بنية عقارية صغيرة ومحدودة؟

تبين دراسة البنيات العقارية بمجال الدراسة بأن حجم الأراضي الزراعية بالكاد يتجاوز الهكتارين كأقصى حد وذلك نظرا لمجموعة من العوامل المتمثلة أساسا في غلبة الطابع الجبلي على تضاريس المنطقة وبالتالي قلة الأراضي الصالحة للزراعة ومحدوديتها، حيث تنتشر بشكل خاص في قعور الأودية التي تخضع لتهيئة وإعداد دائمين. وهكذا نلاحظ من خلال الشكل 24 أن الأراضي التي تقل عن هكتار واحد تمثل 62% من الاستغلاليات، مقابل 24% بالنسبة للاستغلاليات التي تبلغ مساحتها هكتارا واحدا، في حين لا تمثل الاستغلاليات التي تتجاوز مساحتها الهكتار الواحد سوى 12%، وهو الأمر الذي يوضح

بشكل جلي مدى صغر الحيازات الزراعية بعلية نفيس؛ ففي أغبار على سبيل المثال، يبلغ عدد الحيازات الفلاحية 269 حيازة فلاحية موزعة على 21 دوار، و5182 نسمة، تتركز بالخصوص في الجهة الشرقية لغابة أغبار، في حين أن غربها المتمثل في هضبة تشكا يبقى خاليا من السكان ويعتبر مجالا رعويا بامتياز (Montagne R., 1927)، لكن أمام ندرة الأراضي الصالحة للزراعة في المنطقة، فإنه عادة ما يتم اللجوء إلى تعبئة الأراضي الجماعية وتقسيمها لفائدة السكان الذين لا يمتلكون الأرض، بهدف تمكينهم من مورد رزق، الشيء الذي أدى إلى نشوب العديد من الصراعات في المنطقة بسبب رغبة مجموعة من الأطراف في الاستفادة من هذه الأراضي التي تشكل قيمة مضافة بالنسبة للسكان المحلية التي تعيش في منطقة ذات ظروف طبيعة صعبة لا تساعد على تشكيل بنية اقتصادية محلية في ظل غياب أو محدودة الأرض (J.Berque, 1954).

الشكل رقم 24: صورة لحجم الحيازات بالجماعة الترابية أجوكاك

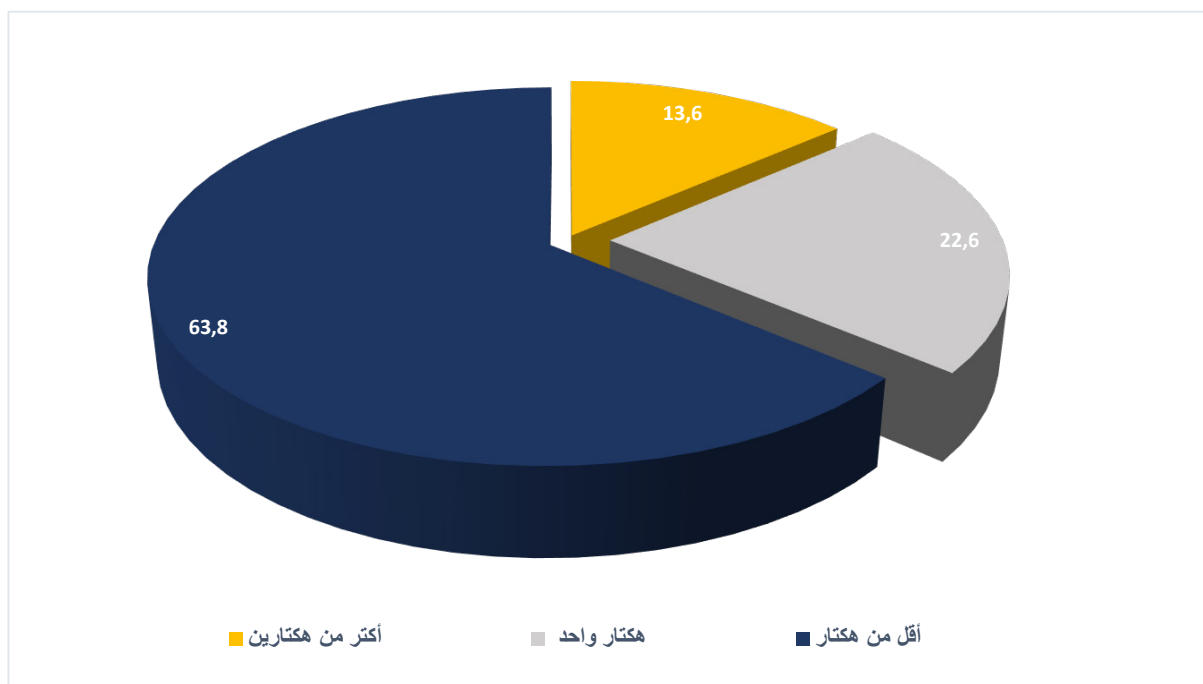


المصدر: استغلال مرئيات القمر الاصطناعي

تنظيم المجال وفي هذا الصدد نشير إلى أن كل عائلة تمتلك في المعدل 15 قطعة صغيرة (Montagne R., 1927)، ويتم استغلالها بشكل مكثف ودائم. غير أن ذلك لا

يساهم في تحقيق الاكتفاء الذاتي لأغلبية الأسر وذلك أنه في السنوات الأخيرة تراجعت نسبة الحيازات التي تمتلكها معظم الأسر بعالية نفيس، وذلك بسبب اضطراب عدد كبير منهم إلى بيع جزء من أراضيهم للوافدين الجدد على المجال ولاسيما في اجوكاك وتلات نيعقوب حيث توافدت البورجوازية الحضرية لمراكش وأكادير وتمكنت من شراء عدد كبير من الأراضي الفلاحية، الشيء الذي يبرز حجم الهشاشة الاقتصادية التي يعاني منها معظم السكان⁽⁹³⁾،

الشكل رقم 25: حجم الحيازات لعالية حوض نفيس



المصدر: البحث الميداني 2018-2020

مما لا شك فيه أن ملكية الأرض لعالية حوض نفيس جد صغيرة (الشكلين 25 و 26) حيث ان نسبة حجم الحيازات التي لا تقل مساحتها عن هكتار تمثل حوالي 64% من إجمالي الحيازات مقابل 13,6% بالنسبة لتلك التي تتجاوز مساحتها هكتارين وهو الأمر الذي يفسر ضعف مردودية النشاط الفلاحية بالمنطقة، حيث أنها بالكاد توفر للسكان المحلية بعضا من حاجياتهم اليومية، إلا أنها مع ذلك تطرح مجموعة من الإكراهات، بالنسبة للملاكين الصغار الذين يتحملون تكاليف إضافية من أجل العناية بهذه الأراضي التي تتجاوز قيمتها المعنوية والرمزية عند السكان قيمتها المادية⁽⁹⁴⁾ على اعتبار أن

(93) خاصة إذا ما ربطنا الأمر بما تمثله أرض الأجداد للفلاح المغربي عموما والأمازيغي على وجه الخصوص. فأن تباع أرضك للآخر الغريب والأجنبي إنما هو أكبر دليل على حجم الحاجة والفقر في المنطقة. التخلي عن الأرض وبيعها هو شكل من أشكال التفریط في الهوية والموروث بل وتنازل عن الرجولة في الموروث الشعبي وفي الذاكرة الثقافية بالمنطقة، وهو كذلك مظهر من مظاهر الصراع بين الأجيال، جيل الأجداد والآباء الذي قد يعيش على المعنوي، وجيل الأبناء المرتبط بالمنتديات أولا وقبل كل شيء.

(94) بعض الفلاحين في أغبار أكدوا لنا خلال البحث الميداني أن امتلاك الأرض وعدم التفریط فيها رغم الحاجة، يعد إنجازا وأن الشخص هو من يحافظ على تراث أجداده ولا يفرط فيه رغم صعوبة العيش في المنطقة بسبب قلة الدخل وتعاقب سنوات الجفاف، لكن شباب اليوم، يؤكد أحمد، لم يعودوا مهتمون بالأرض، بل يفضلون الهجرة نحو المدن الكبرى من أجل بناء مستقبل آخر بعيدا عن الدوار والأرض، الشيء الذي يحز في النفس.

مردوديتها جد ضعيفة، الشيء الذي يفسر محدودية الدخل الفردي لمعظم الفلاحين الذي يعتمدون من جهة على أبنائهم المهاجرين نحو المدن الكبرى، وعلى الغابة من جهة أخرى من أجل مقاومة ضنك العيش وصعوبة مسايرة النمط الاستهلاكي الذي أضحت المناطق الجبلية تعرفه بدورها في إطار التحولات العميقة التي تشهدها.

وبشكل عام، يعرف توزيع الأرض تفاوتاً واضحاً بين مختلف الفئات الاجتماعية بعلية نفيس، الأمر الذي أفرز بنيات سوسيو اقتصادية، تختلف أنظمة علاقاتها بالحيز الجغرافي وبالمشهد الزراعي (حسن ضايض، 2016)، وبعبير آخر، فقد أدى التوزيع غير المتساوي للأرض - التي تعتبر الهدف الرئيسي لكل الأسر - إلى بروز مجتمع ريفي غير متجانس، يتحكم فيه عامل التملك. ففي قمة الهرم، يستأثر الملاكون الكبار-الذين ينتمون في الغالب إلى العائلات النافذة في المنطقة أو الأعيان (أمغار، الشيوخ، برلمانيون...) - والذين يتحوزون على رأسمال عقاري مهم بالمقارنة مع باقي الملاكين الصغار الذين يستغلون ملكيات عائلية من أجل الاستهلاك الذاتي. وفي أسفل الهرم نجد الفلاحين (العمال الفلاحيون إن صح التعبير) الذين لا يملكون أي أرض بل يشتغلون فقط كـ«خماسة» عند الملاكين الكبار، الأمر الذي يساهم في تكريس واقع الهشاشة.

2.5. يعتبر عالية نفيس مجال رعي وصراع بامتياز حول الموارد:

تتميز المنطقة بأهمية النشاط الرعوي في اقتصادها المحلي، حيث يعتبر بمثابة المصدر الأول للدخل لدى أغلبية السكان⁽⁹⁵⁾، لاسيما في ظل انتشار قطاع زراعي تقليدي لا يلبي الحاجيات الأساسية للسكان. وبحكم ارتباط النشاط الرعوي بالنشاط الزراعي وارتباطهما معا باستغلال المجال الغابوي، فإنه يترتب عن ذلك تداخل بين الأعمال الزراعية بالنظر إلى تملك الأرض وما تقدمه من محاصيل، إلى جانب قطاع مهم من المواشي والذي يتكون في معظمه من الماعز بالدرجة الأولى، قبل أن يتراجع هذا الأخير لفائدة الأغنام والأبقار التي عرف عددها تزايداً ملحوظاً مما أدى إلى الضغط على المراعي المكشوفة و الغابوية رغم وجود القوانين العرفية والمكتوبة المرتبطة بتنظيم النشاط الرعوي سواء بالغابة أو بالمراعي الجماعية (Bourbouz, 1995)، الأمر الذي أدى إلى ظهور بعض الكسابين الذين ينتمون في الغالب إلى سوس بحكم الجاذبية التي تشكلها المراعي الواسعة بالمنطقة مما يزيد من تقاوم الضغط على المجال الغابوي لحوض نفيس.

رغم أهمية النشاط الرعوي بالمنطقة إلا أنه يمكن الجزم بأنه مع ذلك لا يحقق دخلاً مهما بالنسبة للسكان المحليين الذين يعانون من ضعف إمكانياتهم المادية وبالتالي عدم قدرتهم على الاستثمار بشكل

(95) للمزيد من التفاصيل انظر الفصل الخاص بمظاهر الهشاشة الاقتصادية لعالية حوض نفيس

كبير في هذا النشاط الذي يبقى محتكرا من طرف فئات معينة ذات إمكانيات كبيرة، وهو ما يزيد من تفاقم الهشاشة الاقتصادية بالمنطقة ويكشف بما لا يدع مجالا للشك ضرورة الالتفات إلى هذه المناطق التي أصبحت طاردة للسكان بامتياز والذين لم تعد مقومات الاستقرار في مجال طبيعي هش تغريهم، بل إن فئات عريضة من السكان المحليين تفضل الهجرة نحو المدن الكبرى بغية تحسين ظروفها المعيشية، الشيء الذي يدعو إلى القلق لأن هذه الهجرة تساهم وبشكل كبير في خلخلة البنى الاجتماعية التي ميزت هذه المجالات طيلة الفترات التاريخية السابقة حيث كان مجال نفيس مجال استقطاب للسكان، لكن وفي العقود الأخيرة أصبح مجالا ينتج ويكرس الهشاشة على كافة المستويات. وحسب استقراء للرأي لدى بعض السكان بمنطقة البحث، اتضح أن قلة الأراضي الزراعية ومحدودية تدخلات الدولة في التنمية، إلى جانب تراجع الطاقة الإنتاجية للمراعي لدى الفلاحين الذين لا يتوفر معظمهم سوى على ملكيات مجهية غير قادرة على توفير كل الحاجيات، هي السبب الأول وراء ارتفاع حدة الهجرة القروية من جهة، والتوسع على حساب الغابة عن طريق الاجتثاث من جهة أخرى لتلبية الحاجيات والطلب المتزايد على الموارد. لاسيما خلال الفترات التي تتميز بندرة التساقطات.

تجدر الإشارة كذلك إلى أنه وبالرغم من تأكيدنا على أن الرعي يشكل أحد الركائز الأساسية بالنسبة للاقتصاد المحلي، فإنه مع ذلك عرف تراجعا ملحوظا خلال السنوات الأخيرة. وذلك لعدة أسباب وفي مقدمتها: تعاقب سنوات الجفاف، إلى جانب تراجع التضامن بين أفراد القبيلة، حيث لم يعد الشباب يرغبون في مزاوله النشاط الرعوي، بل بات يفضل الهجرة نحو المدن الكبرى كمراكش وأكادير على أن يمارس النشاط الرعوي، وأخيرا تقلص وتراجع المجالات الرعوية التي كان يقصدها الرعاة بسبب انتقال مسألة تدبير الغابة من الساكنة المحلية عبر القبيلة إلى التدبير من طرف إدارة المياه والغابات.

لاشك أن خصوبة المنطقة وغناها بالموارد الطبيعية وفي مقدمتها المجال الغابوي إلى جانب كونها بمثابة مجال عبور بالنسبة للقبائل المستوطنة للضفة الجنوبية في سوس جعلها تعرف عبر تاريخها الممتد العديد من الصراعات حول الموارد، وما يؤكد طرحنا وثيقة مراسلة بين القبائل تؤكد وتؤرخ لحدوث تحرك قبلي سوسي نحو مجال نفيس؛ وهي عبارة عن دعوة لصد تحرك قبائل سوس المتحركة والمتنقلة بالمجال، نهاية القرن 19 م.

وتوضح الوثيقة أن قبائل نفيس قد قامت بطلب تدخل القائد المحلي الكندافي من أجل الحد من هذا الزحف حتى لا يكون له وقع على ممتلكاتهم⁽⁹⁶⁾. وهو ما يدل على أن الحضور المخزني في هذه

(96) وثيقة رقم 20: تحركات قبائل سوس نحو نفيس. ينظر: رشيد شحبي، الهجرة والتهجير والتحركات القبلية في الجنوب المغربي من بداية القرن 16 م. إلى بداية القرن 20 م، بحث دكتوراه، جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، موسم 2020-2021، الملحق.

الفترة نهاية القرن 19 م. كان قويا بالمجال، مما جعله طرفا قويا في حل النزاعات، ومتحكما في الهجرات القادمة إليه.

3.5. عرف نمط عيش القبائل لعالية حوض نفيس تحولات عديدة:

أدى حصار جبال الأطلس الكبير الغربي والأوسط ما بين القرنين 13م. و16م. بسبب ضغوطات بني معقل من الجنوب، ثم تحركات القبائل الجنوبية بالسهول، إلى تغيير نمط إنتاج القبائل الأطلنتية وأصبحت ذات نمط استقرار، فكيف حدث ذلك؟

أورد التوفيق أن من أسباب تقلص اتحادية هسكورة ليس فقط نمط عيشهم الذي مال إلى الاستقرار وإلى الزراعة أكثر من الترحال، وإنما بسبب انحسارهم في السهول الشمالية والجنوبية لظهور مجموعات أخرى معقلية وهلالية تملك السهول⁽⁹⁷⁾؛ أي حصار القبائل العربية للمناطق الأطلسية.

وقد عرف الجبل الأطلسي، الشرقي والغربي والأوسط، منذ اختفاء الموحيدين؛ خاصة مع ظهور المعقلين بالسهول الجنوبية من واد ملوية إلى المحيط غربا، انحصارا زاد من حدة الانحصار السابق من طرف قبائل بني هلال للسهول الشمالية زمن الموحيدين، وزاد من ذلك حصار بني مرين لقبائل الجبال المتمردة والقوية كسكساوة⁽⁹⁸⁾، وباقي قبائل الأطلس.

ومع هذا الحصار، تغير نمط عيش هذه القبائل؛ سواء تلك التي عرفت بالترحال الكبير كهسكورة، أو التي تميزت بالترحال الصغير أو الانتجاع في السهول كسكساوة التي كانت تمتلك الجبل والسهل من خلال نمط إنتاج رعوي ورحلي مابين رحلتي الشتاء والصيف؛ إذ كانت تنزل القبائل بمواشيها إلى السهل شتاء وتصد بها إلى الجبل صيفا، وتحصد الزرع في السهل لتخزنه في الجبل لتبقى آمنة. وحتى تلك التي مازالت تملك الأراضي والمراعي بالسهول؛ كمزوضة ومسفيوة، فقد تقلص مجالهما بالسهل نتيجة هجومات القبائل المعقلية كمجاط على الأولى، والرحامنة على الثانية.

وبسبب الهجرات القوية التي وقعت بالسهول فقدت بعض القبائل الأمازيغية سهولها «أزغار»، وعرفت تغيرا في نمط عيشها بعد أن تقلص مجالها وتوقععت في جبالها؛ حيث اضطرت أن توازي نمطها الإنتاجي والمعيشي بالمجال الجبلي وظهر الانتجاع القريب وهو «العزيب» في أعالي الجبال فقط، في البحيرات الجبلية و«إكدلان»؛ أي المراعي الجبلية كمرعى «تيشكا» بسكساوة بأعلى نفيس، ومرعى «ياكور» بمسفيوة، ومرعى «أوكيمن» بأوريكا، وغيرها.

(97) أحمد التوفيق، المجتمع المغربي، م.س.، ص.ص. 74 - 78، بتصرف.

(98) Jacques Berque, Structures sociales, op.cit, p.383

وبالرغم من أن جبال الأطلس الغربي، عرفت الزراعة منذ القديم إلا أنها شهدت فترات فتور؛ بسبب الجفاف والحروب، ومنها فقدان السهول الخصبة؛ لأن كل القبائل الأطلسية كانت منضوية في اتحاديات كبرى كـ «آيت واوذكيت» التي كانت تنتجع السهول الشمالية وحتى الجنوبية شتاء والمراعي الجبلية صيفا⁽⁹⁹⁾، وانتشرت كنفيسة من سهول الجنوب إلى الشمال⁽¹⁰⁰⁾ وكذلك هسكورة مابين المحيط إلى الجنوب الشرقي، ومع حلول الأعراب بالسهول منذ القرن 13 م.

تغير الحال وتغير نمط العيش، فظهرت قبائل صغيرة تحترف الزراعة وتربية الماشية بأعداد قليلة بعد أن تحولت أغلبية تلك القبائل الكبرى من الترحال إلى الاعتماد على الزراعة، وارتكزت جهودها على استغلال المجال وتكثيف تقنيات جلب الماء وتوزيعه، وذلك من خلال «تحسين وسائل الري وزراعة الحقول»⁽¹⁰¹⁾.

(99) علي صدقي أزيكو، «لمحة عن ماضي كونفيدرالية آيت واوذكيت»، م.س.، ص.ص. 173-174.

(100) نفسه.

(101) أحمد التوفيق، المجتمع المغربي، م.س.، ص.75.

لقد حاولنا من خلال هذا الباب الإحاطة بمختلف الخصوصيات البيئية للمنطقة المدروسة، وذلك بعد التقديم النظري والمفاهيمي الذي نعتبره مدخلا أساسيا لتأطير الموضوع والإحاطة بمختلف الجوانب المؤطرة له. عن المطلع على هذا الجزء الأول من هذه الدراسة سيخرج بخلاصة مفادها بأن المجال المدروس هو مجال عطوب وهش طبيعيا وهو ما تؤكدته مختلف فصول الباب الأول التي حاولنا من خلالها التركيز على المعطيات الطبيعية بهدف إبراز ذلك الترابط القوي بين عناصر معطيات الوسط الطبيعي لعالية حوض نفيس بظاهرة تراجع وتدهور المجال الغابوي.

إن المعطيات الطبيعية التي استخلصناها طيلة فصول هذا الباب جعلتنا نقف على حقيقة مفادها : بأن الوسط الطبيعي في عالية الحوض تحتضن كل العوامل التي من شأنها أن تسمح لما بالحديث عن « عزلة » طبيعية قد ترقى إلى مستوى « الهشاشة » الطبيعية ، مما يسمح بطرح فرضية علاقة هشاشة الوسط الطبيعي المتمثل في: «التضاريس- المناخ - الجيولوجيا...» أو ما اصطلحنا عليه « الخصوصيات البيئية » بتدهور المجال الغابوي بمجال عالية نفيس.

إن وسطا طبيعيا بخصوصيات مرفولوجية يغلب عليها طابع التضرس، وبنية جيولوجية معقدة، ومتناقضة من حيث الصخارة والتكوين ومهدد بمختلف المخاطر الطبيعية (الجفاف، انجراف التربة، عوامل الجمد...)، لا يمكن إلا أن يكون وسطا محتضنا لمختلف العناصر التي من شأنها أن تزيد من عزلة المنطقة طبيعيا ومن تدهورها وهشاشتها بيئيا . بما من شأنه أن يؤدي إلى تسريع وثيرة التدهور نتيجة أي عامل آخر خارجي غير واعي بهذه الوضعية الهشة بالمجال المدروس سواء كان المتدخل هم الساكنة المحلية التي تعتبر هذا الوسط بيئية طبيعية وامتداد لمجالهم الطبيعي للعيش والسكن . أو هو للدولة التي تعتبر وصية على تدبير مختلف المجالات ومن ضمنها المجال الغابوي بصفة خاصة والمجالات الجبلية عامة. فإلى أي حد تتداخل العوامل الطبيعية والبشرية في الإجابة عن الإشكالية الأساسية لهذا البحث؟

الباب الثاني: مظاهر الهشاشة الاجتماعية لعالية حوض نفيس ودورها في تدهور المجال الغابوي

مقدمة:

إن ميزة العمل الذي نتوخى القيام به في هذا الباب تكمن في محاولة الربط بين مختلف مظاهر الهشاشة الطبيعية التي شخصناها سابقا بمنطقة عالية حوض نفيس، وبين ما هو اجتماعي يرتبط بحياة السكان في هذا المجال الذي وصفناه بالهش والمهمش والمعزول. بمعنى مدى صحة الترابطات القائمة بين واقع الهشاشة التي يعرفها المجال الطبيعي والهشاشة الاجتماعية التي يعيشها السكان وانعكاسات ذلك على المجال الغابوي

ولعل من بين القطاعات التي قد تعطي لنا تصورا قريبا من الواقع بخصوص حياة الساكنة المحلية، تلك القطاعات الاجتماعية المتمثلة في الصحة والتعليم والسكن والدخل... وهي المداخل الكبرى التي من شأن تحليلها والوقوف عند خصوصياتها أن يجعلنا على دراية بحجم التأخر الذي تعيشه المنطقة اجتماعيا وتنمويا. وهو الأمر الذي يسمح لنا كذلك بطرح سؤال العلاقة بين العطب الاجتماعي والتنموي والعطب الطبيعي؟ وهو سؤال مشروع بحكم الرؤية التي تحكمننا في هذا البحث، وهي رؤية تركيبية لمشكلة الهشاشة.

إن المجالات الجبلية ظلت لمدة طويلة مستثناة من مخططات التنمية الاقتصادية والاجتماعية مما جعلها تراكم سنوات من التأخر والتهميش والاقصاء نجزم يقينا بأن له علاقة بالوضعية الهشة التي تعرفها الموارد الطبيعية بالمنطقة. الأمر الذي يدفع بالساكنة المحلية إلى استغلال المجال الغابوي بشكل غير عقلاني مما يفسر حجم التدهور الذي يعرفه هذا المجال لاسيما في العقود الأخيرة حيث وثيرة الاستغلال عرفت تطورا ملحوظا بالنظر إلى مجموعة من العوامل المتمثلة أساسا في استمرار سياسة تهميش العالم القروي في مختلف برامج التنمية التي كانت موجهة أساسا إلى المجال الحضري وهو ما أفرز تباينا واضحا بين هذين المجالين مما انعكس سلبا على مستوى التنمية البشرية بهذه المجالات الجبلية التي سجلت ولازالت تسجل أعلى معدلات الهشاشة الاجتماعية. فإلى حد يصح هذا التحليل وهذا الاستنتاج؟

الفصل الأول: مظاهر هشاشة مؤشرات التمدرس بعالية حوض نفيس ودورها في تدهور المجال الغابوي

مقدمة:

أحرز المغرب، خلال العقدين الماضيين من القرن الواحد والعشرين، تقدما كبيرا على مستوى الأوراش الاقتصادية الكبرى للبلاد، وفي المجال السياسي ومجال الحقوق والحريات. وقد تعزز هذا التقدم بدستور 2011، الذي شكل نقطة تحول حاسمة في التاريخ السياسي للمغرب، حيث نص هذا الدستور على عقد اجتماعي جديد، وجاء بفكرة حكمة جديدة، وحث على الجهوية المتقدمة، وعلى توزيع جديد للسلط، وتكريس حقوق الإنسان.

غير أن هذا الزخم لم يترجم بما فيه الكفاية على مستوى الرفاهية الاجتماعية لغالبية المواطنين. وفي هذا الصدد، دعا الخطاب الملكي لـ 13 أكتوبر 2017 إلى إعادة النظر في نموذجنا التنموي، من أجل بناء نموذج أكثر شمولاً وإدماجاً وعدلاً، وقادراً على إعادة خلق الرابط الاجتماعي الملازم لكل مجتمع عادل. وكما تشهد على ذلك التقارير الوطنية والدولية، فإن أوجه العجز الواضحة في مجال التنمية البشرية تولد حلقات مفرغة تتجلى في اقتصاد غير قادر على تحقيق تنمية كافية ومستدامة، وفي نقص في التربية والرأس المال البشري، مما يعيق الاقتصاد ويعرقل التنمية وإنتاج الخيرات وخلق مناصب الشغل، ويمس كرامة غالبية المواطنين ورفاهيته.

بعد مرور أكثر من خمس سنوات على صياغة الرؤية الاستراتيجية 2030-2015، لا يزال تطبيقها الفعلي يعرف بعض التردد. ويعد البطء الإداري والعجز المتراكم الذي واجه الإصلاحات المتراكمة، من جملة العوامل التي كبحت بدء عملية التغيير. وهذا يعني أن أزمة التربية هي أزمة بنيوية وأخلاقية، لأنها تهدد مستقبل الأجيال الناشئة ومصير البلاد، وتشكل تحدياً للأمة. وتتجلى هذه الأزمة في الهدر المدرسي الذي تعانيه المنظومة التربوية بصفة عامة ولاسيما في المناطق الجبلية.

باعتبار عالية حوض نفيس نموذجاً للمناطق الجبلية المغربية التي تعاني من ضعف مختلف مؤشرات التعليم والاستثمار في الموارد البشرية بصفة عامة، حيث الولوج للتعليم والاستفادة منه لازالت تعوقه العديد من الاكراهات. مما يبرز عمق وحجم التحديات التي تعاني منها هذه المناطق التي تعيش، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، هشاشة طبيعية تؤثر لا محالة على كل المجهودات التي تبذلها الجهات الوصية لتحقيق تنمية مستدامة تلبي حاجيات فئات عريضة من ساكنة هذه المناطق الجبلية.

فما مظاهر هشاشة قطاع التعليم لعالية حوض نفيس؟ وما طبيعة البنيات التحتية التي تتوفر عليها عالية حوض نفيس في مجال التعليم؟ وإلى أي حد يلبي قطاع التعليم بمجال الدراسة تطلعات الساكنة المحلية؟

1. تعتبر الهشاشة السمة الرئيسية التي تطبع مختلف مؤشرات التمدرس بعالية حوض نفيس

مما لاشك فيه أن الفشل في التعليم يرتبط ارتباطا وثيقا وقويا بعملية الهشاشة الاجتماعية (102)، بل إن هناك مجموعة من الشواهد التي توصلنا إليها عبر البحث الميداني والتي تؤكد بما لا يدع مجالا للشك على أن الهشاشة الاجتماعية إذا ما اقترنت بالهشاشة الطبيعية (103) التي ترزخ تحتها ساكنة عالية حوض نفيس، تؤثر بما لا يدع مجالا للشك على المستوى التعليمي للمتعلمين والمتعلمات بالمنطقة وذلك من خلال عدة مؤشرات سنحاول تسليط الضوء عليها خلال هذا المحور الذي يروم إبراز مظاهر الهشاشة الاجتماعية في مجال التربية والتعليم رغم أن الجهود التي بذلتها الدولة في إطار تعميم التمدرس ومحاولة تحقيق نوع من العدالة المجالية على مستوى توزيع المؤسسات التعليمية ومنح العالم القروي إمكانيات الولوج والاستفادة من التعليم باعتباره حقا دستوريا إلا أن الأرقام المسجلة بمنطقة الدراسة تطرح أكثر من علامة استفهام حول جدوى مختلف هذه البرامج التي تظل نتائجها محدودة حسب المعطيات الإحصائية التي توصلنا إليها سواء عبر البحث الميداني أو تلك المتحصل عليها من طرف المديرية الإقليمية للتربية والتعليم بالحوز.

1.1. تعاني منطقة عالية حوض نفيس من ضعف البنيات التحتية في قطاع التعليم:

يمثل تعميم التمدرس أحد الأهداف الرئيسية التي يسعى إليها المغرب بهدف الدفع بقاطرة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولعل تنصيب الدستور المغربي لسنة 2011 على حق التعليم لكل المواطنين والمواطنات واعتماد الرؤية الاستراتيجية (104) والقانون الإطار (105) يدخلان في هذا السياق، لكن رغم كل المجهودات المبذولة لتعميمه وتشجيعه لاسيما في الوسط القروي، بهدف التصدي لظاهرة الهدر المدرسي وتحسين جودة الخدمات التعليمية في أفق تحقيق مدرسة الجودة والإنصاف التي تسعى الرؤية الاستراتيجية

(102) للمزيد من المعلومات في هذا المجال يمكن الرجوع إلى كتابات هوبكرافت في مؤلفه حول الاستبعاد الاجتماعي الباب الخامس، حيث ابرز بشكل واضح العلاقة الوثيقة بين الهشاشة الاجتماعية وبين الفشل في التعليم

(103) تعاني منطقة عالية حوض نفيس من عزلة هشاشة طبيعية تتجلى أساسا في تعاقب سنوات الجفاف وغلبة الطابع الجبلي عليها إلى جانب تدهور التربة وانتشار التعرية بهذا المجال الذي يعاني من عدة أعطاب، الأمر الذي يساهم في تكريس واقع الهشاشة الاجتماعية.

(104) إدراكا لأهمية تموقع المدرسة اليوم في صلب المشروع المجتمعي لبلادنا، اعتبارا للأدوار التي عليها النهوض بها في تكوين مواطنات ومواطني الغد وفي تحقيق أهداف التنمية البشرية والمستدامة، وضمان الحق في التربية للجميع؛ بادر المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي لبلورة رؤية استراتيجية جديدة للإصلاح التربوي (الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015-2030)، يكمن جوهرها في إرساء مدرسة جديدة قوامها الإنصاف وتكافؤ الفرص، الجودة للجميع والارتقاء بالفرد والمجتمع.

(105) هو القانون الذي تم إصداره استنادا إلى الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015-2030 ويهدف إلى إرساء مدرسة جديدة مفتوحة أمام الجميع، تتوخى تأهيل الرأسمال البشري، مستندة إلى ركيزتي المساواة وتكافؤ الفرص من جهة، والجودة للجميع من جهة ثانية، بغية تحقيق الهدف الأعلى المتمثل في الارتقاء بالفرد وتقدم المجتمع. وقد صدر هذا القانون الإطار الذي يحمل رقم 51.17 في الجريدة الرسمية.

لكسب رهانها، إلا أن العديد من المعوقات والإكراهات تحول دون تحقيق كل هذه الرهانات والأهداف. ولعل ضعف البنى التحتية يعتبر من أبرز التحديات والإكراهات التي تعيق قطاع التعليم بعالية نفيس سواء ما يتعلق بالمؤسسات التعليمية أو ما يتعلق بالموارد البشرية، الأمر الذي ينعكس بشكل سلبي على مستوى التعلّيمات لدى تلاميذ (ة) المنطقة الذين يعانون من عدة مشاكل.

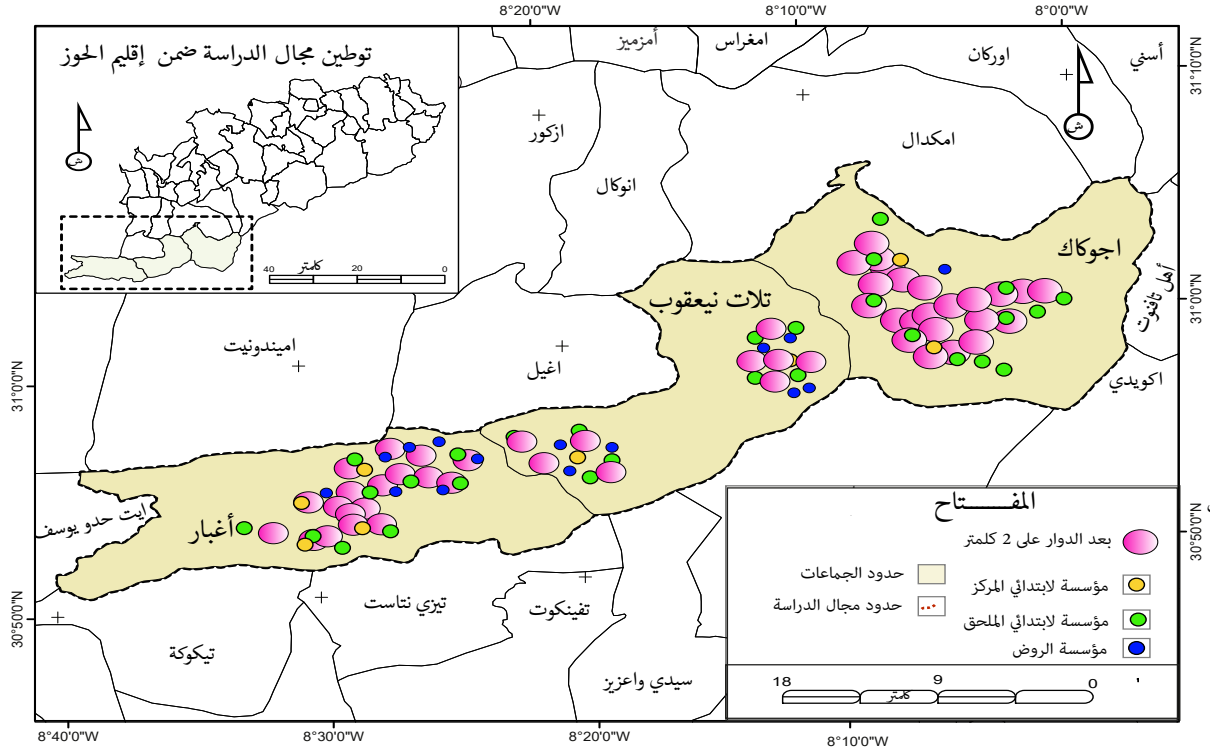
2.1. يشكل ضعف المرافق التعليمية أبرز مظاهر ضعف مؤشرات التمدرس بعالية نفيس

يتسم عالية حوض نفيس بشكل خاص، وحوض نفيس بصفة عامة بكونه يعاني من مختلف مظاهر الهشاشة الاجتماعية على مستوى مختلف المؤشرات الخاصة بالتمدرس، هذه الأخيرة التي تتجلى ملامحها بشكل خاص في مجال الخدمات التعليمية، حيث تعتبر المنطقة من بين المناطق الجبلية التي تعاني وبشكل كبير من خصائص مهمول على مستوى المرافق التعليمية (الشكل 26) حيث يتضح من خلال الخريطة، حجم الخصائص المهمول الذي تعاني منه المنطقة فيما يتعلق بالبنى التحتية المرتبطة بالمؤسسات التعليمية التي تسجل عجزا كبيرا على مستوى مؤسسات التعليم الثانوي بشقيه الإعدادي والتأهيلي الذي يقتصر فقط على الجماعة الترابية ثلاث نيعقوب، في حين تعاني باقي الجماعات من غياب شبه تام لهذا النوع من المؤسسات التعليمية باستثناء مجموعة من المؤسسات الخاصة بالتعليم الابتدائي، وهو ما يبرر حجم الهدر المدرسي الذي تعاني منه عالية حوض نفيس مقارنة بباقي المجالات التي يتشكل منها مجال الحوز.

وفي هذا السياق لابد من الإشارة كذلك إلى أن المنطقة تعاني من ضعف كبير على مستوى الولوج للتعليم الأولي الذي يشكل نقطة ضعف كبيرة ليس فقط في مجال الدراسة، وإنما على الصعيد الوطني⁽¹⁰⁶⁾، حيث لازالت الجهود التي تبذلها الجهات الوصية على القطاع جد محدودة رغم أنها في السنوات الأخيرة عملت على تعميم التعليم الأولي، لكن لسوء حظ مجال الدراسة، لم ينل حظه من هذا الاهتمام، وهو الأمر الذي من شأنه أن يرهن مستقبل التعليم للأجيال القادمة بعالية نفيس التي تعاني حاليا من ارتفاع معدلات الهدر المدرسي وما يرتبط بذلك من اختلالات عميقة على مستوى التنمية البشرية.

(106) لقد شغل الحديث عن التعليم الأولي حيزا كبيرا في الخطاب الرسمي منذ صدور الميثاق الوطني للتربية والتكوين، إذ خصص هذا النوع من التعليم بست مواد هي المواد 24/ 171/ 64/ 62/ 60. ومنذ ذلك الوقت أعلنت مشاريع ومواعيد لتحقيق أهداف الميثاق وعلى رأسها تعميم التعليم الأولي وتطويره، وكانت الوزارة قد حددت سنة 2004 لتحقيق هذا التعميم دون أن يتجسد ذلك على أرض الواقع، ومع كل سنة يتم تأجيل موعد التعميم إلى أن جاء البرنامج الاستعجالي الذي كان من بين أهدافه استدراك التقصير الحاصل على مستوى المنظومة التربوية ككل وتسريع وتيرة إنجاز المشاريع المتعثرة. وقد خصص التعليم الأولي بالمشروع رقم 1 الذي ركز على رفع شعار التطوير عبر اقتراح تدابير تهم التأهيل والتكوين والإحداث دون أن تبلغ المؤشرات المرصودة الأهداف المسطرة إلى يومنا هذا.

الشكل رقم 26: أهم مرافق التعليم الابتدائي بعالية نفيس



2. تعتبر ظاهرة الأمية و الانقطاع الدراسي من أبرز مؤشرات الهشاشة الاجتماعية

يشير مفهوم الأمية إلى حالة جهل كلي للمعرفة العالمية، بداية بالقراءة والكتابة وفهم المقروء، إلى استعمال المهارات المهنية الضرورية واستيعاب ثقافة المواطنة وحقوق الإنسان، مروراً بمتطلبات الحياة اليومية في أمور الدين والصحة والبيئة والتدبير والتنظيم...⁽¹⁰⁷⁾. فالأمية شخص يصعب عليه أن يندمج اندماجاً إيجابياً في المجتمع، وأن يشارك مشاركة فعالة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، ويتعذر عليه التواصل الإيجابي مع الآخرين⁽¹⁰⁸⁾.

لقد أصبح المفهوم التقليدي للأمية، والذي يهتم بالأمية الأبجدية المتمثلة في عدم القدرة على القراءة والكتابة، متجاوزاً رغم أهميته⁽¹⁰⁹⁾ لأنه لم يعد يتماشى مع التطورات الراهنة التي أضحت تسعى إلى اكتساب المواقف والقدرة على المبادرة والمشاركة في اتخاذ القرارات. وفي هذا السياق، يشير عالم الاجتماع البرازيلي «باولو فريير» إلى أنه يجب فهم محو الأمية كعملية تؤدي إلى حرية أكبر واستقلال في اتخاذ القرار⁽¹¹⁰⁾.

(107) لحسن مادي: محاربة الأمية مدخل لتحقيق التنمية البشرية، الرباط 2006، ص 105

(108) محمد مصطفى القباج: الأمية في المغرب، هل من علاج؟، المعرفة للجميع، ع 2، دجنبر 1998، ص 1

(109) تعتبر منطقة عالية حوض نفيس من بين المناطق التي لازالت تسجل أعلى النسب في معدل الأمية على الصعيد الوطني رغم المجهودات المبذولة من طرف الدولة بهدف تقليص معدلات الأمية واعتماد عدة برامج في هذا المجال

(110) العربي أبا عقيل: محو الأمية بالمغرب، عناصر تقييمية، المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع: منشور ضمن تقرير حول الاجتماعي لسنة 2000، الرباط 2001 ص 113

ويطرح مفهوم الأمية تحديات جديدة على كل دول العالم بدون استثناء، وإن كان ذلك بنسب متفاوتة. فدول العالم الثالث تعاني أكثر من غيرها من آفة الأمية ومن النتائج المترتبة عنها، لأن عدم القدرة على القراءة والكتابة، وعدم الوعي بأهمية المحافظة على البيئة، وعدم الاستثمار الجيد للموارد الطبيعية المحلية، وعدم إدراك أهمية العمل الجماعي في تنفيذ المشاريع... كل هذا يشكل في كثير من الدول السائرة في طريق النمو عائقا أمام نموها وتطورها (111).

ولهذا يبذل المغرب جهودا معتبرة لمحاربة الأمية، حيث وضع استراتيجيات جديدة تهدف إلى تقليص نسبة هذه الآفة إلى حدود 35% عند نهاية المخطط الخماسي 2004-2000، ثم إلى أقل من 25% في أفق 2010، على أن تتمكن البلاد من المحو شبه التام لهذه الآفة في أفق 2015 (112). غير أن الإحصائيات الرسمية لازالت تكشف انتشار نسبة الأمية بنسب مرتفعة، إذ تتجاوز 32.2% حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014، وهو ما يعادل 8 ملايين و600 ألف أمة وأمية مقابل 43.2% سنة 2004 (113) التي تميزت بجعل يوم 13 أكتوبر من كل سنة يوما وطنيا لمحاربة الأمية، وموعدا سنويا لانطلاق برامج محو الأمية في مختلف ربوع المملكة (114)، والذي عرف تطورا نوعيا مع اعتماد المبادرة الوطنية للتنمية البشرية.

وبالموازاة مع كل المجهودات التي تضطلع بها الجهات الوصية على هذا القطاع، وانطلاقا من مبدأ أنه « لا مجال للأمية في مشروعنا المجتمعي»، انطلقت دروس محو الأمية حتى في المساجد منذ الإعلان الملكي عن ذلك في خطاب (115) يؤكد على ضرورة إحياء دور المساجد وبعث رسالتها في تأطير المواطنين والمواطنات تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وذلك باعتبار أن محاربة الأمية واجب ديني واجتماعي ملقى على عاتق كل مغربي ومغربية، مستهدفين تغطية 600000 مستفيد سنويا في أفق القضاء على هذه الظاهرة مع حلول سنة 2015.

رغم أن ارتفاع ظاهرة الأمية في صفوف المجتمع المغربي والتي لازالت تتجاوز 32.2% حسب إحصاء 2014، إلا أن هذا لا ينفي أن المجهودات التي بذلتها الجهات الوصية على قطاع التربية والتعليم مكنت من تحقيق العديد من المكاسب في هذا المجال إذ يكفي فقط الإشارة إلى أن نسبة الأمية بعد الاستقلال كانت تتجاوز 87% كما يوضح (الشكل رقم 27)

(111) لحسن مادي: محاربة الأمية مدخل لتحقيق التنمية البشرية، الرباط 2006، ص 107

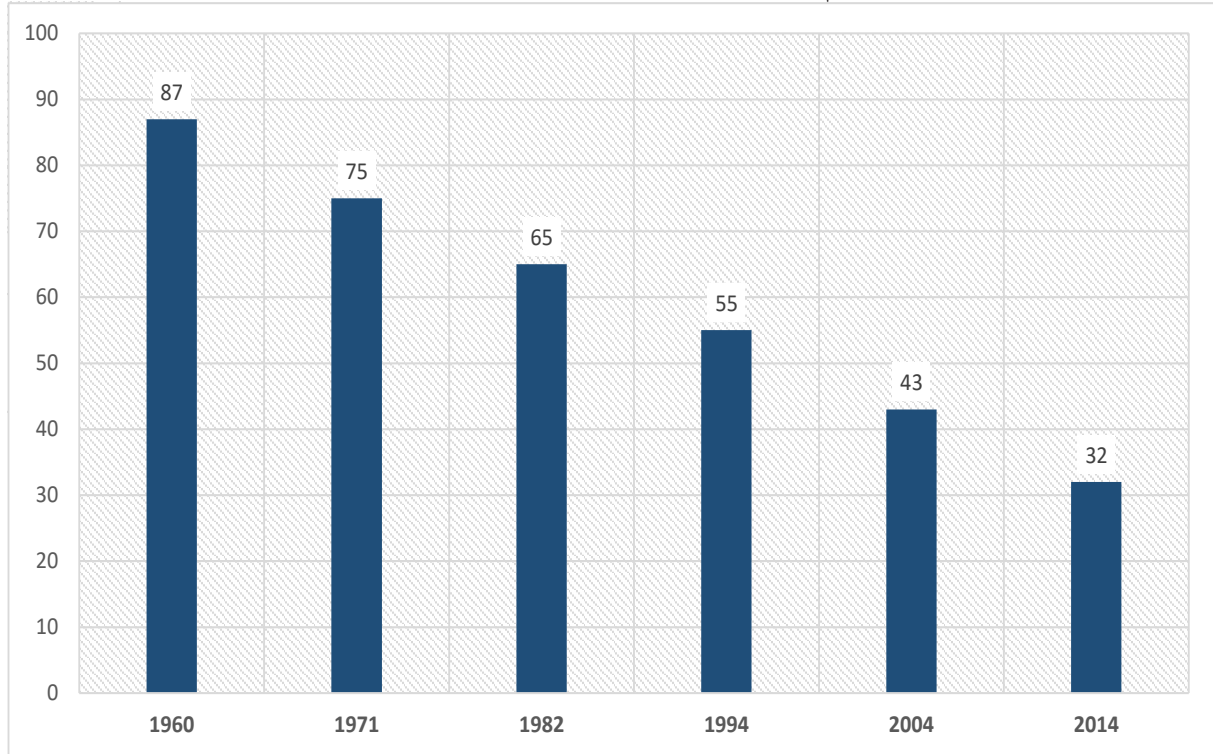
(112) كتابة الدولة المكلفة بمحاربة الأمية والتربية غير النظامية: محاربة الامية والتربية غير النظامية حصيلة 2005 – 2006 ص 10

(113) موقع <https://www.anlca.ma> تاريخ الاطلاع 11 أكتوبر 2019 على الساعة 19.30

(114) تجدر الإشارة إلى أن برامج محاربة الامية تعد من الاوراش الكبرى التي يعول عليها المغرب من أجل ربح رهان القضاء على آفة الأمية. وفي هذا السياق جاءت المبادرة الوطنية للتنمية البشرية لتجعل من محو الأمية أحد ركائزها الرئيسية.

(115) الرسالة الملكية الموجهة للشعب المغربي بمناسبة انطلاق الموسم الدراسي 2001-2002 والتي تزامنت مع انطلاق السنة الثانية من العشرية الوطنية للإصلاح الشامل للمنظومة التربوية.

الشكل رقم 27: تطور معدل الأمية بالمغرب بين 1960 و 2014

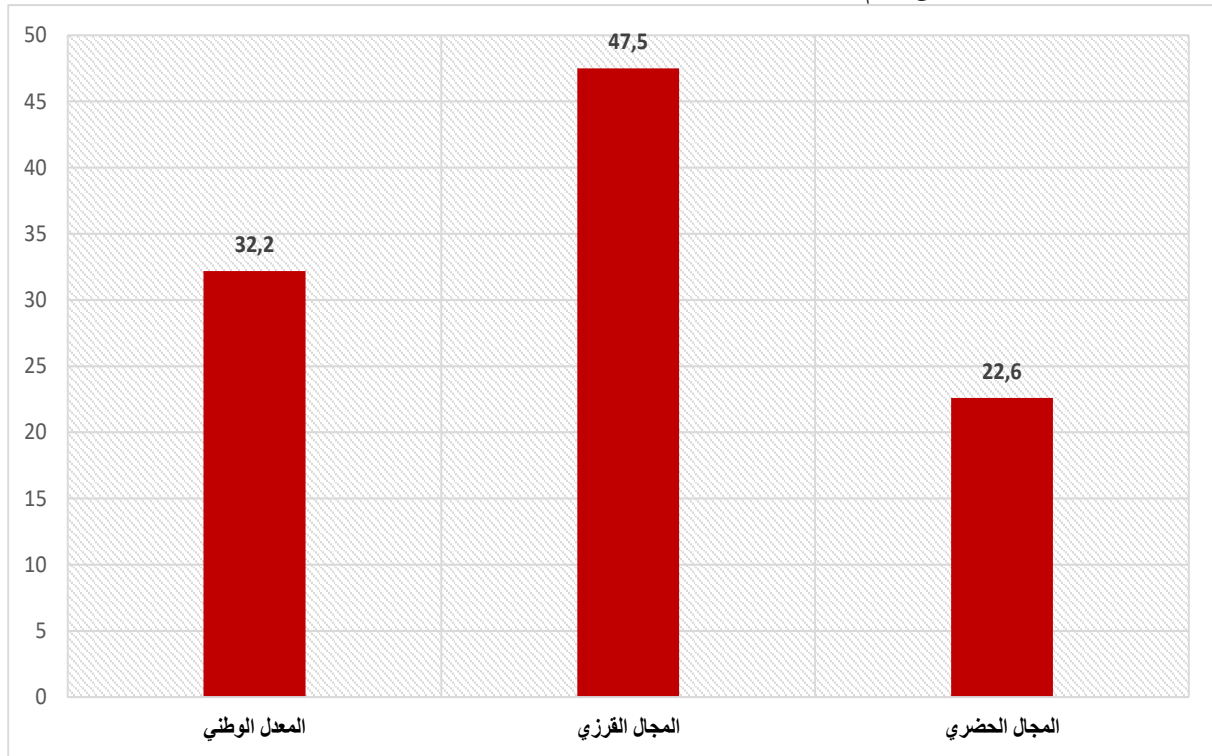


المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 1960-2014

إذا كان المغرب قد حقق تطورا ملحوظا على مستوى تخفيض معدلات الأمية، إلا أن هذه الأخيرة لازالت تعرف تفاوتات كبيرة على مستوى المجال، حيث يعتبر المجال القروي الأكثر معاناة من هذه الآفة 47.5% مقابل 22,6% بالنسبة للوسط الحضري، ويعزى هذا التفاوت إلى مجموعة من العوامل التي يمكن تلخيصها على الشكل الآتي:

- ⊙ التأخر المتراكم في العالم القروي، في مجال التجهيزات الأساسية الاجتماعية والتعليمية.
- ⊙ ضعف الدخل الفردي وبالتالي عدم استثمار الأسر في مجال التعليم.
- ⊙ حرمان الإناث من الالتحاق بالمدرسة لأسباب تحكمها خلفيات تاريخية تتخذ من الشرف والعار أيديولوجية أساسية لمنعهن من التعلم.
- ⊙ تهميش الدولة للمجال القروي في سياستها التنموية طيلة العقود التي تلت الاستقلال والتركيز بشكل خاص على المجال الحضري، مما خلق تفاوتات كبيرة بين المجال الحضري والمجال القروي، حيث أن هذا الأخير يسجل نسب مرتفعة على مستوى نسبة الأمية والتي تتجاوز 47,5% مقابل 22,6% بالنسبة للمجال الحضري (الشكل 28)، وهو ما يوضح حجم التأخر الذي يعرفه المجال القروي فيما يتعلق بمحاربة الأمية، ويساهم بالتالي في تكريس واقع الهشاشة الاجتماعية بهذه المجالات.

الشكل رقم 28: تباين نسبة الأمية حسب الوسط بالمغرب سنة 2018



المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014

إذا كانت ظاهرة الأمية تعرف تفاوتاً كبيراً على المستوى المجالي، فإنها تعرف تفاوتاً كبيراً أيضاً حسب الجنس حيث توضح مختلف الدراسات والمؤشرات الإحصائية أن المغرب يعد من البلدان التي لازالت تسجل تأخراً كبيراً على مستوى فتح المجال أمام النساء للاستفادة من الولوج للمدرسة وبالتالي تكريس مبدأ تكافؤ الفرص بين الجنسين. والجدول التالي يوضح بعض مظاهر عدم المساواة بين الجنسين في الاستفادة من التمدرس:

جدول رقم II: توزيع نسب الأمية بالمغرب حسب الجنس ما بين 1960 - 2014

السنوات الجنس	1960	1971	1982	1994	2014
ذكور	78	63	51	41	22.2
إناث	96	87	78	67	42.1
المجموع	87	75	65	55	32.2

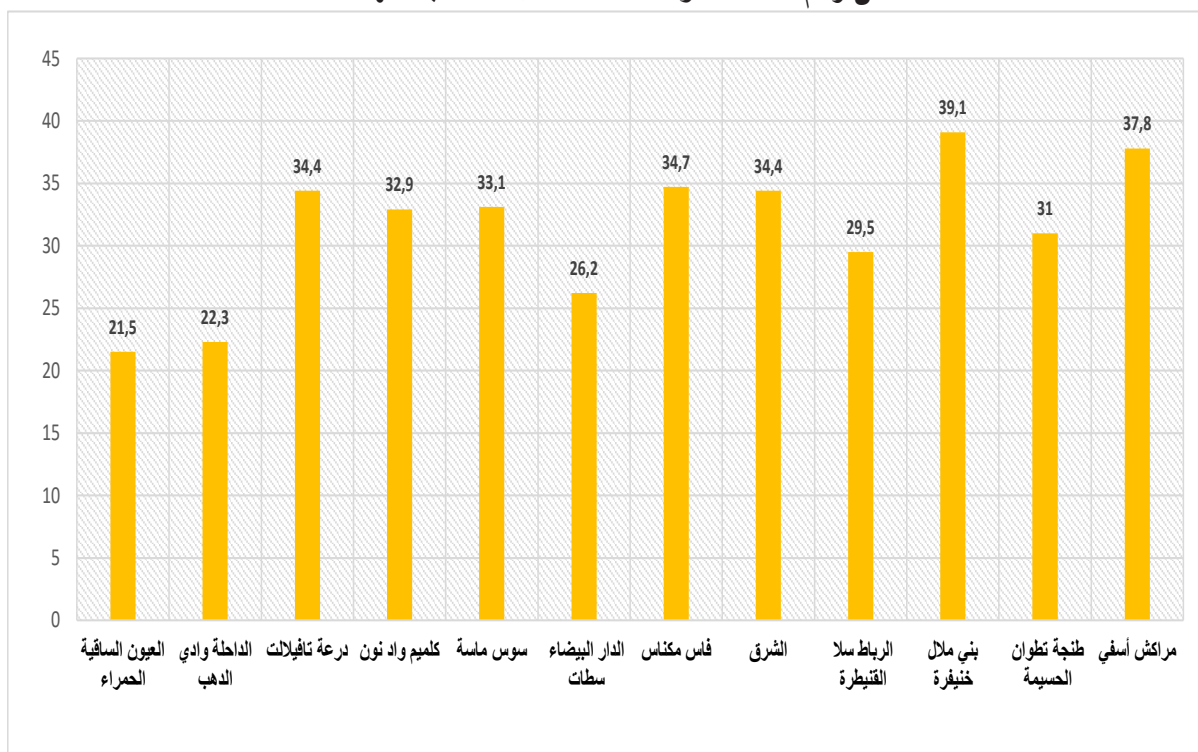
المصدر: الإحصاءات العامة للسكان والسكنى ما بين 1960-2014

رغم أن نسبة الأمية قد عرفت تقلصاً ملحوظاً في صفوف الذكور، فإنها لازالت متفشية في صفوف الإناث، إذ لازالت نسبة 42.1% من الإناث أميات مقابل 22.2% من الذكور على الصعيد الوطني. كما تصل نسبة الأمية وسط الإناث 60.1% بالوسط القروي مقابل 31.0% بالوسط الحضري⁽¹¹⁶⁾. ويمكن تفسير هذا التباين بمجموعة من العوامل المتمثلة بشكل خاص في النظرة الدونية التي تطبع ثقافة الرجل

(116) المندوبية السامية للتخطيط، تطور الحالة السوسيو اقتصادية والديموغرافية لسكان المغرب 1982-2014

في علاقته بالمرأة وكون تعليمها لا يجدي نفعا مادام أنها سوف تتزوج وتذهب إلى بيت زوجها، يقول أحد المستجوبين (117).

الشكل رقم 29: تفاوت نسبة الأمية حسب جهات المملكة



المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014

انطلاقاً من (الشكل 29) نسجل الملاحظات الآتية:

● فقد سجلت جهتا بني ملال-خنيفرة (38,7%) وجهة مراكش-أسفي (38%) أعلى معدل للأمية، تليهما جهة فاس-مكناس بنسبة 35,2% وجهتا درعة - تافيلالت و سوس ماسة بنسبة 34%. وتبقى جهة العيون-الساقية الحمراء على رأس الجهات الأقل أمية بنسبة 20,3% متبوعة بجهة الداخلة - وادي الذهب بنسبة 23,9%.

● أما بقية الجهات فتصل نسبة الأمية فيها إلى أقل من ثلث سكانها الذين تبلغ أعمارهم 10 سنوات فأكثر وتتراوح بين 32,1% في الجهة الشرقية و 26,4% في جهة الدار البيضاء - سطات، مروراً بجهة كلميم وادي نون بنسبة 31,7%، وجهة طنجة-تطوان-الحسيمة بنسبة 30,8% وأخيراً جهة الرباط-سلا-القنيطرة بنسبة 28,4%.

(117) مقابلة رقم 1 وتجدر الإشارة إلى أننا سنقف بالتفصيل عند العوامل المفسرة لهذا التباين عند الحديث عن آفة الأمية بمجال الدراسة (عالية حوض نفيس).

1.2. نسبة الأمية بعالية حوض نفيس تعكس عمق الهشاشة الاجتماعية التي تعاني

منها المنطقة.

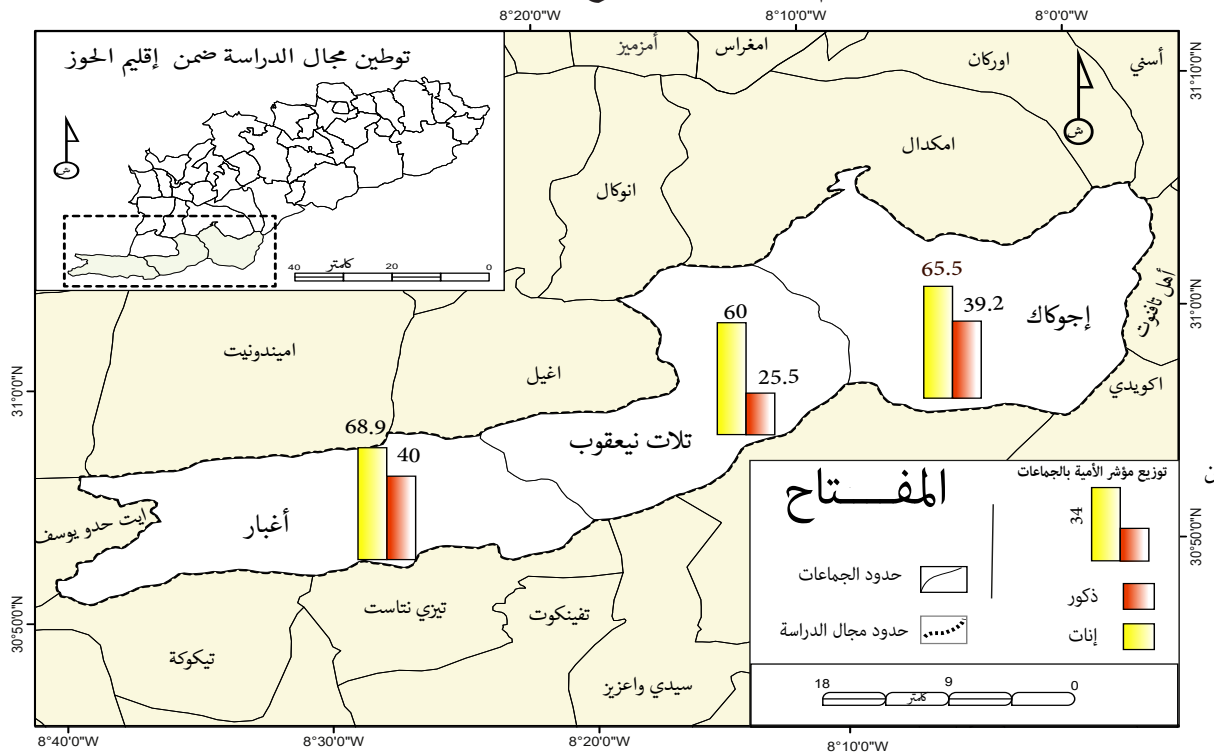
إذا كانت نسبة الأمية في المغرب قد سجلت تراجعا مهما منذ الاستقلال إلى يومنا هذا بفعل مختلف البرامج التي اعتمدتها الدولة بهدف مكافحة ومواجهة هذه الظاهرة التي تسيء لصورة المغرب في مختلف المحافل الدولية كما تسيء إلى المجهودات التي يقوم بها المغرب من أجل تحسين مختلف المؤشرات ذات الصلة بالتنمية البشرية، فإن هذه الظاهرة لازالت جد مرتفعة في مجال الدراسة المتعلق بعالية نفيس حيث تتجاوز الأرقام المسجلة على الصعيد الوطني، وهو أمر طبيعي بالنظر إلى حجم الهشاشة والإقصاء الذي تعاني منهما هذه المنطقة فيما يتعلق بالبنيات التحتية ذات الصلة بالمؤسسات التعليمية كما سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا الفصل.

جدول رقم I2: معدلات نسبة الأمية بالجماعات الترابية لعالية حوض نفيس

الجماعات	ذكور	إناث	المجموع
أغبار	40.0	68.9	55.0
تلات نيعقوب	25.5	60.0	43.5
اجوكاك	39.2	65.3	52.5

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014

الشكل رقم 30: خريطة توزيع نسبة الأمية لعالية حوض نفيس



المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014

يعكس كل من (الجدول 12 والشكل 30)، عمق الهشاشة التي تعاني منها عالية حوض نفيس فيما يتعلق بنسبة الأمية، حيث تعاني الساكنة القروية لأغبار وإجوكاك من ارتفاع هذه الظاهرة التي تتجاوز 50 % (55% و 52.5% على التوالي)، مقابل 43,5% بالنسبة للجماعة الترابية لتلات نيعقوب، ويعزى ارتفاع نسبة الأمية بهذه المجالات الجبلية إلى جملة من العوامل التي يتداخل فيها ما هو اقتصادي، بما هو اجتماعي وما هو سياسي، فبالنسبة للعوامل الاقتصادية، يمكن الجزم بأن ضعف الدخل الفردي لدى غالبية سكان المنطقة يشكل عائقاً أمام تـمدرس أبنائهم، حيث صرح لنا مجموعة من السكان خلال البحث الميداني على أن ارتفاع تكلفة التـمدرس وصعوبة توفير الكتب المدرسية وباقي اللوازم تعتبر من أبرز الأسباب التي تدفعهم إلى عدم تسجيل أبنائهم في المدارس، كما أن بعضهم يفضل توجيه أبنائه لمساعدته في الأنشطة الفلاحية والرعي بشكل خاص. هذا بالنسبة للذكور أما بالنسبة للإناث، فإن العوائق الثقافية التي تتميز بها المنطقة تشكل أحد الإكراهات التي لازالت تحول دون تمكينهن من حقهن الدستوري في متابعة الدراسة، بل في بعض الحالات يتم تشجيع تـمدرس الذكور على حساب الإناث لأنهن - يقول أحد الأشخاص - سيتزوجن في نهاية المطاف ولا فائدة من تـمدرسهن، بل عليهن المساهمة في أشغال البيت بهدف تهيئتهن لتحمل مسؤولية تسيير البيت مستقبلاً، وهو ما يفسر ارتفاع نسبة الأمية في صفوف الإناث حيث تتجاوز على سبيل المثال 65 % في الجماعة الترابية لإجوكاك مقابل 39.2 % بالنسبة للذكور⁽¹¹⁸⁾. وهنا تطرح إشكالية العدالة في الولوج إلى التعليم باعتبارها من بين الإشكالات الكبرى التي تعيد للواجهة سؤال المناصفة. هذه الأخيرة الغائبة أكثر في المجال القروي.

لأشك أن ارتفاع نسبة الأمية في منطقة عالية حوض نفيس رهين بمجموعة من العوامل التي يمكن تلخيصها على الشكل الآتي:

● افتقاد الجماعات الترابية لعالية حوض نفيس للتجهيزات الأساسية، خاصة فيما يتعلق بالمؤسسات التعليمية الخاصة بالسلك الإعدادي، والتي تتركز بالخصوص في الجماعة الترابية لتلات نيعقوب رغم أنه تم إحداث ملحقة لها بالجماعة الترابية أغبار، في حين تعاني الجماعة الترابية «إجوكاك» من غياب هذا النوع من المؤسسات التعليمية. أما بالنسبة لمؤسسات التعليم الثانوي التأهيلي فإنها غائبة وهو ما يشكل عائقاً أمام تلاميذ المنطقة من أجل متابعة دراستهم حيث ينتقل معظمهم إلى «أسني أو تحناوت» مع ما يرافق ذلك من تكاليف إضافية تعجز معظم الأسر عن تحملها فتضطر إلى حرمان أبنائهم من متابعة دراستهم

● بُعد المؤسسات الجامعية عن المنطقة حيث تبعد بأكثر من 100 كلم.

(118) إن ارتفاع نسبة الأمية في صفوف الإناث بالمغرب مقارنة بالذكور مرتبط بمجموعة من العوامل السوسيو ثقافية السائدة بالمجتمعات النامية حيث عادة ما يتم اختزال وظيفة الإناث في الانجاب والاعمال المنزلية على عكس الذكور الذين تمنح لهم فرص الدراسة.

⊙ عدم الثقة في الاستثمار في التعليم بالنسبة للآباء الذين يوجهون أبنائهم إلى الهجرة نحو المدن الكبرى من أجل العمل.

⊙ سيادة ثقافة الزواج المبكر لاسيما بالنسبة للفتاة التي يتم اختزال دورها في المجتمع في الوظيفة البيولوجية.

⊙ ضعف الدخل الفردي وارتفاع تكلفة التمدرس التي تعجز معظم الأسر عن تحملها خاصة عندما يتعلق الأمر بتغطية مصاريف التكوين في الجامعات.

⊙ انتشار البطالة في صفوف خريجي الجامعات وبالتالي فقدان غالبية أولياء الأمور للثقة في المدرسة التي تراجع دورها كرافعة اجتماعية.

2.2. ظاهرة الانقطاع الدراسي تعزز الهشاشة الاجتماعية لعالية حوض نفيس

يشكل الانقطاع الدراسي آفة تؤثر سلبا في تنمية مجتمعنا، حيث أظهرت بعض الدراسات أن عدد التلاميذ المنقطعين سنويا عن الدراسة أو عدم الملتحقين يتجاوز 400 ألف طفل قبل بلوغهم سن 15 دون أي مستوى تعليمي. وقد أُنجزت على التلاميذ الذين ينقطعون عن الدراسة بعد أربع سنوات والذين يؤولون للامية ؛ مما يشكل استنزافا للموارد البشرية والمادية للبلد؛ إذ يمكن تقدير تكلفة عدم التمدرس والانقطاع عن الدراسة بنسبة 2 % من الناتج الداخلي الخام. وتهم هذه الظاهرة، بالأساس، الوسط القروي، مما يستنزف التقدم المحرز في تقليص الفوارق في نسب التمدرس بين الوسطين الحضري والقروي وبين الجنسين: فمعدل تمدرس الفتيات بين 12 و 14 سنة من العمر لم يتجاوز 43 % في الموسم الدراسي 2016-2017، مقابل 75 % كمعدل وطني بالنسبة لهذه الفئة العمرية. وتتضاف فئات التلاميذ المنقطعين عن الدراسة إلى صفوف المستهدفين ببرامج محاربة الأمية وبرامج التربية غير النظامية التي تبقى المنفذ الأخير لإعادة الإدماج في المنظومة (المجلس الأعلى للتعليم، 2008)، مع العلم أن طاقة استقبال المستفيدين من هذه البرامج لا تكفي لاستيعاب الآلاف المنقطعين عن الدراسة. فكيف هو واقع الانقطاع الدراسي بالجماعات الترابية لعالية حوض نفيس؟ وكيف تساهم هذه الظاهرة في زيادة مخاطر التعرض للهشاشة الاجتماعية؟

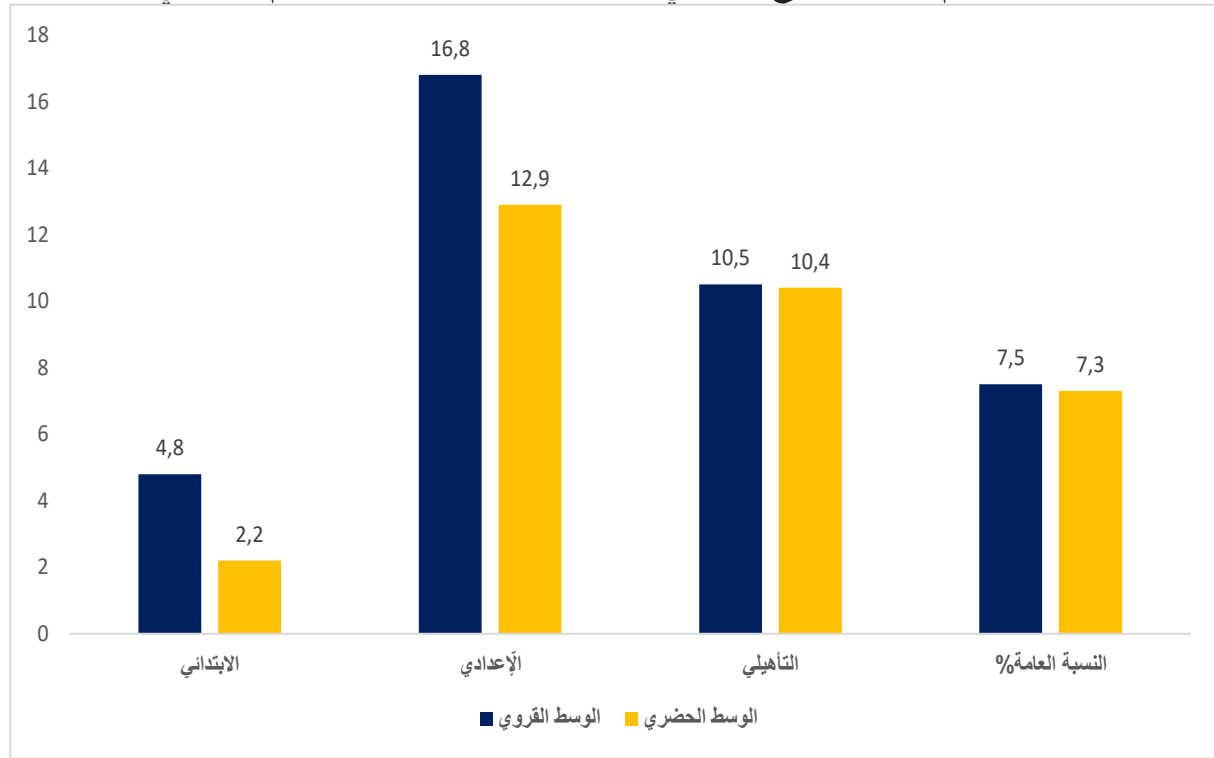
1.2.2. يشكل الانقطاع الدراسي أحد مظاهر ضعف المنظومة التربوية وطنيا

خلص المجلس الأعلى للتعليم، من خلال « الأطلس المجالي الترابي للانقطاع الدراسي » الذي تم فيه تحليل مسار فوج 2014-2018، إلى أن مسألة « الانقطاع الدراسي » تشكل حلقة الانصاف الضعيفة في التربية، وبأنه يشكل واحدا من التحديات الكبرى التي تواجهها التربية في المستقبل⁽¹¹⁹⁾، رغم كل الجهود

(119) أرقام صادمة كشفتها معطيات إحصائية رسمية أصدرها المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، والتي تفيد مغادرة 431 ألف و876 تلميذا(ة) من سلكي الابتدائي و الثانوي الاعدادي لفصول الدراسة قبل حصولهم على الشهادة وفق مؤشر ما بين 2014 و 2018. وبحسب « الأطلس المجالي الترابي للانقطاع الدراسي » الذي أصدره المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، فإن 78 في المائة من المنقطعين عن الدراسة من المفروض أن تحتفظ بهم المنظومة التربوية إلى حدود سن 15 عاما على الأقل من أجل تأمين هدف السن الاجباري للتمدرس.

المبذولة من طرف الدولة والتي باءت بالفشل. واتضح من خلال هذا العمل بأن الوسط القروي هو الأكثر تضررا من هذه الظاهرة التربوية مقارنة بالوسط الحضري، وبأن هذا الانقطاع يزداد عند الانتقال من سلك إلى آخر وخاصة من الابتدائي إلى الإعدادي. كما يرتفع عند الفتيات مقارنة بالذكور في السنوات الأولى من الدراسة.

الشكل رقم 3I: الانقطاع الدراسي حسب الوسط والسلك بالتعليم العمومي 2015



المصدر: الأطلس المجالي التربوي للانقطاع الدراسي، المجلس الأعلى للتعليم 2019، ص 19

انطلاقا من المبيان أعلاه، نلاحظ أن نسبة الانقطاع الدراسي تعرف تباينا واضحا حسب الوسط، حيث ترتفع في الوسط القروي مقارنة بالحضري، إذ تصل في الأول إلى 7,5 مقابل 7,3% بالنسبة للمجال الحضري وهما نسبتان متقاربتان. غير أنه بالعودة إلى المقارنة بين الأسلاك التعليمية، نجد بأن الوسط القروي يسجل ارتفاعا ملحوظا بخصوص نسبة الانقطاع في التعليم الابتدائي بما مجموعه 4,8% مقابل 2,2% فقط في الوسط الحضري وهو ما يمثل نسبة الضعف⁽¹²⁰⁾، كما نسجل هذا الارتفاع كذلك بالتعليم الإعدادي الذي ترتفع فيه نسبة الانقطاع إلى مستويات قياسية لاسيما بالنسبة للوسط القروي حيث تصل

(120) نسبة الانقطاع في السنة السادسة من السلك الابتدائي بالوسط القروي بلغت سنة 2018 18,1% مقارنة مع الوسط الحضري الذي لم تتجاوز فيه نسبة الانقطاع في ذات المستوى 5,9% ويعزى هذا التفاوت الكبير إلى العزلة والتمهيش اللذين يعيشهما العالم القروي، حيث ضعف البنيات التحتية الخاصة بالتعليم الابتدائي إلى جانب الإكراهات الأخرى المتمثلة في تشجيع الآباء لانقطاع أبنائهم عن الدراسة بهدف مساعدتهم في بعض الأشغال المتعلقة بالفلاحة، بل يتم النج ببعض الأطفال في سوق الشغل بالمدن المجاورة بهدف مساعدة الأسرة ماديا في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي تعيشها هذه الأسر بالعالم القروي وهو ما يستدعي ضرورة أخذ هذه الإكراهات بعين الاعتبار وتحفيز الأسر على دعم تلمذ أبنائهم. وفي هذا السياق نشير إلى أن برنامج تيسير يدخل في هذا الإطار، لكن الاعتمادات المرصودة له تبقى دون المستوى المطلوب ودون تطلعات الأسر إذ لا يعقل أن يتم تخصيص مبلغ 80 درهم في الشهر.

إلى حوالي 17% مقابل 13% فقط بالنسبة للوسط الحضري، بينما تبقى النسب متقاربة في التعليم الثانوي التأهيلي بين الوسطين القروي والحضري على التوالي ب 10,5% و 10,4%.

الخلاصة أن الوسط القروي المغربي بما فيه مجال الدراسة، أي عالية حوض نفيس يعاني أكثر من غيره من ظاهرة الانقطاع الدراسي، لتتضاف هي الأخرى إلى مختلف مظاهر الهشاشة التعليمية بالمنطقة. هذا الارتفاع لا نسجله بين الأسلاك التعليمية فقط، وإنما أيضا بين الذكور والإناث، بحيث نلاحظ انقطاعا مبكرا بالنسبة للإناث، على عكس الذكور، بمعنى أن الإناث ينقطعن عن الدراسة في الأسلاك الأولى ولاسيما السلك الابتدائي مقارنة مع الذكور الذين ترتفع نسبة انقطاعهم في الإعدادي والتأهيلي. (121)

نجد إذن بأنه في الوسط القروي المغربي 7,7% من الذكور تغادر المدرسة، مقابل 7,3% من الإناث وذلك كنسبة عامة. وهي نسبة رغم، لازالت تشكل نقطة سلبية مسجلة على التعليم في المغرب ككل، وفي العالم القروي بصفة خاصة.

2.2.2. يعكس الانقطاع الدراسي لعالية حوض نفيس واقع هشاشة المنظومة التربوية

لأشك أن افتقاد مجال الدراسة للبنات التحنية الخاصة بالمؤسسات التعليمية إلى جانب عوامل أخرى مرتبطة أساسا بالوضعية الاقتصادية والاجتماعية للسكان المحلية يعتبر من أهم العوامل المفسرة لارتفاع نسبة الانقطاع الدراسي بعالية نفيس مقارنة بالمتوسط الوطني الذي لا يتعدى 1,17% كما يتضح من خلال الجدول:

جدول رقم 13: نسبة الانقطاع الدراسي لعالية حوض نفيس

إغبار	تلات نيعقوب	إجوكاك	المعدل الوطني
6%	6,6%	2%	1,17%

المصدر: المديرية الإقليمية لوزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة الحوز، 2020

يبرز (الجدول 13)، بأن نسبة الانقطاع الدراسي في المجال المدروس مرتفعة جدا إذا ما قارناها بالمتوسط الوطني. ونجد أعلى نسبة بجماعة « تلات نيعقوب 6,6%، في حين تسجل أدنى نسبة بالجماعة الترابية أجوكاك، وهي نسبة 2% القريبة نسبيا من المتوسط الوطني 1,17%، مما يتضح معه حجم الهشاشة التي يعيشها قطاع التعليم وحجم الهدر الذي تعرفه المنطقة، وبالتالي انعكس ذلك سلبا على

(121) تجدر الإشارة إلى هناك تفوق واضح للإناث تسجله نتائج الاختبارات في مختلف المستويات الدراسية بالمغرب، منذ سنوات، بما في ذلك نتائج امتحانات الحصول على شهادة البكالوريا. فخلال هذه السنة مثلا، وصلت نسبة الإناث من مجموع الناجحين في امتحانات البكالوريا 57,35%، وهي النسبة التي ترتفع في بعض الجهات، كجهة مراكش أسفي لتصل إلى نحو 74%. ليس هذا فحسب، بل شهدت لائحة المعدلات العشرة الأولى على الصعيد الوطني اكتساحا للإناث، حيث ضمت اللائحة 8 فتيات. تفوق الإناث الدراسي لا تعكسه فقط نتائج امتحانات البكالوريا، ولكن أيضا نسبة الإناث اللاتي يتمكن من ولوج بعض الكليات والمعاهد والمدارس العليا. ويمكن تفسير هذا الأمر بكون الإناث أكثر انضباطا وتركيزا ودقة من الذكور، وهو ما يرتبط بعدة عوامل، من بينها طريقة التربية والتعامل مع الجنسين، التي تدفع الفتاة إلى اعتبار أن «مستقبلها رهين بإثبات مكانتها عن طريق الدراسة والعمل».

المنطقة وساكنتها وكذا الانتظارات الكبرى من التعليم ومن المدرسة، سواء من طرف السكان المحليين الذين يعتبرون المدرسة وسيلة من وسائل تحقيق التحول الاجتماعي⁽¹²²⁾، أو من طرف الدولة التي تهدف إلى تحريك عجلة التنمية عبر نشر الوعي والثقافة وتأهيل الساكنة.

إن هذا الانقطاع الدراسي، لا يتحدد فقط باعتبار الوسط (قروي-حضري) أو باعتبار الجنس (ذكور - إناث)، وإنما أيضا بطبيعة المدرسة، فهذه الأخيرة تحدد حظوظ التلميذ للاستمرار في الدراسة أو الانقطاع عنها قبل الحصول على شهادة خاصة في سلك التعليم الابتدائي، وما دمنا في مجال جبلي وقروي فإننا سنتحدث على مستوى التعليم الابتدائي على:

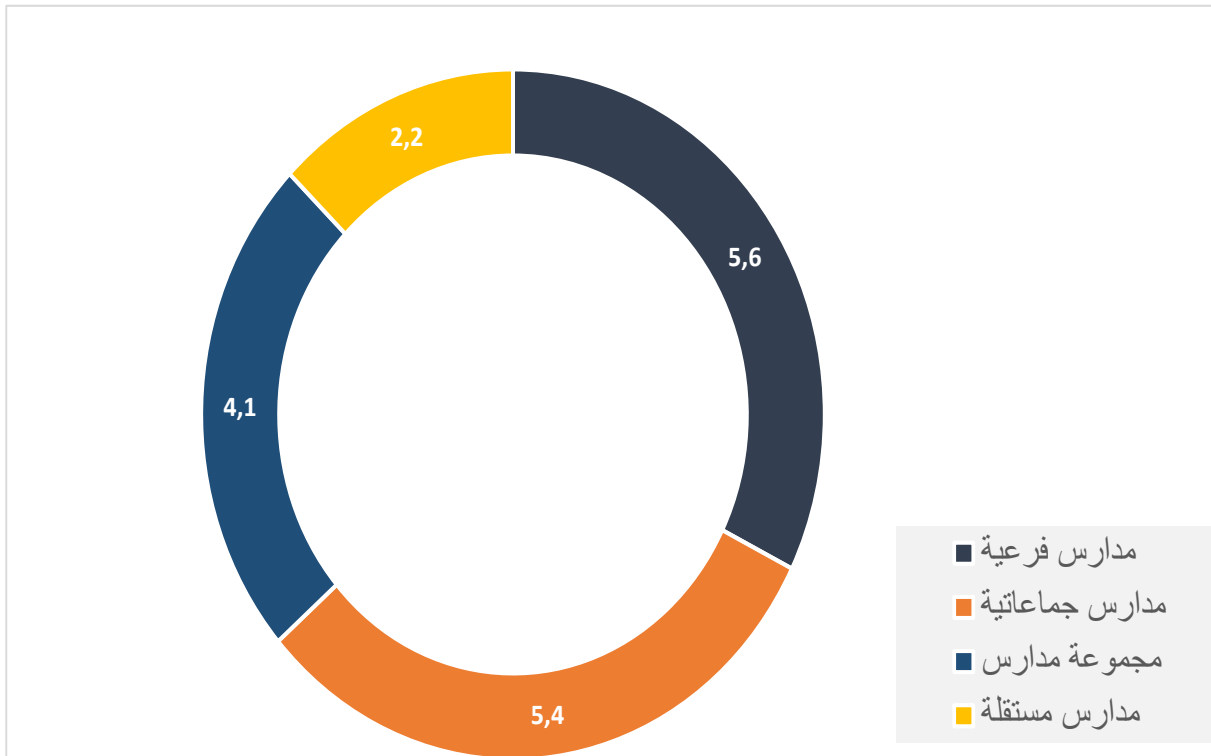
● المدارس الفرعية

● المدارس الجماعية

● مجموعات المدارس.

هذه المؤسسات هي التي شهدت نسبا أعلى من «الانقطاع الدراسي» سنة 2018 مقارنة مع المدارس الابتدائية المستقلة والتي غالبا ما نجدها في المجال الحضري. وهكذا نجد المعطيات الآتية:

الشكل رقم 32: نسبة الانقطاع الدراسي حسب مؤسسات التعليم الابتدائي العمومي لسنة 2018



المصدر: الأطلس المجالي الترابي للانقطاع الدراسي، المجلس الأعلى للتعليم 2019، ص 18

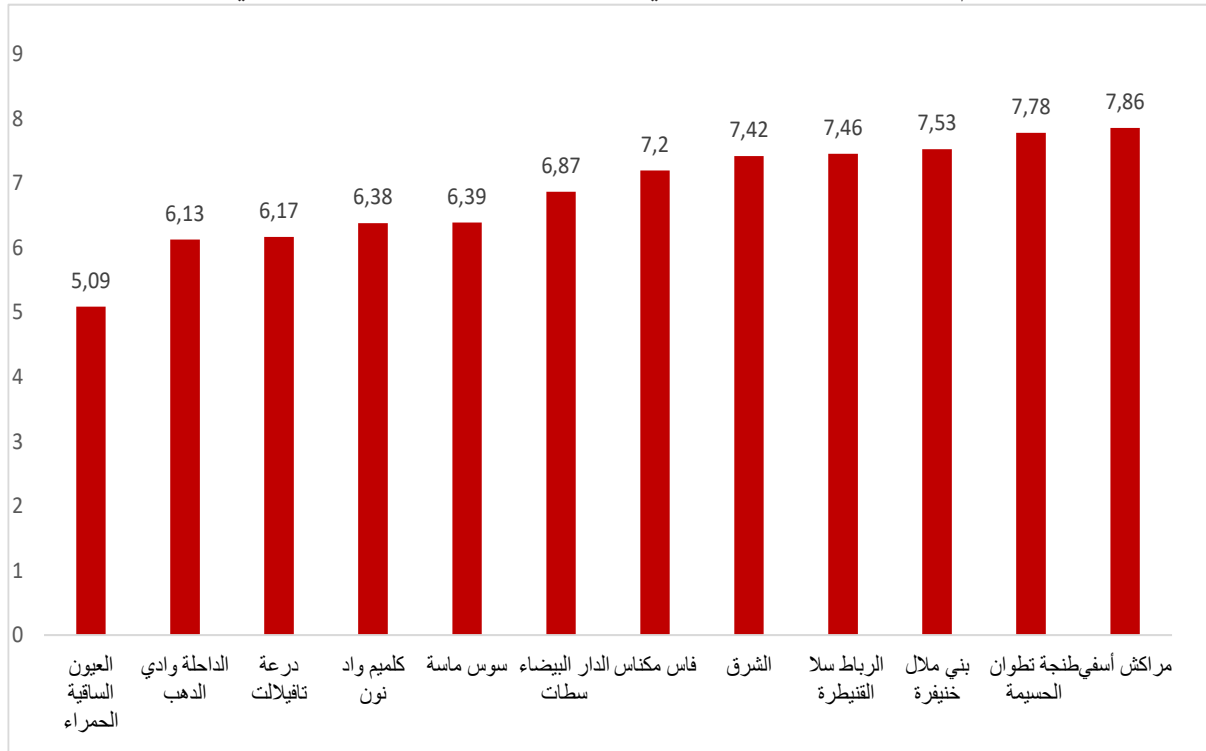
(122) يتعلق الامر هنا بتمثيلات ذهنية أكثر من العمل على خلق هذا الواقع على الأرض، فالقروي يعتبر نفسه وأبناءه غير معني بهذا التحول، لأن الظروف لا تسمح بذلك فهو لا يملك الوقت ولا الجهد ولا الاستعداد لانتظار هذا التحول الذي سيقع على المدى البعيد. إنه بحاجة إلى أبنائه ذكورا وإناثا في المعيش اليومي، سواء في أعمال الفلاحة والبيت أو الهجرة وإعالة رب الأسرة...

هذه الملاحظة نفسها نسجلها بخصوص التعليم في السلك الإعدادي، إذ ترتفع نسبة الانقطاع الدراسي بالملحقات الإعدادية التي تنتشر في العالم القروي بحكم الخصائص التي يتسم بها. فهي تصل في الملحقات الإعدادية إلى 16,4% في حين نجدها في الإعداديات العادية تصل إلى 14,1%. أما في السلك التأهيلي فالنسبة ترتفع في ثانويات التعليم الأصيل إلى 14,9% على عكس الثانويات التأهيلية حيث لا تتعدى فيها 5% فقط.

هذا التحليل يجعلنا نتساءل عن العدالة المجالية في مجال التربية، وهل حقيقة أن كل أبناء المغرب والمغاربة يستفيدون من الحظوظ نفسها ومن الحق نفسه في التعليم؟ إذ كيف نقبل بأن طبيعة المدرسة قد تحدد نتيجة التمدرس؟ وهنا السؤال: هل المدرسة في المغرب مدرسة واحدة أم أنها مدارس متعددة، حسب المجال والإنسان، وحسب الإمكانيات والظروف؟ هل نوفر لجميع المتعلمين الإمكانيات نفسها وبالتالي نضعهم أمام الحظوظ والفرص نفسها، على الأقل فيما يتعلق بالتعليم العمومي الذي توفره الدولة كخدمة اجتماعية؟ أسئلة وغيرها تجعلنا حقيقة أمام نوع من الغبن ومن الازدواجية وغياب التكافؤ في الفرص أمام أبناء الوطن نفسه؟

هذا التفاوت لا نسجله فقط بين مؤسسات التعليم في المجال القروي وغيرها في المجال الحضري، وإنما نسجله كذلك بين الجهات، سواء فيما يتعلق بالتعليم العمومي إجمالاً أو فيما يتعلق بالتعليم بالوسط القروي فقط. وفيما يلي نسبة الانقطاع الدراسي حسب الجهات (الشكل 33).

الشكل رقم 33: نسبة الانقطاع الدراسي حسب الجهات 2018 (التعليم العمومي جميع الأسلاك)



المصدر: الأطلس المجالي التراي للانقطاع الدراسي، المجلس الأعلى للتعليم 2019، ص 19

انطلاقاً من (الشكل 33)، نلاحظ بأن أعلى نسبة للانقطاع الدراسي في التعليم العمومي بجميع أسلاكه تسجلها جهة مراكش آسفي بما مجموعه 7,86% مقابل 5,09% بالنسبة لجهة العيون الساقية الحمراء⁽¹²³⁾. ويعزى هذا التفاوت إلى مجموعة من العوامل التي يمكن تلخيصها على الشكل الآتي:

● يشغل المجال القروي داخل جهة مراكش آسفي مساحة شاسعة مما يفسر ارتفاع نسبة الهدر المدرسي؛

● العرض المحدود على مستوى التعليم الإعدادي والثانوي التأهيل في المناطق القروية،

التأخر الناتج عن ارتفاع السن المتراكم نتيجة التكرارات المتتالية

● ارتفاع معدلات الهشاشة والفقر، لاسيما وأن جهة مراكش تتميز بضعف فرص الشغل، مما يدفع بالآباء إلى تشجيع أبنائهم للانقطاع عن الدراسة والتوجه نحو المدن الكبرى للانخراط في سوق الشغل؛

(123) إلى جانب جهة مراكش آسفي، وعموما فإن جهات أخرى كجهة طنجة تطوان الحسيمة وجهة بني ملال خنيفرة ثم جهة الرباط سلا القنيطرة وجهة الشرق تسجل بدورها نسبيا مرتفعة على مستوى الانقطاع الدراسي، حيث تتجاوز 7%، الشيء الذي يطرح أكثر من سؤال حول مدى نجاعة المجهودات التي تبذلها الدولة بهدف محاربة هذا الظاهرة التي لازالت تمثل نقطة سوداء في منظومتنا التربوية حيث أنه وفقا للأرقام الصادرة عن المجلس الأعلى للتعليم، فقد انقطع عن الدراسة سنة 2015 ما مجموعه 508 ألفا و300 تلميذا(ة)، وهو ما يوازي 8.8 في المائة من تلاميذ قطاع التربية الوطنية، ليتراجع العدد إلى 407 ألفا و674، أي ما يعادل 7.1 في المائة من أعداد التلاميذ الممدرسين. غير أنه بحلول عامي 2017 و2018، تزايدت حدة الهدر المدرسي، ليصل مجموع التلاميذ المغادرين لفصول الدراسة إلى 431 ألفا و876 تلميذا(ة)، منهم ما يفوق 126 ألفا بالتعليم الابتدائي، وهو مجموع يوازي 7.4 في المائة من الممدرسين المسجلين بمنظومة "مسار" بقطاع التربية والتكوين.

خلاصة القول أن ظاهرة الانقطاع الدراسي في المجال القروي وفي مجال الدراسة على وجه الخصوص، تشكل عائقا بنيويا ينعكس بدون شك سلبا على المجال وعلى الإنسان سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وبالتالي يكرس واقع الهشاشة الذي ترزخ تحته المنطقة ويحول بالتالي دون تحقيق نتائج إيجابية على المستوى التنموي.

3. يعتبر التكرار وضعف سنوات التمدرس من أهم ملامح هشاشة مؤشرات التمدرس بالمنطقة.

1.3. يسجل عالية حوض نفيس معدلات مرتفعة فيما يتعلق بالتكرار الدراسي.

يشكل التكرار أحد المؤشرات البارزة التي توضح مدى نجاعة المنظومة التربوية في أي بلاد من البلدان، ولاشك أن المغرب يعتبر من بين البلدان التي تسجل فيها نسب مرتفعة للرسوب المدرسي كما تشير إلى ذلك مختلف الدراسات التي تهتم بهذا مواضيع، غير أن مجال الدراسة يعاني بشكل كبير من ارتفاع هذه الظاهرة كما يوضح (الجدول 14):

جدول رقم 14: نسب التكرار لعالية حوض نفيس لسنة 2019

الجماعات الترابية		مجموع التلاميذ		المكررون			المنقطعون	
		المجموع	الإناث منهم	النسبة %	النسبة % الإناث	الإناث منهم	المجموع	المتوسط الوطني
أغبار	976	506	148	15,2%	70	47,3%	6,1	
تلات نيعقوب	1118	528	99	8,8%	38	38,4%	6,6	1,17
إجوكاك	1081	543	105	9,7%	48	45,7	2	

المصدر: المديرية الإقليمية لوزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة الحوز، 2020

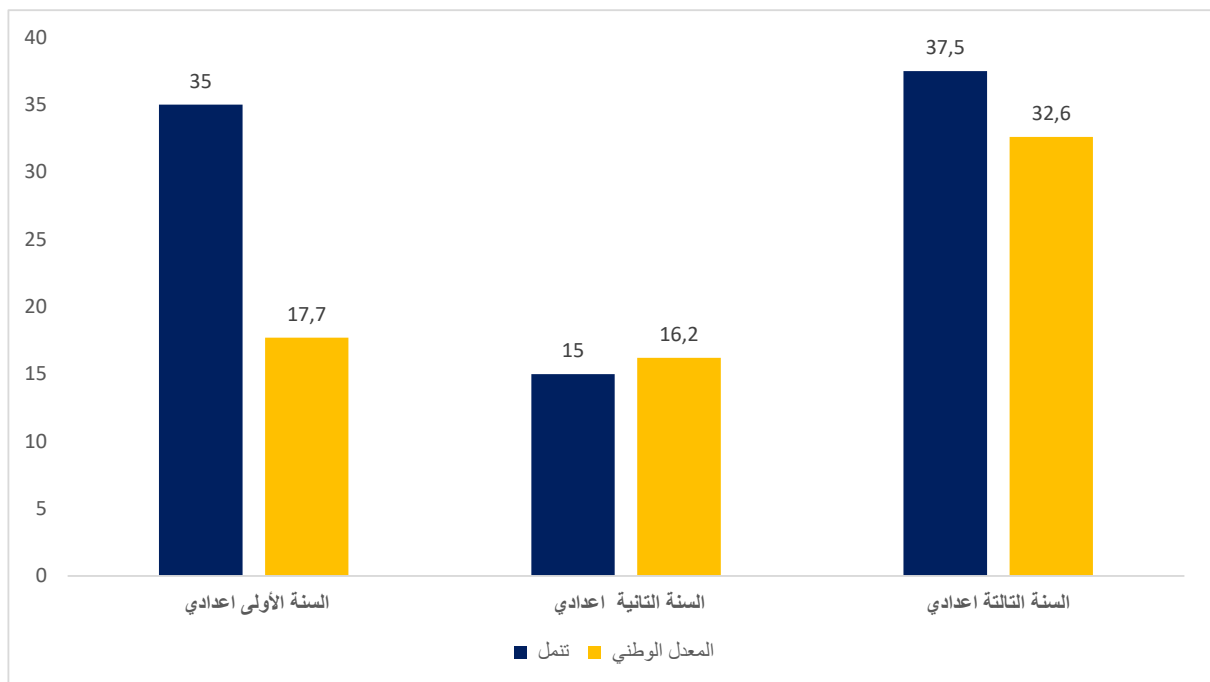
انطلاقا من الجدول أعلاه نسجل الملاحظات التالية بخصوص ظاهرة التكرار «بعالية نفيس»:

نظرا لارتباط معدلات الرسوب والتكرار بمستوى الفعالية الداخلية للتعليم بالمغرب بصفة عامة والعالم القروي بصفة خاصة، حيث يلاحظ أن نسبة التكرار مرتفعة جدا لعالية حوض نفيس حيث تم رصد أعلى نسب التكرار في الجماعة الترابية لأغبار والتي بلغت فيها نسبة التكرار 15% مقارنة مع باقي الجماعات الترابية لاسيما أجوكاك التي تحتل المرتبة الثانية بما مجموعه 9.7% وأخيرا جماعة تلات نيعقوب، فإن جاذبيته التعليم في المنطقة جد ضعيفة، الشيء الذي يفسر النسب المرتفعة للهدر المدرسي مقارنة مع المتوسط الوطني. الذي لا يتجاوز ⁽¹²⁴⁾ 12.6% مما يعزز من هشاشة قطاع التعليم بالمناطق الجبلية بصفة عامة ومنطقة الدراسة بشكل خاص ويمكن تفسير ذلك بمجموعة من العوامل:

(124) مديرية الاستراتيجية والاحصاء والتخطيط بوزارة التربية الوطنية، تقرير المؤشرات التربوية 2009-2017، ص 24

- ⊙ مستوى اجتماعي وتعليمي جد متدنٍ للأسر التلاميذ (125)
- ⊙ ضعف مستوى التلاميذ وانعدام حافزية التعلم لديهم.
- ⊙ ضعف التواصل بين الأسر والمؤسسات التعليمية.
- ⊙ غياب التأطير والمصاحبة: ارتفاع نسبة الأمية في صفوف الأسر وبالتالي عدم انخراطهم بشكل كبير في دعم أبنائهم.
- ⊙ بعد سكن التلاميذ عن المؤسسة، وانعدام النقل المدرسي.

الشكل رقم 34: نسبة التكرار في التعليم الإعدادي لعالية حوض نفيس مقارنة مع المعدل الوطني



المصدر: المديرية الإقليمية لوزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة الحوز، 2020

أما بالنسبة للتعليم الإعدادي، فإن المنطقة تعاني من نقص حاد في هذا المجال، حيث لا تتوفر سوى على إعدادية واحدة بالجماعة الترابية ثلاث نيعقوب التي تتواجد بها الثانوية الإعدادية تامل، والتي نجد نسبة التكرار بها مرتفعة بالمقارنة مع المعدل الوطني، حيث بلغت في الموسم الدراسي 2019-2020 30% مقابل 22.5 % كمعدل وطني. وتجدر الإشارة إلى أن نسبة التكرار مرتفعة بشكل خاص في مستوى الثالثة إعدادي حيث تتجاوز 37.5 % مقابل 32.6% كمعدل وطني. ويمكن تفسير هذا الارتفاع بمجموعة من العوامل المتمثلة في كون هذا المستوى يتميز بتنظيم الامتحانات الإشهادية حيث يجد المتعلمين صعوبات كبيرة في تجاوز هذا المستوى، عكس باقي المستويات التعليمية في الإعدادي التي تبقى فيها نسبة التكرار منخفضة كما هو الشأن بالنسبة لمستوى الثانية إعدادي الذي لا تتجاوز فيه نسبة التكرار 15%. هذا

(125) ارتفاع معدلات الهشاشة الاجتماعية وضعف الدخل لدى معظم أرباب أسر عالية حوض نفيس حيث لا يتعدى الدخل السنوي 12000 درهم

فيما يخص التعليم الثانوي الإعدادي، أما فيما يتعلق بالتعليم الثانوي التأهيلي فإن المنطقة لا تتوفر على أية بنىات تحتية خاصة بهذا النوع من التعليم⁽¹²⁶⁾، وهو الأمر الذي يفسر ارتفاع نسب الهدر المدرسي بالمنطقة والتي تتجاوز المعدل الوطني.

2.3. ضعف متوسط سنوات التمدرس يعبر عن عمق هشاشة مؤشرات التمدرس

بعالية نفيس

يشكل الحق في الولوج العادل لتربية ذات جودة بالنسبة لكل الأفراد اجد الرهانات الأساسية للمدرسة المغربية، خاصة بعد اعتماد الرؤية الإستراتيجية للإصلاح 2015-2030 التي تسعى لإرساء مدرسة الإنصاف وتكافؤ الفرص، خاصة وأنها اكدت على ضرورة إرساء تمييز إيجابي لفائدة المناطق المهمشة وخاصة في الوسط القروي⁽¹²⁷⁾. لذلك سنعمل على رصد مدى استفادة عالية نفيس من هذا التمييز الإيجابي من خلال الوقوف على العدالة المجالية في الولوج للتربية من خلال دراسة كل من مؤشر متوسط سنوات التمدرس⁽¹²⁸⁾ ومؤشر جيني، الذين يتجاوزان المؤشرات النسقية المعتادة

جدول رقم 15: متوسط سنوات التمدرس لعالية حوض نفيس

الجماعة الترابية	متوسط سنوات التمدرس
أغبار	1,49
تلات نيعقوب	3,38
إجوكاك	1,98

المصدر: المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي الأطلس المجالي الترابي للفوارق في التربية، ص 32 – 33

الجدول يبرز بأن أعلى متوسط للتمدرس نجده مسجلا في الجماعة الترابية «تلات نيعقوب» ب 3,38 سنة، وهي، وإن كانت تبدو نسبة مرتفعة بالمقارنة مع الجماعتين الأخريين أي «إجوكاك» و«أغبار» اللتين تسجلان على التوالي 1,98 سنة و 1,49 سنة كمتوسط، فإنها مع ذلك بعيدة كل البعد عن المتوسط المسجل مثلا في مدينة مراكش باعتبارها تنتمي للمجال الحضري، حيث يصل متوسط التمدرس إلى 6,79 سنة، مما يبرز حجم التفاوت الكبير المسجل بهذا المجال (حوض نفيس). وهي علامة فارقة أخرى من علامات هشاشة القطاع التعليمي بالمناطق الريفية عموما ولعالية حوض نفيس على وجه الخصوص، وهو الأمر الذي يسائل مدى نجاعة البرامج الموجهة للعالم القروي في إطار مجهودات الدولة للتقليص من الفوارق المجالية والاجتماعية بالعالم القروي⁽¹²⁹⁾.

(126) باستثناء الملحقة التأهيلية التي تم احداثها في الثانوية الإعدادية بتلات نيعقوب والتي لا تتوفر حاليا سوى على مستوى الجذع المشترك.

(127) المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي الأطلس المجالي الترابي للفوارق في التربية، ص

(128) يقصد بسنوات التمدرس المدة التي قضتها الساتكة البالغة من العمر 15 سنة فأكثر في المدرسة، وهي ما مجموعه خمس سنوات وستة أشهر أي أقل من معدل السنوات بالسلك الابتدائي فقط.

(129) يهدف برنامج تقليص الفوارق المجالية والترابية في المناطق القروية، الذي يغطي الفترة 2017 - 2023، إلى فك العزلة عن سكان المناطق القروية والجبلية عبر بناء الطرق والمسارات والمعابر من أجل تحسين نوعية حياتهم. كما يهدف إلى تحسين وتعميم حصول الساتكة المحلية على الخدمات الأساسية

يمكن تفسير التأخر الذي يعرفه ويراكمه المجال المدروس، أي عالية حوض نفيس على وجه التحديد والمغرب على وجه العموم، بعاملين أساسيين:

- ① ارتفاع نسبة الأمية في أوساط الساكنة مما يؤثر على الرأسمال البشري.
- ② عدم قيام المغرب بتوسيع عرض التعليم الثانوي التأهيلي والتعليم العالي مما يشكل عائقاً أمام ساكنة نفيس والعديد من المناطق الجبلية بالمغرب لاستكمال الدراسة التأهيلية أو الجامعية⁽¹³⁰⁾.

هذان السببان جعلاً الساكنة التي تبلغ 15 سنة فأكثر، والتي بلغت مستوى التعليم العالي، ضعيفة مقارنة مع منطقة الشرق الأوسط وباقي البلدان المنتمية لشمال إفريقيا كتونس والجزائر⁽¹³¹⁾ MENA، ومن المعلوم أن حدة الظاهرة (الانقطاع عن متابعة الدراسة التأهيلية والجامعية) تتفاقم حداثاً أكثر في المجالات القروية والجبلية كما هو الشأن بالنسبة للمجال المدروس الذي يعرف ضعفاً كبيراً على مستوى البنيات التحتية الخاصة بالتعليم الثانوي⁽¹³²⁾. وكما هو معلوم فهؤلاء هم الفئة التي تندرج ضمن فئة الساكنة النشيطة والتي تتم المراهنة عليها لتحقيق التنمية. وفي ظل هذا الوضع تصبح هي الأخرى عالة على الأسرة وعلى المجتمع، مما يزيد من حدة الهشاشة ومن تم الفقر في بلادنا، ولا سيما في ظل غياب التأهيل الدراسي أو المهني، فتصبح إما مرشحة لتعزيز صفوف الهجرة القروية غير المؤهلة والتي تزيد من تكريس الوضع السيء في المجال الحضري المغربي، وفي الوقت نفسه تفرغ المجال القروي من يده العاملة الأساسية أو تتحول إلى ممارسة أنشطة تعتمد بالأساس على المجال الغابوي كالرعي بالنسبة للذكور، وجمع الأعلاف والحطب بالنسبة للإناث اللائي غالباً ما يعانون من انتشار ظاهرة الزواج المبكر الذي يعيد إنتاج الأوضاع الهشة نفسها⁽¹³³⁾.

(الكهرباء والماء الصالح للشرب والصحة والتعليم)، بالإضافة إلى هئية الظروف اللازمة لتعزيز وتنوع الإمكانيات الاقتصادية للمناطق القروية والجبلية. فهو إذن من بين البرامج التنموية الطموحة التي تهدف إلى تحسين مؤشرات التنمية البشرية على مستوى الجماعات الترابية المعنية على الصعيد الوطني، وذلك عبر تمويل مشاريع تنمية ذات وقع كبير على الساكنة المحلية.

(130) تتأثر الإناث أكثر من الذكور على الأقل على مستوى توفير الدخليات ودور الطالبات وتوزيع المنح وغيرها من الأمور التي يسجل فيها نقص حاد، مما يحول دون تحقيق العدالة وتكافؤ الفرص بين الجنسين في الاستفادة من الولوج للتعليم الثانوي التأهيلي والجامعي، هذا الأخير الذي يكاد يكون شبه محرم على الإناث في المنطقة بالنظر إلى العديد من الاعتبارات والتي تأتي في مقدمتها عدم رغبة أغلب الأسر في إرسال بناتها إلى المدن الكبرى لاستكمال تعليمهن الجامعي إلى جانب المعطى المادي الذي يفرض نفسه بقوة في هذه المجالات التي تعيش هشاشة كبيرة على كافة المستويات كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الخاص بالهشاشة الاقتصادية من الباب الثاني من هذا العمل.

(131) بلغت النسبة سنة 2014 في المغرب 8,5% في حين بلغت في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا 8,4% سنة 2000 مما يعكس التأخر الكبير الذي سجله المغرب في هذا المجال مقارنة مع البلدان المجاورة والتي لها نفس مستوى مؤشر التنمية البشرية.

(132) تعاني فئات كثيرة من تلاميذ عالية حوض نفيس من إشكالية متابعة الدراسة بالمستوى الثانوي التأهيلي بالنظر إلى غياب أي ثانوية بالمنطقة حيث يضطر هؤلاء المحظوظون وهم قلة إلى الانتقال لمدينة تحناوت من أجل الحصول على هذه الفرصة مع ما يواكب ذلك من مصاريف جديدة تعجز معظم العائلات عن تحملها، وهو الأمر الذي يفسر تدني مستويات الولوج للتعليم الثانوي التأهيلي والجامعي، إذ لا تتعدى 2%

(133) في وقت يجري الحديث عن أهداف الألفية للتنمية المستدامة للأمم المتحدة في أفق 2030، لازال المغرب يعاني من ظواهر تقوض مساعي التنمية المرجوة، من بينها تزويج 30 ألف قاصر سنوياً، رغم الجهود التي تبذلها الدولة والجمعيات النسائية لمحاربة هذه الظاهرة المنتشرة بشكل كبير في القرى باعتبارها مناطق ذات أفق محدود. الأمر لا يتعلق إذن بظاهرة بسيطة نتيجة قانون جامد لم يتم تحيينه منذ 15 سنة، بل نحن أمام ظاهرة تتداخل في صنعها عوامل عدة، من بينها التقاليد والجهل والفقر والهدر المدرسي، وغياب التنمية وهضم حقوق الطفل، وانعدام توعية حقيقية من شأنها الحد بشكل فعال من هذا الظاهرة.

4. مؤشر جيني للتعليم يعكس عمق هشاشة مؤشرات التمدرس بالمجال المدرس:

يهتم هذا المؤشر بقياس مستوى اللامساواة في توزيع الساكنة من حيث مستوى التعليم الأعلى المحصل عليه. وهو مؤشر يقدم، إلى جانب مؤشر سنوات التمدرس، نظرة شمولية عن التفاوتات واللامساواة في ولوج التربية. بل ويمكن من معرفة المناطق المهمشة التي تستلزم التدخل السريع وأن تحظى بالأسبقية من قبل السياسات التربوية.

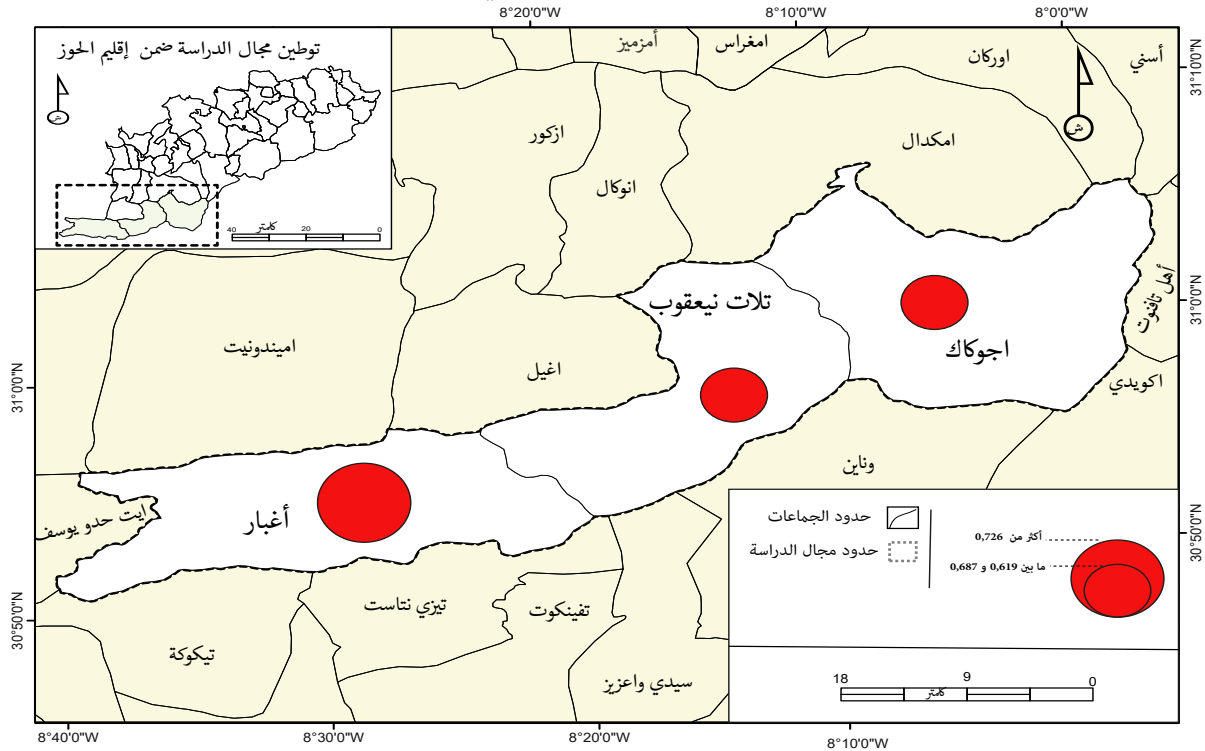
هذا المؤشر يصل في المغرب إلى 0,55، وهو يختلف من منطقة إلى أخرى ومن جهة إلى أخرى على الصعيد الوطني. أما بخصوص المجال المدرس فإننا نسجل ما يلي:

جدول رقم 16: مؤشر جيني للتعليم بالجماعات الترابية لعالية حوض نفيس

المؤشر الوطني	المؤشر	الجماعات الترابية
0,55	0,726	أغبار
	0,619	تلات نيعقوب
	0,687	إجوكاك

المصدر: الأطلس المجالي الترابي للفوارق في التربية 2017، ص 59

الشكل رقم 35: توزيع مؤشر جيني لعالية حوض نفيس



انطلاقاً من (الجدول 16 والشكل 35) نلاحظ أن المؤشر بالجماعات الترابية لعالية حوض نفيس أكبر من المؤشر الوطني الذي هو 0,55، ويمكن القول بأن المجال الأكثر معاناة من غياب المساواة في الولوج إلى التربية حسب مؤشر جيني هو مجال جماعة أغبار 0,726، يليه من حيث زيادة اللامساواة

مجال جماعة «إجوكاك» 0,687، وأخيرا نجد الجماعة الترابية « ثلاث نيعقوب » التي تسجل أفضل مؤشر بين الجماعات الثلاث بـ 0,619، وهي مسألة مفهومة بحكم كون جماعة « ثلاث نيعقوب » هي الجماعة الأكثر استفادة من بين الجماعات الثلاث على مستوى البنيات والتجهيزات الخاصة بالتعليم. لكن مع ذلك فإن هذا المؤشر بهذه الجماعة هي الأخرى، بعيد كل البعد عن المعدل الوطني 0,55. وفي هذا السياق لابد من الإشارة إلى أن هناك العديد من العوامل المفسرة لضعف مؤشر جيني بالمنطقة والتي يمكن تلخيصها على الشكل الآتي:

- ضعف وغياب البنيات التحتية الخاصة بالتعليم بالمنطقة.
- سيادة مجموعة من القيم والتقاليد التي تحول دون تمكين التلاميذ والتلميذات بشكل خاص من متابعة دراستهم مما يساهم في ارتفاع نسبة الهدر المدرسي.
- ضعف المستوى المعيشي لأغلب الأسر التي لم تعد قادرة على تحمل تكاليف التمدريس.

جدول رقم 17: عناصر القوة والضعف في عالية نفيس

عناصر القوة/الفرص	إكراهات ومعيقات
أطفال مابين 4 و 6 سنوات	غياب التعليم الأولي في أغلب الدواوير
توفر المكونين	غياب تعميم التعليم الأولي
دعم التكوين المستمر	نقص في تكوين الأساتذة
البحث عن شراكات مختلفة مع القطاع الخاص	غياب دعم الوزارة
اعتماد المدارس الجماعية	إشكالية الأقسام المشتركة
توفير شروط الاستقرار بالنسبة للموارد البشري	نقص في الموارد البشرية
تشجيع تجربة المدارس الجماعية	سوء توزيع المؤسسات الدراسية (غير كافية وبعيدة)
اعتماد التمييز الإيجابي للمدارس في العالم القروي	غياب المرافق الصحية في بعض المؤسسات
مساهمة الجماعات الترابية وباقي الفاعلين في دعم المدرسة	نقص في التجهيزات التعليمية (سبورة/ مقاعد...)
توفر ثانويات إعدادية في بعض الجماعات	ارتفاع نسبة الهدر المدرسي
توفر وسائل النقل المدرسي	صعوبة الوصول إلى بعض الدواوير
كثافة سكانية مهمة	تمركز غير كاف للمراكز الصحية

المصدر: تحريات ميدانية 2018-2020

5. عندما تصبح المدرسة مشغلا لإنتاج الهشاشة والتهميش

إن التعليم الذي يعد قطاعا حيويا من شأن الاستثمار فيه بالشكل المطلوب أن يشكل قاطرة للتنمية، قد انعكست أدواره بفعل مظاهر الهشاشة التي تنخره، الأمر الذي ترتبت عنه نتائج خطيرة، ليس على الفرد فحسب وإنما على المجتمع ككل، فهي تحول دون تحرر الأفراد وتحقيق الذات، فالانقطاع عن الدراسة والتكرار كلها أمور تؤدي إلى انتشار ثقافة الفشل والإحباط وبالتالي الإحساس بالعزلة والإقصاء، وهي

كلها مؤشرات تكرر الهشاشة والتهميش التي تعيش في ظلها فئات عريضة من الساكنة المحلية لعالية حوض نفيس .

إن المدرسة التي كانت الغابة منها في الأصل هي خلق نوع من الديمقراطية على الأقل معرفيا، وإعطاء الحد الأدنى للأفراد من أجل التحرر وتحقيق التنمية عن طريق تحقيق الذات، سرعان ما تتحول في ظل هذه الظروف إلى مؤسسة لإعادة إنتاج نفس الوضع الهش وتكريسه. وفي هذا السياق أشار المجلس الأعلى للتعليم إلى أن "المدرسة المغربية العمومية تخضع لتأثيرات الفوارق الاجتماعية، حيث يلج كل طفل المدرسة وهو محمل بإرثه الاجتماعي. كما أن أوجه العجز الاجتماعي التي تتجلى في الفقر، وهشاشة الأسر، وأممية الآباء والأمهات والصعوبات التي يجدونها في تتبع دراسة أبنائهم، تؤثر بشكل سلبي في عملية التعلم داخل المدرسة... حيث تعرض المتخلى عنهم من المدرسة للهشاشة والتهميش" (المجلس الأعلى للتعليم، 2018). وهذا لا محالة يهدد الاندماج الاجتماعي، وبالتالي يحول دون تحقيق التنمية كغاية في حد ذاتها، باعتبارها مفهوما شاملا قائما بالأساس على الرأسمال البشري، وهو الأمر الذي من شأنه أن ينعكس سلبا على الموارد الطبيعية بحكم فشل "مشروع التنمية المستدامة".

هذا على المستوى الاجتماعي، أما على المستوى الاقتصادي فإن هذا المسار يؤدي إلى خسائر مادية جسيمة على الدولة وعلى الاقتصاد الوطني بصفة عامة، وفي مقدمة هذه الخسائر ضياع أجيال من الشباب وعدم استفادة الاقتصاد الوطني من قدراتهم بحكم افتقارهم إلى أدنى شروط الاندماج الاجتماعي. وثانيها التكلفة الباهظة التي يتسبب فيها الهدر المدرسي والتي تقدر بأزيد من 2.1 مليار درهم، مع ما يرافق ذلك من تقهقر للمغرب في مختلف التصنيفات الدولية ذات الصلة بالتربية والتعليم.

إن العزلة المزدوجة التي وصفنا بها مرارا وتكرارا المجال المدرسي، والتي قصدنا بها عزلة طبيعية باعتبار المجال المدرسي ينتمي لمجال جبلي ذي تضاريس وعرة ، وعزلة مرتبطة بمختلف السياسات التي نهجتها الدولة لعقود تجاه المجالات القروية عموما والجبليّة على وجه التحديد، يمكن أن نضيف إليها اليوم عزلة جديدة مرتبطة بمؤسسة واحدة من المؤسسات التابعة للدولة، ونقصد هنا سياسة الدولة في التعليم.

ونحن هنا لا ننكر الجهود المبذولة في هذا الإطار خلال السنوات الأخيرة، لكن يبدو أن قطاع التعليم باعتباره مجالا هشا ومهمشا مجالا وانسانا ، لم يستفد الشيء الكثير من قطاع كان الرهان عليه كبيرا لانتشال أفراده خصوصا الشباب من العزلة والتهميش، ويفتح لهم آفاقا جديدة للعيش وللحفاظ على محيط عيشهم، بل الإسهام في تطويره وتنميين موارده في أفق تحقيق تنمية مستدامة تأخذ بعين الاعتبار حاجيات الجيل الحالي والأجيال القادمة، وفق مقاربة شمولية تجعل من أولوياتها صون المجال الغابوي باعتباره العمود الفقري لدخل العديد من سكان هذا المجال.

لذلك فلا غرابة إن قلنا بأن المجال الغابوي في عالية حوض نفيس هو آخر شيء يمكن أن تفكر فيه الساكنة المحلية، ليس لأن هذه الأخيرة غير حريصة على مواردها الطبيعية، وإنما نظرا لغياب بدائل حقيقية من شأنها أن تخفف الضغط على المجال الغابوي، إذ كيف يمكن لشخص يحس بغياب قيمته هو كإنسان ويعاني من التهميش والإقصاء والحرمان من أبسط حقوقه أن يفكر في استدامة مورد طبيعي يعتبره بالأساس آخر ما تبقى له باعتباره ملكا مشتركا لذوي الحقوق الذين أصبحت الدولة تتنازعهم هي الأخرى هذا الحق؟ فالتعامل مع الغابة عند غالبية هؤلاء غير مؤطر بأي فلسفة أو فهم يتجاوز الحاجة إلى مصادر للرزق أو للعيش في اللحظة وفي الحين، دون التفكير في المآلات التي قد تنتهي إليها الغابة لاسيما مع تزايد الطلب على مواردها بوتيرة مرتفعة تفوق قدرتها الإنتاجية وهو ما من شأنه أن يخلق عجزا كبيرا على مستوى الموازنة الغابوية كما تم رصد ذلك في الفصول السابقة من هذا البحث.

هذه النتيجة لوحدها تكفي للقول بأن السياسة التعليمية بالمنطقة لم تغفل فقط على مستوى خلق تعليم حقيقي لأبناء وبنات الساكنة المحلية، وإنما فشلت أيضا على مستوى الرسالة ومستوى الخطاب ونقصد هنا ” تهذيب السلوك“ في شقه المرتبط بالوعي بنتائج بعض التصرفات وليس في معناه الأخلاقي. فمنطق تلبية الحاجة وسد الخصاص أولى بالنسبة للساكنة المحلية من منطق الحفاظ على الغابة بالنسبة لعدد كبير ممن التقينا بهم خلال مرحلة البحث الميداني.

6. هشاشة التعليم وتدهور المجال الغابوي آية علاقة

1.6. تساهم هشاشة التعليم في استنزاف المجال الغابوي لعالية حوض نفيس

خلصنا فيما سبق من هذا الفصل إلى أن المدرسة تتسم بـ:

● نقشي وارتفاع نسب الانقطاع الدراسي؛

● ضعف القدرة على إدماج ذوي الاحتياجات الخاصة؛

● إعادة إنتاج الفوارق الاجتماعية؛

● إعادة إنتاج نفس الوضع الهش؛

بناء على الموصفات أعلاه فإن المدرسة بالمناطق القروية عموما والمناطق الجبلية خصوصا، تتسم هي الأخرى بتأثرها بهشاشة الوضع، بل إنها تتحول إلى حلقة من حلقات إنتاجها، لاسيما في ظل تدني مستويات التعليم وارتفاع نسب الأمية بالمنطقة التي يعاني معظم سكانها من محدودية دخلهم بالنظر الى وضعيتهم الاقتصادية التي تعتمد الفلاحة كنشاط أساسي غير قادر على تلبية حاجياتهم بحكم هيمنة الفلاحة المعيشية من جهة وارتفاع نسبة التزايد الطبيعي من جهة أخرى. كلها إذن عوامل تركز الهشاشة

بمجال الدراسة وتدفع بالسكان المحليين إلى الاعتماد بشكل كبير على الموارد الطبيعية المحلية وفي مقدمتها الموارد الغابوية التي تعرضت لاستغلال مكثف خلال السنوات الأخيرة.

يعتبر تدني مستويات التعليم مظهرا من مظاهر الهشاشة الاجتماعية، ومؤشرا من مؤشرات التهميش والإقصاء الاجتماعيين اللذين تعاني منهما منطقة عالية نفيس، واللذين يؤديان بشكل مباشر أو غير مباشر إلى تدني مستويات الدخل، وبالتالي ضعف فرص تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالمنطقة، وهي نتيجة تؤدي بشكل حتمي إلى أمرين رئيسيين:

أ-الهجرة القروية للفئات الشابة من أجل البحث عن فرص عمل في المجال الحضري دون أي مؤهلات تذكر؛

ب-الاعتماد الكلي على الموارد الطبيعية في العيش واستمرار نمط العيش التقليدي لكن بمتطلبات أكثر بحكم الضغط الديمغرافي والتحولات الكبيرة التي مست العالم القروي على مستوى نمط الاستهلاك.

النتيجة الأولى تؤدي فيما تؤدي إليه إلى ظاهرة "البوار الاجتماعي"، وإفراغ المجال القروي من اليد العاملة الضرورية من أجل خلق تنمية محلية، وإن كان ذلك بإمكانيات المنطقة البسيطة. أما النتيجة الثانية فإنها تركز الوضع الهش، وتؤدي إلى تدهور سريع ومتزايد للمورد الغابوي الذي تحول إلى قبلة للجميع لممارسة مختلف الأنشطة المعيشية، بدءا بجمع الحطب من أجل التدفئة والطبخ، مروراً باستغلال النباتات والأعشاب العطرية والطبية، وصولاً إلى اتخاذه فضاء لممارسة الرعي والحصول على علف المواشي... الخ

قد يكون تحليلنا غير منصف إذا ما حملنا ساكنة هذه المناطق مسؤولية ما آلت إليه الأوضاع بخصوص المجال الغابوي لعالية حوض نفيس ، والذي تعرض لتدهور سريع منذ الربع الأخير من القرن العشرين على الأقل إلى يومنا هذا. فالساكنة المحلية التي يعاني معظمها من ارتفاع معدلات الهشاشة الاجتماعية لم تستند من المدرسة سواء فيما يتعلق بالوعي بضرورة المحافظة على المجال الغابوي أو على مستوى توفير بدائل حقيقية من شأنها أن تضمن العيش الكريم، وأن تقلل من حجم الهشاشة وما يترتب عنها من استنزاف للغابة، غير أن شيئا من هذا القبيل لم يتحقق وهو ما يجعل الساكنة المحلية تتجه لاستغلال المجال الغابوي بطريقة غير عقلانية وغير مستدامة. وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن الاستغلال يتخذ أشكالا عدة وفي مقدمتها الرعي الجائر والاجتثاث إلى جانب التوسع على حساب المجال الغابوي بالنظر إلى طبيعة المنطقة الجبلية وما يطرحه ذلك من قلة للأراضي الصالحة للزراعة. وهو الأمر الذي تترتب عنه عدة عواقب بيئية، من أبرزها تعرض مجالات واسعة للتعرية والانجراف كنتيجة طبيعية للضغط المتزايد على السفوح التي يتم استصلاحها.

إن غياب تعليم حقيقي قادر على خلق التنمية وبالتالي خلق الثروة يجعل السكان في نهاية المطاف يرتبطون بأنماط العيش التقليدية التي أساسها الفلاحة، بما يعنيه ذلك من الرفع من مساحات المشارات الزراعية على حساب أراضي الغابة، وكذلك الرفع من عدد رؤوس قطعان الماشية نظرا لزيادة الضغط الديمغرافي، لكن مع استمرار نمط التربية التقليدي الذي يعتمد على الرعي الدائم كأسلوب متوارث مع عدم التفكير في تغيير هذا النمط إلى أنماط أخرى كالرعي المؤقت أو التسمين، أو إدخال أساليب حديثة لتربية الماشية لما يتطلبه ذلك من إمكانيات ترتبط بتوفير الأعلاف، فإن مختلف هذه الأنشطة تؤدي في نهاية المطاف إلى الضغط على المورد الطبيعي الغابوي واستنزافه بشكل يهدد استدامته خاصة في ظل غياب سياسة موازية لتجديد الغطاء الغابوي والحفاظ عليه.

هذا التحليل يؤكد مرة أخرى أن مسألة الهشاشة هي مسألة معقدة ومتشابكة ولا يمكن قياسها من مدخل واحد فقط، بل من مداخل متعددة، وهي تقريبا مداخل قياس التنمية. وكما أن التعليم قد يكون أداة لتحقيق التنمية البشرية، فإنه قد يكون أداة وعاملا مساهما في تكريس الهشاشة وتدهور الموارد.

2.6. تغييب الرأسمال البشري في معادلة التنمية بالمنطقة ينعكس سلبا على الغابة

تؤكد الأدبيات الأولية في علم الاقتصاد على الارتباط الوثيق بين التربية والتعليم وبين تحقيق التنمية عبر مفهوم "الرأسمال البشري"، فالتعليم هو جزء لا يتجزأ من معادلة التنمية البشرية وتراكم الرأسمال البشري. والعكس صحيح ذلك أن أي فشل في مسار التربية والتعليم، سيؤدي إلى فشل في مراكمة الرأسمال البشري وبالتالي فشل معادلة التنمية من أساسها. وهنا نفتح الباب أمام الهشاشة والتهميش والتأخر بمختلف تجلياته والتي من بينها استنزاف الموارد الطبيعية.

أهمية تراكم الرأسمال البشري عبر التربية والتعليم، تكمن في كون هذا الرأسمال وفق التصورات الجديدة هو قابل للتراكم والتراجع شأنه شأن أي رأسمال آخر، غير أنه وخلافا للرأسمال المادي يبقى الرأسمال البشري غير قابل للاستبدال أو التحويل بين الأفراد. كما أنه ما أن يتم تملكه من طرف الفرد حتى يصبح لصيقا به ولا يفارقه، وهذا الرأسمال البشري لا يمكن مراكمته وتطويره إلا بواسطة التربية ذات الجودة، وإلا فإن التكلفة الاجتماعية والاقتصادية تكون باهظة.

للتربية وظيفتان أساسيتان: وظيفة اجتماعية وأخرى اقتصادية وكلاهما يسعيان إلى تهيئة وإعداد الإنسان حتى يكون قادرا على الاندماج الاقتصادي وتحقيق الرقي الاجتماعي، أي بناء الإنسان مهنيا واجتماعيا. وتكمن أهمية التعليم في كونه يعمل على صناعة التنمية وتمكين الأفراد من المقومات والمؤهلات التي تجعلهم قادرين على المساهمة في تنمية المجتمع على اعتبار أن التعليم لم يعد بمعزل عن الاقتصاد ومتطلباته، بل هو استثمار في الإنسان من أجل الاقتصاد والتنمية الاقتصادية بصفة عامة، وإغفال هذه

العلاقة أو عدم الوعي بها والعمل على تنزيلها وأجرتها في المدرسة المغربية عموما وفي مجال الدراسة على وجه التحديد يؤدي مباشرة إلى فشل الاستثمار في الإنسان، وبالتالي الفشل في كسب رهان تحقيق التنمية الاقتصادية التي تتطلع إليها كل فئات المنطقة.

وبديهي القول بأن الإنسان الذي لا يحظى بأي فرصة من أجل تنمية ذاته إنما يعمل على إعادة انتاج نفسه وتكرارها، وعلى النكوص إلى أنماط العيش التقليدية التي تعتمد بالأساس على الطبيعة، علما أن المجال جبلي وتعتبر الغابة موردا طبيعيا أساسيا فيه، سواء بالنسبة للإنسان أو الماشية. فكما أن الهشاشة الاقتصادية تؤدي إلى زيادة الضغط على الموارد الطبيعية، فكذاك الهشاشة المرتبطة بالرأس المال البشري الذي هو أساس المجتمع والاقتصاد معا فالفشل في تكوين وتطوير الرأس المال البشري بالمنطقة هو فشل في الحقيقة للنموذج الاقتصادي والاجتماعي الذي اعتمدته الدولة لفائدة العالم القروي الذي ظل مهماشا طيلة عقود في مختلف برامج التهيئة الريفية.

3.6. استنزاف المجال الغابوي لعالية حوض نفيس جواب على الهشاشة والتهميش التربويين

تعتبر الأمية والانقطاع الدراسي وتعدد سنوات التكرار، إلى جانب عدم نجاعة التعليم بالمنطقة وعدم قدرته على بناء وتطوير رأس مال بشري حقيقي قادر على تجاوز الفوارق الاجتماعية واستثمارها في عدم إعادة انتاج الفوارق وتكريسها، مظاهر متعددة لفشل مخرجات المنظومة التربوية على الأقل في المجال المدرس

هذا الفشل هو تكريس للهشاشة الاجتماعية بالمنطقة، وهو كذلك تكريس للمشاكل الاجتماعية بالمجالات الجبلية عموما ومجال حوض نفيس خصوصا. وهي أمور تؤدي هي الأخرى، في ظل ضعف أو فشل مختلف المقاربات التي تروم تقليص الفوارق الاجتماعية والمجالية وبالتالي تحقيق التنمية بالمجالات القروية، إلى تكريس الهشاشة وإلى محدودية الأثر التنموي لمختلف البرامج التي استهدفت المجالات القروية، لكن دون أن يحس المواطن البسيط بتحسن وضعيته الاقتصادية، بل إن هذه الأخيرة تأزمت وتراجعت بشكل كبير لاسيما مع جائحة كوفيد 19 حيث فقد عدد كبير من السكان فرصهم في الشغل.

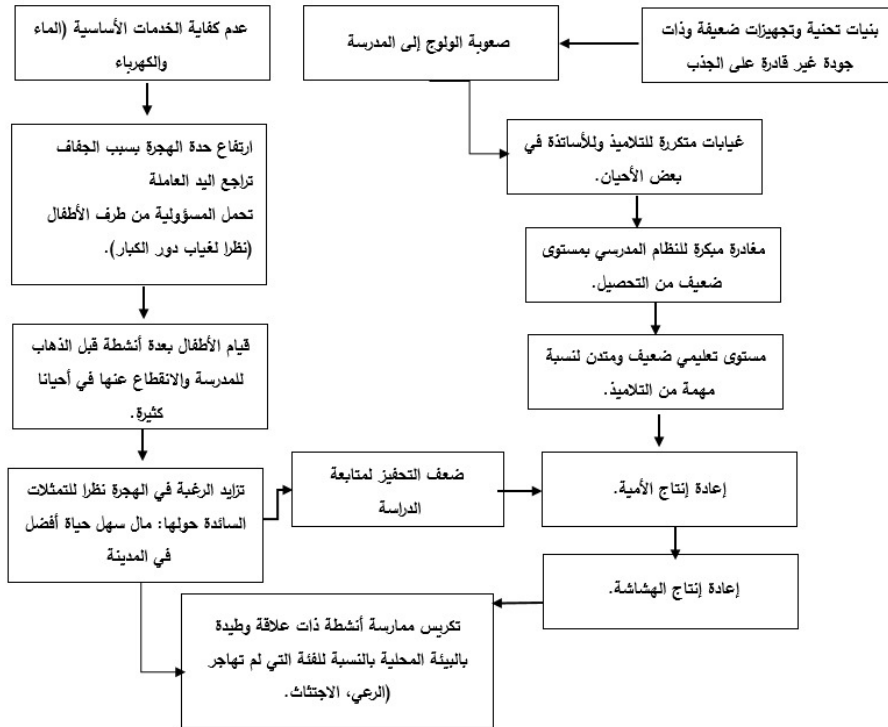
هذه النتيجة تجعل أفق المبادرة الاقتصادية محدودا بالنظر إلى غياب مجموعة من الشروط التي من شأنها أن توفر مناخا ملائما للسكنة المحلية لتطوير قدراتها، وبالتالي إيجاد بدائل حقيقية يمكن الاعتماد عليها بدل اللجوء إلى الحلول القديمة والمعهودة مع وجود تغيير جديد يتجلى أساسا في ارتفاع الطلب والضغط مقابل موارد محدودة توفرها الغابة التي أصبحت وجهة معهودة للعديد من الأشخاص الذين لم يوفر لهم التعليم منفذا لتحسين وضعيتهم السوسيو اقتصادية، فأصبحت نتيجة لذلك الغابة هي قدرهم ومورد

رزقهم، وهو ما يفسر حجم الضغط الذي تتعرض له كل الموارد التي يوفرها هذا المجال الحيوي والهش في نفس الوقت حيث يتخذ استغلال الغابة عدة أشكال:

- توسيع المشاركات الزراعية على حساب الغابة؛
- ازدياد حجم قطعان الماشية المعتمدة أساسا على الرعي الدائم في الغابة؛
- تزايد الطلب على خشب التدفئة والطهي وبالتالي ارتفاع مستويات التحميم السري؛
- تزايد حجم البوار الاجتماعي والأراضي المهجورة مما يؤدي إلى زيادة نشاط التعرية وتدهور السفوح وانجراف التربة؛
- اندكالك التربة وعدم تجدد الأعشاب الأساسية في الرعي مما يؤدي إلى قطع الأشجار كعلف للماشية؛

بصفة عامة، فإن الغابة تتحول في أفق غياب أي مبادرة تنموية حقيقية إلى فضاء ومجال لتلبية جميع حاجيات عيش السكان والماشية لعالية حوض نفيس ، مع ما يعنيه ذلك من ضغط كثيف على هذا المورد في ظل الزيادة الطبيعية وزيادة الطلب والحاجيات. وتلخص الخطاطة العلاقة بين هشاشة الوضع التعليمي وتدهور الغابة بالمنطقة:

الشكل رقم 36: خطاطة: العلاقة بين هشاشة قطاع التعليم وتدهور المجال الغابوي



المصدر: تركيب شخصي بناء على تحريات ميدانية

خلاصة الفصل

إن الوضع الذي رصدناه في المجال المدروس بخصوص التعليم لا يختلف كثيرا عن الأوضاع في المجال المغربي عامة، ذلك أن العزلة الطبيعية والعزلة التنموية لم تخلقا إلا تعليما أقل ما يمكن وصفه به بأنه دون التطلعات سواء على مستوى الفرص أو على مستوى المخرجات والنتائج.

لقد وقفنا خلال هذا الفصل على أن التعليم في عالية حوض نفيس لا يعدو أن يكون شكلا من أشكال محاربة الأمية الهجائية، بالنظر إلى حجم الهدر المدرسي بالمنطقة وارتفاع نسب التكرار. كما أنه تعليم غير عادل بحكم ما سجلناه بخصوص سنوات التمدرس ومؤشر جيني للتربية، ناهيك عن كونه تعليما غير دامج بحكم ارتفاع نسبة ذوي الاحتياجات الخاصة الذين لا يستفيدون من هذا التعليم، دون إغفال ارتفاع نسب الأفراد الذين هم في وضعية NEET.

فكانت النتيجة هي فشل في الاستثمار في الرأسمال البشري، وبالتالي الفشل في كسب رهان التنمية ككل والتنمية البشرية على وجه الخصوص، فأصبحت المدرسة بذلك مكرسة للوضع الهش القائم، وحلقة من حلقات إعادة انتاجه مؤسساتيا، وبالتالي الزيادة في حجم الفوارق الاجتماعية والاقتصادية وتكريسها.

هذا الوضع دفع الساكنة المحلية والتي شهدت تحولات جذرية مرتبطة بالزيادة الديمغرافية إلى زيادة الطلب على الموارد، الشيء الذي يفسر تزايد ضغطها على المجال الغابوي كأساس للعيش والبقاء وكنمط تقليدي يمكن الاعتماد عليه بالرغم من كونه هو الآخر وسط متدهور. ذلك أن تدهور الأوساط مرده إلى تدهور ومحدودية وهشاشة الموارد، والنمو الديمغرافي المتزايد، وما يرافق ذلك من هجرة قروية وتفكك البنيات التقليدية المنسجمة والمتكيفة مع البيئة عبر الزمن. هذا كله في ظل استمرار سياسة التهميش للجبال وساكنتها في مختلف برامج وسياسات الدولة.

هذا المجال الهش الذي يعاني من العزلة والتهميش بشكل أو بآخر لا يمكن مطالبته بتأهيل الوسط الطبيعي والمحافظة على توازنه دون بدائل ترفع الضغط نسبيا عن هذا الوسط، وتقدم آفاقا وحلولا لساكنة المنطقة التي كانت تراهن على التعليم لإخراجها من وضعها الهش، وبالتالي الحد من الفوارق الاجتماعية، وتأهيل الرأسمال البشري الكفيل بتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية. غير أن هذا الرهان لم يستطع المغرب أن يكسبه بعد بحكم العديد من الإكراهات الذاتية والموضوعية. فإلى أي حد سينجح النموذج التنموي الجديد الذي تراهن عليه بلادنا لتجاوز كل هذه الإكراهات وبالتالي تمكين جميع مكونات المجتمع المغربي من الاستفادة من ثمار التنمية؟

إن تعلّما بالخصوصيات التي أشرنا إليها في هذا البحث لا يمكن أن يكون جزءا من معادلة الحل بقدر ما يتحول إلى جزء من معادلة الأزمة. وهذا الحكم ليس حكم قيمة بقدر ما هو نتيجة للتحليل الذي قمنا به بخصوص المنطقة رغم كل الجهود التي تم بذلها ورغم الرغبة التي لدى الساكنة المحلية لتحسين وضعياتها السوسيو اقتصادية وتغيير نمط العيش التقليدي بآخر أكثر حداثة، وهنا نقصد النمط المستدام الذي يستحضر التحديات التي تواجه الوسط الطبيعي الذي تنتمي له هذه الساكنة، وهو بالمناسبة وسط هش وذو حساسية مفرطة تجاه كل أشكال الاستغلال غير المعقلن، لكن الظروف التي تعيشها فئات عريضة من مجتمع عالية نفيس تفرض عليها في أحيانا كثيرة اللجوء إلى اختيارات قد لا تراعي منطق المحافظة على الموارد الطبيعية بصفة عامة والمجال الغابوي بصفة خاصة رغم أننا في هذا البحث لا نبرر أو ندافع عن هذه الخيارات، بقدر ما نطرحها للنقاش في أفق إيجاد بدائل حقيقية تقي هؤلاء السكان الفقر والتهميش، وفي نفس الوقت تحافظ على الموارد الطبيعية باعتبارها تراثا مشتركا بين كل فئات المجتمع سواء المحلي أو الوطني.

الفصل الثاني: الهشاشة الصحية بعالية حوض نفيس ودورها في تدهور المجال الغابوي

تقديم

ننطلق في هذا الفصل من مقولة «مارك أوجي»: بأن الخل البيولوجي غالبا ما تم اعتباره داخل الكثير من المجتمعات خلا اجتماعيا او ناتجا عن خلل اجتماعي، لذلك فالعلاج لم يكن ينطلق من محاولة إعادة النظام للجسد المريض، وإنما من محاولة إعادة تنظيم المجتمع ككل بشكل عام» (Marc Augé و Claudine Herzlich)، وهو المعنى نفسه الذي تطرق إليه «ميشيل فوكو» في تاريخ الجنسية» عندما تحدث عن «عتبة الحداثة البيولوجية» أي المرحلة التي جعلت الإنسان يضع حياته موضوع تساؤل بما في ذلك الجسد والصحة ونظام التغذية... ومختلف شروط الحياة والوجود.

هذا يدفعنا إلى القول بأن مسألة الصحة لا يتم تناولها كمسألة بيولوجية فقط، وإنما كظاهرة اجتماعية ارتبطت تاريخيا بكل المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية...، مما جعلها موضوعا خصباً للعلوم الإنسانية بما فيها الجغرافيا. والصحة في المجتمع المغربي تقدم نفسها كـ «ظاهرة عامة» (Marc-Adélar Tremblay)، بالإضافة إلى كونها تحتل مكانة مهمة داخل الخطاب الاجتماعي باعتبار ارتباطها بقضايا التنمية، بل هي وجه من أوجه قياس مستوى التنمية البشرية في جميع الدول⁽¹³⁴⁾. فالظاهرة الصحية، كظاهرة اجتماعية، تعكس بشكل أو بآخر وضع التنمية في أي مجتمع.

إن إطلالة بسيطة على مختلف التقارير والدراسات الصادرة عن مختلف الهيئات والمؤسسات الدولية بخصوص الصحة، كالمنظمة العالمية للصحة (OMS) وهيئة الأمم المتحدة (UN)، والتي تعتبر كلها بأن مسألة الصحة هي الهدف الاجتماعي الأكثر أهمية وأن «التنمية» ليس لها إلا هدف واحد وهو «خلق البيئة المناسبة التي تسمح للأفراد بالعيش لمدة أطول في صحة جيدة» (PNUD, 1990)، هذا الارتباط الوثيق بين الصحة والتنمية هو ما جعلنا نركز عليها كمؤشر من بين مؤشرات أخرى للوقوف على حجم الهشاشة في المجال المدروس، بالإضافة إلى كونها ستمكننا من تفسير حجم اللامساواة الاجتماعية التي ترزح تحتها المنطقة مقارنة مع كل المجال المغربي، فبالإطلاع على مختلف الأرقام والإحصائيات وبعض معطيات البحث الميداني، سنجد بأن بعض المعدلات كأمد الحياة ومعدل الوفيات (الأطفال والأمهات...)، وانتشار الأمراض المزمنة والإعاقة... كلها تؤكد على ما قلناه منذ بداية هذا الفصل حول الارتباط الوثيق بين الوضع الصحي والوضع الاجتماعي والاقتصادي.

(134) من المعلوم أن مؤشر التنمية البشرية IDH يقوم على أساس قياس ثلاثة أسس وهي الصحة والتعليم والدخل

هذه العلاقة بين الصحة والتنمية بأبعادها المختلفة: السياسي، الاجتماعي، الثقافي... تتسع في المجتمع المغربي لتشمل كذلك ما هو ذهني، أي تمثل المجتمع للمرض وطريقة التفكير فيه والتعامل معه، وهي مسألة مرتبطة بالذاكرة والتاريخ ومستوى الثقافة والوعي والدين... مما يجعلنا نتحدث عن محددات كبرى للصحة في المجال المدروس.

1. تركز الصحة على عدة محددات اجتماعية

إن المسألة الجديدة التي جاء بها مفهوم « التنمية البشرية » كمفهوم جديد نسبيا تبنته هيئة الأمم المتحدة في تحليلاتها لأوضاع العالم. هي أنه مفهوم يجعل من الإنسان ومن أسئلته الاقتصادية والاجتماعية - بما في ذلك وضعه الصحي طبعا - في قلب كل السياسات التي تسعى إلى تطوير وتنمية « الوجود الإنساني » ككل. وهذه واحدة من إيجابيات الانتقال من مفهوم النمو ذي الطابع الكمي (الاقتصادي)، إلى مفهوم التنمية. من هذا المنطلق جاء الحديث عن مفهوم « المحددات الاجتماعية للصحة »، أي « ارتباط الوضع الصحي بالحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الموجودة داخل المجتمع » (135).

إن الصحة بهذا المعنى ليست ظاهرة مستقلة في حد ذاتها، وإنما ترتبط ارتباطا وثيقا بمحددات اجتماعية هي المسؤولة غالبا عن إنتاج أي وضع صحي، بمعنى أننا ننقل من حقل البيولوجيا والباتولوجيا إلى حقل السوسولوجيا، ومن الجسد إلى المجتمع. ومن « غياب المرض » فقط إلى توفير محيط وبيئة ملائمة لتحقيق عيش أطول، بصحة جيدة... وهي كلها معان تصب في معنى أكبر هو: مفهوم « جودة الحياة » (136) أو « الرفاه » le bien être الذي هو غاية كل عملية تنموية، بل إن إمعان النظر في كل مؤشرات التنمية البشرية سيجعلنا نخلص إلى التقائها ضمنا عند المؤشر الصحي (137). باعتبار الصحة الجيدة شرطاً لاستمتاع الإنسان بباقي شروط جودة الحياة من تعليم وخدمات... الخ

في هذا السياق جاء مفهوم « المحددات الاجتماعية » للصحة، الذي يمكن اعتباره مفهوما ثوريا قطع مع الصحة بمفهومها الكلاسيكي الذي يتم فيه الاقتصار على الطب والتطبيب والجسد كعوامل مؤثرة في صحة الأفراد، وأسس هذا لمفهوم جديد واسع من المجال الافتراضي للصحة وفتحه على مجال المجتمع وظواهره (138).

(135) د. زكرياء الإبراهيمي: الصحة والمجتمع، دراسة سوسولوجية للصحة والمرض بالمجتمع القروي المغربي، ط 1، 2016، ص 307

(136) ركزت كل المقاربات الكلاسيكية على مفهوم النمو الذي يعتبر مفهوما كميّا قاصرا عن تقديم صورة حقيقية للوضع الإنساني، وهنا تكمن قوة مفهوم « التنمية البشرية »، الذي يتجاوز العددي والكمي إلى مسألة الكيف، أي ظروف عيش الإنسان في حد ذاتها من صحة وتعليم ودخل... الخ والولوج للخدمات الرئيسية.

(137) مادام هدف التنمية البشرية هو توفير ظروف العيش الكريم، فإن الصحة شرط أساس للعيش الكريم. وغياب هذا المؤشر يعني غياب التنمية بغياب المعنى بها الذي هو الإنسان.

(138) في هذا الصدد تعتبر وثيقة او نموذج « لالوند » Modèle la lande وهي وثيقة انجزتها وزارة الصحة الكندية سنة 1974 تحت عنوان « ملامح جديدة لصحة الكنديين »، من أولى الوثائق التي أسست لهذا الفهم الجديد « للصحة » بنقله من الجسد والبيولوجيا إلى المجتمع. وهو تصور شامل للصحة concepte global يربط بين الصحة الجيدة وبين وجود أربع محددات: البيولوجيا البشرية - البيئية - نمط العيش - تنظيم الفحوصات الطبية

والفقراء، وسكان المدينة والريف، وكذا اختلاف البنيات الطبية واختلاف الفروق الصحية بين الذكور والإناث والشباب والشباب... الخ، كما يسمح بمعرفة الأسباب الكامنة وراء وفيات الأشخاص... خاصة تلك المرتبطة بنمط العيش» التغذية، المخدرات، الكحول...» أو بالمحيط أو البيئة، أي مختلف الشروط الخارجية التي تؤثر على الجسد البشري: الماء، النظافة، الهواء، البيئة... «وهي نفس أسباب علة الجسد.

هذه الشمولية في تناول «الصحة» في إطار مفهوم «المحددات الاجتماعية» لهذه الأخيرة، هو ما جعلنا نركز عليه ونعتمد لدراسة موضوع الصحة كوجه من أوجه الهشاشة الاجتماعية بمنطقة «عالية حوض نفيس»، بالإضافة إلى كون هذا المفهوم هو مفهوم تفسيري بامتياز، حيث يمكننا من بلورة رؤية حقيقية للوضع الصحي بالمنطقة. غير أن مفهوم المحددات الاجتماعية يبقى مفهوما شاسعا شاسعا وتعدّد هذه المحددات المتحركة والمفسرة للوضع الصحي بمجال ما. لذلك سنقتصر على أربعة محدّدات أساسية تعتبر في نظرنا كافية لمقاربة الوضع الصحي بالمنطقة المدروسة، وهذه المحددات هي:

● الثقافة ؛

● الفقر ؛

● التغذية ؛

● المجال⁽¹³⁹⁾.

1.1. الثقافة كمحدد اجتماعي للصحة (التمثيلات الثقافية)

تعتبر « الثقافة » بمفهومها الواسع، محددا نظريا له قيمة تحليلية لمسألة أو موضوع « الصحة »، كواحد من مؤشرات قياس الهشاشة الاجتماعية، أي الثقافة كنظرة للحياة وللكون، خصوصا في المجتمع المغربي عموما وفي المجال القروي على وجه الخصوص. هذا المحدد يعتبر في نظرنا محددا أوليا داخل المحددات الاجتماعية للصحة باعتباره مرتبطا بالوعي و بالتمثيلات والمعاني التي يعطيها السكان لأسباب المرض والوضع الصحي ككل.

نحن هنا بصدد الحديث عن مفهوم « الثقافة الصحية » لدى الساكنة القروية في المجال المدروس، أي الأسباب التي يراها هؤلاء مسؤولة بالدرجة الأولى عن وضعهم الصحي، وبالتالي عن سلوكهم الصحي. من هذا الجانب تأتي أهمية الثقافة أو «الوعي» كمحدد اجتماعي للوضع الصحي للفئة المدروسة. فالمتمكن من فهم نظرة المجتمع القروي لأسباب الصحة والمرض، سيتمكن بسهولة من فهم الوضع الذي توجد فيه «الصحة» في المجال القروي المغربي عامة وفي « عالية حوض نفيس » على وجه التحديد. وهو وجه

(139) ليس هناك نموذج محدد لهذه المحددات الاجتماعية وانما هي مسألة اجتهاد وأولويات.

ذاتي أولا من أوجه الهشاشة الصحية قبل الحديث عن باقي الأوجه الموضوعية⁽¹⁴⁰⁾، مرتبط بتفسير الأفراد لأسباب المرض ونظرتهم وسلوكهم الصحي.

خلص الدكتور زكرياء الابراهيمي في دراسته حول «الصحة والمجتمع، دراسة سوسيولوجية للصحة والمرض بالمجتمع القروي المغربي»، إلى أن نظرة المجتمع القروي المغربي لأسباب المرض تنقسم لنوعين:

⊙ النوع الأول: ما ورائي له علاقة بالله والسحر والمكتوب (العين، الجن...) وهو ما يمثل 65% من الأسباب المفسرة للمرض لدى العينة المدروسة .

⊙ النوع الثاني: طبيعي -اجتماعي، مرتبط بالتغذية والإدمان والفقر... وهو ما لا يمثل سوى 30% من الأسباب المفسرة للمرض لدى العينة نفسها.

وهذا ما يحيل على وجود ثقافتين أو وعيين متجاورين داخل المجتمع القروي المغربي مع ملاحظة أن الثقافة التقليدية هي الطاغية وأن الأسباب الطبيعية والموضوعية للمرض ليست سوى أسباب ثانوية لها علاقة بمنطق الصدفة أكثر مما لها علاقة بمنطق المرض وتفسيره. في حين يبقى التفسير الغيبي أو الماورائي هو المسيطر في هذا المجال كنوع آخر من أنواع الشقاء والهشاشة والتهميش، يُسائلنا جميعا عن حقيقة الخطاب التنموي الذي تتبناه الدولة المغربية⁽¹⁴¹⁾، وعن الإمكانيات التي تم توفيرها لهذه الفئات من أجل إدماجها في سياق الحداثة، ولو على مستوى نشر الوعي والثقافة والتعليم في هذه المجالات المهمشة.

أهمية هذا الباب في التحليل تكمن في السلوكات المترتبة عن هذا الوعي وكذا القيم الصحية التي سينتجها، والتي في الغالب تتجه نحو إنتاج وإعادة إنتاج المرض، مع ما يرافق ذلك من مواقف سلبية تتعارض تماما مع التصور العلمي للطبيعة بصفة عامة وللمرض بصفة خاصة، وبالتالي محدودية أي جهود أخرى قد تبدو موضوعية لمعالجة هذا الوضع⁽¹⁴²⁾. وفي هذا السياق يأتي الحديث عن مظهر آخر من مظاهر الهشاشة بهذا المجال الذي خصصنا له فصلا خاصا به نظرا لأهميته وهو « التعليم»، ذلك أن نسب الأمية المرتفعة وضعف المستوى التعليمي وانتشار الهدر المدرسي بالمجال المدروس... كلها عناصر تساهم في انتشار ثقافة تقليدية تمتح من الشعبي أكثر من انفتاحها على المجالات المعرفية والعلمية وتكرس بوعي أو بغير وعي وضع الهشاشة بالمنطقة.⁽¹⁴³⁾ أهمية هذا الجانب في التحليل تكمن في كوننا ندرك أن

(140) يمكن الاطلاع على دراسة قيمة بها الكثير من التفاصيل حول هذا الموضوع للدكتور زكرياء الابراهيمي الذي خصص الفصل الثاني من القسم الثالث من بحثه لهذا الموضوع، كتاب الصحة والمجتمع، مرجع سابق، ط2016، 1

(141) وتجدر الإشارة إلى أن الدولة المغربية لم تحسم بعد في نموذجها التنموي، حيث دعا العامل المغربي في خطاب العرش إلى إعادة النظر في هذا النموذج الذي لم يحقق نتائج ملموسة على المستوى الاجتماعي والتنموي لاسيما في ظل تحديات العولمة.

(142) المريض الذي يفضل مثلا التعاطي مع العلاجات الماورائية كالفقيه والحجاب والرقية... وبعض العلاجات التقليدية ويفرض تماما الفحص الطبي أو الأدوية باعتبار أن سبب المرض هو عين أو سحر أو مكتوب كما هو الامر في مجال الدراسة... يخلق وضعاً شادا في المجتمع وقد يؤدي إلى تفشي الامراض والابوئة عوض البحث عن حلول حقيقية لها وهي هشاشة في السلوك الصحي وفي التمثلات.

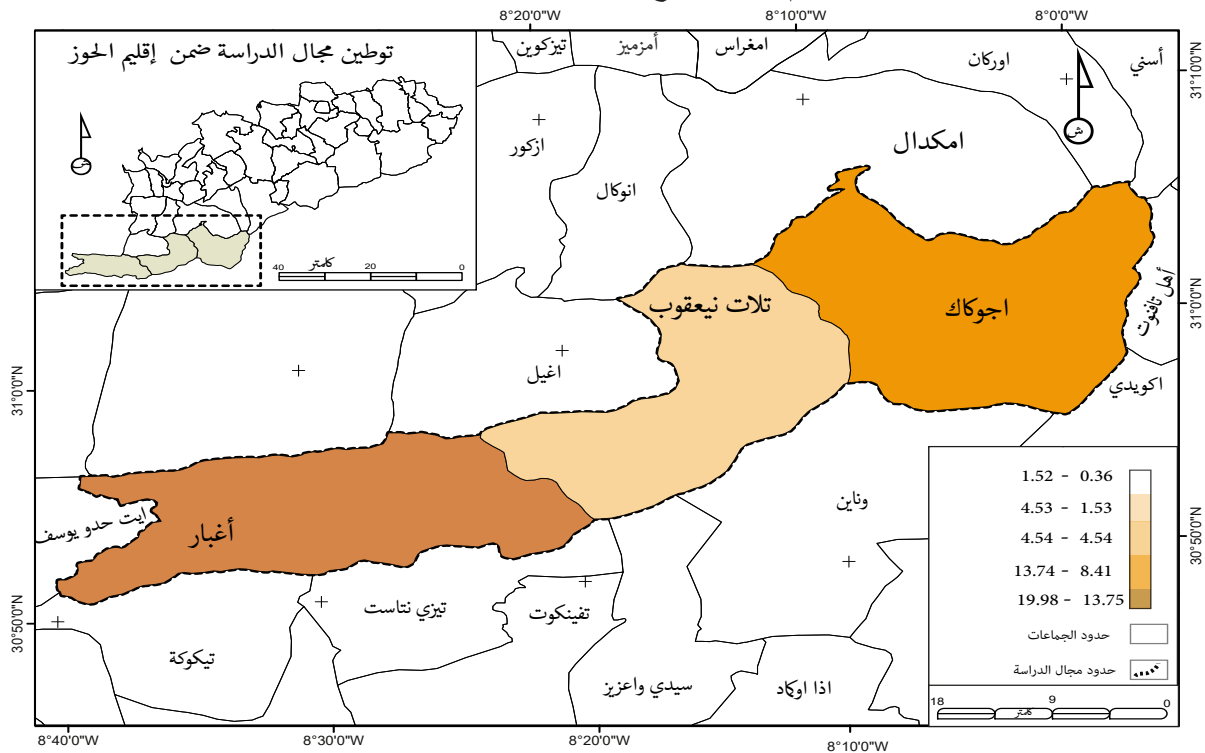
(143) إذا كان التعليم بالمغرب ككل يعيش ازمة، فإن المجال الريفي يعاني أكثر بحكم عوامل مرتبطة بالمجال والإنسان وسياسة الدولة التي همشت الريف لسنوات طوال.

الهشاشة الصحية لا تقتصر فقط على قطاع الصحة في المنطقة في شقه الموضوعي المرتبط بالبنيات والموارد البشرية والمادية... وإنما تتعدى ذلك لتتحول إلى هشاشة بنيوية تلامس السلوك الصحي للسكان وقيمهم الصحية بل ونظرتهم للمرض والصحة والموت والحياة عامة (144).

2.1. الفقر محدد اجتماعي آخر للصحة

لا نقصد بالفقر هنا مجرد ما يحققه الفرد أو الأسرة من دخل، وإنما المقصود به: «مجموع الشروط المادية والاجتماعية والطبيعية... التي يوجد ضمنها الفرد وتتسم في الغالب بالهشاشة والضعف والخطورة». هذا التعريف قد يتسع ليشمل السكن غير اللائق وغياب النظافة والبيئة السليمة وغياب الأمن وانتشار الجريمة والإدمان وسوء التغذية، وكذلك غياب البنيات التحتية الضرورية... وكثرة الأمراض والوفيات. الخ، كلها ظواهر ينتجها الفقر، كما أنها في حد ذاتها تعيد إنتاج هذا الفقر إلى أن يتسم مجال ما بها فيصبح بالتالي مجالا فقيرا يعيش الهشاشة في شكلها التركيبي والشمولي، وهي حالة المجال القروي المغربي عموما والمجال المدروس خصوصا كما يتضح من خلال (الشكل 37).

الشكل رقم 37: توزيع معدلات الفقر لعالية حوض نفيس



المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014

(144) استطاعت أوروبا تحقيق نهضتها في أواخر القرن 15 ومطلع القرن 16 بفضل تغيير النظرة إلى الإنسان والحياة والكون في إطار ما عرف «بالحركة الأنسية»... بحيث أصبح الإنسان سيد نفسه والمسؤول الوحيد عن مصيره، بينما نحن لازلنا إلى اليوم غارقين في السلبية والماورائيات والإيمان بالخرافة.

خطورة الفقر تكمن في كونه لا ينتج الفقر فقط وإنما ينتج المرض كذلك ويعيد إنتاج الهشاشة الصحية ككل. وبالعودة إلى معطيات البحث الميداني الذي قمنا به في المنطقة سنجد أهمية لا بأس بها لانتشار أمراض لها علاقة وطيدة بالفقر كما هو مبين في الجدول الآتي:

جدول رقم I8: أهم الأمراض التي تعاني منها الأسر لعالية حوض نفيس

النسبة %	العدد	الأمراض
24	20	الأمراض الجينية الوراثية
17	15	الأمراض المرتبطة بسوء التغذية (هشاشة العظام، فقر الدم)
13	11	الالتهابات الفيروسية الكبدية
10	9	الغدة الدرقية
9	8	السل
9	8	أمراض السكري
6	5	أمراض العيون
12	10	دون جواب
100	86	المجموع

المصدر: تحريات ميدانية 2018-2020

في الحقيقة كل هذه الأمراض في نظر العينة المدروسة ينتجها الفقر أولاً وقلة ذات اليد، فالفقر كإخفاق اجتماعي واقتصادي في الحياة تترتب عنه مباشرة سلسلة من الأمراض العضوية التي يساهم الفقر المادي وقلة الحيلة في انتشارها واستفحالها أكثر، أمام عجز الإنسان القروي واستسلامه وتسليم أمره لله، كما سبقت الإشارة إليه في المحدد الثقافي باعتباره المسؤول الأول عن الصحة والمرض ومشيتته نافذة وبالتالي التسليم بهذا الواقع وقبوله، وهو ما يسميه **Oscar lewis** «ثقافة الفقر» أو «الفقر المندمج» بتعبير **Serge Paugam** (145).

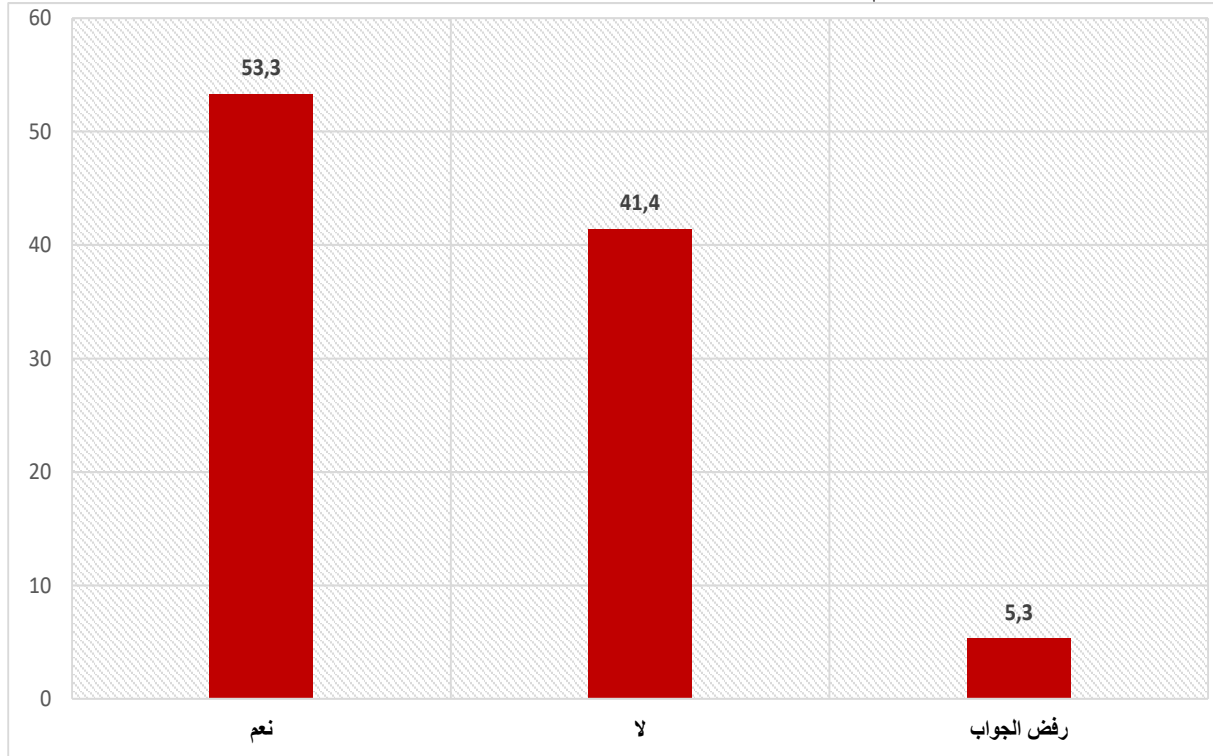
خطورة الفقر كمحدد تفسيري هنا لا تكمن في كونه ثقافة لا واعية تعيد إنتاج المرض فقط وإنما كونه يتحكم في استراتيجية وسلوك التعامل مع الأمراض في حالة الإصابة بها، وهذا يتجلى بالعودة إلى معطيات الدراسة الميدانية التي خصصناها لساكنة عالية حوض نفيس بخصوص مؤشرين اثنين هما:

⊙ الاستشارات الطبية التي قامت بها الساكنة (الشكل 38)؛

⊙ المصاريف الأسرية على الصحة (الشكل 39)؛

(145) ثقافة الفقر عند Oscar Lewis هي التي تنتج ما سماه Serge Paugam بالفقر المندمج أي ذلك الفقر الذي يتحول إلى مسألة عادية ومقبولة بل وإلى آلية للتبرير تنتج أشكالاً من التضامن بين الأفراد. كما أن «ثقافة الفقر» هي نوع من التكيف مع الواقع والقبول به

الشكل رقم 38: الاستشارة الطبية خلال سنة 2019 لعالية حوض نفيس



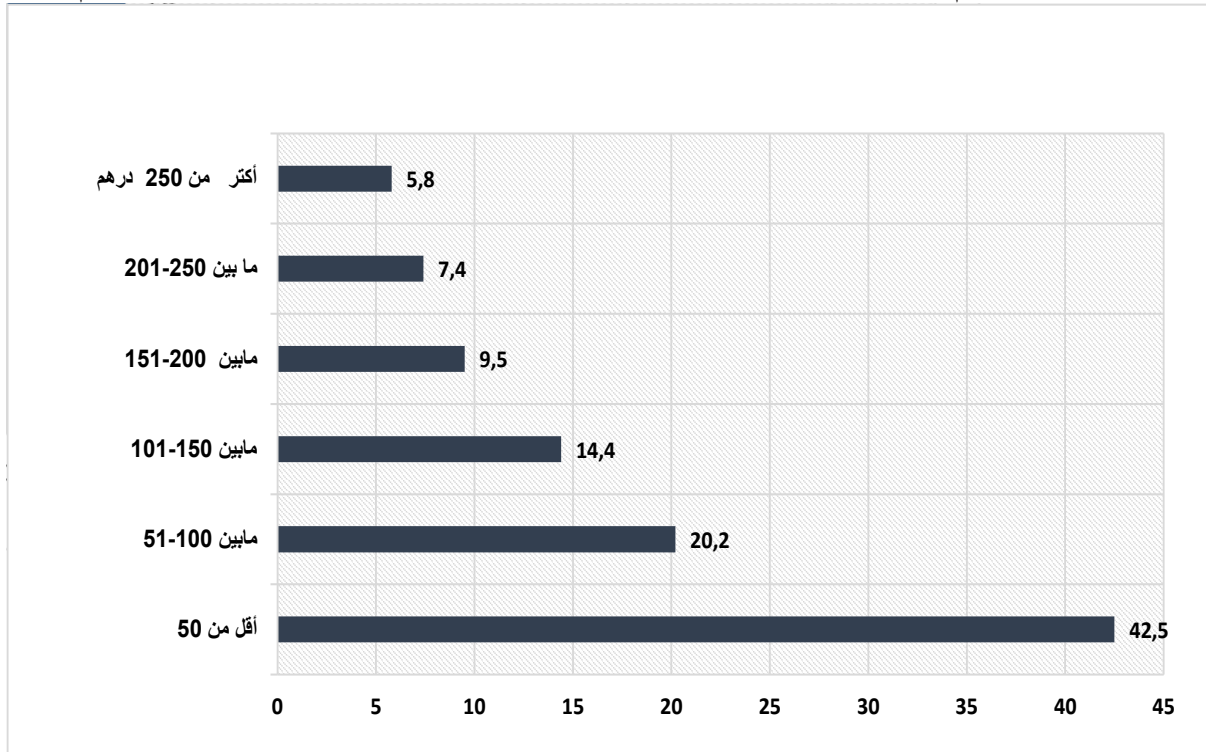
المصدر: تحريات ميدانية، 2018-2020

فالمبيان أعلاه يوضح بأن نصف العينة المدروسة تقريبا 41.4% بالإضافة إلى 5.3% التي امتنعت عن الإجابة لم تجر أية استشارة طبية طيلة سنة 2019، كما تجدر الإشارة إلى أن نسبة 53.3% المتبقية لم تقدم على هذه الاستشارة إلا في الحالات الحرجة أو غالبا حالات تتبع الحمل لدى النساء الحوامل في المنطقة وهي أمور روتينية لا تدخل حقيقة في مفهوم الفحص الطبي بمعناه العصري، فثقافة الفقر تكبح أي سلوك لدى ساكنة القرى نحو بناء «استراتيجيات حقيقية للعلاج أو نوع من التنظيم لتلقي العلاجات أو القيام بفحوصات طبية دورية» (146).

بالإضافة إلى ذلك فإن الفقر كمحدد اجتماعي، يقلص ويكبح من فعالية السلوك الصحي العصري في المنطقة، فحتى الأسر التي قامت بالاستشارات الطبية خلال السنة الراهنة، لم تقم بإنفاق سوى مبالغ هزيلة على الصحة كما يوضح (الشكل رقم 39).

(146) هذا التنظيم في الحقيقة لا نجده حتى في المجال الحضري بالنسبة للمجتمع المغربي فيالأحرى في المجال القروي والمبرر دائما هو ثقافة الفقر.

الشكل رقم 39: قيمة المصاريف الشهرية على الصحة لعالية حوض نفيس (بالدرهم)



المصدر: تحريات ميدانية ، 2018-2020

من خلال المبيان يتضح بأن ثلثي الساكنة 62.7% لا تتعدى مصاريفها الشهرية على الصحة 100 درهم. وأن 42.5% لا تتعدى مصاريفهم 50 درهم شهريا، بل إن 77.1% من هؤلاء لا يتجاوز سقف مصاريفهم على قطاع الصحة 150 درهم في الشهر⁽¹⁴⁷⁾، علما بأن هذه المصاريف الهزيلة تخص الأسرة ككل وليس فقط فرد من أفرادها، فهذه النفقات يتم تخصيصها للشخص المريض أو المحتاج للطبيب، وليست مصاريف جانبية تخصص لقطاع الصحة دون غيره.

الهشاشة الصحية في عالية حوض نفيس في شقها المرتبط بالفقر لا تقتصر على فقر الساكنة المادي الذي أنتج بنية سلوكية سبق وأن سميناها مع اوسكار لويس «ثقافة الفقر»، بل تتعدى ذلك إلى فقر على مستوى البنيات الصحية وعلى مستوى المؤسسات، أي كل ماله علاقة بسياسة الدولة بالقطاع والتي نستشف من خلالها لا تكافؤا مجاليا صارخا وشكلا من أشكال التهميش الذي عانى منه ولا يزال المجال القروي المغربي ككل وعالية حوض نفيس على وجه التحديد⁽¹⁴⁸⁾.

(147) يجب أن نسجل هنا بأن الحديث عن مصاريف الصحة الشهرية ليست شكلا من أشكال التنظيم المرتبط بالسلوك الصحي بقدر ما هو نوع من المصاريف الجانبية على قبيل الصدفة كحالة مرض مثلا، تفرض على الأسرة الذهاب للطبيب، هذا من جهة ومن جهة ثانية فهذا الرقم هو رقم خاص بالأسرة وليس الفرد مما يجعل المسألة كلها غير ذات معنى عند مقارنتها بمفهوم المصاريف الشهرية على الصحة في مناطق أخرى وثقافات أخرى.

(148) هذا الجانب سنتطرق إليه بالتفصيل في الباب المتعلق بالبنيات التحتية والموارد المادية والبشرية الخاصة بقطاع الصحة في المنطقة.

3.1. التغذية محدد اجتماعي ثالث للصحة

أكدت المنظمة العالمية للصحة على العلاقة الوطيدة الموجودة بين النظام الغذائي وبين الصحة، بل واعتبرت الغذاء محددًا اجتماعيًا للصحة، وهو ما جعلنا نخصص هذا المحور باعتبار الدور التفسيري الذي يؤديه في فهم مسألة الهشاشة الصحية في المجال القروي المغربي عامة، وفي عالية حوض نفيس بالتحديد.

لقد تأكد لدى العديد من الباحثين بأن «المغاربة لا يستجيبون لحاجياتهم الفيزيولوجية من الطعام، «فسوء التغذية هي السمة الكبرى التي تميز العديد من المناطق القروية المغربية»⁽¹⁴⁹⁾. وهو ما يسميه «فليب عطية» في كتابه «أمراض الفقر، المشكلات الصحية في العالم الثالث» ب: «الجوع النوعي»⁽¹⁵⁰⁾، أي الغذاء الذي لا يستفيد منه جسم الإنسان بشكل صحي، أو الغذاء الذي لا يؤدي وظيفته في إكساب الجسم حاجياته من الفيتامينات والبروتينات... إلخ. مما يترتب عنه حدوث العديد من الاضطرابات المتكررة وكذا العديد من الأمراض.

وعلى العموم فإن ساكنة القرى بالمغرب عامة وبالمجال المدروس على الخصوص يتسم نظامها الغذائي بعدة صفات منها:

● غياب اللحوم أو عدم حضورها بقوة وبالتالي النقص الكبير في البروتينات، (57% من سكان تاوانات لا يستهلكون اللحم إلا مرة واحدة في الأسبوع حسب الباحثة زينب النجاري و 36.8% في السهول بالنسبة ل زكرياء الابراهيمى)⁽¹⁵¹⁾ ؛

● موسمية تناول الفواكه، وعدم اعتبارها جزءا من النظام الغذائي وإنما شكلا من أشكال الترف والإضافة التي تبقى مرتبطة بمواسم الجني (تتميز المنطقة بوجود مجموعة من الفواكه كالخوخ والتفاح...) ؛

● الاعتماد كلية على « الخبز والشاي » طيلة فترات اليوم، بل قد يتحول « الشاي والخبز » إلى غذاء يومي للعديد من الأسر الفقيرة، مع العلم أن الشاي لا يقتصر على المجال القروي المغربي فحسب بل يتعداه إلى المدن.

(149) أنظر: Paynoud, I hygiène et la Médecine au Maroc, Alger 1902

(150) يقصد بسوء التغذية أو « الجوع النوعي » بتعبير فيليب عطية هنا « جميع الحالات التي تعاني من تغذية غير سليمة، خارجة عن المعايير العلمية لاحتياجات الإنسان الفعلية من المواد الغذائية، وهو تعبير أبلغ من تعبير « نقص التغذية » المرتبط بالفيتامينات والبروتينات... إلخ

(151) نجاري زينب، المحددات والابعاد السوسيو اقتصادية للفقر بالوسط القروي، إقليم تاوانات نموذجا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في السوسولوجيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 2009-2010

هذه المميزات الثلاث على الأقل تجعلنا نتفق مع « بورديو »⁽¹⁵²⁾ الذي ميز بين الوظيفة والصورة. ذلك أن ساكنة القرى يبحثون في التغذية فقط عن وظيفتها، أما الصورة فهي شكل من أشكال الترف يتطلب رصيذا من الرأسمال المادي الذي لا تسلكه جل الأسر في المجال القروي المدروس. وفيما يلي جرد لبعض أهم الأمراض المنتشرة في المنطقة والتي لها علاقة وطيدة بالتغذية بشكل مباشر أو غير مباشر:

جدول رقم I9: بعض الأمراض المرتبطة بسوء التغذية:

الأمراض	النسبة %
سوء التغذية (فقر الدم، هشاشة العظام...)	17%
السل	09%
السكري	22%

المصدر: تحريات ميدانية ، 2018-2020

كما تنتشر هذه الأمراض التي لها علاقة وطيدة بما يتناوله الإنسان من أنواع الغذاء كما هو الشأن بالنسبة للأمثلة التالية التي نجدها بشكل كبير في مجال الدراسة:

أ- **فقر الدم: الأنيميا Anémia** والذي هو حالة طبية / مرضية تتميز بعدم وجود كمية كافية من خلايا الدم الحمراء في الجسم والتي تعمل على نقل الأكسجين إلى الأنسجة. ومن المعلوم طبيا أن مسببات فقر الدم هي:

- عوز الحديد: أي نقص الحديد في الجسم
 - عوز الفيتامينات: مثل فيتامين B12 وحمض الفوليك لإنتاج كريات الدم الحمراء.
 - مرض مزمن ينتج عنه فقر الدم كالسرطان، الإيدز، الفشل الكلوي...
- فالسببين الأولين لهما علاقة مباشرة بالنظام الغذائي الذي قد ينقصه أحد المركبات الغذائية الحيوية (الحديد، الفيتامينات).

ب- **هشاشة العظام Osteoporosis** أو العظام المنخورة أو الهشة إلى درجة أن مجرد القيام بأعمال بسيطة جدا قد يؤدي إلى كسور في العظام. والجدير بالذكر أن سبب هشاشة العظام تتمثل في:

- نقص في الكالسيوم والفوسفور ؛
- نقص في معادن أخرى في العظام ؛
- نقص فيتامين D.

(152) يرى «بورديو» بأن القانون الوحيد المتحكم في الأفعال الطبيعية للأفراد هو تأرجحها بين الوظيفة والصورة. وذلك حسب موقع الفرد داخل المجتمع، فالوظيفة ترتبط بالغاية بينما الصورة ترتبط بالكيف.

والجدير بالذكر أن العقود الثلاثة الأولى من حياة الإنسان، تعتبر أهم فترة للحماية من هذا المرض عبر تحقيق الاكتفاء من الكالسيوم وفيتامين د (D). وبالعودة للجدول السابق سنجد بأن 17% من العينة المدروسة تعاني من هذين المرضين، الشيء الذي يساهم في زيادة معدلات الهشاشة الاجتماعية في أوساط هذه الأسر التي يعاني أحد أفرادها من هذين المرضين بالنظر إلى التكلفة المرتفعة للعلاج حيث يضطر أغلب المرضى إلى الانتقال إلى مدينة مراكش بهدف متابعة العلاج، مع ما يرافق ذلك من مصاريف عادة ما تعجز الأسر عن تحملها، فيكون بذلك مصير المريض هو اللجوء لبعض الوصفات الطبية الشعبية المنتشرة في المنطقة أو استخدام بعض الأعشاب الطبية التي يتم الحصول عليها من الغابات المنتشرة في المجال المعني بالبحث والتي تساهم في الغالب في زيادة خطر الإصابة بأمراض أخرى بحكم الاستعمال العشوائي لهذه الأعشاب الطبية.

ج - السكري Diabète

ينتمي السكري إلى عائلة الأمراض المزمنة الناتجة عن الاضطرابات التي تصيب عملية بناء وهدم الكربوهيدرات أو ما يسمى عمليات «الأيض» Metabolisme ويعتبر البنكرياس مسؤولاً رئيساً في تنظيم نسبة السكر في الدم عبر إفراز الأنسولين (insuline) بواسطة خلايا «بيتا»، وأي خلل في هذه العملية يتم تشخيصه على أنه مرض، علماً أن مرض السكري ينقسم إلى قسمين:

السكري من النوع الأول: حيث يقوم الجهاز المناعي بإتلاف خلايا بيتا في الجسم لأسباب غير معروفة ويصيب بالخصوص الأطفال وحتى البالغين في بعض الحالات.

السكري من النوع الثاني: وهو سكري البالغين، يتم خلاله إتلاف خلايا بيتا في البنكرياس لأسباب وراثية مدعومة بأسباب أخرى خارجية (التغذية، السمنة، نمط العيش...).

يعتبر النوع الثاني من أكثر الأمراض انتشاراً في المجال المدروس وغالباً ما يربطه السكان بالتغذية التي زاغت عن سكتها التقليدية. أي ما كان يعتمد عليه الآباء والأجداد وأصبحت قريبة من النمط المدني القائم على تناول المفرط للسكريات والكربوهيدرات... إلخ. وهذا ما نجده منتشر بنسب مهمة في المجتمع المغربي عامة وكذلك في المجال القروي.

الشكل رقم 40: لوحة نماذج من الحملات الطبية الموجهة لساكنة عالية نفيس (أغبار نموذجاً)



المصدر: تحريرات ميدانية، 21 يناير 2018

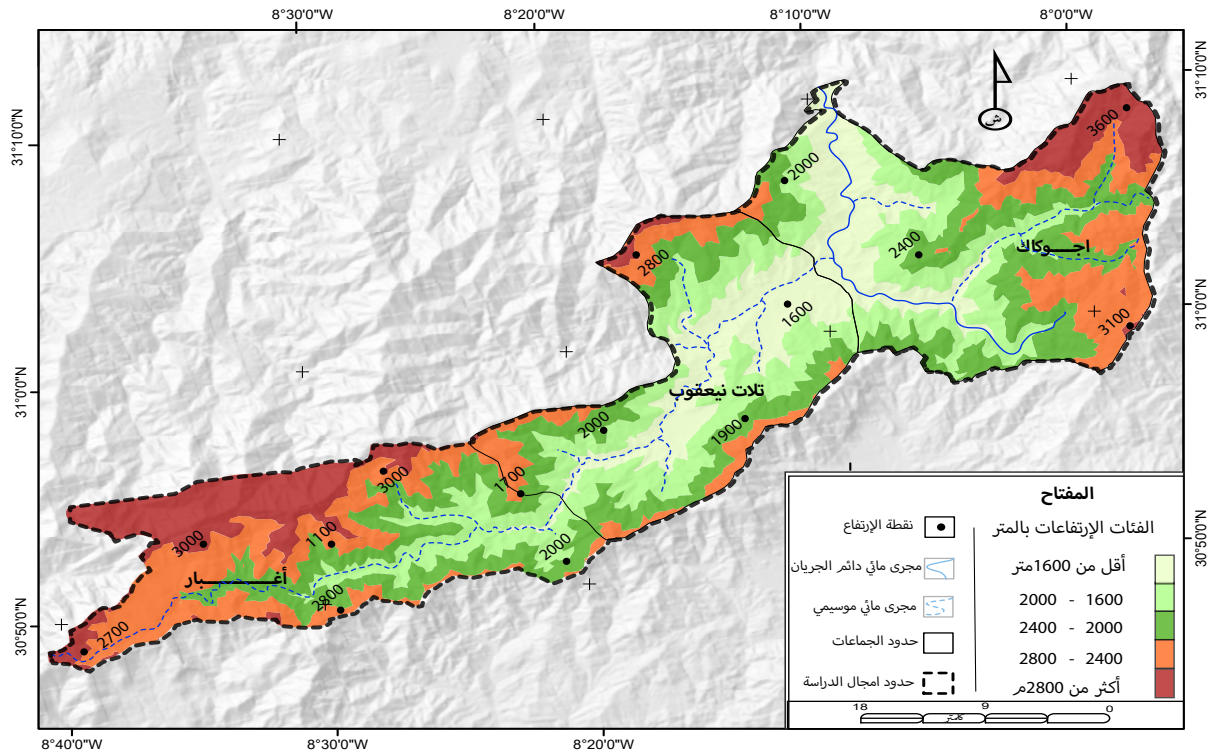
4.1. المجال القروي كمحدد آخر للصحة حيث معاناة ساكنة المناطق المعزولة في العالم القروي

إذا كان الزمن مفهوماً أساسياً ومحورياً في المقاربة التاريخية، فإن المجال مفهوم محوري كذلك في كل مقاربة جغرافية ولا سيما في الجغرافية المعاصرة باعتباره الوسط الذي يحتضن الظاهرة المدروسة، سواء كانت طبيعية أو بشرية، أو هما معاً، ومما لا شك فيه أن اهتمام الجغرافيا بالمجال شكل قفزة نوعية في فهمها للظواهر البشرية والمجالية، والكشف عن التوزيع الجغرافي لها، وكذلك في التعرف أكثر على العلاقات القائمة بين المجال والإنسان، وانفتاح علم الجغرافيا على مجموعة من العلوم الاجتماعية الأخرى كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس والإبستمولوجيا... جعلها تكتسي صبغة الحيوية في دراستها للمجال بجميع العناصر التي تستوطنه. وفي هذا السياق نشير إلى أن اهتمام الجغرافيا بالمجال ليس من قبيل الصدفة، بل نابع بالأساس من مختلف الاختلالات المجالية بين البلدان، بين المدن والقرى، ومظاهر

التخلف المنتشرة فيها، ثم المشاكل المتفاقمة التي أصبحت تعاني منها المنظومة الكونية والمتعلقة أساسا بالتنمية والبيئة والتهيئة والتخطيط... (المباركي، 2011). كل هذا دفع بالجغرافيا والجغرافيين إلى التفكير في المجال باعتباره أولا مجالا متشابكا من العلاقات والتفاعلات بين العناصر الطبيعية والبشرية، وميدانا للتقاطعات المجالية بين ما هو دولي ووطني وجهوي وإقليمي ومحلي، عن طريق البحث عن آليات جديدة وتقديم الحلول للحد من المشاكل المطروحة، والمساهمة في تهيئة المجال.

إلى جانب هذا فإن غالبية الجغرافيين ولاسيما المعاصرين منهم يعتبرون أن دورهم لا يرتبط فقط بدراسة المجال الجغرافي، بل لابد من المشاركة في تنظيمه وإعداده وتهيئته، بالنظر إلى كون الجغرافية قبل كل شيء طريقة ومنهج للتفكير في المجال (savoir penser l'espace)، كما أن دراستها لهذا المجال تتميز عن بقية العلوم بنظرة شمولية للظواهر المجالية، حيث يتفاعل لديها ما هو بشري وطبيعي. وهنا تأتي أهميته بشكل عام في تحليل مسألة الهشاشة الاجتماعية لعالية حوض نفيس عامة وتحليل الهشاشة الصحية على وجه التحديد.

الشكل رقم 4I: خريطة الارتفاعات لعالية حوض نفيس



المصدر: استغلال صور القمر الاصطناعي لانسات من نوع SRTM

يتضح من خلال (الشكل 4I)، أن المجال المدروس الذي نحن بصدد دراسته مجال جغرافي جبلي مركب، يساهم في تكريس واقع الهشاشة الاجتماعية بالمنطقة التي تضم مجموعة من الوحدات التضاريسية التي يطغى عليها الطابع الجبلي الذي يتميز بارتفاعاته وانحداراته الشديدة التي تحول دون الاستفادة والولوج للخدمات الصحية، ولاسيما في ظل المناخ القاسي الذي يميز عالية حوض نفيس، حيث يشكل (المناخ) أحد

العناصر الفاعلة في الطبيعة؛ إذ به تتحدد معالم السطح والغطاء النباتي، نوعه وطبيعته... ولكون مجال البحث منطقة جبلية تقع بين سهلين متباينين من حيث الموقع، فإن مناخ الحوض يتميز ببرودة شديدة تزداد قساوة في فصل الشتاء وذلك كلما زاد الارتفاع، إذ تنزل الحرارة الدنيا إلى حدود صفر درجة لعدة أشهر من السنة، حيث تكون السفوح العليا مغطاة بالثلوج بمقادير تتجاوز 100 سنتمتر سنويا (السعدي، 1998). وهو الأمر الذي يفاقم من عزلة هذه المناطق وجعلها مجالات يصعب الوصول إليها، لاسيما في ظل تدهور وضعف جودة الخدمات الصحية التي تتوفر عليها المنطقة رغم قربها من عاصمة النخيل مراكش.

إن هشاشة الأنظمة الطبيعية لعالية حوض نفيس، يساهم لا محالة في تكريس واقع أكثر هشاشة على المستوى الاجتماعي بالوسط القروي الذي يبقى سكانه رهينين بظروف ومحددات أخرى من قبيل البنية التحتية للطرق. وفي هذا السياق، خلص المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي في تقريره حول «الخدمات الصحية الأساسية، نحو ولوج منصف ومعمم»، إلى أن 24% من ساكنة القرى تجد صعوبة شديدة في الولوج إلى الخدمات الصحية الأساسية، بسبب إقامتها على بعد أكثر من 5 كيلومترات عن أقرب مؤسسة علاجية أساسية، مما يتطلب المشي على الأقدام لساعات طوال، أو استعمال الدواب في الحالات المستعجلة، مما يجعل السكان يستغنون نهائيا عن هذه الخدمات إلا في الحالات الخطيرة. (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2013)، لاسيما في الجماعة الترابية «أغبار» و «إجوكاك» حيث أن مجموعة من الدواوير توجد على بعد 5 كيلومتر من أقرب مركز صحي مما يساهم في تكريس الهشاشة الصحية بالمنطقة، وبالتالي اتجاه الساكنة المحلية نحو الوسائل التقليدية من أجل الحصول على العلاج والذي يتم استخلاصه في معظم الحالات من المجالات الغابوية للمنطقة.

بالإضافة إلى مشكل بعد المسافة، نجد مشكلا آخر مرتبطا ب « النقل »، والذي يعرف هو الآخر مشاكل عديدة مرتبطة بما هو تقني ومادي وما هو تدبيري، يلجأ معها سكان القرى إلى خدمات النقل الجماعي رغم ما يعرفه هذا الأخير من مشاكل هو الآخر تجعل منه حلا غير ذي فعالية في الحالات المستعجلة بالخصوص.

إن المجال القروي المغربي على العموم والمجال الجبلي على وجه الخصوص، يبقى مجالا معزولا، بحكم طبيعته الجغرافية أولا (الارتفاع، وعورة التضاريس، قساوة الظروف المناخية خاصة في فصل الشتاء حيث الثلوج وفيضانات الأودية والأنهار...)، ثم بحكم ما أشرنا إليه سابقا من بعد الساكنة عن الولوج إلى الخدمات الاجتماعية عموما كالصحة والتعليم... إلخ، وغياب وسائل حقيقية لفك هذه العزلة المزدوجة في أبسط مظاهرها من قبيل توفير وسائل النقل لساكنة هذه المناطق. فكيف هو الحال بالنسبة « لعالية حوض نفيس » بجماعاته القروية الثلاث التي اشتغلنا عليها في هذا البحث « أغبار، ثلاث نيعقوب، أجوكاك » ؟

2. ضعف البنيات التحتية والموارد البشرية في قطاع الصحة بعالية نفيس من أبرز مظاهر الهشاشة

لا يكاد يختلف اثنان على أن المغرب قد شهد منذ النصف الثاني من عقد السبعينيات دفعة جديدة لمسلسل التنمية التي أصبحت ذات بعد اجتماعي، تماشياً مع النظرة الجديدة منذ 1990 لمفهوم التنمية، وبروز مفهوم «التنمية البشرية» كغاية لكل الجهود في هذا المجال. كما أن أعلى سلطة في البلاد انخرطت هي الأخرى في هذا التوجه فتمت صياغة عدة برامج خاصة في مجال التربية والتكوين والصحة، والبنيات التحتية الأساسية... والخدمات الاجتماعية... وكان النصيب الأكبر من هذه البرامج موجهاً بالأساس إلى العالم القروي، بهدف تدارك التأخر الحاصل في هذا المجال طيلة نصف قرن من الزمان مقارنة بباقي التراب الوطني⁽¹⁵³⁾. رغم أن المبادرة الوطنية للتنمية البشرية استهدفت العالم القروي، لكنها لم تحقق النتائج المتوخاة منها بل أصبحت الأصوات تتعالى من أجل إعادة النظر في نموذج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية. وفي هذا السياق طالب عاهل البلاد بتقييم ورش المبادرة الوطنية للتنمية البشرية⁽¹⁵⁴⁾.

لكن رغم كل هذه الجهود، ظلت النتائج غير كافية، بل لم تؤت أكلها بشكل كبير في بعض المناطق رغم الغلاف المالي الذي تم تسخيرها لهذه المناطق في إطار برامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية والتي استفادت منها المنطقة بشكل كبير، لكن نتائجها على أرض الواقع لم تكن في مستوى تطلعات السكان⁽¹⁵⁵⁾.

وعلى العموم فإن الملاحظات الجوهرية التي توصلنا إليها من خلال البحث الميداني بخصوص الولوج للخدمات الصحية في منطقة عالية حوض نفيس والتي يمكن اعتبارها بمثابة عراقيل تحول دون تعميم الخدمات الصحية بالمنطقة تتسجم مع تقارير «المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي» الذي أكد في تقريره السنوي حول حصيلة الولوج للخدمات الصحية على مجموعة من النقط السوداء في هذا الباب يمكن تلخيصها على الشكل الآتي:

● النقص الكبير والحاد على مستوى التنسيق بين مؤسسات الرعاية الصحية الأولية (هي القاعدة الإجرائية لكل تدخل صحي) وبين القطاع الاستشفائي؛

(153) تزامن هذا التوجه مع وصول محمد السادس إلى الحكم بالمغرب 1999، لتظهر بعض المفاهيم الجديدة ك: العهد الجديد، المفهوم الجديد للسلطة، ملك الفقراء، لتبرز المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي انطلقت سنة 2005 وركزت بالدرجة الأولى على تشجيع الأنشطة المتيحة للدخل والاهتمام بذوي الحاجات الخاصة، والاهتمام بالفئات الفقيرة والمجالات المهمشة.

(154) حرصنا، بعد تقييم دقيق وشامل للمرحلتين الأولى والثانية، على إعطاء انطلاقة المرحلة الثالثة للمبادرة الوطنية للتنمية البشرية، بهدف تعزيز المكاسب، وإعادة توجيه البرامج. وقد اعتمدنا في ذلك هندسة جديدة، تروم النهوض بالرأس المال البشري للأجيال الصاعدة، عبر التصدي المباشر، وبطريقة استباقية، للمعيقات الأساسية التي تواجه التنمية البشرية للفرد، طيلة مراحل نموه، وكذا دعم الفئات في وضعية صعبة، وإطلاق جيل جديد من المبادرات المحدثة لفرص الشغل، وتطوير الأنشطة المدرة للدخل، مقتطف من «رسالة الملك إلى المشاركين في الدورة الأولى للمناظرة الوطنية للتنمية البشرية، التي افتتحت يوم الخميس 19 شتنبر 2019 بالصخوريات تحت شعار "الطفولة المبكرة: التزام من أجل المستقبل»

(155) في هذا السياق عبر لنا مجموعة من سكان منطقة أغبار على أن برامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية تظل قاصرة ومحدودة النتائج بسبب اعتماد الزبونية في تمويل المشاريع التي تستفيد منها في الغالب بعض الجمعيات التي تنتمي إلى نفس الطيف السياسي للقائمين على تسيير الجماعات الترابية، وهنا يطرح مشكل توظيف ما هو سياسي في المشاريع التنموية، بل إن بعض الجماعات الترابية عرفت صراعات كبيرة في هذا المجال بغية استمالة الناخبين خلال الانتخابات التشريعية الأخيرة التي شهدتها البلاد سنة 2016

⊙ غياب خريطة صحية؛

⊙ قلة الموارد البشرية والمالية مع سوء تدبيرها؛

⊙ التباين الكبير في توزيع مؤسسات الرعاية الصحية الأولية سواء داخل الجهة أو بين الوسطين

الحضري والقروي؛

⊙ الصعوبة البالغة في الولوج للخدمات الصحية الأولية للسكان؛

⊙ النقص الحاد في الأطر الطبية وشبه الطبية ومشاكل تأهيلها (156)؛

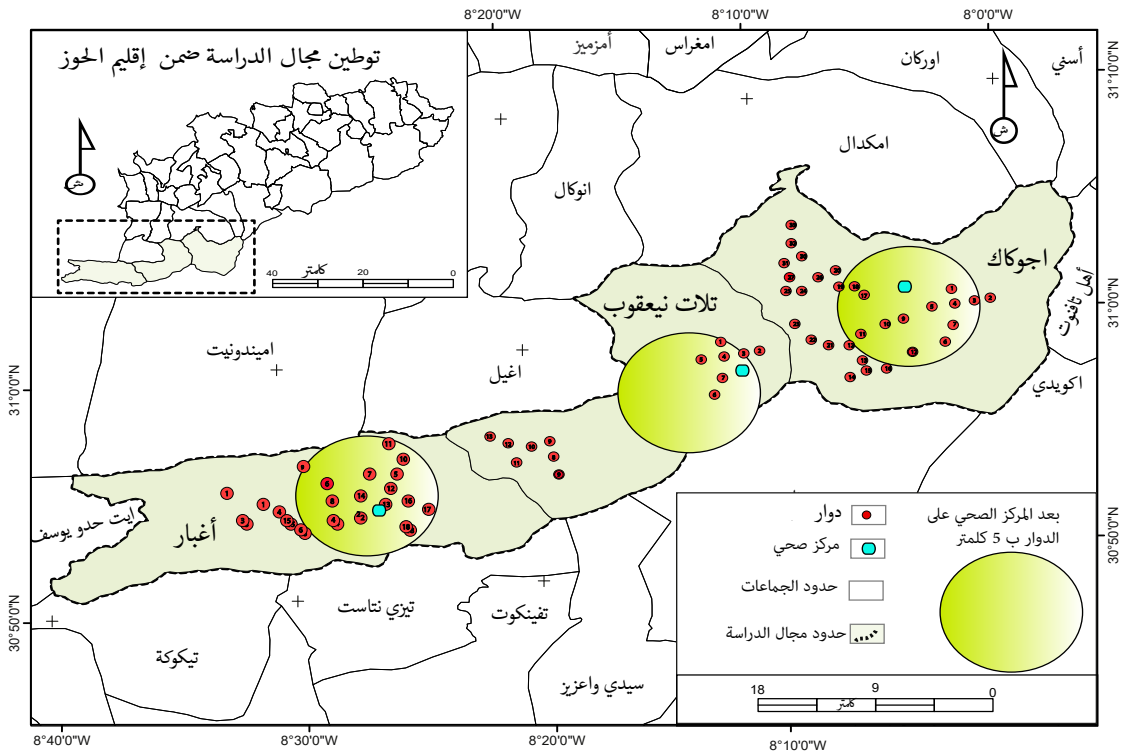
إن مختلف هذه الإكراهات المرتبطة بالقطاع الصحي كما أشرنا سابقا تتطابق مع النتائج التي خلصنا إليها في البحث الميداني الخاصة لعالية حوض نفيس حيث الهشاشة الصحية تبرز بشكل كبير في مختلف المستويات خاصة فيما يتعلق ب:

⊙ البنيات التحتية الأساسية لقطاع الصحة؛

⊙ الموارد البشرية (الأطباء والممرضون)؛

⊙ الولوج إلى الخدمات الصحية.

الشكل رقم 42: بعد المراكز الصحية لعالية حوض نفيس



المصدر: تحريات ميدانية 2018-2020:

(156) يمكن الإشارة في هذا المجال إلى الازمة التي خلفها قرار وزارة الصحة في مسألة الخدمة المدنية الإجبارية لستين في المجالات القروية في عهد وزير الصحة الوردي» وما رافق ذلك من موجة من الإضرابات في مختلف كليات الطب بالمغرب والتي أجبرت الوزارة على التراجع عن هذا القرار دون تقديم بديل يخفف من أزمة الموارد البشرية والتي اتجهت الدولة في عهد الوزير أنس الدكالي إلى اقتراح استقدام أطباء من بعض البلدان الإفريقية لمواجهة الخصائص المهول في هذا المجال.

1.2. المرافق والخدمات الصحية لعالية حوض نفيس تعكس عمق الهشاشة التي تعيشها المنطقة

جدول رقم 20: المرافق والخدمات الصحية بعالية نفيس

الخدمات الصحية	اغبار	تلات نيعقوب	اجوكاك
المستشفى	0	0	0
المركز الصحي	0	1	0
المستوصف	1	1	1
المصحة الخاصة	0	0	0
الهلال الاحمر	0	0	0
طبيب خاص	0	0	0
طبيب أسنان	0	0	0
صانع أسنان	1	2	1
مولدة	0	0	0
صيدلية	1*	1	0
سيارة الإسعاف	1	1	1
المجموع	04	06	03

تم افتتاح أول صيدلية بجماعة أغبار في 5 يناير 2022

المصدر: تحريات ميدانية ، 2018-2020

إذا علمنا بأن عدد سكان المنطقة، حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لـ 2014 هو 19741 نسمة، موزعة حسب الجماعات الثلاث: أغبار وتلات نيعقوب و اجوكاك بالتوالي كما يلي: 5182ن، 7885ن، 6700 ن، فإن الخلاصات تكاد تتحدث عن وضع كارثي بالمنطقة سواء فيما يتعلق بالبنيات التحتية أو الخدمات الصحية. فالمجال ككل لا يتوفر إلا على مركز صحي يتيم بتلات نيعقوب، ومستوصفين، واحد بثلات نيعقوب والثاني بإجوكاك، وصيدلية واحدة بتلات نيعقوب. أما جماعة أغبار فإنها لا تتوفر سوى على سيارة إسعاف واحدة مما يجعلها معزولة تماما عن أي بنية أو خدمة صحية، تتضاف إلى عزلتها الطبيعية باعتبار تضاريسها الوعرة وارتفاعها عن سطح البحر بأكثر من 2000م، وهو ما سميناه سابقا ب « العزلة المزدوجة». فالبنيات التحتية الصحية بالمنطقة وعددها ثلاثة (مركز صحي واحد ومستوصفين) في علاقتها بعدد السكان لا تصل نسبة تغطيتها إلا إلى 0.015%، وهي نسبة تعبر عن نفسها وتوضح بما لا يدع مجالا للشك عن عمق الأزمة والهشاشة الاجتماعية التي تعاني منها ساكنة هذه المناطق.

أما بالنسبة للخدمات التي تدرج ضمنها خدمة النقل الصحي (الإسعاف) وخدمة الحصول على الأدوية (الصيدلية)، فإن نسبة التغطية تكاد تكون متشابهة، في ظل توفر المنطقة على ثلاث سيارات إسعاف وصيدلية واحدة. مما يجعل النسبة لا تتجاوز: 0.020%، وهو ما يؤكد الخلاصات التي انتهى إليها «المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي» فيما يتعلق بمجال البنية التحتية والخدمات الصحية. فكيف هو واقع الحال بالنسبة للموارد البشرية الصحية بالمنطقة؟

2.2. الموارد البشرية الصحية لعالية حوض نفيس تكرر أزمة الهشاشة الصحية

سنقتصر في هذا المحور على الأطباء والممرضين باعتبار هاتين الفئتين هما عصب الموارد البشرية في القطاع الصحي، وسنحاول الوقوف على حجم التغطية التي تحققها هذه الموارد في علاقتها بساكنة المنطقة، وهو ما يوضحه الجدول التالي:

جدول رقم 2I: عدد الأطباء والممرضين لعالية حوض نفيس

اجوكاك	تلات نيعقوب	اغبار	عدد السكان
6700	7859	5182	عدد الاطباء
1	2	1	متوسط عدد السكان لكل طبيب
6700	3929	5182	المعدل الوطني
	4040		عدد الممرضين
2	4	0	متوسط عدد السكان لكل ممرض
3350	1965	-	المعدل الجهوي
	1112		المعدل الوطني
	1339		

المصدر: البحث الميداني 2018-2020 والمديرية الإقليمية لوزارة الصحة والحماية الاجتماعية بالحوز

الجدول أعلاه، يزيد من تأكيد استنتاجاتنا السابقة حول حجم الهشاشة والتهميش الذي تعيش فيه المنطقة على صعيد الصحة. فكما أشرنا إلى ذلك على مستوى البنيات والخدمات سابقا⁽¹⁵⁷⁾، فإن المسألة تتفاقم بشكل كبير على مستوى الموارد البشرية، وهي علاقة طبيعية وحتمية، فغياب البنيات التحتية سيؤدي مباشرة إلى غياب الموارد والعكس صحيح. هكذا نجد بأن عالية حوض نفيس لا تتوفر سوى على ثلاثة أطباء، وستة ممرضين، يتوزعون مجاليا على جماعتي: تلات نيعقوب التي تتوفر على طبيبين وأربعة ممرضين، وجماعة اجوكاك حيث عدد الأطباء لا يتجاوز طبيبا واحدا وممرضين. أما بالنسبة للجماعة الترابية لأغبار فهي تعاني من غياب الموارد البشرية، علما أن بها ساكنة تتجاوز 5000 نسمة من السكان، مما يطرح أكثر من سؤال حول حجم المعاناة التي يعانيها سكان المناطق الجبلية التي تعاني من ضعف معدل التغطية الطبية. فكيف يمكن تحسين مؤشر التنمية البشرية بالبلاد في ظل تفاقم العجز في القطاع الصحي⁽¹⁵⁸⁾، فمتوسط عدد السكان لكل طبيب هو 6580 نسمة لكل طبيب، أي 0.015 كمعدل للتغطية،

(157) رسالة موجهة إلى السيد وزير الصحة المغربي من طرف القيادي بحزب الحركة الشعبية بالحوز « هشام أيت لحسن » حول الوضع الصحي لعالية حوض نفيس جاء فيها « في ظل الوضع الصحي الذي تعيشه المملكة المغربية، وتدابير الانتشار السريع لوباء كورونا المستجد، نخيركم وكلنا أسف واسى، أن الوضع الصحي بجماعة وقيادة تلات نيعقوب بإقليم الحوز يعيش أحلك أزماته، وأن الوضع لا يبشر بخير، في ظل بنيات ضعيفة جدا، وغياب تام للأطر والتجهيزات الطبية، وفي هذا الصدد نحيطكم علما، أنه من العيب، وفي القرن 21 أن يسجل على المملكة المغربية، ان قيادة لأربع جماعات تفوق ساكنتها 25000 نسمة وبأعالي جبال الاطلس الكبير، بدون طبيب رئيسي لما يزيد عن أربعة أشهر، وزد على ذلك عن نقص حاد في التجهيزات الطبية والأدوية لساكنة يعيش أكثر من نصفها تحت عتبة الفقر، وفي ظل موجة البرد القارس التي يعرفها بلدنا، والتي تتطلب من الجهات المسؤولة، البقطة واستحضار الصحة العمومية ضمن أولوياتها.

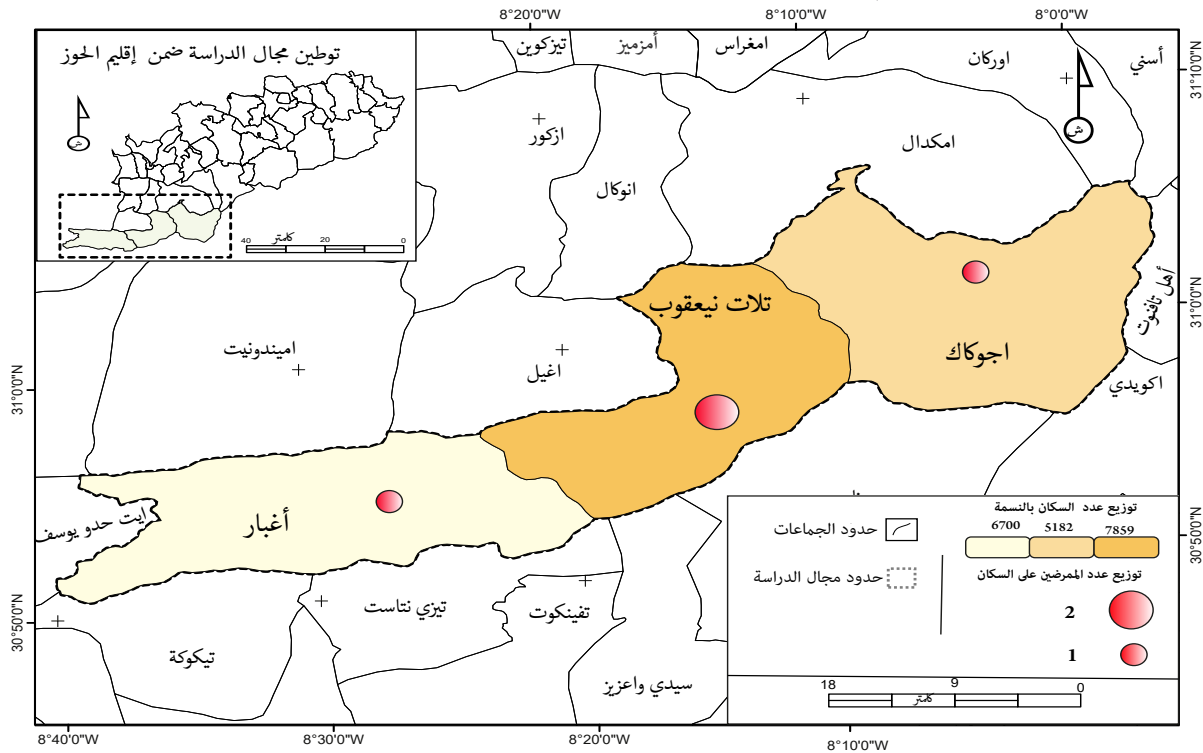
وبناء على المعطيات السابقة، نناشدكم السيد الوزير، بالتدخل العاجل لدى مصالحكم الخارجية، الإقليمية والجهوية، وحلحلة هذا الاشكال في أقرب الأجل، لانقاذ أرواح و صحة الآلاف من الساكنة بالمنطقة، وضمان الحق في الحياة و دمتي في خدمة الصالح العام».

(158) عادة ما يعبر المغرب عن رفضه للترتيب الذي يتبوؤه على مستوى مؤشر التنمية البشرية الذي يصنف المغرب في المرتبة 128 على الصعيد العالمي لكن بالنظر إلى حجم التهميش والهشاشة التي يعيشها الوسط الريفي فيمكن اعتبار هذه المراتب طبيعية

(الشكل 43) والوضع الكارثي نفسه على مستوى عدد الممرضين حيث يتجاوز المعدل لعالية حوض نفيس 3290 نسمة لكل ممرض، وهي أرقام بعيدة كل البعد عن المعدل الوطني للأطباء الذي لا يتجاوز طبيبا واحدا لكل 4040 نسمة⁽¹⁵⁹⁾، (الشكلين 44 و 45).

إن السؤال الذي يفرض نفسه في هذا السياق هو كيف يمكن تحسين جودة الخدمات الصحية الموجهة لسكان القرى، علما بأن البنيات التحتية جد ضعيفة ولا ترقى إلى مستوى طموحات سكان هذه المناطق التي تعتبر خزاناً للموارد الطبيعية والبشرية لكنها تعاني من مختلف مظاهر الإقصاء الاجتماعي والهشاشة على كافة المستويات.

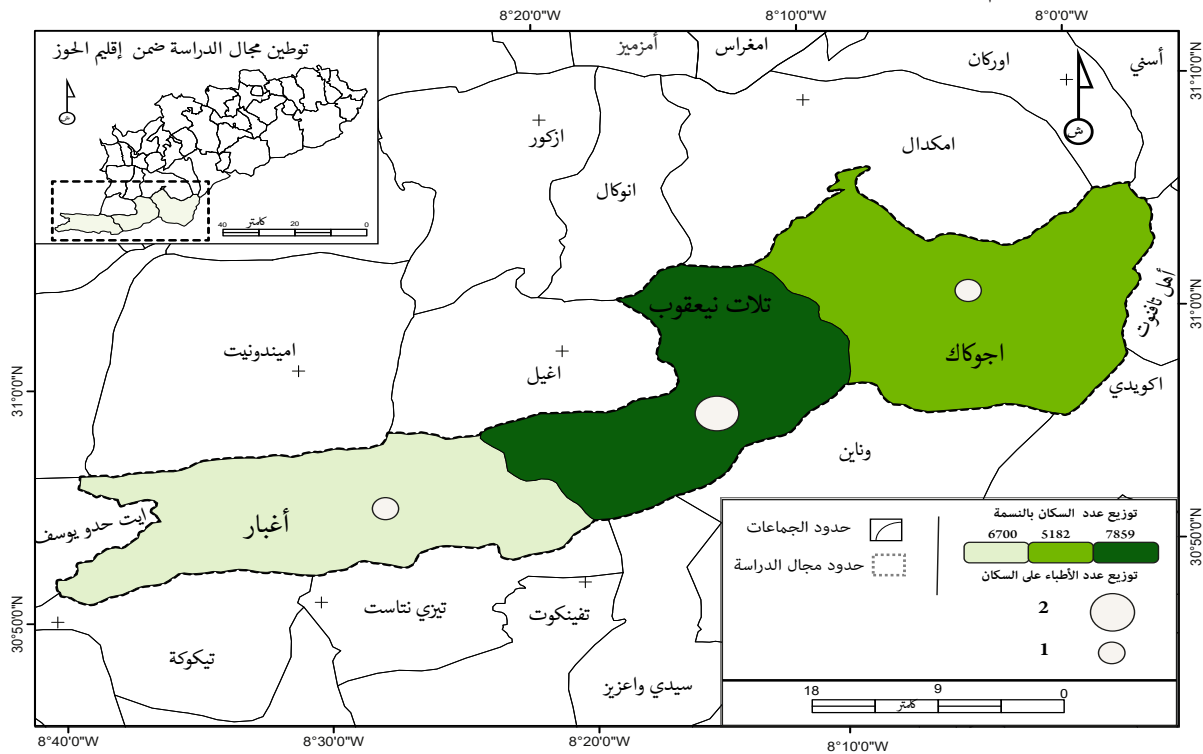
الشكل رقم 43: خريطة متوسط عدد السكان لكل ممرض بعالية نفيس



المصدر: تحريات ميدانية، 2018-2020، والاحصاء العام للسكان والسكنى 2014

(159) نسبة التغطية هنا بالنسبة لمجموع السكان البالغ عددهم 19741 نسمة حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014

الشكل رقم 44: خريطة متوسط عدد السكان لكل طبيب لعالية حوض نفيس لسنة 2020



المصدر: البحث الميداني 2018-2020، والاحصاء العام للسكان والسكنى 2014

إن مختلف المعطيات الواردة في الخريطين والجدول توضح بالملامح أن عالية حوض نفيس يعاني بشكل كبير من هشاشة القطاع الصحي على جميع مستوياتها وبمختلف أوجهه سواء فيما يتعلق بالإنسان الذي يعيش هشاشة اجتماعية واقتصادية... أو على مستوى بنيات وخدمات وموارد القطاع الصحي ككل، وهذا ما يجعلنا نسائل كل جهود التنمية التي طال الحديث عنها طيلة عقود من الزمن، لاسيما خلال العقدين الأخيرين، والتي رافقت وصول الملك محمد السادس للحكم، وتأكيد في أكثر من مناسبة على أهمية التنمية البشرية، وعدم اقتناعه بما تحقق في المجال الاجتماعي (الخطاب الملكي، 2018). بل إن جلالة الملك في ذات الخطاب، أكد أنه ليس من المنطق أن نجد أكثر من مائة برنامج للدعم والحماية الاجتماعية من مختلف الأحجام، وترصد لها عشرات المليارات من الدراهم مشتتة بين العديد من القطاعات الوزارية والمتدخلين العموميين، غير قادرة على استهداف الفئات التي تستحقها. فكيف لهذه البرامج، في ظل هذا الوضع - يتساءل جلالتة - أن تستجيب بفعالية، لحاجيات المواطنين وأن يلمسوا أثرها (الخطاب الملكي، 2018) وهذا ما عايناه في البحث الميداني حيث تم رصد ميزانيات كبيرة لمختلف المشاريع الاجتماعية، لكن وقعها على المواطن يظل محدودا.

إن فالمنظومة الصحية بالمغرب تعاني عدة اختلالات عميقة مما ينعكس بشكل سلبي على حق المواطن في الولوج للصحة، حيث إنه رغم الأوراش الكبرى التي دشنتها الدولة في السنوات الأخيرة، والتي همت بشكل خاص القانون 00-65 الخاص بالتغطية الصحية، وقانون العلاجات والخريطة الصحية 09-34

وإقرار الحق في الصحة في دستور 2011، إلا أن المؤشرات تؤكد أن الاستراتيجيات المختلفة، التي نهجتها الحكومات المتعاقبة، لم تتجح في معالجة اختلالات هذا القطاع الاجتماعي الحيوي⁽¹⁶⁰⁾، رغم الزيادات الخجولة في الاعتمادات المالية، المخصصة للوزارة في القوانين المالية.

فنسبة التغطية من حيث الموارد البشرية، سواء بالنسبة للأطباء أو الممرضين أو عدد المؤسسات الصحية، تبقى دون الحد الأدنى الذي توصي به المنظمة العالمية للصحة، كما أن الولوج إلى العلاج في ظل عدم تعميم التغطية الصحية، وارتفاع تكاليف العلاج وأسعار الأدوية، يجعل شعار « الصحة حق دستوري» مجرد شعار للاستهلاك الإعلامي.

وفي رأي المختصين، فإن أحد أبرز أوجه الأزمة الصحية، يتمثل في الخصاص المهول في مختلف التخصصات الطبية، إذ رغم التوسع النسبي في المؤسسات الصحية سواء العمومية منها أو الخاصة، إلا أن النقص يبقى صارخا في عدد الأطباء، خاصة الاختصاصيين منهم، إذ يفوق عدد مرضى السكري خمسة ملايين مريض، فيما لا يتجاوز عدد الأطباء المتخصصون في أمراض الغدد والسكري 257 طبيبا.

أما الأطباء المتخصصون في علاج الأمراض النفسية، فلا يتجاوز عددهم 254 طبيبا، في الوقت الذي يعرف فيه المغرب، بسبب انتشار مختلف أنواع المخدرات، ارتفاعا في عدد المرضى، ناهيك عن غياب تخصص علاج الإدمان.

وسيبقى الطب الشرعي، أحد التخصصات الفقيرة، إذ لا يتجاوز عدد الأطباء المتخصصين فيه 17 طبيبا، في الوقت الذي تقدر التشريحات وفحوصات الموتى والخبرات الطبية بالآلاف يوميا. (جريدة الصباح العدد 6041، 2019).

3. الهشاشة الصحية بعالية نفيس بين إشكالية تعدد البرامج الصحية ومحدودية النتائج

1.3. نظام المساعدة الطبية (الريميد) يعبر عن عمق الهشاشة الاجتماعية لعالية حوض نفيس

اعتمدت الدولة المغربية نظام المساعدة الطبية (RAMED)⁽¹⁶¹⁾ ابتداء من 2011 بهدف توفير خدمات طبية لفقراء المملكة، وتعتبر عالية نفيس من بين المناطق التي شملها هذا النظام الصحي رغم أن

(160) أزمة انتشار فيروس كورونا كشفت عيوب قطاع الصحة العمومية في المغرب، حيث كشفت الأزمة مشاكل عديدة يعاني منها القطاع الصحي فيما يخص الخدمات الصحية التي يقدمها، والتجهيزات التي يعتمد عليها والإمكانات التي ترصدها الدولة لهذا القطاع المهم والحساس الذي صار يشتكي من رداءته معظم المغاربة. وأظهرت هذه الأزمة أيضاً الخلل بين الجهات، حيث تتركز أكبر المستشفيات في المدن الكبرى كالدار البيضاء والرباط ومراكش بينما تفتقد الجهات الداخلية للبلاد لمستشفيات حديثة يمكن تجهيزها لاستقبال مرضى فيروس كورونا، ما يمكن أن يتسبب في وفاة عدد كبير من المصابين في حال تدهورت حالتهم الصحية.

(161) RAMED هو نظام المساعدة الطبية تم تفعيله سنة 2011، بعد انطلاق تجربة نموذجية بجهة تادلة أزيلال سنة 2008، بهدف إلى تمكين الساكنة المعوزة غير القادرة على تحمل مصاريف العلاج من الحصول على تغطية صحية أساسية والاستفادة من مجانية العلاجات من خلال الخدمات الطبية المقدمة لهم في المستشفيات العمومية والمؤسسات العمومية للصحة والمصالح الصحية التابعة للدولة سواء في الحالات الاستعجالية أو خلال تلقي

غالبية الساكنة لم تستفد من خدماته بشكل كبير، بل إنها غير منخرطة في هذا النظام لعدة أسباب منها ما هو مرتبط بعدم معرفتهم بوجود هذا النوع من الأنظمة الطبية في ظل نسبة الأمية المرتفعة بالمنطقة، أو بسبب تعقد المساطر الإدارية من أجل الحصول على بطاقة «الراميد» (جدول 22)، على اعتبار أن المنطقة كما سبقت الإشارة إلى ذلك تعاني من قلة العرض الصحي، بفعل ضعف وغياب المرافق الصحية التي من شأنها تقديم خدمات صحية لفائدة الساكنة المحلية، حيث عبر لنا عدد كبير من السكان عن استيائهم من عدم تمكينهم من الولوج للخدمات الصحية رغم توفرهم على بطائق نظام المساعدة الطبية كما يتضح من خلال الجدول التالي:

جدول رقم 22: نسبة المنخرطين في نظام المساعدة الطبية (راميد) لعالية حوض نفيس

الجماعة الترابية	منخرط	غير منخرط
أغبار	32%	68%
تلات نيعقوب	62%	48%
إجوكاك	45%	55%

المصدر: تحريات ميدانية، 2018-2020

إن مشاكل المناطق الجبلية عموماً وعالية نفيس بشكل خاص ليست مرتبطة فقط بضعف العرض الصحي بمجال الدراسة إنما هناك عدة إكراهات أخرى تحول دون الاستفادة بشكل كبير من هذا النظام الصحي حيث إن نسبة كبيرة من الساكنة المحلية غير منخرطة في نظام المساعدة الطبية «الراميد» كما هو الأمر بالنسبة للجماعة الترابية «أغبار» حيث حوالي 68% من المستجوبين غير منخرطين، مقابل 48% بالنسبة للجماعة الترابية «تلات نيعقوب». وفي هذا السياق نتساءل: هل حقق نظام الراميد الأهداف المنتظرة منه؟ الجواب بطبيعة الحال هو لا، كيف ذلك؟ لأن معظم المنخرطين في هذا النظام يتحملون نسبة تتجاوز 60% من نفقات العلاج من ماله الخاص، بل إن هناك أسراً تتحمل لوحدها أزيد من 54 في المائة من النفقات الإجمالية الصحية⁽¹⁶²⁾.

إلى جانب ضعف الاستفادة من خدمات الراميد، فإن قطاع الصحة لعالية حوض نفيس يواجه عدة تحديات وتتمثل أساساً في تعقد المساطر التي يشوبها كثير من التعقيد؛ ذلك أن المريض لا يحق له أن يتوجه إلى المستشفى الإقليمي أو الجهوي أو الجامعي إلا بعد أن يحصل على «ورقة التثقيل» من المركز الصحي القريب من محل سكناه، وهو ما يطرح مشاكل للمرضى، خاصة في العالم القروي الذي يعاني

العلاجات بالمستشفى.

(162) كشف وزير المالية، محمد بنشعبون، بلجنة المالية بمجلس النواب 11 غشت 2020، بعض تفاصيل خطة تعميم التغطية الصحية على جميع المغاربة تطبيقاً للخطاب الملكي في عيد العرش. وأشار الوزير إلى أنه في سياق خطة الحكومة للشروع في تعميم التغطية الصحية والتعويضات العائلية على مدى سنتين ما بين يناير 2021 و2023، فإنه سيكون على الحكومة إعداد نصوص قانونية جديدة وإحالتها على البرلمان للمصادقة عليها "في وقت وجيز". وقال إن ثلث المغاربة اليوم، بدون تغطية صحية، وأنه خلال سنتين يجب أن يكون جميع المغاربة مستفيدين من التغطية "سواء المساهمين أو غير المساهمين"، بحيث يستفيدون "من نفس سلة العلاجات"، موضحاً أنه سيتم إلغاء نظام التغطية الصحية «راميد»، وتعويضه بنظام التغطية الصحية الإجبارية AMO، التي يدبرها الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي.

من صعوبة التنقل بسبب العزلة التي يعيشها في ظل عجز برنامج الطرق بالعالم القروي عن تحقيق أهدافه ولاسيما في عالية نفيس التي لم ينجز منها إلى حدود الساعة سوى 45 %.

ثمة إشكالية أخرى تواجه المرضى المستفيدين من نظام المساعدة الطبية، وهي بعد المؤسسات الصحية، حيث يضطر عدد كبير من السكان، رغم ظروفهم المعيشية الصعبة، إلى التنقل لمسافات طويلة تتجاوز 150 كلم من أجل الاستفادة من الخدمات الصحية التي تقدمها المستشفيات الجامعية كما هو الشأن بالنسبة للمستشفى الجامعي محمد السادس بمراكش الذي يتوجه إليه سكان الحوز، الأمر الذي يطرح عدة مشاكل بالنسبة للسكان المحلية خاصة فيما يتعلق بالتكلفة المادية للتنقل ومشاكل أخرى تزيد من تفاقم الهشاشة الاجتماعية بالمنطقة⁽¹⁶³⁾، بل إن صعوبة التنقل وبُعد الخدمات الصحية يشكل عائقا أمام عدد كبير من السكان الذي يفضلون اللجوء إلى وسائل أخرى من أجل الحصول على الدواء، حيث عادة ما يتم اللجوء إلى الطب التقليدي أو المشعوذين، مما يعمق من المشاكل الصحية لعدد كبير من السكان ويساهم بالتالي في ترسيخ مجموعة من الممارسات التي تحول دون تحسين مستوى هذه الساكنة التي تعاني على كافة المستويات. هذا إلى جانب مشاكل أخرى تعاني منها ساكنة عالية نفيس مرتبطة بنظام المساعدة الطبية؛ كعدم توفّر المستشفيات العمومية على عدد من الأدوية والمستلزمات الطبية باهظة الثمن، كالأدوات المستعملة في جراحة العظام، والتي يتراوح سعرها ما بين 10 إلى 20 ألف درهم، وكذا الأدوية، ومنها الإبر المستعملة لمنع تخثر الدم، والتي تُوصف للمرضى بعد إجراء العمليات الجراحية على القلب أو العظام، ويصل سعر الواحدة منها إلى 100 درهم، وتتطلب المواظبة على استعمالها، يوميا، لمدة شهر كامل.

وفضلا عن الإشكالات سالفة الذكر، يعاني المرضى حاملو بطاقة المساعدة الطبية «راميد» من تأخر حصولهم على البطاقة، حتى في حالة إعادة تجديدها، إذ يحصلون فقط على وصل من السلطات المختصة، لكنّه لا يخوّل لهم العلاج، إلا في الحالات الاستعجالية بل إنه في أحيان كثيرة يتم الاصطدام بمشكل آخر يرتبط بالأعطاب المتكررة التي تلحق التجهيزات الطبية في المستشفيات العمومية، وهو ما يُرغم المرضى على إجراء الفحوصات في المختبرات الخاصة؛ وكذلك عدم توفّر عدد من المستشفيات على مختبرات لإجراء بعض أنواع التحاليل، كما هو الشأن بالنسبة لتحاليل أمراض القلب التي يصل ثمن إجرائها في المختبرات الخاصة إلى أكثر من 1000 درهم وهو الأمر الذي لا تستطيع نسبة كبيرة من ساكنة عالية حوض نفيس تحمل تكاليفه بالنظر إلى محدودية الدخل الذي يعتمد أساسا على الأنشطة الفلاحية التي تأثرت بشكل كبير في السنوات الأخيرة بالنظر إلى تعاقب سنوات الجفاف، إلى جانب ضعف مشاريع لتنمين هذه المنتجات كما يؤكد على ذلك مخطط المغرب الأخضر ناهيك عن الانعكاسات السلبية

(163) صرح لنا بعض السكان خلال البحث الميداني على أنّ من بين الأمور التي تساهم في تفاقم معاناتهم أنّ إخراج نظام المساعدة الطبية لم تواكبه حملة للتوعية به؛ وهو ما يجعلهم يتوجهون إلى المستشفيات الكبرى، قاطعين مسافات طويلة، وحين يبلغونها تطلب منهم العودة إلى المراكز الصحية التابعة لمدينتهم، للحصول على «ورقة التنقل»، مع ما يكلفه ذلك من مصاريف إضافية ليست لديهم القدرة عليها لذلك فإنهم في غالب الأحيان ما يتخلون عن الاستفادة من هذه الخدمات في انتظار قوافل طبية تمكنهم من الكشف عن أمراضهم.

التي خلفتها جائحة كوفيد 19 على نسبة كبيرة من الأسر الذي وجدت نفسها في وضعية اقتصادية صعبة غير قادرة على تلبية الحاجيات الضرورية بما فيها الخدمات الصحية التي تأتي في ذيل اهتمامات ساكنة المناطق الجبلية عموما وساكنة حوض نفيس تحديدا.

2.3. برنامج الحماية الاجتماعية

تفعيلا للتوجيهات الملكية السامية التي تضمنها خطاب العرش المجيد لسنة 2020، وكذا خطاب أكتوبر 2020 لافتتاح السنة البرلمانية، باشرت الحكومة تنزيل مضامين المشروع الملكي الهيكلي الذي يهدف إلى تعميم التغطية الاجتماعية لجميع المواطنين بشكل تدريجي في أفق سنة 2025، وبلورة مخطط عملي شامل لتنزيل هذا الإصلاح، والذي يتضمن البرنامج الزمني والإطار القانوني وخيارات التمويل، وكذا آليات الحكامة المعتمدة، بتنسيق مع كافة الشركاء الاجتماعيين، كما دعا جلالاته إلى إصلاح عميق للأنظمة والبرامج الاجتماعية المعمول بها، لا سيما من خلال تفعيل السجل الاجتماعي الموحد.

يشكل هذا المشروع ثورة اجتماعية حقيقية، لما له من آثار مباشرة وملموسة في تحسين ظروف عيش المواطنين، وصيانة كرامة جميع المغاربة، وتحسين الفئات الهشة، لاسيما في سياق ما أصبح يعرفه العالم من تقلبات اقتصادية ومخاطر صحية والجدير بالذكر أن هذا مشروع تعميم الحماية الاجتماعية يتضمن أربعة محاور أساسية تتجلى في:

• **أولا،** تعميم التأمين الإجباري الأساسي عن المرض لفائدة 22 مليون مستهدف إضافي خلال سنتي 2021 و2022، وذلك بتوسيع الاستفادة منه ليشمل الفئات المعوزة المستفيدة من نظام المساعدة الطبية، وفئات المهنيين والعمال المستقلين والأشخاص غير الأجراء الذين يمارسون نشاطا خاصا، ويغطي هذا التأمين تكاليف التطبيب واقتناء الأدوية والاستشفاء والعلاج⁽¹⁶⁴⁾؛

• **ثانيا،** تعميم التعويضات العائلية لتشمل ما يقارب سبعة ملايين طفل في سن التمدرس تستفيد منها ثلاثة ملايين أسرة خلال سنتي 2023 و2024، من خلال تمكين الأسر التي لا تستفيد من هذه التعويضات من الاستفادة، حسب الحالة، من تعويضات للحماية من المخاطر المرتبطة بالطفولة أو من تعويضات جزافية؛

(164) تجدر الإشارة إلى أن تدبير هذه البرامج في أفق 2025 يتطلب تخصيص مبلغ إجمالي سنوي يقدر ب 51 مليار درهم، منها 23 مليار يتم تمويلها من الميزانية العامة للدولة. وتمويل مشروع تعميم التغطية الصحية الإجبارية، تم تخصيص 4,2 مليار درهم برسم ميزانية سنة 2021 لتمويل مرحلة التعميم الأولى

•ثالثاً، توسيع قاعدة المنخرطين في أنظمة التقاعد لفائدة حوالي خمسة ملايين من المغاربة، الذين يمارسون عملاً، ولا يستفيدون من معاش في أفق سنة 2025، من خلال تنزيل نظام للمعاشات لفئات المهنيين والعمال المستقلين والأشخاص غير الأجراء الذين يزاولون نشاطاً خاصاً؛

•رابعاً، تعميم الاستفادة من التعويض عن فقدان الشغل سنة 2025، لتشمل كل شخص متوفر على شغل قار، من خلال تبسيط شروط الاستفادة من هذا التعويض وتوسيع الاستفادة منه. البالغ عددهم حوالي 1,6 مليون منخرط..

4. يتميز عالية حوض نفيس بارتفاع معدلات ذوي الاحتياجات الخاصة أو ما يسمى بالهشاشة المزدوجة.

تعتبر الإعاقة⁽¹⁶⁵⁾ من بين الظواهر الاجتماعية التي تنتشر في العالم بصفة عامة حيث - وبحسب إحصائيات الأمم المتحدة - يعيش أكثر من مليار شخص، أو ما يقارب 15 في المائة من ساكنة العالم مع شكل من أشكال الإعاقة، من بينهم أكثر من 100 مليون طفل، وتتواجد نسبة 80 في المائة منهم في البلدان النامية، مما يجعل الانكباب الجدي على موضوع النهوض بوضعيتهم وتحسين ظروف عيشهم من بين أولويات الأجندة الأممية والوطنية.

وعلى المستوى الوطني، فقد حظيت قضية ذوي الاحتياجات الخاصة، بفضل توجيهات الملك محمد السادس، باهتمام خاص، وشكلت محورا أساسيا في برامج الحكومات المتعاقبة وذلك بالنظر إلى ارتفاع نسبتهم في المغرب حيث تتجاوز 6,8% ⁽¹⁶⁶⁾ (الشكل 45). وتوج هذا الاهتمام الخاص بتتبع دستور المملكة لسنة 2011 على منع التمييز على أساس الإعاقة⁽¹⁶⁷⁾، كما أنه تمت دسترة جميع الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية لهذه الفئة التي تحتاج لرعاية خاصة

وقد أكد المغرب انخراطه في الجهود الدولية الرامية إلى الاهتمام بهذه الفئة⁽¹⁶⁸⁾ من خلال البرامج الهيكلية التي أطلقتها وزارة التضامن والمرأة والأسرة والتنمية الاجتماعية، لاسيما إعداد مشروع قانون يتعلق

(165) يعتبر معاقاً حسب المادة 2 من القانون 92-07، المتعلق بالرعاية الاجتماعية للأشخاص المعاقين، الصادر بتاريخ 10 شتنبر 1993، كل شخص يوجد في حالة عجز أو عرقلة دائمة أو عارضة، ناتجة عن نقص أو عدم قدرة تمنعه من أداء وظائفه الحياتية، لا فرق بين من ولد معاقاً ومن عرض له إعاقة بعد ذلك

(166) يعتبر المغرب من بين البلدان التي تسجل فيها أعلى نسبة إعاقة مقارنة مع بلدان المغرب الكبير كتونس التي لا تتعدى فيها نسبة الإعاقة 5% حيث أن كل أسرة من أربعة أسر لديها على الأقل شخص في وضعية إعاقة، وهو ما يمثل 5,24% من مجموع الأسر المغربية البالغ عددها 7.193.542 أسرة. وفي هذا الإطار لابد من الإشارة إلى أن 58% من الأشخاص في وضعية إعاقة يعيشون في الوسط الحضري، مقابل 41% في الوسط القروي.

(167) وذلك من خلال التنصيص على منع التمييز على أساس الإعاقة، ودسترة الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للأشخاص في وضعية إعاقة. فتصديق الدستور الجديد يؤكد على التزام المملكة وحظر ومكافحة كل أشكال التمييز بسبب الجنس أو اللون أو المعتقد أو الثقافة أو الانتماء الاجتماعي أو الجهوي أو اللغة أو الإعاقة أو أي وضع شخصي. كما ينص الفصل 34 على أن تقوم السلطات العمومية بوضع وتفعيل سياسات موجهة إلى الأشخاص والفئات من ذوي الاحتياجات الخاصة.

(168) أكد المغرب بتصديقه على الاتفاقية الدولية لتعزيز حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة على التزامه التام بترسيخ مسلسل المشاركة الاجتماعية

بتعزيز حقوق الأشخاص في وضعية إعاقة والذي يتضمن عدة إجراءات وتدابير تهم تمكين الأشخاص في وضعية إعاقة من الولوج إلى حقوقهم الأساسية في شتى المجالات والمشاركة في الأنشطة الرياضية والثقافية والترفيهية. لكن السؤال المطروح هو: ما واقع الإعاقة في المغرب عموما وفي المناطق الجبلية بشكل خاص ولاسيما منطقة عالية حوض نفيس ؟

الشكل رقم 45: نسبة ذوي الاحتياجات الخاصة بالمغرب



المصدر: وزارة الأسرة والتضامن 2020

1.4. واقع الإعاقة لعالية حوض نفيس يكشف النقاب عن عمق الهشاشة الصحية بالمنطقة

في البداية لابد من الإشارة الى أن المجال المدروس يعرف إلى جانب انتشار مختلف الأمراض التي لها ارتباط وثيق بالتغذية وبنمط العيش، انتشارا كبيرا لظاهرة « ذوي الاحتياجات الخاصة » التي يدرجها الباحثون ضمن الحالات المرضية التي قد يسببها سوء التغذية. فنقص السرعات الحرارية والبروتين قد يساهم في انتشار حالات مرضية تؤدي إلى عجز نسبي أو كلي للجسم عن أداء كثير من الأعمال التي يؤديها الأسوياء، ومن هذه الأمراض:

● مرض الضوى marasmes ؛

● مرض كوارشيكور ؛

لهؤلاء الأشخاص، دون أن نغفل ما اقترحه البرنامج الحكومي والذي سيساهم في إعطاء دفعة إضافية بتكريسه لسياسة إرادوية تهدف للنهوض بأوضاع الأشخاص في وضعية إعاقة وبأسرهم وبتطوير أشكال وآليات التدخل والعمل من خلال وضع استراتيجية وطنية للتنمية الدامجة وتحسين البحث الوطني

حول الإعاقة والمصادقة على مشروع القانون المتعلق بتعزيز حقوق الأشخاص في وضعية إعاقة وخلق صندوق لدعم مشاركتهم الاجتماعية

⊙ فقد الدم المنجلي؛

⊙ المرض الانزلاقي؛

⊙ أمراض القصور العصبي والعضلي؛

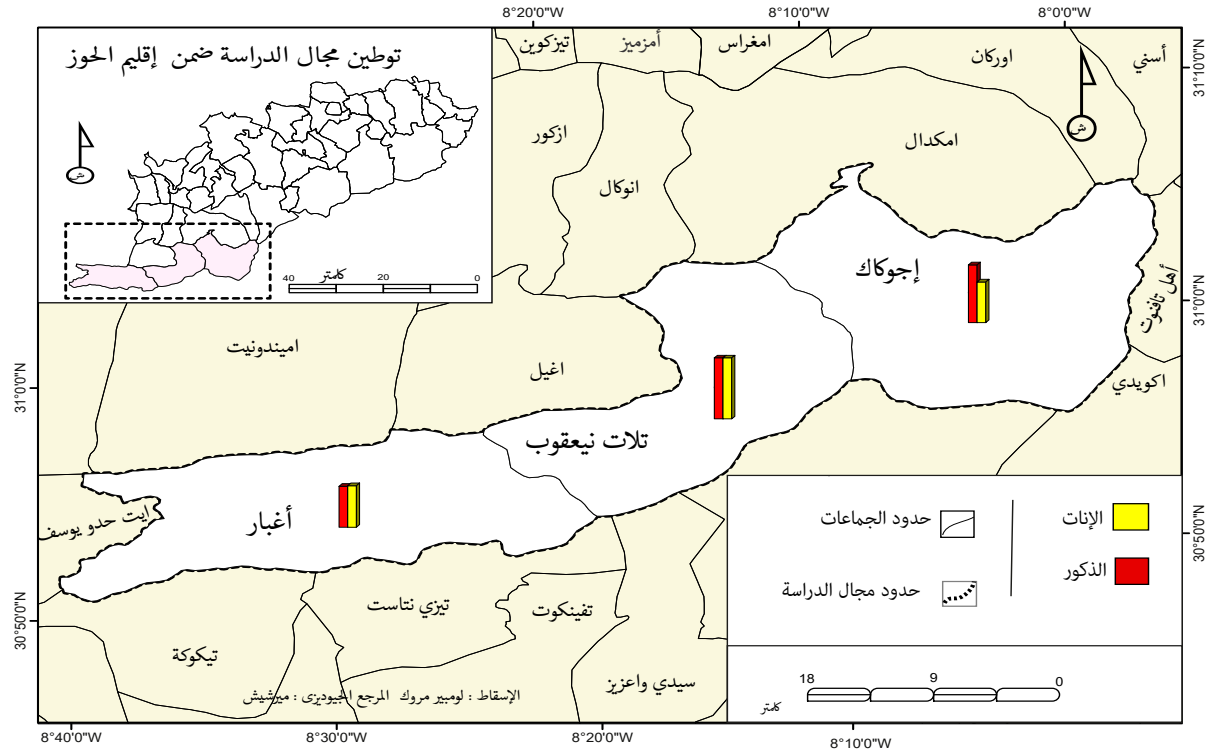
إن مختلف هذه الأمراض مرتبطة بسوء التغذية الشديد، في حين يصنف الباحثون «السمنة المفرطة» شكلا آخر من الإعاقة المرتبطة بنمط الغذاء غير الصحي. وعموما فإن المجال المدروس يعرف انتشارا كبيرا للإعاقة كما يتجلى ذلك من خلال (الجدول 23) و (الشكل 46):

جدول رقم 23: ذوي الاحتياجات الخاصة بعالية نفيس نتيجة حتمية للهشاشة الاجتماعية

اجوكاك	تلات نيعقوب	اغبار	
7.1	7.5	5.0	الذكور
5.0	7.5	5.1	الإناث
6.1	7.5	5.1	المجموع
		5.1	المعدل الوطني
		5.2	المعدل الجهوي

المصدر: البحث الميداني 2019 والاحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014

الشكل رقم 46: خريطة توزيع معدلات ذوي الاحتياجات الخاصة لعالية حوض نفيس



المصدر: وزارة الأسرة والتضامن - 2020

فالملاحظة الأولى التي نستشفها من خلال (الشكل 46 والجدول 23)، هي ارتفاع نسبة ذوي الاحتياجات الخاصة بالمنطقة مقارنة بالمعدل الوطني الذي هو 5.1%، إذ يصل الرقم في كل من الجماعات الترابية «تلات نيعقوب» و«إجوكاك» إلى 7.5% و6.1% على التوالي، ونفس الأمر بالنسبة

لهذه الأرقام مقارنة بمعدل الجهة 5.2%، وهو ما يعكس حجم الهشاشة التي يعاني منها مجال عالية نفيس بشكل مزدوج (169).

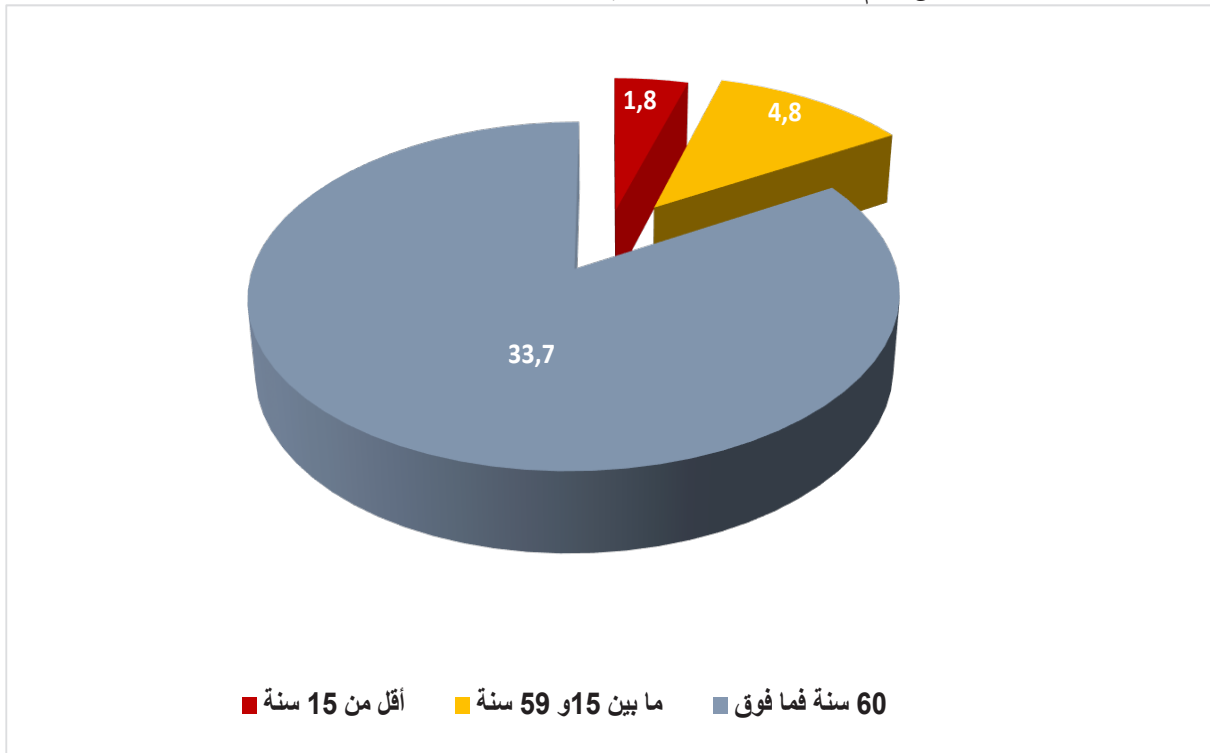
فالعلاقة إذن بين التغذية والصحة ليست مجرد علاقة سبب بمسبب، وإنما هي علاقة شمولية وبنوية ومعقدة، تؤثر على حاضر الإنسان، كما تؤثر على مستقبله بتكريسها لأوضاع هشّة مرتبطة تارة بنوع الغذاء وتارة أخرى بثقافة الغذاء والتمثلات التي توجد في أذهان الناس عن المرض والصحة في علاقتها بالمسؤولية الذاتية، وكذا التفسيرات التي يبرر بها القروي نمط غذائه. (170)

1.1.4. الإعاقة لعالية حوض نفيس تمس بشكل كبيرة فئات الشيوخ وذوي المستويات

الدراسية المتدنية

1.1.1.4. يعتبر الشيوخ من أكثر الفئات عرضة للإعاقة بالحوض.

الشكل رقم 47: نسبة انتشار الإعاقة حسب السن لعالية حوض نفيس



المصدر: البحث الميداني 2018-2020

يوضح (الشكل 47) أن نسبة انتشار الإعاقة تعرف تباينا واضحا بين مختلف الفئات العمرية إذ ترتفع أساسا في صفوف الفئة العمرية التي تتجاوز 60 سنة وذلك بالنظر الى الخصائص المميزة لهذه

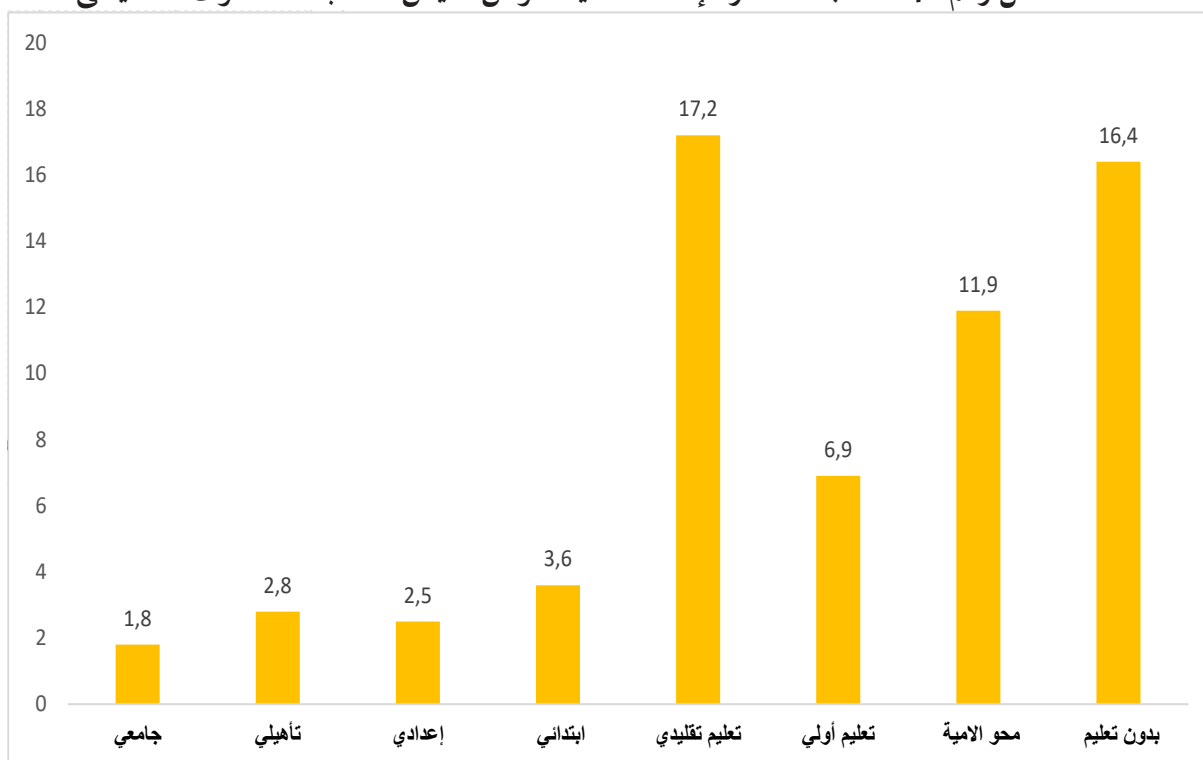
(169) إذا كان الإنسان السوي في هذه المجالات مهماشا ويعيش هشاشة اجتماعية واقتصادية... فإن الشخص المعاق يعيش هشاشة وتهميشا مزدوجا في ظل غياب أي اعتبار لوضعه أو حاجياته الضرورية فبالأحرى الكمالية.

(170) هذه التفسيرات غالبا لا تحاول التغطية عن العجز الذي يواجهه القرويون في تلبية كل حاجياتهم الغذائية. فيضطرون إلى الانتصار لنمطهم الغذائي واعتباره نمطا صحيا مقارنة بالنمط الحضري مثلا: (ثقافة الخبز والشاي... مقابل ثقافة اللحوم والفواكه مثلا)

الفئة والتي تتجاوز 33,7% بحكم عامل الشيخوخة الذي غالبا ما تترتب عنه أعراض أمراض القلب والشرابين، أو الأمراض الاستقلابية⁽¹⁷¹⁾ والأمراض المزمنة، إلخ.. وبالنسبة للفئة العمرية أقل من 15 سنة، فإن النسبة المسجلة والتي لا تتعدى 1,8 % مقابل 4,8 %⁽¹⁷²⁾ بالنسبة للفئة العمرية المتراوحة بين 15 و59 سنة، تعزى هذه النسبة المنخفضة نسبيا إلى مجموعة من العوامل المتمثلة أساسا في تطور الأوضاع الصحية والاجتماعية بالمغرب خلال العقود الأخيرة من خلال تحسن علاج الأمراض المعدية والوبائية، وارتفاع الوقاية الصحية الناتجة عن تعميم التلقيح وعن التشخيص المبكر للأمراض، وتحسن الظروف المعيشية،...

2.1.1.4. ترتبط الإعاقة بشكل أكبر بأصحاب المستويات التعليمية المتدنية

الشكل رقم 48: نسبة انتشار الإعاقة لعالية حوض نفيس حسب المستوى التعليمي



المصدر: تحريات ميدانية ، 2019-2020

توصلنا من خلال البحث إلى أن نسب انتشار الإعاقة الأكثر ارتفاعا سجلت لدى الأشخاص الذين لديهم مستويات متدنية من التعليم؛ حيث أن نسبة انتشار الإعاقة في صفوف الأشخاص الذين يتابعون تعليمًا أوليًا تقليديًا مثلت 17,2 %، في حين تبلغ نسبة انتشار الإعاقة في صفوف الأشخاص بدون تعليم

(171) عيب خلقي قد يحدث خلال فترة الحمل وفي أثناء تكون الجنين، هذا العيب يتمثل في عدم تكوين أحد الإنزيمات المتخصصة في تكسير مادة معينة في الغذاء الذي نتناوله يوميا كالأحماض الدهنية مثلا، الأمر الذي يؤدي إلى تراكم هذه الأحماض في الدم وبعض أعضاء الجسم، وهذا من شأنه أن يعرض الطفل الوليد إلى نوبات مرضية طارئة وخطيرة قد تتركه معاقا مدى الحياة. إن هذه النوبات الناتجة عن خلل في التمثيل الغذائي لعدم تكون ذلك الإنزيم المتخصص تسمى الأمراض الاستقلابية.

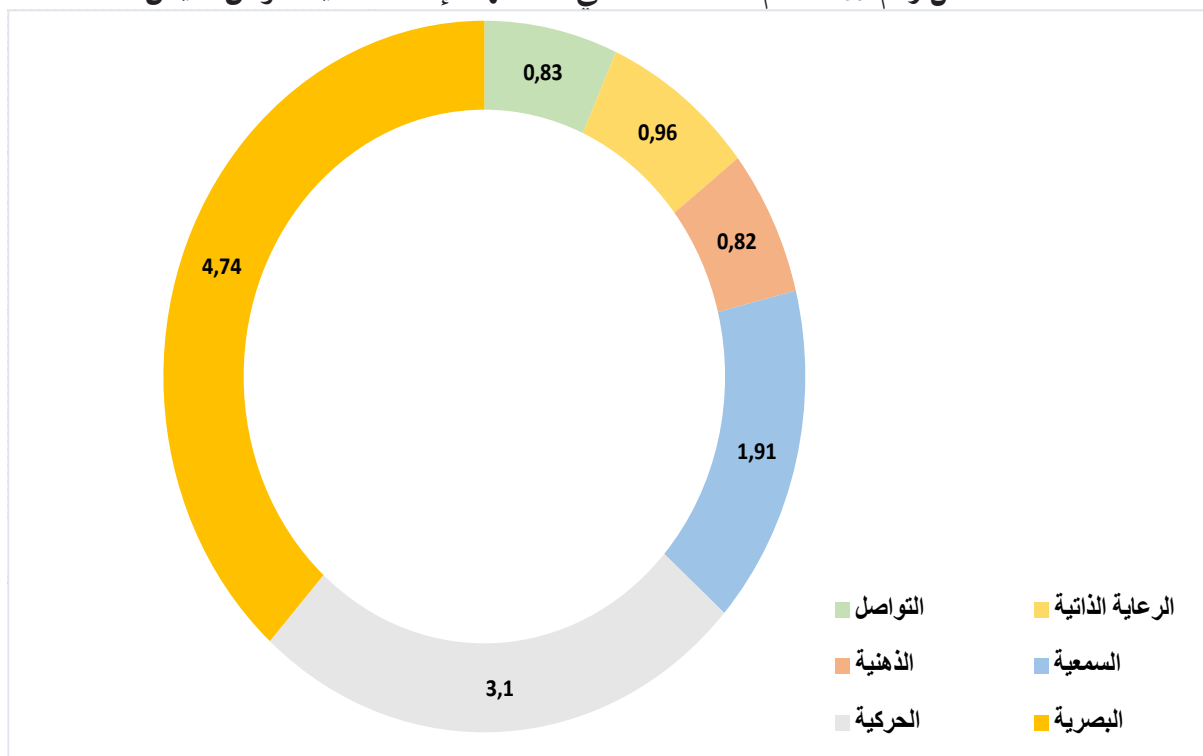
(172) يلاحظ أن نسبة الإعاقة مرتفعة نسبيا في صفوف الساكنة التي تتراوح أعمارها بين 21 و50 سنة. والذي يمكن تفسيره بكون الأشخاص المتراوحة أعمارهم بين 30 و50 سنة ولدوا بين 1955 و1975 خلال هذين العقد، عرف المغرب انتشارا واسعا للأمراض المعدية والطفيلية وشلل الأطفال والرمم الحبيبي.

16,4% أما نسبة انتشار الإعاقة بالنسبة للمستفيدين من برنامج محو الأمية فتصل إلى 11,9%؛ كل ذلك يبين مدى تأثير الإعاقة على تعليم الأشخاص في وضعية إعاقة، إذ أن البعض منهم لم يتمكن من ولوج المدرسة بسبب إعاقته⁽¹⁷³⁾، وآخرون تعطلت دراستهم أو أجبروا على مغادرة المدرسة للسبب نفسه.

2.1.4. تختلف درجة ذوي الاحتياجات الخاصة لعالية حوض نفيس من الخفيفة

الى المتوسطة

الشكل رقم 49: أهم المجالات التي تشملها الإعاقة لعالية حوض نفيس



المصدر: تحريات ميدانية، 2018-2020

تبلغ نسبة انتشار الإعاقة (من الخفيفة إلى المتوسطة) بالنسبة لمحدودية وظيفة البصر 4,74%، وتبلغ بالنسبة لمحدودية وظيفة الحركة 3,1% وهما أكبر النسب المسجلة بالنسبة لمجالات العجز الوظيفي. وفي هذا السياق يجب القول أن معظم المشاكل الصحية ذات الصلة بالسن أو الأمراض المزمنة غالباً ما تؤثر على وظيفتي البصر والحركة. أما بالنسبة لأنواع العجز الوظيفي الأخرى، فنسبة انتشار الإعاقة هي أقل من 1%.

تبين النتائج المحصل عليها في هذا البحث ما يلي:

(173) تتميز المنطقة أيضاً بغلبة الطابع الجبلي عليها مما يساهم في تكريس وضعية العزلة التي تعيشها، أضف إلى ذلك أن المنطقة تعاني من ضعف المؤسسات التعليمية خاصة المتعلقة بالمستوى الإحصائي (مؤسسة واحدة بثلاث نيعقوب)، في حين هناك غياب كلي للتأهيلي وهو الأمر الذي يفسر ارتفاع نسبة الهدر المدرسي لعالية حوض نفيس.

- ⊙ ترتبط مشاكل الحركية والتنقل بالقصور الحركي، وذلك بنسبة 54% لذوي الشلل النصفي، في حين يبلغ ذوو الشلل الكلي ومبتورو الأطراف 24.5%؛
- ⊙ يصرح الأشخاص خاصة الذين يعرفون سبب محدودية نشاطهم، أن ذلك يعود أساسا إلى عامل الشيخوخة 24,6%، أو بفعل صعوبات حدثت أثناء فترة الحمل أو عند الولادة 22%، 2، أو مرض مكتسب 18,4%؛
- ⊙ 44,6% من الأشخاص الذين يعانون من صعوبة في التواصل، هم من الفئة العمرية 25 سنة فما فوق؛
- ⊙ 42,4% من الأشخاص الذين يفوق سنهم 50 سنة يعانون من محدودية القدرات الوظيفية في مجال الرعاية الذاتية. soins personnels

5. ترتبط الهشاشة الصحية لعالية حوض نفيس بهشاشة الوضع العام للمنطقة

1.5. أدت الهشاشة بعالية نفيس إلى هشاشة التصور الثقافي للصحة

سبق لنا الإشارة في الفصول الأولى من هذا العمل إلى كون منطقة عالية حوض نفيس بجماعاتها الترابية الثلاث التي اخترنها كمجال للدراسة (اغبار، ثلاث نيعقوب، إجوكان)، تعرف عزلة مزدوجة، سواء على مستوى التنمية ومؤشراتها المختلفة أو على مستوى الطبيعة والتضاريس. هذا الأمر جعل المنطقة تعيش هشاشة على جميع الأصعدة ولاسيما مؤشرات التنمية البشرية المتمثلة في التعليم والدخل والصحة. ومن المعلوم في أدبيات علم الاجتماع والانتروبولوجيا بأن الإنسان يتأثر بشكل أو بآخر في سلوكه تجاه الأشياء وفي تمثلاته وأفكاره بطبيعة الوسط الاجتماعي والثقافي والصحي والاقتصادي الذي يعيش وينتمي إليه.

مدعاة هذا الكلام هي كون التصور الثقافي للصحة والذي يترجم في العادة إلى سلوكيات اجتماعية تجاه الصحة والمرض، لن تخرج بالضرورة عن الآثار التي انتجها الوضع العام المتمسم بالهشاشة في المنطقة المدروسة، فهشاشة التصور الثقافي للصحة في المنطقة نتيجة طبيعية للهشاشة العامة. لكن ما الذي نقصده بهشاشة التصور الثقافي للصحة؟ وما العلاقة بين هذا التصور وبين سلوك السكان تجاه الموارد الطبيعية وفي مقدمتها الموارد الغابوية؟

يقصد بالتصور الثقافي للصحة تلك العلاقة التي نجدها بين الثقافة من جهة وبين الصحة من جهة ثانية بمعنى ما هي تمثلات الساكنة المحلية للمرض والصحة اعتمادا على رصيدها الثقافي وتراثها الغني في هذا المجال باعتبار مجال نفيس تاريخيا كان مجالا للعديد من الثقافات التي كان تمر بالمنطقة باعتبارها حلقة وصل بين مركزين تجاريين كبيرين في الفترة الوسطية، مركز أكادير من جهة ومركز مراكش من

جهة ثانية. هذا الغنى الثقافي سيؤثر لا محالة على التصورات السائدة لدى الساكنة القروية حول العديد من المواضيع بما فيها موضوع الصحة الذي يهمننا في هذا الفصل. صحيح أن البحث في هذا الموضوع هو بحث انتروبولوجي بالدرجة الأولى أكثر منه جغرافي ، غير أن فهم هذه العلاقة من شأنه أن يجعلنا على دراية وفهم تام للسلوك البشري المرتبط بالصحة والمرض ومن ضمنها السلوك تجاه المجال وموارده.

إن أبرز وجه من أوجه هذه العلاقة بين الثقافة والصحة والمرض ، والذي يهمننا في هذا العمل هو السلوك البشري تجاه المرض. والذي هو نتيجة طبيعية لتصور هؤلاء للصحة وللمرض والموت. بمعنى هل يؤدي السلوك الصحي لساكنة عالية حوض نفيس إلى أمور من شأنها التأثير بشكل أو بآخر في السلوك البشري العام في المنطقة وخاصة في شقه المرتبط بالتعاطي مع الموارد الطبيعية لمجال الساكنة؟

إن أهمية المدخل الانتروبولوجي في هذا الفصل تكمن في كونه يعمل على إبراز الدور الذي تلعبه الثقافة في الحياة الصحية للمجتمع. وكذلك تفسير التعاطي الاجتماعي مع مختلف الخدمات الصحية المتاحة، سواء العصرية أو التقليدية منها ، وبعبارة أخرى فإن هذا المدخل يبرر الأساليب العلاجية المختلفة التي يتعاطها السكان في المنطقة مع العلم بأن المجال المدروس هو مجال ريفي جبلي معزول، يعاني من الهشاشة والعزلة سواء على مستوى الدخل أو المستوى التعليمي أو حتى فيما يتعلق بالتضاريس ،فهو إذن مجال سوسيوثقافي تغلب عليه العادات والتقاليد لذلك كان من الطبيعي أن يتأثر السلوك الصحي بالمنطقة بالعادات والتقاليد الشعبية ،بل وحتى المعتقد والمقدس...بشكل كبير رغم الانفتاح على السلوك العصري المرتبط بالطب الحديث، لكن في الغالب وفي الحالات المستعصية والشاذة التي لم ينفع معها السلوك الأول التقليدي

إن سلوك الإنسان في عالية حوض نفيس تجاه الطب عموما وتجاه الطب التقليدي والشعبي -والقائم على التداوي بالأعشاب أو النباتات العطرية وفي حالات كثيرة يتم اللجوء إلى بعض الطقوس التي لها علاقة بالمقدس...الخ- تتحكم فيه عدة عوامل كالانتماء الاجتماعي والمستوى الاقتصادي... والتي ترسم معالم السلوك الصحي في المنطقة. فإلى جانب الطب الرسمي الحديث نجد أن هناك فئات عريضة من ساكنة هذا المجال والتي تتعاطى وتقبل بشكل كبير على الطب التقليدي أولا قبل اللجوء إلى الطبيب في مرحلة متقدمة وهو الأمر الذي تكون له عادة انعكاسات سلبية على المريض.

هذه النتيجة، هي التي تجعلنا نحكم على السلوك الصحي لساكنة عالية حوض نفيس بأنه سلوك صحي هش، قائم بالدرجة الأولى على تصور ثقافي تقليدي للصحة والمرض مما ساهم في إفراز سلوكيات علاجية تؤثر بشكل أو بآخر في إعادة انتاج الهشاشة الصحية بالمنطقة التي تؤدي هي الأخرى إلى نتائج

على الغابة كيفما كان حجم تأثيرها لكن الأكيد أنها تؤثر على المجال الغابوي بشكل مباشر أو غير مباشر كما سنشير الى ذلك بالتفصيل في هذا البحث.

2.5. يتأثر المجال المدروس وموارده الطبيعية بهشاشة التصور الثقافي للصحة

لقد سبقت الإشارة في هذا العمل إلى أن قضية الصحة والمرض، لا ترتبطان فقط بما هو بيولوجي، وإنما كذلك بالعوامل الثقافية والسلوك الاجتماعي بصفة عامة، ولعل من البديهي القول بأن أول ما يتأثر بالسلوك الاجتماعي للسكان هو المجال الذي يعيشون فيه، والمجتمع الذي ينتمون ويتحركون من خلاله. وما دام هذا المجال من الناحية الطبيعية مجالا جبليا غابويا فإننا نطرح فرضية مفادها تأثر هذا المجال الجبلي الغابوي بهذا السلوك الصحي للسكان المحلية غير أننا نريد معرفة حدود هذا التأثير ودرجته.

لعل العلاج التقليدي، في غالبيته يقوم على شبكة واسعة من الاختيارات والطقوس والعلاجات التي نجد من بينها الأساليب التالية والتي من بين تسمياتها:

⊙ **الطب التقليدي (الشعبي):** وهو عبارة عن مجموعة من المعارف والمهارات والممارسات القائمة على نظريات ومعتقدات وخبرات أصيلة تمتلكها كل الثقافات سواء كان من الممكن تفسيرها أولا وتهدف إلى الحفاظ على الصحة أو الوقاية من الأمراض الجسدية والنفسية أو علاجها وتحسين حالة المصاب (منظمة الصحة العالمية، 2013)

⊙ **الطب التكميلي (البديل):** يشير مصطلحا «الطب التكميلي» أو «الطب البديل» إلى مجموعة واسعة من ممارسات الرعاية الصحية، التي ليست جزءاً من تقاليد البلد نفسه أو الطب التقليدي فيه. وهذه الممارسات ليست مدمجة إدماجاً كاملاً في نظام الرعاية الصحية السائد. وهي تستعمل بصورة تبادلية (أو تناوبية) مع الطب التقليدي (الشعبي) في بعض البلدان (منظمة الصحة العالمية ، 2013)

⊙ **الأدوية العشبية:** يشمل هذا المصطلح الأعشاب والمواد العشبية والمستحضرات العشبية والمنتجات العشبية الجاهزة والتي تحتوي على عناصر نباتية فاعلة أو على مواد وتركيبات نباتية أخرى نجد في المغرب جميع الأنواع والتسميات والأصناف والتي تناهز أكثر من 4000 نوع من النباتات والأعشاب ، وهو الأمر الذي جعل المغرب يعتبر من بين البلدان التي تنتج كميات مهمة من النباتات العطرية والطبية والتي تتجاوز 140 ألف طن، منها 40 ألف طن سنوياً موجهة للتصدير. كما أن هذه التجارة وهذا النشاط يوفر 500 ألف يوم عمل سنوياً (الوكالة الوطنية للنباتات الطبية والعطرية ، 2017) هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن المجال المدروس غني بدوره بمختلف الأعشاب والنباتات الطبية التي باتت تدخل ضمن العادات الغذائية للسكان المحلية والتي لا تحتاج إلى التوجه للمعالج التقليدي بتاتا،

بحيث أصبحت لدى الساكنة خبرة كبيرة للتميزة بين مختلف الأمراض والأعشاب المناسبة لكل نوع، وطريقة التحضير والاستعمال ، وهذه الملاحظة جد مهمة بالنسبة لفرضيتنا في هذا الفصل والتي تتمحور حول مدى وجود علاقة بين السلوك الصحي للسكان وبين الموارد الطبيعية ولاسيما الغابوية منها بشكل خاص بالنسبة للمجال المدروس. إذ أنها تجعلنا أمام حقيقة لا يمكن التغاضي عنها ، مفادها أن ساكنة هذه المناطق كانت دائما ولا تزال تعتمد على الغابة في سلوكها العلاجي عن طريق مختلف النباتات والأعشاب التي تدخل ضمن الثقافة العلاجية للساكنة عبر التاريخ.

غير أن هذا السلوك الطبي الذي يعود إلى آلاف السنين من الاستقرار بالمنطقة لم يؤدي في يوم من الأيام الى تضرر النسيج الطبي الغابوي بالمنطقة. وهكذا يمكننا الجزم بأن السلوكات الصحية التقليدية الفردية أو الجماعية لعالية حوض نفيس لم تكن يوما سببا في تدهور المجال الغابوي بالمنطقة. لكن هل تنطبق هذه الخلاصة على السلوك الطبي التقليدي ككل بالمغرب؟ ألا يؤدي هذا السلوك الطبي القائم على التصورات التقليدية للصحة والمرض إلى نتائج وخيمة على الموارد الطبيعية التي يقوم عليها سوق تجارة الأعشاب الطبية والتداوي بها في المغرب عامة وفي المنطقة على وجه التحديد؟

من خلال البحث الميداني تم رصد العديد من الأعشاب الطبية التي توظفها الساكنة المحلية لعالية حوض نفيس من أجل التداوي نظرا للعوامل السالفة الذكر ولخصوصيات المنطقة التي تعيش إكراهات متعددة على مستوى توفر الخدمات الطبية من جهة أو بسبب التصورات الثقافية السائدة بالمنطقة ، وبالمقابل فإن هناك شريحة مهمة من الساكنة التي تعتمد على هذه الأعشاب الطبية من أجل تسويقها في المدن الكبرى المجاورة كما هو الشأن بالنسبة لمراكش أو أكادير وذلك من أجل تحسين وضعيتها الاقتصادية وبالتالي الرفع من دخلها الفردي رغم الانعكاسات التي تخلفها هذه الممارسات على استدامة هذا النوع من الأعشاب.

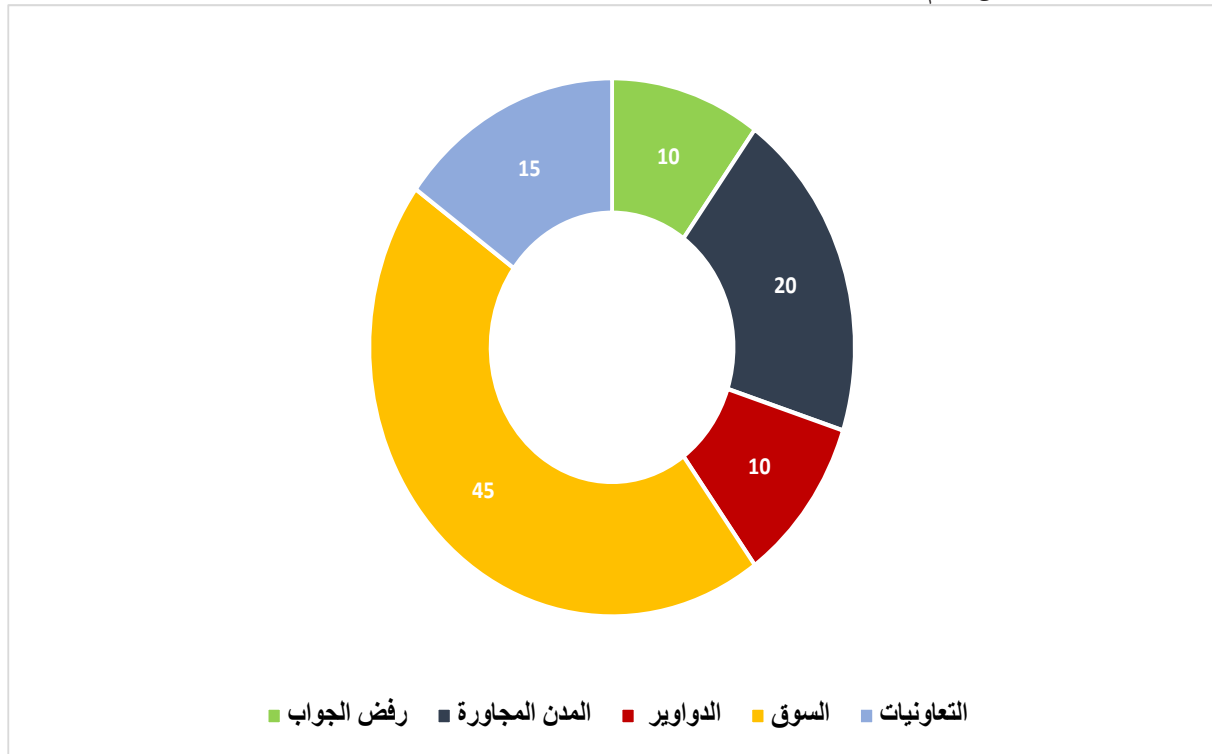
جدول رقم 24: أهم النباتات والأعشاب الطبية لعالية حوض نفيس

الاسم المحلي	الاسم العلمي	استعمالها / نوع المرض الذي يعالجه	الجزء المستعمل من النبات	طريقة الاستعمال
ثيلوت	Capparis spinosa	الزكام	الأوراق	يتم استعمالها عند طهيها مع الطعام ،حيث تكون لها فعالية أكثر
سوسبان	Iris germanica	يعالج أمراض روماتيزم	الجدور	يتم طحنه ويتم طهيه مع الطعام (خاصة مع الحساء)
أفلو	Mentha pulegium	يعالج بدوره أمراض الروماتيزم	الأوراق	يتم طهيه مع الشاي أو اللبن
لحباق	Ocimum basilicum	الأمراض المرتبطة بالروماتيزم والحمى ما يستعمل في التنظيف و تنقية الجو	الحبات Graines	يستعمل كمزهرات في البيت
أزوكي	Thymus saturejoides	يعالج الحمى وأوجاع المعدة	الأوراق	يتم طهيه مع الطعام أو الشاي
الحرمل	Papaver rhoeas	يعالج الحمى والألم الرأس	racine / الحبات والجدور	يتم حرقه في النار ليفرز دخان يصيب عرق شديد
إرغل	Cistus salvifolius	يعالج مغطم emménagogue والأمراض الجلدية	فاكهته وهي عبارة عن حبات تشبه حب الملوك	يتناول كالتمار
أزير	Rosmarinus officinalis		الأوراق	يستعمل كخليط
تعبين	Cistus laurifolius	يعالج الجروح	عمارة النبة Latex	يتم وضعه على الجرح أثناء حدوثه مباشرة و يشفى في حينه
إرغل	Cistus salvifolius	يعمل على تنقية المعدة و الأمعاء	فاكهته وهي عبارة عن حبات تشبه حب الملوك	يتناول كالتمار
أزليم نوش	Asphodelus microcarpus	يعالج الزكام	بصله bulbe	يتم إستنشاقه
تمجا	Mentha rotundifolia	يعالج الإسهال	الأوراق	يتم طهيها مع الطعام أو الحليب

المصدر: عبد العزيز عبد الصادق، استغلال وتديبير الغطاء النباتي بالأطلس الكبير الغربي : غابة أغبار،

يتضح بشكل من خلال الجدول أعلاه ،بأن مجال نفيس هو مجال غني ويزخر بعدة أصناف من النباتات والأعشاب الطبية، التي كانت ولا زالت تحظى باهتمام كبيرين من طرف الساكنة المحلية ،كما انها تدخل ضمن نشاط اقتصادي تجاري قائم بذاته، غير أنه لايزال نشاطا غير مهيكّل ويتميز بسيطرة مجموعة من السماسرة الذين ينتمون للمدن الكبرى ولاسيما مدينتي مراكش وأكادير التي تستقطب أسواقها الشعبية جزء كبيرا من الأعشاب الطبية التي يتم استغلالها بطريقة عشوائية وفي ضرب تام للقوانين المنظمة لاستغلال المجال الغابوية بالمنطقة ،حيث يتم تسويق حوالي 20% من هذه الموارد في المدن المجاورة وفي مقدمتها مدينتي مراكش وهو ما يطرح السؤال حول حجم الضغط الذي يتعرض له هذا المورد الذي لا تستفيد منه الساكنة المحلية بالقدر الكافي على اعتبار أن تعدد الوسطاء التجاريين عادة ما يكون على حساب الساكنة المحلية. (الشكل 50) لكل هذه الاعتبارات يمكننا الجزم بأن السلوك الصحي الفردي لساكنة المنطقة فيما يتعلق بالاستعمال الذاتي لموارد الغابة في التداوي لا يؤثر سلبيا على الموارد الطبيعية للغابة ، لكن بالمقابل فإن وجود لوبيات حقيقية تستنزف وتستغل هذه الموارد بطريقة غير عقلانية هو الذي يؤثر بشكل كبير على قدرة الغابة على التجدد الطبيعي للنباتات والأعشاب الطبية.

الشكل رقم 50: مجالات تسويق النباتات والأعشاب الطبية لعالية حوض نفيس



المصدر: تحريات ميدانية ، 2018-2020

3.5. حدود تأثر غابة عالية نفيس بالسلوك الصحي الهش بالمنطقة

إذا سلمنا باستمرار سلوكيات صحية مرتبطة بثقافة تقليدية مورثة لدى ساكنة المنطقة من جهة، ويفرضها واقع الهشاشة الاقتصادية والثقافية من جهة أخرى فهذا لا يعني بالضرورة قولنا بوجود علاقة مباشرة بين هذا السلوك الصحي وبين التدهور الذي تعيشه الغابة في المنطقة. ذلك أن السلوك الصحي الموروث في المجال المدروس والذي يعتمد في جزء كبير منه على خيارات الغابة وعلى نباتاتها وأعشابها لم يكن يوماً سبباً في تدهور هذه الأخيرة، بالنظر إلى الكميات القليلة التي يستعملها السكان في هذه المنطقة، وبالنظر إلى احترام هؤلاء لنمط عيشهم والذي من توابته احترام بعض القواعد في الاستهلاك.

صحيح بأن اكراهات الحياة المعاصرة، وضغط ارتفاع معدلات التزايد الطبيعي، إلى جانب تدهور القدرة الشرائية لمعظم ساكنة هذه المجالات الهشة. قد أدت إلى ظهور سلوكيات عدوانية تجاه الغابة، ومواردها (استغلال الخشب، الرعي الجائر، الاجتثاث...)، وصحيح أيضاً بأن سياسة الدولة فيما يتعلق بتدبير قطاع الغابات، ساهم بدوره في تكريس هذه السلوكيات العدوانية تجاه النسيج الغابوي، الذي يعتبره السكان المحليون امتداداً جغرافياً وطبيعياً في ملكيتهم ويشكل جزءاً لا يتجزأ من هويتهم ومن وجودهم، لكن في مجال السلوك الصحي فالأمر لا يصح، على الأقل في صيغته المباشرة. فالسلوك الصحي للسكان لا

يؤثر إطلاقا على المجال الغابوي. لكنه مع ذلك سلوك يتغذى بشكل مباشر على ما سبق واصطلحنا عليه "الطب التقليدي" القائم على الأعشاب العطرية والطبية التي مصدرها الغابة؟

عندما ننقل من سلوك صحي مرتبط بالاستهلاك المباشر للسكان المحلية لما تجود به الغابة من نباتات وأعشاب تدخل ضمن العلاج التقليدي أو ضمن نمط التغذية الصحية التقليدية إلى سلوك صحي مرتبط بسوق وتجارة هذه الأعشاب والنباتات الطبية في المغرب ككل وليس في عالية نفس فقط. هنا يمكن أن نبحت عن درجة وحدود تأثر الغابة كمصدر لهذه الأعشاب والنباتات من هذا النشاط الاقتصادي القائم بذاته والذي يستهدف الربح أولا في تغييب تام لأية مقارنة بيئية تراعي المحيط الطبيعي الذي بات تدهوره واضحا بشكل كبير خلال السنوات الأخيرة.

خلاصة الفصل

إذا كانت الصحة، كظاهرة اجتماعية، تعكس بشكل أو بآخر، وضع التنمية في أي مجتمع، كما أكدنا على ذلك في بداية هذا الفصل، وإذا كان هدف التنمية هو خلق بيئة مناسبة تسمح للأفراد بالعيش لمدة أطول في صحة جيدة، فإن عالية حوض نفيس يخرق هذه المعادلة من وجهيها؛ أي من وجه التنمية، ومن وجه الصحة، ذلك أن التحليل جعلنا نقف على غياب الوجه الأول "التنمية" وبالتالي غياب الوجه الثاني للمعادلة أي "الصحة". هذا الغياب المزدوج هو ما اصطلاحنا عليه بلفظ الهشاشة، وهي هشاشة مركبة بحجم تركيب المجتمع المغربي، يتداخل فيها الطبيعي مع البشري، في علاقتهما بالاقتصادي والسياسي والثقافي... لتنتج لنا وضعاً شاذاً ينبغي التصدي له عبر إرادة حقيقية مدركة لحجم الخسارة التي يتسبب فيها هذا الوضع. وهذا ما عبرت عنه أعلى سلطة في البلاد في أكثر من مناسبة خاصة في خطاب الذكرى 19 لتربعه على العرش: "إن طموحي للنهوض بالأوضاع الاجتماعية، يفوق بكثير وضع آلية أو برنامج مهما بلغت أهميته، لذا أدعو الحكومة وجميع الفاعلين المعنيين، للقيام بإعادة هيكلة شاملة وعميقة للبرامج والسياسات الوطنية، في مجال الدعم والحماية الاجتماعية، وكذا رفع اقتراحات بشأن تقييمه، وهو ما يتطلب اعتماد مقارنة تشاركية، وبعد النظر، والنفس الطويل، والسرعة في التنفيذ أيضاً، مع تثمين المكاسب والاستفادة من التجارب الناجحة"

بشكل عام، فإن سياسة بناء الوحدات الصحية في المناطق القروية التي اعتمدتها الدولة منذ التسعينيات من القرن العشرين تعوزها الكثير من عوامل النجاح وفي مقدمتها عدم الاستثمار في الموارد البشرية باعتبارها حجر الزاوية لإنجاح هذه الاستراتيجية التي كانت تراهن عليها الدولة من أجل تحقيق نوع من التكافؤ في الولوج للخدمات الصحية، غير أن ضعف هذه الموارد وغياب الشروط الكفيلة بضمان استقرارها في هذه المجالات ذات الطبيعة الجبلية جعل الساكنة المحلية تعاني من إشكالية الولوج للخدمات

الصحية، خاصة في ظل الضعف الكبير والغياب الشبه التام للقطاع الخاص بهذه المناطق بالنظر إلى افتقارها للجاذبية (ضعف الدخل، ضعف البنيات التحتية...) ، وهو ما يطرح أكثر من سؤال حول البدائل التي يجب التفكير فيها من أجل تجاوز مختلف هذه الاكراهات. حيث يعتبر المجال الغابوي من بين المجالات التي يتم اللجوء اليها من أجل معالجة العديد من الأمراض في إطار الطب البديل ، وهو ما يفسر حجم الرواج الذي تعرفه المنطقة على مستوى تسويق الأعشاب الطبية على نطاق واسع خاصة بالنسبة لمجال الدراسة حيث يتم بيع جزء كبير من هذه الاعشاب الطبية ،في حين يتم تسويق الجزء الكبير من هذه الأعشاب في المدن الكبرى المجاورة ولاسيما مدينتي مراكش وأكادير.

ومن أجل تدارك التأخر الكبير في مجال الخدمات الصحية بالمنطقة نقترح:

- توفير النقل الصحي لنقل المرضى نحو المراكز الصحية المتواجدة بالخصوص في المراكز الحضرية(تخناوت) ؛
- تحفيز الموارد البشرية للاستقرار في المناطق القروية
- تطوير تجربة القوافل الطبية ودعم الجمعيات النشيطة في المجال الصحي ؛
- تقديم تحفيزات ضريبية للقطاع الخاص وتشجيعه على الاستثمار في المناطق القروية ؛

الفصل الثالث: الأوضاع الاقتصادية بعالية نفيس عكس حجم الهشاشة الاجتماعية وتساهم في تدهور المجال الغابوي

مقدمة:

كثر الحديث في العقود الأخيرة عن محاربة الهشاشة وتقليص الفوارق الاجتماعية، لذلك تم وضع العديد من البرامج الاجتماعية والاقتصادية التي تستهدف الفئات الأقل حظاً، والأقاليم الأكثر هشاشة. وفي هذا السياق رصدت الدولة - كما صرح بذلك رئيس الحكومة في مجلس المستشارين - أكثر من 139 برنامجاً للحماية الاجتماعية ومحاربة الفقر والهشاشة (موقع لكم، 2019). لكن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح في هذا السياق هو: لماذا يستمر العجز الاجتماعي في المغرب بالرغم من الجهود المبذولة على مستوى الاستثمار (الأوراش الكبرى، البرامج القطاعية المهيكلية، المبادرة الوطنية للتنمية البشرية).

وبعبارة أخرى لماذا فشلت السياسات «الصدقية» للفقراء (بحسب المؤسسات المالية الدولية) في محاربة الفقر والتهميش والإقصاء؟ لماذا لا تستفيد سوى الأقلية من السياسات الماكرو اقتصادية؟ لماذا لا يتم «جريان» النمو من الأعلى نحو الأسفل اجتماعياً، ومن المراكز إلى الأطراف مجالياً؟ «هل يوجد المشكل في الفئة المستهدفة، أي في الذين يستحقون هذا الدعم؟ وهنا نتساءل عن مشروع السجل الاجتماعي الذي بشرت به الحكومة منذ 2019 ولم يرى النور بعد!!؟ أم أن المشكل في طريقة تدبير هذه البرامج؟ علماً أن الدعوة إلى الحكامة الجيدة وإلى الشفافية والنزاهة كانا دائماً حاضرين في الخطاب السياسي المغربي منذ الربيع العربي على الأقل؟».

وقد أثبتت التجربة مع جائحة كورونا مدى مشروعية هذه التساؤلات خصوصاً مع الأخطاء الكبيرة التي رافقت توزيع الدعم للفئات الأكثر تضرراً من الوباء⁽¹⁷⁴⁾، ذلك أن التقارير أكدت على أن المستفيدين ليسوا كلهم ممن يستحق الدعم. والأمر نفسه بالنسبة لنظام «الراميد» للتغطية الصحية الذي اتضح بأن 10% من الذين استفادوا منه لا يستحقونه.

هذه التساؤلات لا تكفي لوحدها من أجل مقارنة ظاهرة متشعبة وشمولية مثل ظاهرة الهشاشة. لكن مع ذلك فإنها ستساعد لا محالة في الوقوف على بعض الحقائق المرتبطة بها كالهشاشة النقدية المطلقة التي سنحاول مقاربتها في هذا الباب من خلال معيار الدخل الفردي وبالضبط نفقات الاستهلاك. وذلك انطلاقاً من مسلمة مفادها أن كل هشاشة اجتماعية هي في الأصل هشاشة مادية.

(174) كشف رئيس الحكومة سعد الدين العثماني، في لقاء تلفزيوني على القنوات الوطنية، يوم الخميس 7 ماي 2020 أن عدد المغاربة الذين شملهم دعم الدولة بسبب «أزمة فيروس كورونا»، يبلغ 5 ملايين و100 ألف شخص، وفي نفس السياق لا بد من الإشارة إلى أن وزير الداخلية، عبد الوافي لفتيت، اعترف في مجلس المستشارين، بأن جزءاً من أموال دعم صندوق كورونا ذهبت إلى أشخاص في غنى عنها، وهو ما حرم بالتالي ملايين الأسر المعوزة والمستحقة من الاستفادة من الدعم.

فضعف الدخل الفردي أو انعدامه، يجعل الأسر غير قادرة على الاستفادة من السلع والخدمات الأساسية، بل إن ذلك سيجعلها عرضة للفقر والحاجة خاصة في ظل الإكراهات الاقتصادية التي تعيشها المناطق الجبلية بصفة عامة ومنطقة عالية حوض نفيس بصفة خاصة، لذلك فإن اختيار معيار « الدخل » في دراسة مظاهر الهشاشة الاجتماعية على المستوى الاقتصادي بالمنطقة هو اختيار أساسي، لكون الدخل هو الذي يمكن من الاستفادة من السلع والخدمات داخل مجتمع استهلاكي، إذ أن الاستهلاك يتطلب نفقة، وهذه الأخيرة تقتض بدورها التوفر على المال.

نسعى من خلال هذا الفصل إلى الكشف عن مظاهر الهشاشة السوسيواقتصادية ومختلف أشكال التخلف المتنوعة والمتراكمة التي يعاني من عالية حوض نفيس بشكل خاص والمجالات الريفية بالمغرب عموماً، هذا الأخير الذي يعاني من خلل كبير على المستوى التنموي حيث لازال يحتل مراتب متأخرة في مؤشر التنمية البشرية ⁽¹⁷⁵⁾، الشيء الذي دفع بأعلى سلطة في البلاد إلى المطالبة بإعادة النظر في البرنامج التنموي الذي تعتمده بلادنا ⁽¹⁷⁶⁾.

إن التنمية الهشة التي حققتها بلادنا في العديد من المجالات نابعة أساساً من غياب تصور حقيقي لمشروع التنمية، فكيف يمكن كسب رهان التنمية في ظل عدم استحضار الخصوصيات الاجتماعية والثقافية لسكانة الأطلس الكبير الغربي وهي مسألة تشكو منها معظم المجالات المغربية. وقد أدى هذا الخلل في ميكانيزمات التنمية إلى عجز الاقتصاد الوطني – ولاسيما الاقتصاد الحضري – على إدماج الأعداد المتزايدة من الأطر الحاصلة على الشواهد العليا في النسيج الاقتصادي. ومن هنا فإننا نعتقد أن المشاكل التي تعرفها جل المدن المغربية حالياً، وما يواكبها من احتجاجات اجتماعية لا يمكن تطويقها والتغلب عليها إلا بتدخلات اقتصادية رشيدة تستهدف المجالات الريفية المغربية قبل كل شيء ⁽¹⁷⁷⁾.

● ما المميزات الاقتصادية لسكانة عالية حوض نفيس بالجماعات الترابية الثلاث؟

● أين تتجلى مظاهر الهشاشة الاقتصادية لأسر عالية حوض نفيس ؟

● وما العوامل المتحركة في انتشار الهشاشة السوسيو اقتصادية لعالية حوض نفيس ؟

(175) لم تسعف حزمة البرامج التنموية التي أطلقها المغرب، في انتشار المملكة من ذيل قائمة البلدان المرتبة في «تقرير التنمية البشرية 2019» الذي أصدره برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، حيث احتل المغرب المركز 121 عالمياً من بين 189 دولة، محققاً تقدماً طفيفاً نسبته 0,667 بالمقارنة مع تصنيفه العام الماضي في المرتبة 123. وجاء المغرب خلف بلدان عربية وإفريقية عديدة مثل العراق و لبنان والأردن وتونس و الجزائر وبوتسوانا. وصنف التقرير، المغرب في المرتبة الرابعة عشرة عربياً، وفي الرتبة الرابعة مغاربياً، حيث لم يتقدم سوى على موريتانيا.

(176) في هذا السياق لابد من الإشارة إلى أن الملك محمد السادس كلف شكيب بنموسى من أجل ترأس اللجنة التي أوكلت لها مهمة اعداد البرنامج التنموي الجديد بحكم عدم مساهمة النموذج الحالي في تقليص الفوارق وتحقيق العدالة الاجتماعية، وهي ملاحظة تدعمها العديد من التقارير الدولية والمحلية، التي تلتقي في التشديد على هشاشة النمو الاقتصادي الذي يحوم حول 3 % سنوياً.

(177) شهد المغرب خلال الفترة الممتدة ما بين 2008 و 2011 مجموعة من الحركات الاحتجاجية المتنوعة ما بين مسيرات ووقفات احتجاجية واعتصامات تجاوزت 40.000 حركة احتجاجية (الحبيب استاتي زين الدين، 2017).

1. يتسم عالية حوض نفيس بانتشار مختلف مظاهر الهشاشة الاقتصادية

1.1. تشكل البطالة سمة رئيسية تطبع مجال نفيس

يكتسي الشغل أهمية بالغة وذات دلالة خاصة، بحكم طابعه البنيوي، ولما يمكن أن يكون له من انعكاسات وآثار من شأنه أن شكل تهديدا للميثاق الاجتماعي (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2011)، وهو ما جعل أعلى سلطة في البلاد تنبه في الكثير من المناسبات إلى ضرورة الاهتمام بمسألة التشغيل ومحاربة البطالة لاسيما في صفوف الشباب لما لها من مخاطر جمة على التنمية ببلادنا⁽¹⁷⁸⁾ وبالنسبة لمجال الدراسة فإن إشكالية البطالة مطروحة بشكل كبير جدا حيث تمثل حوالي 7,5% حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014 لكن الملاحظ أن هذه النسبة وإن كانت تبدو أقل من المعدل الوطني المسجل في حدود 10% وهو ما قد يجعل البعض يعتقد بوجود أنشطة اقتصادية أكثر توفر فرص شغل أكثر لسكان المنطقة، وهو أمر غير صحيح على اعتبار كون المنطقة تفتقر إلى أبسط التجهيزات والخدمات.

إن التفسير المنطقي لهذه الظاهرة يرتبط بحركية السكان في المجال، أكثر من ارتباطه بنوع الأنشطة الممارسة. بمعنى أن المفسر هنا هو الهجرة التي تحدثنا عنها في السابق واعتبرنا بأن المنطقة ككل منطقة طاردة للسكان وخاصة الفئات النشطة. فأمام ضبابية الأفق أمام الشباب العاطل عن العمل، تتحول الهجرة نحو المدن الكبرى كمراكش وأكادير والبيضاء، إلى وسيلة لتحسين الوضع الاجتماعي لهؤلاء ولأسرهم. ومما يثبت هذا الطرح أن الأسر بأغبار على سبيل المثال تعتمد بشكل كبير على الدعم العائلي القادم من خارج الجماعة، حيث تتجاوز النسبة في هذه الجماعة 33,2% مقابل 3,5% و 8,5% باجوكاك وتلات نيعقوب على التوالي⁽¹⁷⁹⁾ في حين يسجل هذا المعطى على الصعيد الوطني نسبة ضعيفة لا تتجاوز 6,5%، وهو ما يبرز حجم الهشاشة التي تعيش فيها هذه الأسر رغم أن الأرقام الرسمية الصادرة عن المندوبية السامية للتخطيط تفيد بأن نسبة البطالة بأغبار جد ضعيفة.

(178) وفي هذا تكفي الإشارة إلى ما ورد في خطاب جلالة الملك محمد السادس خلال تنصيب المجلس الاقتصادي والاجتماعي 21 فبراير 2011 حيث أكد جلالتة على أن « هدفنا الأسى ضمان أسباب العيش الكريم لكافة المغاربة، ولاسيما الفئات المعوزة منهم، وتحقيق تنمية شاملة، كفيلة بتوفير فرص العمل المنتج، وخاصة للشباب، الذي نضعه في صلب سياستنا التنموية».

(179) تم التوصل إلى هذه المعطيات الإحصائية اعتمادا على نتائج البحث الميداني الذي هم 514 شخص ينتمون للجماعات الترابية «أغبار» و «تلات نيعقوب» و «اجوكاك» لعالية حوض نفيس خلال الفترة الممتدة ما بين 2019-2020

جدول رقم 25: نسبة البطالة لعالية حوض نفيس

الجماعات	ذكور	إناث	المجموع
اغبار	0.9	4.8	2.4
تلات نيعقوب	6.5	12.0	7.6
اجوكاك	5.8	7.55	7.5

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014

2.1. تتميز الوضعية الاقتصادية للأسر القروية لعالية حوض نفيس بالتدهور

يشكل القطاع الفلاحي النشاط الرئيسي بالنسبة لغالبية ساكنة المناطق الجبلية عموما وعالية حوض نفيس بشكل خاص رغم أن الفلاحة السائدة في هكذا مجالات جبلية هي فلاحة معاشية بالكاد تكفي لتحقيق الحاجيات الأساسية للسكان القروية التي تظل رغم ذلك مرتبطة بالمدينة من أجل تحقيق اكتفائها الذاتي. ورغم ضعف مردودية هذا القطاع في معظم المناطق الجبلية، إلا أن سياسة التقويم الهيكلي⁽¹⁸⁰⁾ التي اعتمدها المغرب خلال الثمانينيات من القرن العشرين أرخت بسدولها على هذا القطاع بشكل خاص. فكيف ذلك؟

إن سياسة التقويم الهيكلي التي اعتمدها المغرب بضغط من صندوق النقد والبنك الدوليين دفعته إلى رفع القيود على أسعار المنتجات الزراعية التي كانت تجبر الفلاحين على زراعة مساحات محددة بمزروعات محددة، ثم إلغاء الاستيراد الاجباري لبعض المنتجات الزراعية⁽¹⁸¹⁾، لقد أدى هذا التحرير إلى تهيمش الأسر القروية الفقيرة وتهيمش ما كانت تعرضه من منتوجات محلية، كما أدى إلى تفاقم ظاهرة محدودية العمل بالوسط القروي (أحمد حسن إبراهيم، 1998)، مما ساهم في انتشار مظاهر الهشاشة والفقر في أوساط الأسر القروية.

إلى جانب العوامل السالفة الذكر، فإن هناك مجموعة من العوامل التي تفسر التهيمش الذي تعاني منه المجالات الريفية التقليدية في المغرب، وفي هذا الصدد لا تزال أرياف الأطلس الكبير الغربي (حوض نفيس) تعاني من التأثيرات السلبية للوسط الطبيعي (غلبة الطابع الجبلي، تعاقب سنوات الجفاف...)، ومن ضعف التدخلات الرسمية التي من شأنها تحقيق التوازن بين الإنسان ومجاله، وذلك انطلاقا من الموارد الطبيعية والاقتصادية التي تزخر بها المنطقة (الموارد الغابوية، المؤهلات السياحية...) وقد ترتب عن هشاشة بنيات الإنتاج الاقتصادي المحلي وعن تخلف نظام الإنتاج الفلاحي وعدم قدرته على المساهمة في كسب رهان التنمية بالنظر إلى الإكراهات الموضوعية التي سبقت الإشارة إليها، انعكاسات اقتصادية واجتماعية متعددة ومتنوعة، يعد التهيمش السوسيو اقتصادي أحد أهم تجلياتها. وفيما يتعلق بتقييم الساكنة

(180) جاء برنامج التقويم الهيكلي للمغرب نتيجة فشله في تسديد ديونه لمؤسسة صندوق النقد الدولي، حيث لجأت هذه المؤسسة المالية الدولية إلى تقديم هذا البرنامج الإصلاحي في البنيات والبرامج التي يقوم عليها الاقتصاد المغربي، وذلك سنة 1983

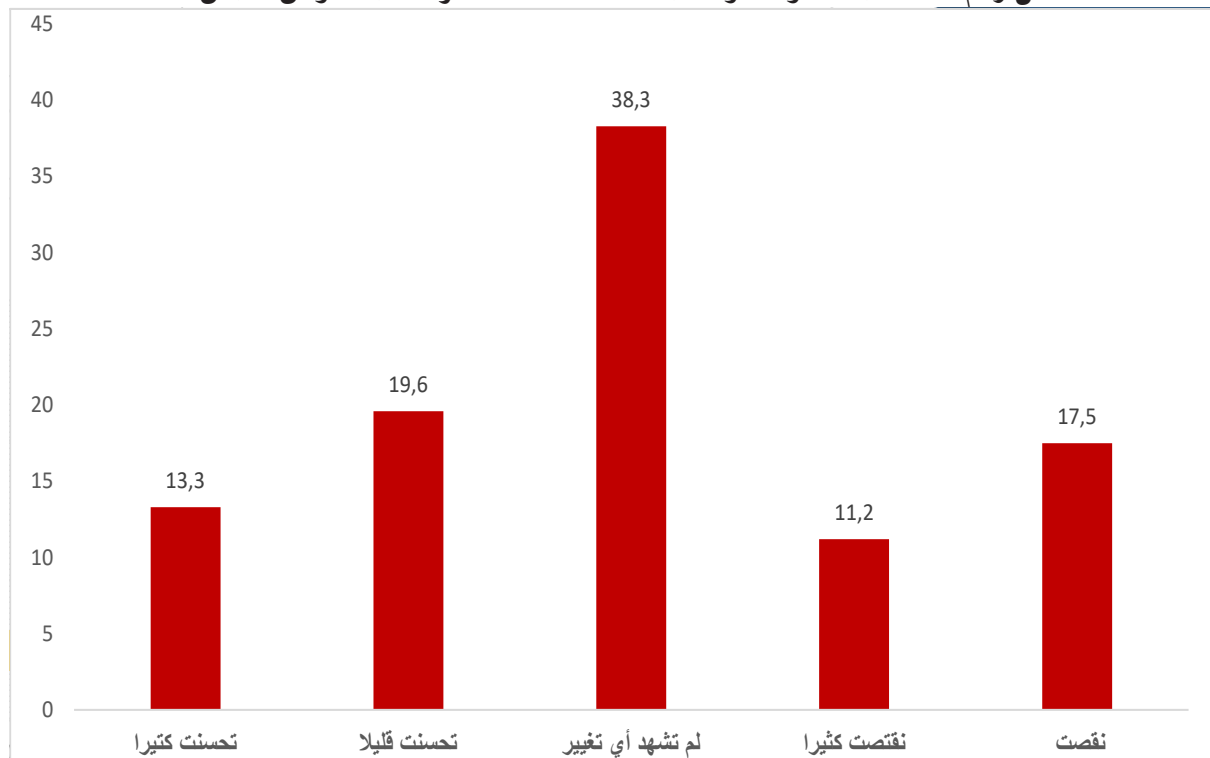
(181) أحمد حسن إبراهيم «بعض آثار الإصلاح الاقتصادي والتكيف الهيكلي على المرأة في مصر»، 1998، ص 257

المحلية لوضعيتها الاقتصادية نلاحظ من خلال (الشكل 51) أن هناك تفاوتاً محدوداً بين الأسر على مستوى وضعيتها الاقتصادية، ففي الوقت الذي عبرت فيه 38.3% عن عدم تحسن وضعيتها الاقتصادية خلال السنوات العشر الماضية، بل ظلت على حالها، ومعظم أفراد هذا الصنف ينتمون في الغالب إلى الملاكين الصغار الذين يعتمدون بشكل كبير على عائدات الهجرة التي يرسلها أبناؤهم من المدن الكبرى كمراكش واكادير والدار البيضاء، حيث أن أغلب هؤلاء رغم أن وضعيتهم لم تتغير لكن هذا لا يعني أن ظروفهم الاقتصادية جيدة، بل إن معظمهم يعتبرون من بين الفئات الأكثر هشاشة، نجد فئة ثانية عبرت عن تراجع تختلف حدته بين التراجع الكبير والتراجع النسبي لوضعيتها الاقتصادية، والتي تمثل حوالي 28% من ساكنة المنطقة. وهذا الرقم لوحده يبرز حجم الإقصاء والتهميش الذي طال هذه المناطق التي لم تستفيد من مختلف البرامج الاجتماعية التي أعلنت عنها الحكومة المغربية لتحسين وضعية سكان المناطق الجبلية، بالرغم من أنه لا يمكن تبرير تأثر الوضعية الاقتصادية لهذه الفئة بمحدودية جهود الدولة في تنمية المناطق الجبلية فقط. ذلك أن المعطى الطبيعي هو الآخر يلعب دوراً بارزاً في تفسير هذا التراجع الذي سجلته هذه الفئة على مستوى وضعيتها الاقتصادية، ويكمن هذا المعطى الطبيعي في التغيرات المناخية وما رافقها من تعاقب لسنوات الجفاف. وبالمقابل فإن الفئة التي عبرت عن تحسن وضعها لا تمثل سوى أقل من 20 % ويمكن تفسير هذا المعطى بجملة من العوامل التي يمكن تلخيصها على الشكل الآتي:

● الاتجاه العام للعينة التي كانت محور هذه الدراسة تؤكد على أن وضعيتها تحسنت قليلاً وهذا يمكن تفسيره بالعدد المتزايد للهجرة القروية نحو المدن الكبرى ولاسيما مراكش والدار البيضاء ومدن الشمال.

● أغلب هؤلاء ينتمون إلى العائلات ذات النفود الكبير بعالية نفيس، والتي تمتلك حيازات كبيرة جداً بالمقارنة مع باقي الفلاحين الصغار، وبالتالي فهم لم يتأثروا كثيراً بالإكراهات الاقتصادية التي يعاني منها معظم السكان الذين تراجع دخلهم وتأثرت وضعيتهم الاقتصادية حيث أصبحوا يعانون من الهشاشة، بل إن جزءاً كبيراً منهم مهدد بالفقر إن لم يكونوا يعيشون حالة الفقر، على اعتبار أن الهشاشة النقدية ستؤدي لا محالة إلى السقوط في الفقر النقدي وبالتالي تأزيم وضعية هذه الفئة التي تشكل نسبة كبيرة داخل النسيج المجتمعي لعالية نفيس ولاسيما في الجماعة الترابية لإغبار وإجوكاك.

الشكل رقم 5I: مبيان حول الوضعية الاقتصادية للأسر لعالية حوض نفيس سنة 2019



المصدر: البحث الميداني 2018-2020

أما بالنسبة للوضعية الاقتصادية حسب المجال، فهناك تفاوت واضح بين المجال السهلي والمجال الجبلي، حيث ساكنة هذا الأخير عبرت بنسبة كبيرة تتجاوز 52% عن أن وضعيتها الاقتصادية تراجعت كثيرا خلال العقد الأخير، الشيء الذي يمكن تفسيره بكون هذا المجال يعاني من تهमيش كبير على عكس المجال السهلي الذي يحتكر مجموع الأنشطة الاقتصادية والخدمات، الشيء الذي يفسر كون 67% من العينة التي تنتمي إليه (أي المجال السهلي) عبرت عن تحسن وضعيتها الاقتصادية خلال الفترة نفسها (الجدول 26). لكن هذا لا يمنع من وجود نسبة كبيرة من العينة نفسها عبرت كذلك عن تأثر وضعيتها الاقتصادية لأسباب لا تختلف كثيرا عن الأسباب التي تمس المنطقة ككل بمجالها السهلي والجبلي. وتتجلى هذه الأسباب في محدودية التدخلات التنموية بالمنطقة التي تعاني من التهميش على عكس المركز الذي تمتلئه مدينة تحناوت التي تستقطب معظم الاستثمارات والخدمات على حساب باقي المجالات التي تعاني من تهميش كبير لا يشمل فقط عالية نفيس، بل يمكن الجزم بأنه يطبع مجال الحوز ككل باستثناء تحناوت كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وهو ما يفرض على الفاعلين السياسيين في المنطقة والدولة بصفة عامة ضرورة بدل المزيد من المجهودات بهدف تحقيق نوع من التكافؤ على مستوى توزيع الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية على المجال ككل إذ من شأن ذلك أن يساهم في خلق نوع من التوزيع المتكافئ للتنمية، وبالتالي الحد من العديد من المشاكل الناتجة عن غياب عدالة مجالية بالمنطقة.

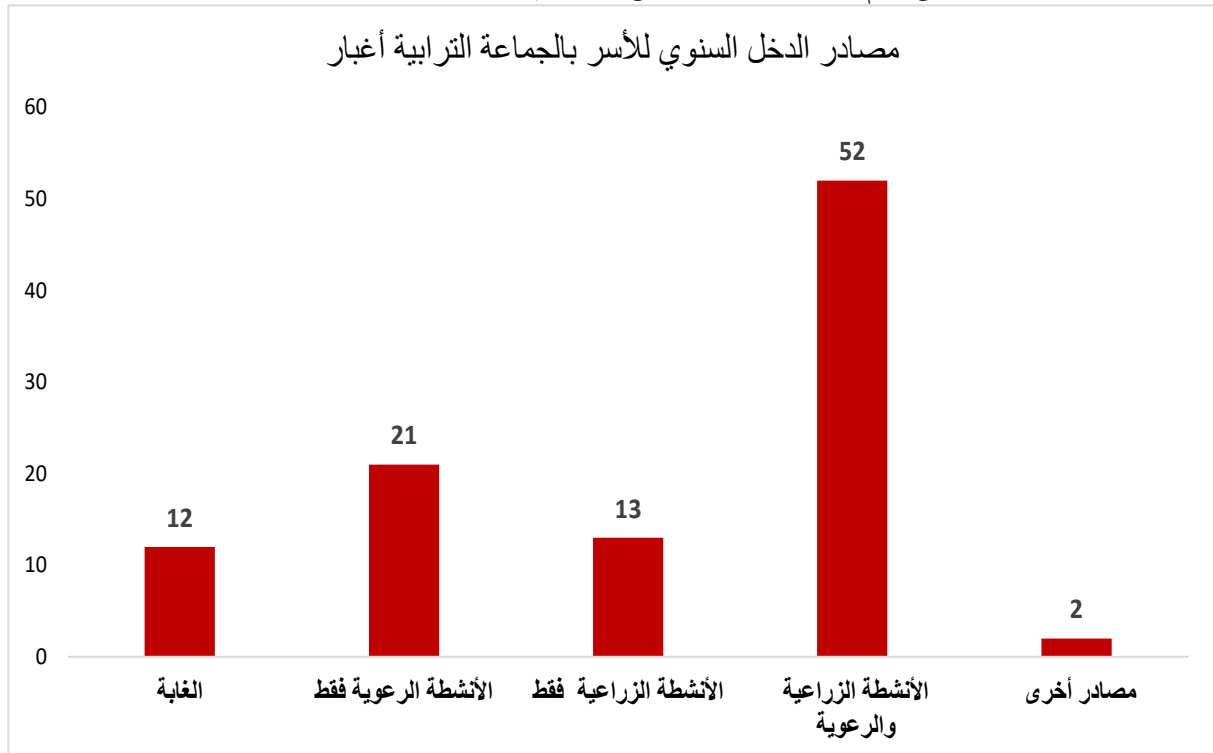
جدول رقم 26: الوضعية الاقتصادية لعالية حوض نفيس حسب المجال

المجال	تحسنت قليلا	تحسنت كثيرا	لم تتغير	نقصت	نقصت كثيرا
الجبلي	37,8	10	62,5	60,6	52,4
السهلي	62,2	13	37,5	39,4	47,6

المصدر: تحريات ميدانية ، 2018-2020

3.1. دخل فلاحي هزيل يعتمد أساسا على الفلاحة

الشكل رقم 52: مصادر الدخل السنوي للأسر بالجماعة الترابية أغبار



المصدر: تحريات ميدانية ، 2018-2020

انسجاما مع الأهمية التي يمثلها القطاع الفلاحي بالنسبة لعموم العالم القروي بشكل خاص والمغرب بصفة عامة فإن منطقة عالية حوض نفيس تتميز بدورها بالحضور المهم لهذا القطاع لدى الساكنة التي تعتمد عليه من أجل قوتها اليومي. غير أنها تعاني من ضعف الدخل الفلاحي الذي يمكن تفسيره باستمرار اعتماد السكان على فلاحة معيشية ذات مردودية ضعيفة لا تحقق الاكتفاء الذاتي وذلك في ظل غياب إدماج الإعدادات الهيدروفلحية العصرية بالمنطقة، وفي ظل هيمنة الفلاحة الأحادية المنتج. ناهيك عن صغر الاستغلاليات الفلاحية لأغلب الساكنة بفعل هيمنة الطابع الجبلي على المنطقة مما يساهم في قلة الرقعة الزراعية التي يتم تجزئتها بفعل النزاعات الناتجة عن الإرث.

إن تضافر مختلف هذه العوامل وغيرها من العوامل التي سبقت الإشارة إليها ساهم في ضعف الدخل الفلاحي لمعظم الاستغلاليات الفلاحية والذي لا يتجاوز 4000 درهم في السنة ، وهو دخل جد هزيل لأن الفلاح يعتمد بالدرجة الأولى على استغلاليات جد محدودة حيث لا تتعدى في

الغالب مساحتها الهكتارين كأقصى حد ناهيك على أن مردودية الإنتاج الفلاحي تظل ضعيفة رغم التنوع الذي تتسم به المنطقة على مستوى الإنتاج الفلاحي الذي يتكون في الغالب من الفلاحة البورية والمسقية التي تتوزع على ثلاثة أنماط إنتاجية، إذ نجد الأراضي ذات الاستغلال السنوي أو دائمة الاستغلال وتهم إنتاج الحبوب والبقوليات والزراعات العلفية إلى جانب المنتجات الشجرية. وتجدر الإشارة إلى أن الهشاشة الاقتصادية التي يعرفها القطاع الفلاحي والتي تعيش في ظلها الساكنة المحلية لعالية حوض نفيس يمكن تفسيرها بعدة عوامل ومنها على الخصوص:

⊙ أن القطاع الفلاحي يعاني لعالية حوض نفيس من عدة اختلالات وصعوبات سواء الطبيعية منها أو التنظيمية المؤسسية أو تلك المرتبطة بالإنسان، الشيء الذي انعكس سلبا على المردودية، وبالتالي انخفاض وتدني الإنتاجية.

⊙ تعقد البنية العقارية (أراضي الجموع، الملك، الأحباس...) التي تطرح مشكلا كبيرا ببلادنا عموما وعالية حوض نفيس بشكل خاص حيث تشكل عائقا أمام استغلال الأراضي الفلاحية استغلالا أمثلا، ناهيك عن النزاعات التي تتم عادة بين القبائل على الأراضي الجماعية.

⊙ ارتفاع نسبة الأمية في صفوف الفلاحين يشكل أحد الإكراهات الكبرى التي تعيق التنمية الفلاحية بالمنطقة بشكل خاص وباقي المجالات القروية في المغرب عامة، حيث إن الفاعلين المحليين يجدون صعوبة كبيرة في إقناع الساكنة القروية بالمشاركة الفعالة في مختلف المشاريع التنموية، بل إن هذا العائق يفسر أحيانا كثيرة عدم انخراط الفلاحين في البرامج التي تبرمجها الدولة بالمنطقة رغم محدوديتها.

⊙ التجزئة المستمر للأرض، حيث تتسم المنطقة بانتشار حيازات مجهرية تقل عن هكتار واحد بنسبة 63,8%، الأمر الذي يؤثر على تجميع الفلاحين وعلى استفادتهم من الإعانات التي تمنحها الدولة في إطار صندوق الدعم الفلاحي.

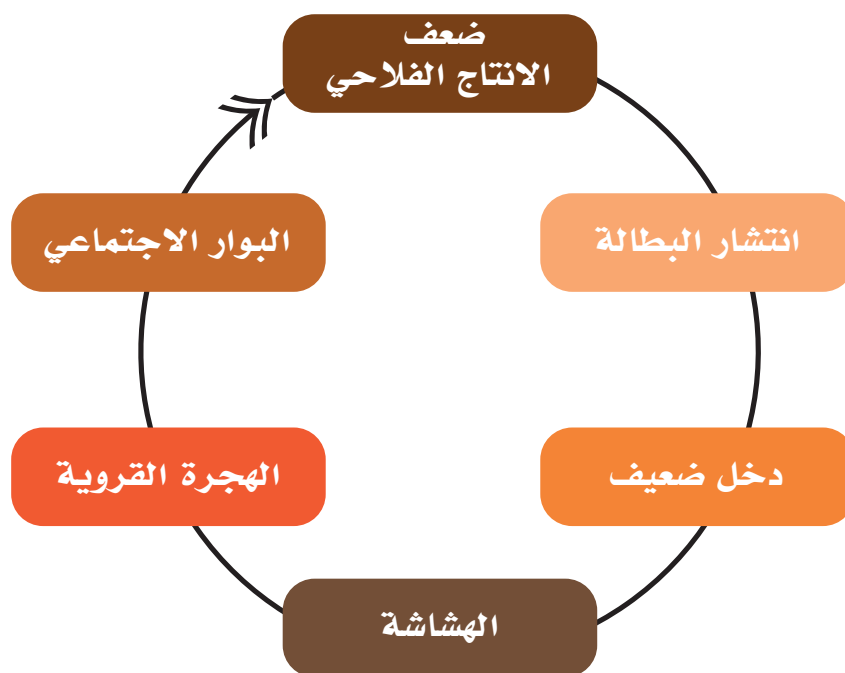
⊙ اضطرار الفلاح إلى البحث عن منفذ جديد يمكنه من الحصول على مساحات من الأراضي تمكنه من الموارد التي يواكب بها المتطلبات المتزايدة للعيش، وغالبا ما يكون ذلك على حساب الغابة، مما يركي فرضية كون الهشاشة الاقتصادية تساهم لا محالة في التأثير سلبا على المجال الغابوي الذي يكون عرضة لتدخلات غير عقلانية، مما يستلزم ضرورة التفكير في حلول ناجعة لتحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية لساكنة المنطقة.

⊙ ضعف الأنشطة الاقتصادية غير الفلاحية بالمنطقة مما يطرح أكثر من سؤال حول التهميش الذي تعاني منه المنطقة على مستوى البرامج التنموية التي تعتمد عليها الدولة لفك العزلة على العالم القروي. فقد عبر لنا مجموعة من الأفراد عن عدم استفادتهم من برامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية،

الأمر الذي يساهم لا محالة في زيادة معدلات الهشاشة لدى هذه الساكنة لاسيما في صفوف النساء اللائي يعانين من هشاشة مزدوجة، فمن جهة يعانين من التهميش داخل المجتمع القروي الذي يهيمن عليه الفكر الذكوري الذي يختزل وظيفة المرأة في الإنجاب ويحرمها بالتالي من أبسط حقوقها تحت ذريعة خصوصيات المجتمع القروي، ومن جهة أخرى فإن سياسة الدولة تجاه المرأة لازالت قاصرة عن تمكين هذه الأخيرة من كل الموارد التي من شأنها أن تساهم في تعزيز حضور المرأة المغربية بصفة عامة والمرأة القروية بصفة خاصة في مسلسل التنمية.

هكذا يتضح بأن ضعف الاقتصاد المحلي ما هو إلا جزء من حلقة مفرغة ترتبط داخلها مجموعة من العوامل المتفاعلة فيما بينها، والتي يعيد بعضها إنتاج بعض، الشيء الذي جعل الساكنة المحلية تعاني من استمرار دوامة الهشاشة الاجتماعية والتي يمكن التعبير عنها على الشكل الآتي:

الشكل رقم 53: خطاطة دائرة الهشاشة الاقتصادية بمجال الدراسة



المصدر: تركيب شخصي اعتمادا على تحريات ميدانية 2020

4.1. تتميز عالية نفيس بضعف فعالية الاقتصاد الاجتماعي التضامني

جدول رقم 27: عدد التعاونيات في جهة مراكش اسفي لسنة 2015

العمالة	عدد التعاونيات	عدد المنخرطين
مراكش	168	21805
الحوز	276	10154
شيشاوة	128	3430
اليوسفية	101	3843
قلعة السراغنة	176	15702
الصويرة	230	6490
الرحامنة	106	3126
اسفي	221	6694
المجموع	1406	71544

المصدر: مكتب تنمية التعاون بوزارة الفلاحة

انطلاقاً من الجدول أعلاه نلاحظ أن توزيع التعاونيات على مجموع جهة مراكش آسفي يتسم بالتباين، حيث يحتل الحوز المرتبة الأولى بما مجموعه 276 تعاونية وهو ما يمثل 20% من إجمالي التعاونيات بالجهة. غير أن عدد المنخرطين في هذه التعاونيات بالحوز يظل رغم ذلك رقماً ضعيفاً ولا يرقى إلى الدور المنوط بهذه التعاونيات من أجل المساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالمنطقة التي تعاني من عدة إكراهات على هذا المستوى، حيث لا يتعدى عدد المنخرطين 10154، أي 14 % من إجمالي المنخرطين بجهة مراكش آسفي، على عكس مراكش مثلاً، حيث عدد المنخرطين يتجاوز 21805. في حين أن عدد التعاونيات لا يتجاوز سوى 168، الشيء الذي يمكن تفسيره بضعف الاهتمام بالتعاونيات وبالقيمة المضافة التي يمكن أن تشكله بالحوز، حيث عدد المنخرطين ضعيف مقارنة مع عدد التعاونيات، وهذا الأمر في حد ذاته مرتبط أيضاً بارتفاع نسبة الأمية بالإقليم، مما يعيق انخراط الساكنة في هذه التعاونيات. لكن رغم ارتفاع عدد التعاونيات بالحوز فإن نصيب عالية نفيس من هذه التعاونيات جد ضعيف؛ ففي أطار على سبيل المثال توجد تعاونية واحدة فقط خاصة بتربية النحل، والشيء نفسه بالنسبة لتلات نيعقوب حيث عدد التعاونيات لا يتعدى 10، وهو ما يبرز حجم الضعف الكبير الذي تعرفه عالية نفيس في ما يتعلق بالتعاونيات، وبالتالي فإن دورها الاقتصادي والاجتماعي جد ضعيف مقارنة مع باقي مناطق الحوز، وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى أن ضعف مساهمة التعاونيات في النسيج الاقتصادي بالمنطقة يعزى إلى جملة من العوامل التي يمكن تلخيصها على الشكل الآتي:

ضعف نسبة الانخراط في التعاونيات لعالية حوض نفيس حيث لا تتعدى هذه النسبة 13% مقابل 87% غير منخرط (الشكل رقم 54)

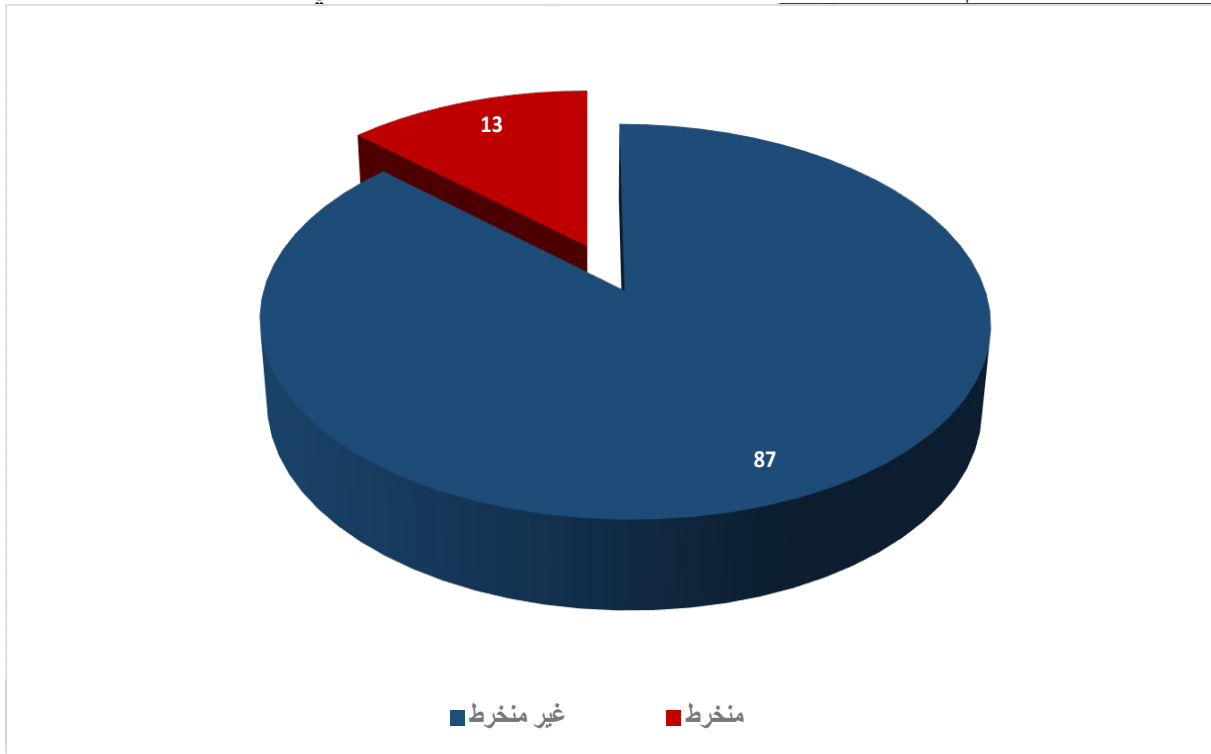
◎ غياب الحكامة في تدبير وتسيير هذه التعاونيات وذلك بفعل ارتفاع نسبة الأمية في

صفوف المشرفين

- ⊙ ضعف التكوين في مجال تسيير التعاونيات حيث يعاني أغلب المسيرين من ضعف كفاءتهم مما يجعلهم لا يحترمون القوانين والأنظمة الداخلية للتعاونيات.
- ⊙ تواجه العديد من التعاونيات في المنطقة صعوبة كبيرة على مستوى تسويق منتوجاتها بسبب العزلة التي تعيشها المنطقة خاصة على مستوى الطرق، حيث صعوبة التواصل مع المحيط الخارجي.
- ⊙ افتقاد معظم التعاونيات إلى الوسائل المادية بالنظر إلى عدم إعادة استثمار جزء من الأرباح داخل التعاونية، إلى جانب انعدام الروح التعاونية سواء في صفوف المسيرين أو لدى بقية الأعضاء، الشيء الذي ينعكس سلباً على مردودية هذه التعاونيات.
- ⊙ يعاني القطاع التعاوني من ضعف كبير على المستوى المؤسسي، خاصة في ما يتعلق بالموارد بالتأطير والدعم في ظل غياب التنسيق بين كل الأطراف المتدخلة في التعاونيات.
- ⊙ صعوبة الولوج للقروض البنكية، مما يحول دون تمكين هذه التعاونيات من الاضطلاع بدورها

الاقتصادي

الشكل رقم 54: نسبة انخراط الفلاحين لعالية حوض نفيس في التعاونيات الفلاحية



المصدر: تحريات ميدانية، 2018-2020

إن مختلف هذه الإكراهات تفسر إلى حد كبير ضعف الأداء الاقتصادي والاجتماعي لهذه التعاونيات، حيث إن نسبة مساهمتها في الناتج الداخلي الخام لا يتعدى 1,5%، وهي نسبة جد ضعيفة بالنسبة لقطاع يستند من دعم متعدد الأوجه من طرف السلطات العمومية والمجتمع المدني وجهات أخرى مانحة. وتجدر الإشارة إلى أنه في أوروبا تساهم التعاونيات بحوالي 10% من الناتج الداخلي الخام، كما أن نسبة الحضور

الديمغرافي لا تتجاوز 3,1 % مقابل 70% في الكيبك، و 63% في كينيا ، و 27% في ماليزيا.
(المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي 2015،)

إذا كانت الاستراتيجية الوطنية للاقتصاد الاجتماعي التضامني قد ركزت بشكل كبير على العالم القروي من خلال تنمية هذا النوع من الاقتصاد بهدف تمكين العالم القروي من الموارد الكفيلة بإنقاذه من مختلف مظاهر الهشاشة والإقصاء الاجتماعي التي يعاني منها وبالتالي تقليص الفوارق المجالية بينه وبين المجال الحضري، فإن عالية حوض نفيس لم يحظ باهتمام كبير في ما يتعلق بهذا النوع من الاقتصاد، الشيء الذي نلمسه من خلال ضعف مشاركة الساكنة المحلية في العمل الجماعي والتعاونيات التي يعد انتشارها محدودا في المنطقة، حيث أن أكثر من 87% من الساكنة غير منخرطين في أية تعاونية فلاحية، مقابل 13%، وهو رقم كفيلا يكشف مدى هشاشة هذا النوع من الاقتصاد بالمنطقة وذلك لعدة اعتبارات يمكننا تلخيصها على النحو الآتي:

● ارتفاع نسبة الأمية بالمنطقة؛

● احتكار العمل الجماعي من طرف بعض الأشخاص وعدم تجديد المكاتب بصفة دورية، حيث أن عشر جمعيات من بين عشرين جمعية يترأسها الشخص نفسه منذ فترة التأسيس، كما أن معدل سنّ الرئيس حسب كل جمعية يصل إلى 41.20 سنة ، إضافة إلى ذلك، لا يمثل معدل تواجد الشباب في المكتب المنتخب لكل جمعية سوى 3.5 % من التركيبة البشرية له.

● صعوبة التسويق بالنظر إلى العزلة التي تعيشها المنطقة لاسيما بالنسبة لساكنة الجماعة الترابية اغبار؛

● عدم الوعي بأهمية الجماعي و نجاعته بحكم ان معظم التجارب الجماعية التي شهدتها المنطقة باءت بالفشل كما صرح لنا بذلك عددا كبيرا من الفاعلين الجماعيين ؛

لكن مساهمة هذا القطاع في الناتج المحلي الخام بالمغرب يظل منخفضاً ولا يتجاوز 2 في المائة، كما أن فرص العمل المؤدى عنه في كل قطاعات الاقتصاد الاجتماعي والتضامني تظل منخفضة مقارنة مع النسب المسجلة في الدول الأوروبية مثلاً والتي تتجاوز مساهمة في الناتج المحلي 10 في المائة.

وتفيد أرقام رسمية بأن الاقتصاد الاجتماعي والتضامني يشغل 5 في المائة من الساكنة النشيطة بالمغرب، أي ما يعادل 599 ألفاً و694 شخصاً، ويركز أساساً على أنشطة الفلاحة والصناعة التقليدية بالدرجة الأولى

2. المرأة والشغل بنفيس، واقع مقلق تحكمه العديد من العوامل

1.2. تعاني المرأة في عالية نفيس من التهميش

تشكل المساواة بين النساء والرجال في الحياة الاقتصادية حجر الزاوية في أي مجتمع يطمح إلى تكريس ثقافة حقوق الإنسان بين مواطنيه، ناهيك عن كونها تساعد بشكل كبير في تسريع وثيرة النمو الاقتصادي، إلا أن هناك العديد من المعوقات التي تحول دون انخراطهن الكامل في النشاط الاقتصادي، الأمر الذي يؤدي إلى خسائر اقتصادية قد تصل في بعض الأحيان إلى 27% من الناتج الداخلي الخام حسب صندوق النقد الدولي الذي يؤكد على أن كلفة عدم المساواة بين الجنسين في سوق العمل العالمي تناهز 28 تريليون دولار أمريكي (كريستين لاغارد، وجوناثان أوستري، 2018).

وبالموازاة مع ذلك فإنه رغم الإصلاحات الدستورية التي عرفها المغرب منذ سنة 2011، والتي ساهمت إلى حد ما في إحراز تقدم ملحوظ في مجال مساهمة المرأة في التنمية، إلا أن وضعية تشغيل المرأة لازالت تطرح الكثير والكثير من علامات الاستفهام، كيف ذلك؟

إن مختلف الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع ولاسيما في علم الاجتماع والجغرافية، تؤكد بما لا يدع مجالا للشك، أن المرأة المغربية عموما والمرأة القروية خصوصا تعاني في صمت من مختلف مظاهر الهشاشة والتهميش، بل ومن عدم الاعتراف بالمجهود الكبير الذي تقوم به من أجل تحريك عجلة الاقتصاد، حيث عادة ما ينظر إلى عملها على أنه واجب مفروض عليها ولا تستحق عليه الثناء والشكر فما بالك بالأجر. إن هذه الإشكالية التي تعبر عن عمق الأزمة التي نعيشها في مغرب القرن الواحد والعشرين، حيث لازال جزء كبير من المجتمع - نتحدث هنا بشكل خاص عن مجتمع عالية نفيس الذي يشكل مجال هذا البحث - يتعامل مع قضية المرأة بنوع من الحذر والازدواجية، فهو من جهة يهاجر إلى المدن الكبرى من أجل تنمية دخله، ومن جهة أخرى يترك الأرض عرضة للربو الاجتماعي لولا مساهمة المرأة في استغلالها، وهي بذلك تساهم إلى جانب الرجل في تنمية دخلهما.

إن المشاركة الاقتصادية للمرأة بعالية نفيس تثير القلق على عدة مستويات؛ فهي من جهة تسجل ضعفا كبيرا في الانخراط في الحياة الاقتصادية، حيث لا تتجاوز 0,5% مقابل 1,8 % كمعدل وطني. والجدير بالذكر أن هذه الأرقام تنعكس سلبا على ترتيب المغرب على الصعيد العالمي، حيث أنه يحتل المرتبة 88 من أصل 129 بلدا في التفاوت بين الجنسين في سنة 2019. أما على صعيد المشاركة الاقتصادية للمرأة فالمغرب يحتل المرتبة 135، علاوة على تصنيفه ضمن البلدان ذات الثقافة المحافظة من حيث قبول الدور السوسيوي - اقتصادي الذي تلعبه النساء في المجتمع. (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2014).

2.2. تساهم مجموعة من العوامل في تهميش مساهمة المرأة في الاقتصاد لعالية حوض نفيس

يعد عمل المرأة واحدا من الموضوعات التي تكشف عن وجود العديد من أشكال المقاومة، ذلك أن ولوج المرأة إلى العمل ما فتئ يتحدى التوزيع التقليدي للأدوار والمهام (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2014، صفحة 22)، حيث إنه على الرغم من التحولات التي شهدتها المجتمع المغربي والذي لعبت فيه المدرسة دورا كبيرا، إلا أنه لازالت هناك العديد من الاختلالات الثقافية التي امتدت لأجيال متعددة، مما يحد من المساواة بين النساء والرجال في الحياة المهنية ، ويطرح تحديات كبيرة في الوصول إلى «براديفغات» جديدة في مجال تحقيق المساواة، إذ يعتبر الزواج المبكر للقاصرات، ونسب الهدر المدرسي المرتفعة، من أهم الأسباب التي تعبر عن حجم المعاناة التي تعيشها النساء، ليس فقط لعالية حوض نفيس ، وإنما في المغرب بصفة عامة، حيث لازال إدماج النساء في الحياة الاقتصادية يواجه العديد من العراقيل المرتبطة بشكل كبير بالتمثلات الثقافية لدى السكان حول وضعية المرأة.

انطلاقا من (الشكل 55)، نلاحظ أن غالبية العينة التي تم سبر آرائها بعالية نفيس تعبر بشكل كبير عن رفضها المطلق لانخراط المرأة في العمل المؤدى عنه، حيث يمثل هؤلاء 90% من المستجوبين، مقابل 10% عبروا عن عدم معارضتهم لذلك، وإنما الإشكال هو: أين ستشتغل هذه المرأة ونحن لا نجد فرصا للشغل يقول أحمد من سكان أغبار؟، ويمكن تفسير هذا الرفض المطلق لمزاحمة النساء للرجال في سوق الشغل بالعديد من العوامل منها:

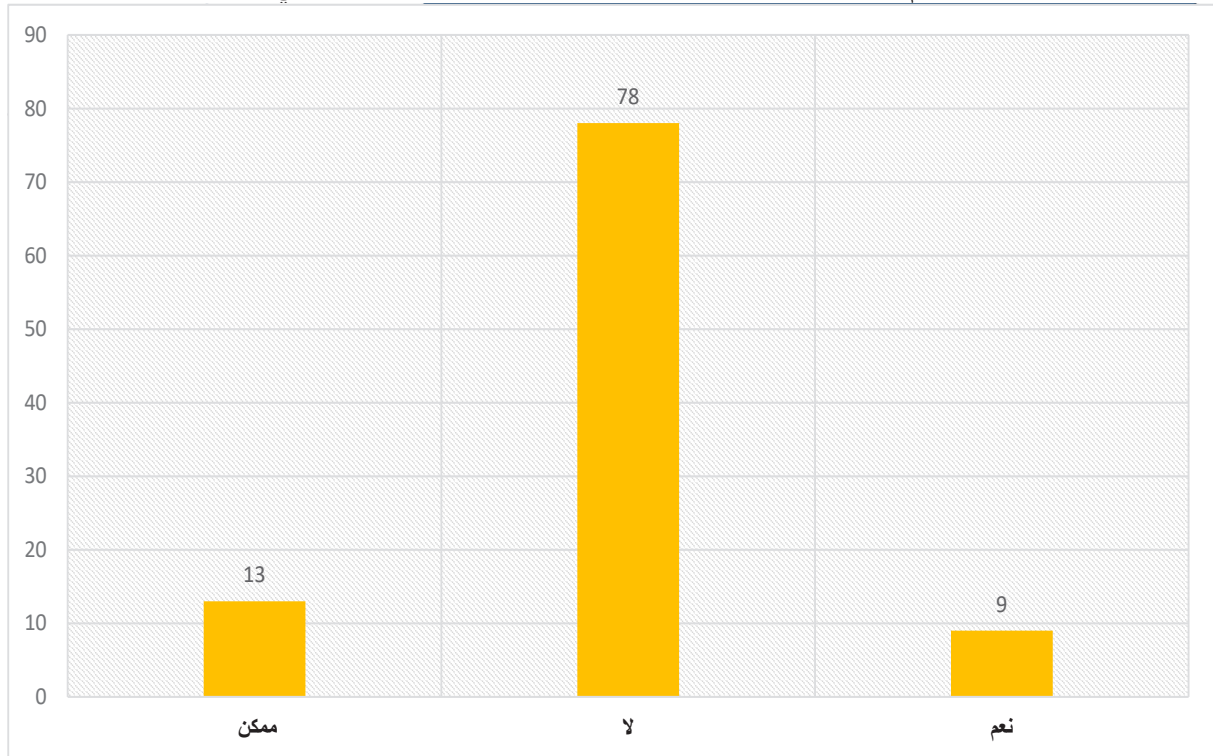
⊙ **التحديات الثقافية والاجتماعية:** على الرغم من المجهودات المبذولة، فإن اندماج المرأة في الشغل محدود جدا في المجال الحضري، أما بالنسبة للمجال الريفي فإنه ضعيف جدا إن لم نقل منعدم خاصة في عالية نفيس، حيث العوائق الثقافية التي تجعل من شغل المرأة عيبا وأمر غير مرغوب فيه، لازالت هي المسيطرة على شريحة واسعة من الساكنة والتي تبلغ 90%، الأمر الذي يحرم المنطقة والساكنة معا من إمكانيات كبيرة كان يمكن أن تساهم في تقليص ومواجهة الهشاشة الاجتماعية التي تعيشها معظم الأسر بمجال الدراسة.

⊙ **التحديات الاقتصادية وغياب دعم الدولة لهذه الفئة:** تعاني منطقة عالية نفيس من ضعف الأنشطة الاقتصادية، الشيء الذي يقف عائقا أمام المرأة للولوج إلى هذه الأنشطة، بل إن بعض التعاونيات التي تديرها النساء، وإن كانت لا تمثل سوى 8% من مجموع التعاونيات المنتشرة في المنطقة (البحث الميداني 2017-2020)، فإنها تجد صعوبات كبيرة في تسويق منتجاتها، مما يشكل عائقا أمام استمرار هذه التعاونيات التي تعرض الكثير منها للإفلاس في ظل صعوبة الوصول للتمويل، ناهيك عن صعوبة الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بسبب العزلة التي تعيشها

هذه المناطق، وخاصة في الجماعة الترابية لا غبار وبعض الدواوير النائية في ثلاث نيعقوب واجوكاك حيث جودة شبكة الهاتف جد ضعيفة.

⊙ الفجوات بين الجنسين في طبيعة العمل: يؤكد مؤشر التكافؤ بين الجنسين على أن حظوظ الرجال في الحصول على شغل يفوق ثلاث أضعاف حظوظ النساء، حيث يبلغ معدل التشغيل عند الرجال 65.3 % مقابل 22.6% بالنسبة للنساء، (وزارة التضامن والتنمية الاجتماعية والمساواة والأسر، 2017). ونظرا لغياب أية دراسة تهتم بهذه الظاهرة في المجالات القروية ومجال نفيس على وجه الخصوص، فإنه من الصعوبة بمكان الحديث عن رقم معين، لكن ومن خلال (الشكل 55)، يتضح بأن الموقف من مشاركة المرأة في سوق الشغل أو في العمل مازال موقفا تقليديا يحتكم إلى النظرة التقليدية للمرأة وإلى دورها في الحياة في المجتمعات الشرقية عموما وفي المجتمع المغربي على وجه التحديد. وهي ليست خاصية مميزة للمجتمعات الريفية دون غيرها بقدر ماهي في الحقيقة نظرة ذكورية إلى مسألة توزيع الأدوار داخل المجتمعات المتخلفة.

الشكل رقم 55: موقف السكان المحليين من انخراط المرأة في سوق الشغل



المصدر: تحريات ميدانية، 2018-2020

يبرز (الشكل 55) بالواضح رفضا بالإجماع لمسألة اشتغال المرأة أو مشاركتها في سوق الشغل؛ فنسبة 78% الراضة للفكرة جملة وتفصيلا يمكن أن نضيف إليها نسبة 13% التي صرحت أو ادعت إمكانية السماح بذلك لكن تحت طائلة مجموعة من الشروط التي لا يمكن التعويل عليها في عالم متغير وسريع مثل عالم الشغل.

نحن هنا أمام نتيجة تبدو طبيعية وموضوعية بالنظر إلى الفئة أو العينة المستهدفة، والتي ليست سوى ساكنة قروية في مجال جبلي منعزل يقع ضمن مغرب الهامش، حيث الإنسان بصفة عامة مستثنى من التنمية، فما بالك بفئة هشة وهي فئة النساء. التفسير الوحيد الذي يمكن تبنيه في هذه الحالة هو ذلك المتعلق بطبيعة البنية الذهنية السائدة والمتحكمة في ساكنة هذا المجال. وهي كما قلنا بنية ذهنية تحتكم إلى التقليد وإلى الماضي وتعتبر المرأة كائنا غير جدير بتحمل المسؤولية. ولا يمكن السماح لها بلعب أدوار غير تلك الأدوار المسطرة لها مسبقا في ظل مجتمع تقليدي وذكوري بامتياز.

عمل المرأة يساوي استقلاليتها المادية والمعنوية كذلك وهو ما لن تسمح به البنية البطيركية التي تنظم العلاقات وحدودها وتوزع الأدوار على الجميع. أما عن نسبة 9% المتبقية والتي تقبل الفكرة فهي في الغالب فئة تشكل أقلية تحاكي سياقاً آخر غير سياق الجماعة، مما يجعلها عرضة للتهكم والتضييق من طرف البقية. وهؤلاء في الغالب أشخاص انتقلوا في مساراتهم الحياتية بين المدينة والقرية وتلقوا في الغالب تكويناً دراسياً سمح لهم بتوسيع دائرة النظر مما غير نظرتهم إلى المرأة وإلى أدوارها في الحياة، أو في بعض الحالات تكون هذه النظرة القابلة لمشاركة المرأة في سوق الشغل من طرف نساء أرامل أو مطلقات أعيانهم الزمن مما فرض عليهن التمرد على أدوارهن التقليدية بالرغم من تلك النظرة غير البريئة التي يرمقهن بها غيرهن.

3. ترتبط الهشاشة الاقتصادية لعالية حوض نفيس بمجموعة من العوامل

في البداية لابد من الإشارة إلى أن مقارنة موضوع الهشاشة الاقتصادية لعالية حوض نفيس يطرح مجموعة من الصعوبات المنهجية التي تتجلى أساساً في غياب معطيات دقيقة حول الهشاشة الاجتماعية بالمنطقة، وذلك بالنظر إلى غياب دراسات حول هذه المواضيع، الأمر الذي جعلنا نستعين بالبحث الميداني من أجل تكوين فكرة عن الوضعية الاقتصادية لساكنة هذه المجالات التي تعاني من عدة أعطاب تعيق مستوى التنمية بهذا المجال الذي يتسم أيضاً بندرة المشاريع التنموية التي باء معظمها بالفشل، وذلك إما لبساطتها من جهة، أو لعدم استحضارها للخصوصيات الاجتماعية والثقافية لسكان نفيس من جهة أخرى، وهي بالمناسبة إشكالية تعاني منها معظم المجالات المغربية، مما يدفع بالساكنة المحلية إلى التوجه نحو البحث عن مجالات أخرى لتحسين الدخل أو بالأحرى للعيش، من ضمنها الغابة التي تعتبر متنفساً منطقياً وفضاءً للاستغلال. غير أن قوة الحاجة وحدة الفاقة غالباً ما تتسبب في استغلال غير عقلاني لهذا المورد الطبيعي، الشيء الذي يفسر درجة التدهور الذي وصلت إليه الغابة في المنطقة خاصة في الربع الأخير من القرن العشرين.

إن إشكالية الهشاشة الاجتماعية بعالية نفيس تتجلى بشكل خاص في الهشاشة المادية أو المالية. فكما هو معلوم أصل كل هشاشة اجتماعية هو اقتصادي، أي أنها نتيجة لمجموعة من العلاقات السلبية المرتبطة ببعضها البعض والتي تنتشر على نطاق واسع بالمنطقة كنتيجة مباشرة لمجموعة من العوامل التي سنعمل على رصدها في هذا الفصل بغية تسليط الضوء على مظاهر هذه الهشاشة الاجتماعية.

1.3. هشاشة الوسط الطبيعي لعالية حوض نفيس تساهم في تكريس الهشاشة الاقتصادية.

يتميز حوض نفيس بكونه يمتد بشكل طولي على مساحة شاسعة تناهز 1442.72 كلم²، يوجد بالجبهة الغربية الشمالية للأطلس الكبير الغربي، بين خطي طول: «7°55 و 8°40 غربا وخطي عرض 30°5 و 31°2 شمال خط الاستواء، وتجدر الإشارة إلى أنه يتميز بكونه مجالا جغرافيا متعدد الأشكال التضاريسية التي يغلب عليها طابع التضريس، حيث يشكل الطابع الجبلي 80 % من مجموع مساحة الحوض، مقابل 20 % بالنسبة للوحدة السهلية⁽¹⁸²⁾، ويتسم بطبوغرافية متضرسة يغلب عليها طابع الارتفاع حيث تتراوح الارتفاعات ما بين 640 م و 4079 م. الشيء الذي يسرع من وثيرة التعرية التي تشكل أحد نقط الضعف الرئيسة بالمجال والتي تنعكس بشكل سلبي على الساكنة المحلية على مستوى ممارسة النشاط الزراعي الذي يعرف أصلا بضعف مردوديته واستعماله لوسائل تقليدية، نظرا إلى أن المكننة تصبح صعبة انطلاقا من الانحدارات التي تفوق 5 % والتي تمثل حوالي 12% من مساحة عالية حوض نفيس، علاوة على إشكالية الفقر التي لا تسمح أصلا بالتفكير في تغيير هذا الوضع أو إدخال تحسينات عليه. ثم لا يجب أن ننسى أن هذا المجال المعزول طبيعيا هو معزول كذلك تنمويا بسبب التهميش الذي مارسته الدولة إزاء المجالات القروية عموما والمنطقة على وجه الخصوص منذ فجر الاستقلال، وهو ما وسمناه بالعملة المزدوجة.

من ناحية المناخ يندرج مجال الدراسة ضمن المناخ شبه الجاف المعتدل ذي المؤثرات الجبلية،⁽¹⁸³⁾ والذي يتميز بمجموعة من الخصائص المرتبطة بعامل الارتفاع والتوجيه، إذ يعمل الأول على التأثير في كميات الأمطار، أما العامل الثاني، فيجعل من الخاصية الجبلية المسيطرة ملطفة للجو، وتحد من ارتفاع درجة الحرارة خلال فصل الصيف، لكن البرودة تزداد قساوة في فصل الشتاء وذلك كلما زاد الارتفاع، ولاسيما في منطقة أغبار حيث تنخفض درجة الحرارة إلى حدود صفر درجة لعدة أشهر من السنة، حيث تكون السفوح العليا مغطاة بالثلوج بمقادير تتجاوز 100 سنتمتر سنويا (السعي، 1998).

(182) للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى الباب الأول الخاص بالإطار الطبيعي لحوض نفيس حيث معطيات وافرة حول هذا الموضوع وبالتالي فلا داعي لإعادة سرد تلك المعطيات.

(183) إن إصدار هذا الحكم على نوع المناخ لم يأتي من فراغ بقدر ما يستند إلى مجموعة من الاعتبارات التي تفرضها مميزات عناصر المناخ ولاسيما درجة الحرارة التي تسجل ارتفاعا في فصل الصيف وانخفاضها في فصل الشتاء، إلى جانب التساقطات التي تتميز بعدم انتظامها زمنيا ومجاليا.

ومما يزيد من صعوبة الاستغلال الفلاحي بعلية نفيس، التعرية المائية، التي تؤدي إلى انزلاقات كبيرة للتربة لاسيما في المناطق ذات الانحدارات القوية، الأمر الذي يسرع من وثيرة تدهور الوسط الطبيعي، ويؤثر بشكل مباشر على المردودية الفلاحية وعلى الإنتاج وبالتالي على الدخل الفردي للفلاحين والذي يتأثر بشكل كبير. وبحكم خطورة التعرية بهذا المجال، فإن الأمر يتطلب جهدا كبيرا، من خلال البحث عن أنجع الطرق العلمية في مجال محاربة التعرية والمحافظة على التربة، وكذلك من خلال تشجيع الفلاحين على الاعتماد على التقنيات الزراعية الملائمة التي لا تتطلب تكاليف إضافية.

إن من بين النتائج السلبية لهشاشة الوسط الطبيعي الذي يطبع مجال نفيس هو أن صعوبة الظروف المناخية لاسيما في فصل الشتاء الذي قد يستمر في بعض المناطق لأكثر من ستة أشهر، تترتب عنها عزلة الساكنة عن محيطها الخارجي مع ما يرافق ذلك من مشاكل وإكراهات كما هو الشأن في حالات الولادة والحالات المرضية المستعجلة عموما، الشيء الذي يفسر ارتفاع نسبة الوفيات في المنطقة مقارنة مع مناطق أخرى ناهيك عن تعثر التمدرس إن لم نقل توقفه طيلة هذه الفترة وهو ما يفسر لنا إلى حد كبير ظاهرة الهدر المدرسي التي تحتل فيها المنطقة مراتب متقدمة، مع ما ينتج عن ذلك من تكلفة مادية كبيرة تساهم في تكريس وإعادة إنتاج الهشاشة، وبالتالي تدفع بنسبة كبيرة من الساكنة إلى السقوط في براثن الفقر والجهل والأمية وكلها حلقات في سلسلة الهشاشة الاقتصادية والاجتماعية.

وكمحاولة لتجاوز ذلك تنتشر بالمنطقة العديد من السلوكيات غير محسوبة العواقب من ضمنها التوجه إلى أقرب فضاء قابل للاستغلال وهو الغابة التي تتعرض لمختلف أنواع الانتهاك وبشكل مفرط يؤدي إلى خلخلة التوازن الايكولوجي الذي كان يميز هذه المجالات الغابية منذ القدم. والخطورة تكمن في وثيرة هذا التدهور في وقتنا الحاضر والتي أصبحت سريعة جدا إلى درجة أن كل المجهودات التي تبذلها الدولة من أجل حماية هذا الموروث الطبيعي تبقى غير ذات جدوى.

لكن وعلى الرغم من كل هذه الصعوبات، فإن الإنتاج الزراعي بالمنطقة يبقى متنوعا، حيث الفلاحة البورية والمسقية التي تتوزع على ثلاثة أنماط إنتاجية: الأراضي التي يتم استغلالها بشكل سنوي أو دائم، وتنتشر على مساحات ضيقة، وتتخصص بشكل كبير في إنتاج الحبوب والبقوليات والزراعات العلفية، إلى جانب المنتجات الشجرية التي يتم تسويق جزء كبير منها في الأسواق الأسبوعية والمدن الكبرى كما هو الأمر بالنسبة للجوز واللوز.

لكن وبالمقابل فإن الإنتاج الفلاحي يتسم بعدم تحقيقه للاكتفاء الذاتي في العديد من المنتجات ولاسيما بالنسبة للحبوب (جدول 28)، الشيء الذي يجعل الساكنة المحلية ترتبط بالأسواق الأسبوعية للتزود بحاجياتها من مواد الاستهلاك مع ما يعنيه ذلك من مصاريف إضافية تثقل كاهل رب الأسرة الذي

يعاني في الأصل من هشاشة مادية وأخرى ترتبط بالعزلة الطبيعية، ينتج عنهما وضع هش تدور فيه الساكنة في حلقة مفرغة ينتج بعضها بعضا في إطار ما سميناه بـ« الهشاشة المزدوجة». هذه الأخيرة تدفع بالساكنة المحلية للهجرة نحو المدن الكبرى القريبة، وخاصة الفئات الشابة النشيطة، مما يترتب عنه مجال هش في الأصل ثم طارد للساكنة النشيطة التي تعتبر ضرورية لأي مقاربة تنموية بالمنطقة فنتج عن ذلك كله مشكل آخر يتمثل في ظاهرة « البوار الاجتماعي ».

جدول رقم 28: الإنتاج الزراعي بعلالية نفيس

نوع المنتج	المساحة بالهكتار	كمية الإنتاج(الطن)
القمح الصلب	450	5000
القمح الطري	180	1300
الشعير والذرة	2300	18000
الأشجار المثمرة: اللوز	100	5000
الجوز	75	600
التفاح	32	4500

المصدر: المديرية الجهوية للفلاحة، مراكش 2019

انطلاقا من الجدول أعلاه، نلاحظ أن التنوع هو السمة التي تطبع الإنتاج الزراعي بعلالية نفيس، والذي يتميز بأهمية اقتصادية كبيرة بالنسبة للساكنة المحلية التي تعتمد عليه من أجل تحسين دخلها السنوي وتساهم بذلك في تحريك الدورة الاقتصادية بمنطقة جبلية تعاني من العزلة من خلال عملية تبادل المنتجات الفلاحية بين المجال والمناطق المجاورة سواء في سوس أو الحوز.

لكن رغم ذلك فإن المردود الاقتصادي لهذه المنتجات يظل ضعيفا وغير قادر على الاستجابة لكل حاجيات الساكنة المحلية التي تعاني من الهشاشة النقدية وتفسر لنا عمق التحديات التي تواجه المنطقة على كافة المستويات، وهو ما يتطلب ضرورة إعادة النظر في النموذج التنموي المعتمد ببلادنا والذي لا يأخذ بعين الاعتبار حاجيات المناطق الجبلية بقدر ما يركز على المدن الكبرى، الأمر الذي يحول دون تحقيق تنمية متكاملة، بل إنه يساهم في جعل المغرب يحتل دائما مراتب متأخرة على مستوى التنمية البشرية، وهذا شيء طبيعي مادام أن نسبة كبيرة من الساكنة الريفية تعاني من مختلف أشكال الهشاشة الاجتماعية.

2.3. بنيات عقارية متباينة تطفئ عليها الحيازات المجهرية

يعد النظام العقاري للأرض بعلالية نفيس على غرار النظام العقاري للأراضي بالمغرب ككل، نظاما معقدا؛ ذلك أن فهم التراتبية الاجتماعية والمشاكل التنموية وما ينتج عنها من اختلالات وإشكالات، رهين بفهم عميق للوضعية العقارية، فمن خلالها يمكن فهم وضعية الفلاحين بالمنطقة ووضعهم الاقتصادي الهش، إذ لا يمكن الحديث عن أية تنمية ناجحة بالمنطقة من دون العودة إلى تاريخ الملكية العقارية وتتبع

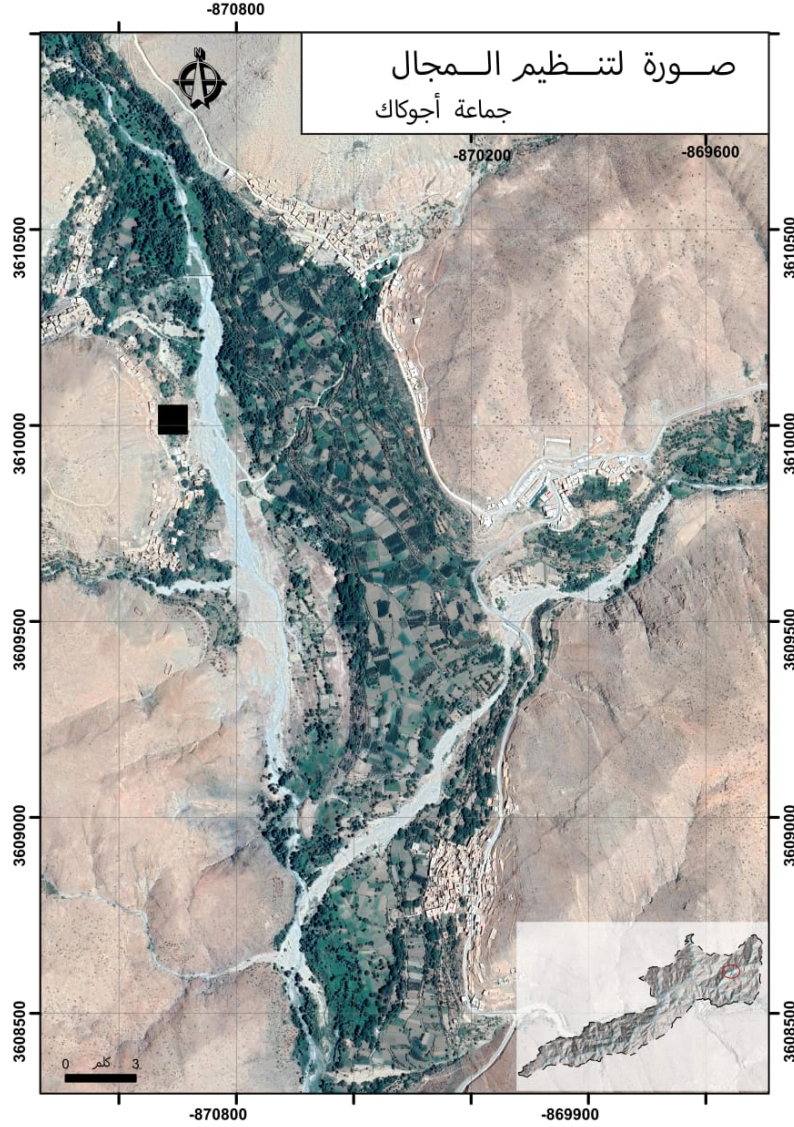
مساراتها الممكنة أملا في الفهم والتفسير، خاصة وأن ملكية الأرض لم تكن عادلة في كثير من الأحيان، كما أن الأعطاب التنموية وفشلها مرتبط بتعدد النظام العقاري بالمناطق الجبلية خاصة وبالمغرب بصفة عامة. ولعل السؤال المؤرق في هذا الصدد هو: من يملك الأرض بعلية نفيس؟ وهل يمكن الحديث عن التنمية بعلية نفيس في ظل بنية عقارية صغيرة ومحدودة؟

تبين دراسة البنيات العقارية بمجال الدراسة بأن حجم الأراضي الزراعية بالكاد يتجاوز الهكتارين كأقصى حد وذلك نظرا لمجموعة من العوامل المتمثلة أساسا في غلبة الطابع الجبلي على تضاريس المنطقة وبالتالي قلة الأراضي الصالحة للزراعة ومحدوديتها، حيث تنتشر بشكل خاص في قعور الأودية التي تخضع لتهيئة وإعداد دائمين. وهكذا نلاحظ من خلال (الشكل 56) أن الأراضي التي تقل عن هكتار واحد تمثل 62% من الاستغلاليات، مقابل 24% بالنسبة للاستغلاليات التي تبلغ مساحتها هكتارا واحدا، في حين لا تمثل الاستغلاليات التي تتجاوز مساحتها الهكتار الواحد سوى 12%، وهو الأمر الذي يوضح بشكل جلي مدى صغر الحيازات الزراعية بعلية نفيس؛ ففي أغبار على سبيل المثال، يبلغ عدد الحيازات الفلاحية 269 حيازة فلاحية موزعة على 21 دوار، و5182 نسمة، تتركز بالخصوص في الجهة الشرقية لغابة أغبار، في حين أن غربها المتمثل في هضبة تشكا يبقى خاليا من السكان ويعتبر مجالا رعويا بامتياز (Montagne R., 1927).

أمام ندرة الأراضي الصالحة للزراعة في المنطقة، فإنه عادة ما يتم اللجوء إلى تعبئة الأراضي الجماعية وتقسيمها لفائدة السكان الذين لا يمتلكون الأرض، بهدف تمكينهم من مورد رزق، الشيء الذي أدى إلى نشوب العديد من الصراعات في المنطقة بسبب رغبة مجموعة من الأطراف في الاستفادة من هذه الأراضي التي تشكل قيمة مضافة بالنسبة للسكان المحلية التي تعيش في منطقة ذات ظروف طبيعة صعبة لا تساعد على تشكيل بنية اقتصادية محلية في ظل غياب أو محدودية الأرض (J.Berque, 1954).

في هذا الصدد نشير إلى أن كل عائلة تمتلك في المعدل 15 قطعة صغيرة (Montagne R., 1927)، ويتم استغلالها بشكل مكثف ودائم. غير أن ذلك لا يساهم في تحقيق الاكتفاء الذاتي لأغلبية الأسر وذلك أنه في السنوات الأخيرة تراجعت نسبة الحيازات التي تمتلكها معظم الأسر بعلية نفيس، وذلك بسبب اضطرار عدد كبير منهم إلى بيع جزء من أراضيهم للوافدين الجدد على المجال ولاسيما في اجوكاك وتلات نيعقوب حيث توافدت البورجوازية الحضرية لمراكش وأكادير وتمكنت من شراء عدد كبير من الأراضي الفلاحية، الشيء الذي يبرز حجم الهشاشة الاقتصادية التي يعاني منها معظم السكان، (خاصة إذا ما ربطنا الأمر بما تمثله أرض الأجداد للفلاح المغربي عموما والأمازيغي على وجه الخصوص. فأن تتبع أرضك للآخر الغريب والأجنبي إنما هو أكبر دليل على حجم الحاجة والفقر في المنطقة. التخلي عن الأرض وبيعها هو شكل من أشكال التفريط في الهوية والموروث بل وتنازل عن الرجولة في الموروث

الشعبي وفي الذاكرة الثقافية بالمنطقة، وهو كذلك مظهر من مظاهر الصراع بين الأجيال، جيل الأجداد والآباء الذي قد يعيش على المعنوي، وجيل الأبناء المرتبط بالمنتديات أولا وقبل كل شيء).



المصدر: استغلال مرئيات القمر الاصطناعي لاندسات 8 لسنة 2020

مما لاشك فيه أن ملكية الأرض لعالية حوض نفيس جد صغيرة حيث ان نسبة حجم الحيازات التي لا تقل مساحتها عن هكتار تمثل حوالي 64% من إجمالي الحيازات مقابل 13,6% بالنسبة لتلك التي تتجاوز مساحتها هكتارين وهو الأمر الذي يفسر ضعف مردودية النشاط الفلاحية بالمنطقة، حيث أنها بالكاد توفر للسكان المحلية بعضا من حاجياتهم اليومية، إلا أنها مع ذلك تطرح مجموعة من الإكراهات، بالنسبة للملاكين الصغار الذين يتحملون تكاليف إضافية من أجل العناية بهذه الأراضي التي تتجاوز قيمتها المعنوية والرمزية عند السكان قيمتها المادية ⁽¹⁸⁴⁾ على اعتبار أن مردوديتها جد ضعيفة، الشيء الذي

(184) بعض الفلاحين في أغبار أكدوا لنا خلال البحث الميداني أن امتلاك الأرض وعدم التفريط فيها رغم الحاجة، يعد إنجازا وأن الشخص هو من يحافظ على تراث أجداده ولا يفرط فيه رغم صعوبة العيش في المنطقة بسبب قلة الدخل وتعاقب سنوات الجفاف، لكن شباب اليوم، يؤكد أحمد، لم يعودوا يهتمون بالأرض، بل يفضلون الهجرة نحو المدن الكبرى من أجل بناء مستقبل آخر بعيدا عن الدوار والأرض، الشيء الذي يحز في النفس.

يفسر محدودية الدخل الفردي لمعظم الفلاحين الذي يعتمدون من جهة على أبنائهم المهاجرين نحو المدن الكبرى، وعلى الغابة من جهة أخرى من أجل مقاومة ضنك العيش وصعوبة مسابقة النمط الاستهلاكي الذي أضحت المناطق الجبلية تعرفه بدورها في إطار التحولات العميقة التي تشهدها.

وبشكل عام، يعرف توزيع الأرض تفاوتاً واضحاً بين مختلف الفئات الاجتماعية بعلية نفيس، الأمر الذي أفرز بنيات سوسيو اقتصادية، تختلف أنظمة علاقاتها بالحيز الجغرافي وبالمشهد الزراعي (حسن ضايض، 2016)، وبعبير آخر، فقد أدى التوزيع غير المتساوي للأرض - التي تعتبر الهدف الرئيسي لكل الأسر - إلى بروز مجتمع ريفي غير متجانس، يتحكم فيه عامل التملك. ففي قمة الهرم، يستأثر الملاكون الكبار -الذين ينتمون في الغالب إلى العائلات النافذة في المنطقة أو الأعيان (أمغار، الشيوخ، برلمانيون...) - والذين يتحوزون على رأسمال عقاري مهم بالمقارنة مع باقي الملاكين الصغار الذين يستغلون ملكيات عائلية من أجل الاستهلاك الذاتي. وفي أسفل الهرم نجد الفلاحين (العمال الفلاحيون إن صح التعبير) الذين لا يملكون أي أرض بل يشتغلون فقط كـ «خماسة» عند الملاكين الكبار، الأمر الذي يساهم في تكريس واقع الهشاشة.

3.3. نظام زراعي غير متطور ويكشف عن عمق الهشاشة الاقتصادية بعلية نفيس

يتسم النظام الزراعي السائد بمنطقة عالية نفيس على غرار باقي المناطق الجبلية في المغرب بالرتابة حيث هيمنة النظام التقليدي الذي يركز على اعتماد وسائل تقليدية في الزراعة، إذ لا تتجاوز نسبة الاستغلاليات المعتمدة في الحرث والحصاد على المكننة على 13% و 8% على التوالي، أي جرار واحد لكل 500 هكتار. وأما فيما يتعلق باستعمال البذور المنتقة فإنها غير حاضرة في أجندة الفلاح بعلية نفيس، ليس لأنه لا يعي أهميتها وامكانياتها الكبيرة في الرفع من المردودية، لكن التكاليف الباهظة لهذه البذور وضعف القدرة الشرائية لمعظم الفلاحين تحول دون تبنيها، لاسيما وأن المخطط الأخضر⁽¹⁸⁵⁾ الذي اعتمدته الدولة المغربية يراهن على هذه البذور من أجل تحسين جودة الإنتاج الفلاحي وبالتالي تحسين الظروف المعيشية للفلاحين الصغار، لكن وكما اطلعنا على ذلك في الميدان، فإن عالية نفيس لم تستفد بشكل كبير من هذا المخطط، بل إن بعض الفلاحين الصغار عبروا لنا عن استيائهم من الأقصاء

(185) تفعيلاً للتوجهات الملكية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس، تبني قطاع الفلاحة بوزارة الفلاحة والصيد البحري مخطط المغرب الأخضر كاستراتيجية متكاملة ومندمجة لتنمية القطاع الفلاحي، تهدف بالخصوص إلى:

إعطاء القطاع الفلاحي دينامية متطورة متوازنة مع مراعاة الخصوصيات إلى جانب تهيئة الإمكانيات واستثمار هوامش التطور ومواجهة الرهانات المعاصرة مع الحفاظ على التوازنات السوسيواقتصادية وتجدر الإشارة إلى أن هذه الاستراتيجية الطموحة تتمحور حول مقاربة شمولية وإدماجية لكل الفاعلين بمختلف توجهاتهم في القطاع الفلاحي. حيث تركز على دعامتين أساسيتين هما: الفلاحة العصرية والفلاحة التضامنية:

تهدف دعامة الفلاحة العصرية إلى تنمية فلاحة متكاملة تستجيب لمتطلبات السوق، وذلك من خلال انخراط القطاع الخاص في استثمارات جديدة ومنصفة في حين أن دعامة الفلاحة التضامنية تسطر لمقاربة ترمي بالأساس إلى محاربة الفقر في العالم القروي عبر تحسين دخل الفلاحين الصغار. ويرجى عموماً من هذا المخطط المساهمة في نمو الاقتصاد المغربي وذلك بالرفع من الناتج الداخلي الخام وخلق فرص الشغل ومحاربة الفقر ودعم القدرة الشرائية للمستهلك المغربي وكذا ضمان الأمن الغذائي على المدى الطويل.

والتهميش الذي طالهم من هذا المخطط الذي انطلق في 2008، والذي يؤكد وزير الفلاحة والصيد البحري، عزيز أخنوش، على أنه ساهم في تضاعف الناتج الفلاحي الخام والصادرات الفلاحية، والرفع من حجم الاستثمارات على المستوى الماكرو - اقتصادي، مما مكن من خلق فرص الشغل والرفع من معدلات تغطية الحاجيات الغذائية. لكن يبدو أن نصيب عالية نفيس من كل هذه الإنجازات محدودة جدا على غرار باقي المناطق الجبلية، على اعتبار أن المستفيد الأكبر من المخطط الأخضر هم الفلاحون الكبار. غير أن هذا لا ينفي أن العالم القروي استفاد بدوره من هذا المخطط وإن كان الأمر لا يرقى إلى مستوى طموحات الساكنة المحلية التي تعتمد بشكل كبير على الفلاحة كمورد رزق أساسي، لكن وفي ظل تبني الدولة لاستراتيجية زراعية جديدة «الجيل الأخضر 2020-2030»، وأخرى باسم «غابات المغرب». فإن ساكنة عالية نفيس تأمل أن تحظى بنصيبها من هذه الاستراتيجية التي أكد وزير الفلاحة عزيز أخنوش، أنها تعتمد على ركيزتين: تتعلق الأولى بإعطاء الأولوية للعنصر البشري، في حين تتعلق الثانية بمواصلة دينامية التنمية الفلاحية في ارتباط بتحفيز التنمية البشرية والاجتماعية، ويضاف إليها استراتيجية تطوير قطاع المياه والغابات الذي تعرض لتدهور كبير بمجال الدراسة.

4.3. تراجع أهمية الرعي بحوض عالية يعمق الهشاشة الاقتصادية للساكنة المحلية

في البداية لابد من الإشارة إلى أن التقديرات الصادرة عن منظمة الزراعة تشير إلى وجود أكثر من 500 مليون راع عبر أرجاء العالم أغلبهم ينتمون إلى البلدان النامية حيث يواجهون العديد من التحديات التي تتعلق بالهشاشة والفقر (منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، 2017)، وبالنسبة للمغرب، فإن هذا النشاط يكتسي أهمية بالغة ويتجلى ذلك من خلال الترسنة القانونية⁽¹⁸⁶⁾ التي اعتمدتها الدولة من أجل تدبير هذا النشاط الذي يمتد على أراضي رعوية شاسعة تغطي ما يناهز 53 مليون هكتار بما في ذلك المجال الغابوي والمجال الحيوي لشجر الأركان، ولها دور مهم في إنعاش النسيج الاقتصادي على مستوى المناطق الرعوية، حيث يشكل النشاط الرعوي المصدر الأساسي لعيش الساكنة المحلية، كما يوفر سنويا ما بين 30 إلى 36 في المائة من حاجيات القطيع الوطني، أي ما لا يقل عن 9 مليارات درهم سنويا، كما

(186) صادق المجلس الحكومي يوم 22 أبريل 2019 على مشروع مرسوم رقم 2.18.77 يتعلق بإحداث المجالات الرعوية والمراعي الغابوية وتهيتها وتديبرها، وذلك في إطار تنزيل مقتضيات القانون رقم 113.13 الذي تم إصداره سنة 2015 المتعلق بالترحال الرعوي وتهيتها وتديبر المجالات الرعوية والمراعي الغابوية. ويهدف مشروع هذا المرسوم، الذي تقدم به وزير الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات، عزيز أخنوش، إلى تحديد شروط وكيفيات إحداث المجالات الرعوية والمراعي الغابوية بناء على دراسة مسبقة تعد لهذا الغرض، ومنح الإعانة المالية للدولة لإنجاز البنيات التحتية والتجهيزات وأشغال التهينة بالمجالات الرعوية والمراعي الغابوية، وإعداد المخطط الاستعجالي لفائدة المنطقة الرعوية المنكوبة وتنفيذه. كما يهدف مشروع هذا المرسوم إلى منح إمكانية تهينة المجالات الرعوية والمراعي الغابوية للسلطة الحكومية المكلفة بالفلاحة والمياه والغابات أو الجماعات الترابية أو التنظيمات المهنية الرعوية، كما ينص على تدبير هذه المجالات والمراعي في إطار تصميم التهينة الرعوية. وبمصادقة المجلس الحكومي على مشروع المرسوم، يكون القانون الهام 113-13 المتعلق بالترحال الرعوي وتهيتها وتديبر المجالات الرعوية والمراعي الغابوية، قد استكمل ترسانته القانونية، ليصبح جاهزا للتنفيذ في أقرب الآجال. ويعد هذا القانون ثمرة مسار طويل من المجهودات الجبارة والمتواصلة لوزارة الفلاحة بالتعاون مع وزارة الداخلية، والممتدة لسنوات من أجل تشخيص واقع الترحال الرعوي، وتحديد الإكراهات والتحديات التي تواجه فئة الرعاة الرحل، بغرض ضمان شروط عيش أفضل لهذه الفئة التي عانت من التهميش لسنوات عديدة، ومن أجل الحفاظ على الموارد الطبيعية وتثمينها.

يلعب هذا المجال دورا بيئيا هاما باعتباره موطن عيش للعديد من الأصناف الحيوانية والنباتية، منها ما هو نادر أو مهدد بالانقراض (جريدة الأخبار، 2018).

أما بالنسبة لعالية حوض نفيس فإن النشاط الرعوي، يشكل أحد المقومات الأساسية التي يعتمد عليها السكان المحليون بالمنطقة، وذلك من أجل تحسين مستواهم الاقتصادي، وبالتالي تحسين ظروفهم المعيشية، مستفيدين في ذلك من الإمكانيات الكبيرة التي يمنحها مجال نفيس الذي عرف عبر التاريخ بانتشار هذا النوع من النشاط، حيث كان الانتجاع أحد الأسباب الرئيسية التي تؤدي عادة إلى بروز العديد من الصراعات بين القبائل من أجل فرض سيطرتها على المجال وبالتالي ضمان ممارسة النشاط الرعوي الذي ارتبط بنفيس منذ القدم. فقد كان السكان ولا زالوا إلى يومنا هذا يقومون بهذا النشاط في إطار ما يسمى « بتواله »، وهو شكل من أشكال تنظيم عملية الرعي بين أفراد القبيلة، حيث يتم اعتماد مبدأ التناوب مع استحضار عدد رؤوس الماشية التي يملكها كل فرد والتي تتراوح في الغالب ما بين 8 إلى 12 رأسا من الماشية، لكل يوم واحد.⁽¹⁸⁷⁾

تتميز المنطقة إذن بأهمية النشاط الرعوي في اقتصادها المحلي، حيث يعتبر - كما أشرنا إلى ذلك سابقا - بمثابة المصدر الأول للدخل لدى أغلبية السكان، لاسيما في ظل انتشار قطاع زراعي تقليدي لا يلبي الحاجيات الأساسية للسكان. وبحكم ارتباط النشاط الرعوي بالنشاط الزراعي وارتباطهما معا باستغلال الموارد الغابوية، فإنه يترتب عن ذلك تداخل بين الأعمال الزراعية بالنظر إلى تملك الأرض وما تقدمه من محاصيل، إلى جانب قطاع مهم من المواشي والذي يتكون في معظمه من الماعز بالدرجة الأولى، قبل أن يتراجع هذا الأخير لفائدة الأغنام والأبقار التي عرف عددها تزايدا ملحوظا مما أدى إلى الضغط على المراعي المكشوفة و الغابوية رغم وجود القوانين العرفية والمكتوبة المرتبطة بتنظيم النشاط الرعوي سواء بالغابة أو بالمراعي الجماعية (Bourbouz, 1995)، الأمر الذي أدى إلى ظهور بعض الكسابين الذين ينتمون في الغالب إلى سوس بحكم الجاذبية التي تشكلها المراعي الواسعة بالمنطقة مما يزيد من تقاوم الضغط على المجال الغابوي لحوض نفيس.

رغم أهمية النشاط الرعوي بالمنطقة إلا أنه يمكن الجزم بأنه مع ذلك لا يحقق دخلا مهما بالنسبة للسكان المحليين الذين يعانون من ضعف إمكانياتهم المادية وبالتالي عدم قدرتهم على الاستثمار بشكل كبير في هذا النشاط الذي يبقى محتكرا من طرف فئات معينة ذات إمكانيات كبيرة، وهو ما يزيد من تقاوم

(187) يكشف هذا الرقم عن حجم الهشاشة التي تعاني منها الساكنة المحلية بعالية نفيس، حيث ان عدد رؤوس الماشية ضعيف جدا وبالكاد يلبي بعض الحاجيات الأساسية للسكان الذين يعتمدون عليه في إطار الأنشطة التكميلية التي يتم اللجوء إليها من أجل تنمية دخلها الضعيف. الشيء الذي يقتضي ضرورة دعم هؤلاء الفلاحين الذين يشكون من ثقل المخالفات التي يتم تحريرها من طرف إدارة المياه والغابات بداعي المساهمة في تدهور المجالات الغابوية بعالية نفيس. والسؤال الذي يطرحه معظم الفلاحين الذين استقينا آراءهم خلال البحث الميداني هو: ما البديل الذي تقدمه هذه الإدارة للساكنة المحلية من أجل تنمية دخلهم لأنهم يعانون من مختلف أشكال الهشاشة، بل ومنهم من يعاني فعلا من الفقر. إن هذه الإشكالية تقتضي ان يتم اعتماد مقاربة تشاركية تأخذ بعين الاعتبار حاجيات السكان من جهة وفي نفس الوقت الحفاظ على المجال الغابوي من التدهور الذي لحق به في السنوات الأخيرة من جهة أخرى. (وهذا لن يتأتى كما يقول السيد إبراهيم من سكان اغيار في ظل المقاربة الأحادية التي تنهجها مصالح المياه والغابات).

الهشاشة الاقتصادية بالمنطقة ويكشف بما لا يدع مجالا للشك ضرورة الالتفات إلى هذه المناطق التي أصبحت طاردة للسكان بامتياز والذين لم تعد مقومات الاستقرار في مجال طبيعي هش تغريهم، بل إن فئات عريضة من السكان المحليين تفضل الهجرة نحو المدن الكبرى بغية تحسين ظروفها المعيشية، الشيء الذي يدعو إلى القلق لأن هذه الهجرة تساهم وبشكل كبير في خلخلة البنى الاجتماعية التي ميزت هذه المجالات طيلة الفترات التاريخية السابقة حيث كان مجال نفيس مجال استقطاب للسكان، لكن وفي العقود الأخيرة أصبح مجالا ينتج ويكرس الهشاشة على كافة المستويات. وحسب استقرار للرأي لدى بعض السكان بمنطقة البحث، اتضح أن قلة الأراضي الزراعية ومحدودية تدخلات الدولة في التنمية، إلى جانب تراجع الطاقة الإنتاجية للمراعي لدى الفلاحين الذين لا يتوفر معظمهم سوى على ملكيات مجهرية غير قادرة على توفير كل الحاجيات، هي السبب الأول وراء ارتفاع حدة الهجرة القروية من جهة، والتوسع على حساب الغابة عن طريق الاجتثاث من جهة أخرى لتلبية الحاجيات والطلب المتزايد على الموارد. لاسيما خلال الفترات التي تتميز بندرة التساقطات.

تجدر الإشارة كذلك إلى أنه وبالرغم من تأكيدنا على أن الرعي يشكل أحد الركائز الأساسية بالنسبة للاقتصاد المحلي، فإنه مع ذلك عرف تراجعا ملحوظا خلال السنوات الأخيرة. وذلك لعدة أسباب وفي مقدمتها: تعاقب سنوات الجفاف، إلى جانب تراجع التضامن بين أفراد القبيلة، حيث لم يعد الشباب يرغبون في مزاوله النشاط الرعوي، بل بات يفضل الهجرة نحو المدن الكبرى كمراكش وأكادير على أن يمارس النشاط الرعوي، وأخيرا تقلص وتراجع المجالات الرعوية التي كان يقصدها الرعاة بسبب انتقال مسألة تدبير الغابة من الساكنة المحلية عبر القبيلة إلى التدبير من طرف إدارة المياه والغابات.

إن مختلف هذه الاكراهات التي أصبح يمارس فيها الرعي، جعلت هذا النشاط بعالية نفيس وخاصة في الجماعة الترابية لأغبار يمارس بشكل خاص في هضبة تشكا. هذا المجال الذي تتقاسمه عدة قبائل خلال فترة الانتجاع التي تنطلق مباشرة بعد نهاية عملية الحصاد، مما يولد العديد من النزاعات بين مختلف هذه القبائل وذلك بالنظر إلى الإمكانات الكبيرة التي تزخر بها هذه المنطقة الرعوية على مستوى وفرة الماء والكأ باعتبارها تحتضن المنابع الأساسية لواد نفيس. (Montagne R., 1927)، في نفس الوقت الذي تشكل فيه هضبة « كروس » مجالا مهما للرعي في الاطلس الكبير الشرقي بالنسبة لقبائل « أيت عدي » وما جاورها (BENAIJA, 1991).

هكذا يتضح بأن النشاط الرعوي بعالية نفيس، هو نشاط رئيسي يعتمد عليه الفلاح بهدف تنمية دخله، في ظل محدودية موارده الناتجة أساسا عن صعوبة العيش في هذا الوسط الذي يتصف بهشاشة مزدوجة: من جهة هشاشة طبيعية، ومن جهة أخرى هشاشة اجتماعية واقتصادية تزيد من حدة الهشاشة الأولى، خصوصا إذا علمنا بأن الساكنة المحلية تعتمد أساسا على الكأ الذي توفره المجالات الغابوية التي يتم

استغلالها إما بشكل مجاني أو مقابل رسوم تفرضها الجهات الوصية على تدبير هذه المجالات، والمتمثلة أساسا في إدارة المياه والغابات التي، بالرغم من كل الإكراهات التي تعاني منها على مستوى مراقبة مجالات غابوية شاسعة في ظل ضعف مواردها البشرية، فإنها مع ذلك عادة ما تدخل في صراعات غير منتهية مع الساكنة المحلية التي ترفض إلى يومنا هذا الاعتراف بسلطة هذا الوافد الجديد على حد تعبيرهم (السكان المحليون)، وبالتالي الاعتداء المتكرر على المجال الغابوي كما تشير إلى ذلك كثرة المخالفات التي تم تسجيلها في حقهم خلال سنة 2019 فقط والتي تجاوزت 400 مخالفة. لكن رغم ذلك فإن التدهور الذي لحق المجالات الغابوية بعالية نفيس، والنواتج أساسا عن الاستغلال المفرط وتعاقب سنوات الجفاف انعكس بشكل سلبي على الساكنة المحلية التي كانت تعتمد على هذه المجالات من أجل القيام بالنشاط الرعوي في إطار ما يعرف بنظام «تواله»، وهو نوع من التضامن بين القبائل في تنظيم عملية الرعي الذي رغم محدودية موارده إلا أنه كان يساهم إلى حد كبير في توفير بعض المداخل الإضافية بالنسبة للفلاح.

4. الهشاشة الاقتصادية بعالية نفيس تدفع بالساكنة في اتجاه الضغط على الموارد الغابوية

1.4. يشكل ضعف الدخل الفردي أبرز دوافع الضغط على المجال الغابوي

يشكل مؤشر الدخل الفردي أحد المؤشرات الأساسية التي يتم الاعتماد عليها من أجل الوقوف على الخصائص الاقتصادية والاجتماعية لبلد معين. وبالنسبة للمغرب فقد كشف منتدى الاقتصاد والمال والأعمال بالأمم المتحدة، مؤخرا، عن تصنيفه الجديد الخاص بدخل الفرد من الناتج الإجمالي بالدولار سنويا. وجاء المغرب في مؤخرة التصنيف حيث احتل المرتبة 122 من أصل 187 دولة شملها التصنيف.

وبالنظر إلى الإمكانيات الكبيرة التي يتيحها لنا هذا المؤشر من أجل دراسة مؤشر التنمية البشرية الذي يحتل فيه المغرب مراتب متوسطة الأمر الذي يفسر إلى حد كبير انتشار مختلف مظاهر الهشاشة الاقتصادية التي تعيشها ساكنة المغرب بصفة عامة، وساكنة عالية حوض نفيس بصفة خاصة كما سبقت الإشارة إلى ذلك التي تعيش أوضاعا اقتصادية صعبة تساهم في زيادة معدلات الهشاشة، بل إن عددا كبيرا من الأسر أصبحت تعاني من الفقر بعد تراجع مداخيلها المحدودة أصلا، الشيء الذي يستدعي ضرورة اعتماد تدابير ناجعة لمواجهة مختلف المخاطر والتحديات التي تواجه ساكنة هذه المجالات التي تعيش هشاشة مزدوجة: فهي من جهة تعاني من هشاشة الوسط الطبيعي الذي تنتمي إليه والذي لا يوفر الكثير من الفرص، بقدر ما يتسم بوجود العديد من التحديات التي تعيق تحقيق تنمية مستدامة بالمنطقة خاصة في ظل الدخل الضعيف الذي يطبع مجالا حيويا ومهما كمجال نفيس الذي كان يشكل عبر التاريخ حلقة وصل بين مجال سوس الغني بموارده الفلاحية، ومجال مراكش الغني بموارده المتعددة. لكن هذا المجال (نفيس) أصبح يعرف أوجه عديدة للهشاشة، يشكل الدخل الفردي إحدى تجلياتها.

جدول رقم 29: الدخل الشهري لعالية حوض نفيس

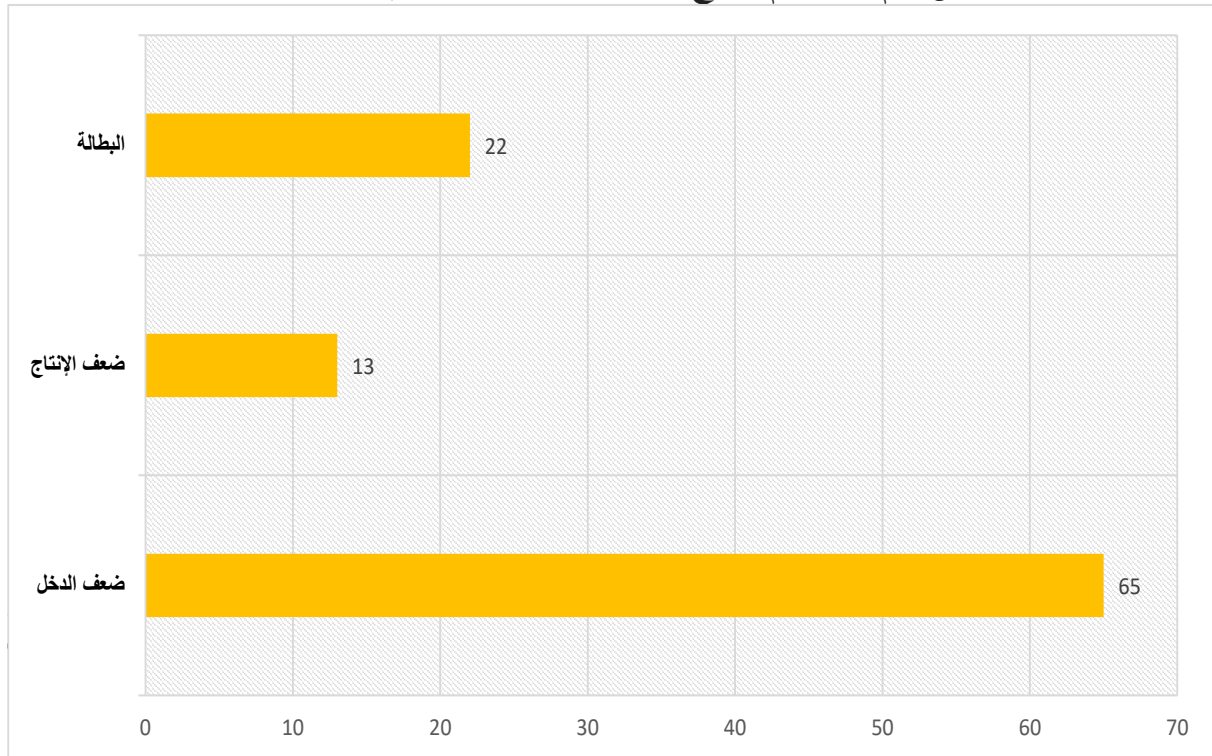
الدخل شهريا بالدرهم	أقل من 300	300-600	600-1200	أكثر من 1200
أغبار	27,2%	51%	14,8%	7%
تلات نيعقوب	21%	45%	22%	12%
اجوكاك	32%	45%	13%	10%

المصدر: بحث ميداني 2018-2020

انطلاقاً من الجدول أعلاه، نلاحظ أن الدخل الشهري للأسر لعالية حوض نفيس يتميز عموماً بالضعف، حيث إن الدخل المتراوح ما بين 300-600 درهم في الشهر، يشكل الدخل الأكثر انتشاراً بالمنطقة؛ فبالنسبة للجماعة الترابية أغبار، يمثل 51% من إجمالي الدخل، والشئ نفسه بالنسبة لتلات نيعقوب واجوكاك حيث الدخل الفردي ضعيف.

يستمد ضعف الدخل الفردي لدى غالبية ساكنة عالية حوض نفيس أسسه، من هشاشة الأنشطة الاقتصادية بالمنطقة، حيث أن جل السكان يعتمدون بشكل كبير في اقتصادهم المعيشي على النشاط الزراعي والرعي الذي يتأثر بالظروف الطبيعية وخاصة في الفترات الجافة التي يقلص فيها الإنتاج الضعيف أصلاً، بحكم ضيق الاستغلاليات الزراعية والاعتماد على وسائل تقليدية في استغلاله. إذن كلها عوامل تركز الهشاشة وتساهم بالتالي في إنتاج دخل ضعيف بالكاد يلبي بعض الحاجيات الأساسية للأسر التي تعمل بكل الوسائل من أجل البحث عن سبل لتنمية هذا الدخل. وبطبيعة الحال، تعتبر الموارد الغابوية التي تتميز بها المنطقة من بين الحلول الرئيسية التي يتم اللجوء إليها، (الشكل 57)، وهو ما ساهم في رفع وثيرة التدهور والتراجع التي تعرضت لها المجال الغابوي في السنوات الأخيرة.

الشكل رقم 57: أهم دوافع استغلال المجال الغابوي لعالية حوض نفيس



المصدر: البحث الميداني 2018-2020

2.4. تضخم النشاط الرعوي بعالية نفيس يستنزف المجال الغابوي بعالية نفيس

في البداية لابد من الإشارة إلى أن التقديرات الصادرة عن منظمة الزراعة تشير إلى وجود أكثر من 500 مليون راع عبر أرجاء العالم أغلبهم ينتمون إلى البلدان النامية حيث يواجهون العديد من التحديات التي تتعلق بالهشاشة والفقر (منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة ، 2017)، وبالنسبة للمغرب ، فإن هذا النشاط يكتسي أهمية بالغة، ويتجلى ذلك من خلال الترسانة القانونية التي اعتمدتها الدولة من أجل تدبير هذا النشاط الذي يمتد على أراضي رعوية شاسعة تغطي ما يناهز 53 مليون هكتار بما في ذلك المجال الغابوي والمجال الحيوي لشجر الأركان، ولها دور مهم في إنعاش النسيج الاقتصادي على مستوى المناطق الرعوية، حيث يشكل النشاط الرعوي المصدر الأساس لعيش الساكنة المحلية، كما يوفر سنويا ما بين 30 إلى 36 في المائة من حاجيات القطيع الوطني، أي ما لا يقل عن 9 مليارات درهم سنويا. كما يؤدي هذا المجال دورا بيئيا هاما باعتباره موطن عيش للعديد من الأصناف الحيوانية والنباتية، منها ما هو نادر أو مهدد بالانقراض (جريدة الأخبار، 2018).

أما بالنسبة لعالية حوض نفيس فإن النشاط الرعوي، يشكل أحد المقومات الأساسية التي يعتمد عليها السكان المحليون بالمنطقة، وذلك بهدف تحسين مستوياتهم الاقتصادي، وبالتالي تحسين ظروفهم المعيشية مستفيدين في ذلك من الإمكانيات الكبيرة التي يمنحها مجال نفيس الذي عرف عبر التاريخ بانتشار هذا النوع من النشاط، حيث كان الانتجاع أحد الأسباب الرئيسة التي تؤدي عادة إلى بروز العديد

من الصراعات بين القبائل من أجل فرض سيطرتها على المجال، وبالتالي ضمان ممارسة النشاط الرعوي الذي ارتبط بنفيس منذ القدم. فقد كان السكان ولا زالوا إلى يومنا هذا يقومون بهذا النشاط في إطار ما يسمى "بتواله"، وهو شكل من أشكال تنظيم عملية الرعي بين أفراد القبيلة، حيث يتم اعتماد مبدأ التناوب مع استحضار عدد رؤوس الماشية التي يملكها كل فرد والتي تتراوح في الغالب ما بين 8 إلى 12 رأس من الماشية، لكل يوم واحد.

تتميز المنطقة إذن بأهمية النشاط الرعوي في اقتصادها المحلي، حيث يعتبر -كما أشرنا إلى ذلك سابقا- بمثابة مصدر مهم للدخل لدى أغلبية السكان، لاسيما في ظل انتشار قطاع زراعي تقليدي لا يلبي الحاجيات الأساسية للسكان. وبحكم ارتباط النشاط الرعوي بالنشاط الزراعي وارتباطهما معا باستغلال الموارد الغابوية، فإنه يترتب عن ذلك تداخل بين الأعمال الزراعية بالنظر إلى تملك الأرض وما تقدمه من محاصيل، إلى جانب قطاع مهم من المواشي و الذي يتكون في معظمه من الماعز بالدرجة الأولى، قبل أن يتراجع هذا الأخير لفائدة الأغنام والابقار التي عرف عددها تزايدا ملحوظا، مما أدى إلى الضغط على المراعي المكشوفة و الغابوية رغم وجود القوانين العرفية والمكتوبة المرتبطة بتنظيم النشاط الرعوي سواء بالغابة أو بالمراعي الجماعية (Bourbouz, 1995)، الأمر الذي أدى إلى ظهور بعض الكسابين الذين ينتمون في الغالب إلى سوس بحكم الجاذبية التي تشكلها المراعي الواسعة بالمنطقة مما يزيد من تفاقم الضغط على المجال الغابوي لحوض نفيس.

رغم أهمية النشاط الرعوي بالمنطقة إلا أنه يمكن الجزم بأنه مع ذلك لا يحقق دخلا مهما بالنسبة للسكان المحليين الذين يعانون من ضعف إمكانياتهم المادية وبالتالي عدم قدرتهم على الاستثمار بشكل كبير في هذا النشاط الذي يبقى محتكرا من طرف فئات معينة ذات إمكانيات كبيرة وهو ما يزيد من تفاقم الهشاشة الاقتصادية بالمنطقة ويكشف بما لا يدع مجالا للشك ضرورة الالتفات إلى هذه المناطق التي أصبحت طاردة للسكان بامتياز والذين لم تعد مقومات الاستقرار في مجال طبيعي هش تغريهم، بل إن فئات عريضة من السكان المحليين تفضل الهجرة نحو المدن الكبرى بغية تحسين ظروفها المعيشية، الشيء الذي يدعو إلى القلق لأن هذه الهجرة تساهم وبشكل كبير في خلخلة البنى الاجتماعية التي ميزت هذه المجالات طيلة الفترات التاريخية السابقة حيث كان مجال نفيس مجال استقطاب للسكان، لكن وفي العقود الأخيرة أصبح مجالا ينتج ويكرس الهشاشة على كافة المستويات.

حسب استقراء للرأي لدى بعض السكان بمنطقة البحث، اتضح أن قلة الأراضي الزراعية ومحدودية تدخلات الدولة في التنمية إلى جانب تراجع الطاقة الإنتاجية للمراعي لدى الفلاحين الذين لا يتوفر معظمهم سوى على ملكيات مجهرية غير قادرة على توفير كل الحاجيات، هي السبب الأول وراء ارتفاع حدة الهجرة

القروية من جهة، والتوسع على حساب الغابة عن طريق الاجتثاث من جهة أخرى لتلبية الحاجيات والطلب المتزايد على الموارد، لاسيما خلال الفترات التي تتميز بندرة التساقطات.

تجدر الإشارة كذلك إلى أنه وبالرغم من تأكيدنا على أن الرعي يشكل أحد الركائز الأساسية بالنسبة للاقتصاد المحلي ، فإنه مع ذلك عرف تراجعاً ملحوظاً خلال السنوات الأخيرة. وذلك لعدة أسباب وفي مقدمتها: تعاقب سنوات الجفاف ، إلى جانب تراجع التضامن بين أفراد القبيلة، حيث لم يعد الشباب يرغبون في مزاوله النشاط الرعوي، بل بات يفضل الهجرة نحو المدن الكبرى كمراكش وأكادير على أن يمارس النشاط الرعوي، وأخيراً تقلص وتراجع المجالات الرعوية التي كان يقصدها الرعاة بسبب انتقال مسألة تدبير الغابة من الساكنة المحلية عبر القبيلة إلى التدبير من طرف إدارة المياه والغابات.

إن مختلف هذه الاكراهات التي أصبح يمارس فيها الرعي، جعلت هذا النشاط بعلية نفيس وخاصة في الجماعة الترابية لاغبار يمارس بشكل خاص في هضبة تشكا. هذا المجال الذي تتقاسمه عدة قبائل خلال فترة الانتجاع التي تنطلق مباشرة بعد نهاية عملية الحصاد، مما يولد العديد من النزاعات بين مختلف هذه القبائل، وذلك بالنظر إلى الإمكانيات الكبيرة التي تزخر بها هذه المنطقة الرعوية على مستوى وفرة الماء والكأ، باعتبارها تحتضن المنابع الأساسية لواد نفيس. (Montagne R., 1927)، في الوقت الذي تشكل فيه هضبة "كروس" مجالا مهما للرعي في الاطلس الكبير الشرقي بالنسبة لقبائل "أيت عبدي" وما جاورها (BENAIJA, 1991).

هكذا يتضح بأن النشاط الرعوي بعلية نفيس، هو نشاط رئيسي يعتمد عليه الفلاح بهدف تنمية دخله، في ظل محدودية موارده الناتجة أساساً عن صعوبة العيش في هذا الوسط الذي يتصف بهشاشة مزدوجة: من جهة هشاشة طبيعية، ومن جهة أخرى هشاشة اجتماعية واقتصادية تزيد من حدة الهشاشة الأولى، خصوصاً إذا علمنا بأن الساكنة المحلية تعتمد أساساً على الكأ الذي توفره المجالات الغابوية والتي يتم استغلالها إما بشكل مجاني أو مقابل رسوم تفرضها الجهات الوصية على تدبير هذه المجالات، والمتمثلة أساساً في إدارة المياه والغابات التي، بالرغم من كل الإكراهات التي تعاني منها على مستوى مراقبة مجالات غابوية شاسعة في ظل ضعف مواردها البشرية، عادة ما تدخل في صراعات غير منتهية مع الساكنة المحلية التي ترفض إلى يومنا هذا الاعتراف بسلطة هذا الوافد الجديد على حد تعبيرهم (السكان المحليون)، وبالتالي الاعتداء المتكرر على المجال الغابوي كما تشير إلى ذلك كثرة المخالفات التي تم تسجيلها في حقهم (الشكل 37) خلال سنة 2019 فقط، والتي تجاوزت 400 مخالفة. لكن رغم ذلك فإن التدهور الذي لحق بالمجالات الغابوية بعلية نفيس والناتج أساساً عن الاستغلال المفرط وتعاقب سنوات الجفاف، انعكس بشكل سلبي على الساكنة المحلية التي كانت تعتمد على هذه المجالات من أجل القيام بالنشاط

الرعي في إطار ما يعرف بنظام "تواله"، وهو نوع من التضامن بين القبائل في تنظيم عملية الرعي الذي، رغم محدودية موارده، كان يساهم إلى حد كبير في توفير بعض المداخل الإضافية بالنسبة للفلاح.

5. العلاقة بين الدخل الفردي وتدهور المجال الغابوي علاقة جدلية

لقد أثبتت مختلف الدراسات أن العلاقة بين الفقر وتدهور البيئة بصفة عامة، والمجال الغابوي بصفة خاصة هي علاقة تراكمية دائرية أو أشبه بعملية سببية تراكمية، حيث يجبر الفقراء على اختيار الفائدة المضمونة على المدى القصير حتى يمكنهم من سد الاحتياجات المستقبلية، لذلك فهم يتسببون في تدهور المجال الغابوي الشيء الذي يساهم في زيادة هشاشتهم الاجتماعية بل وتعرضهم للسقوط في فخ الفقر وهكذا تستمر المشكلة، حيث تؤدي الهشاشة إلى قصور في الإنتاجية واستخدام غير مستدام للموارد الطبيعية. يمكن تلخيص هذه العلاقة في (الشكل 59).

الشكل رقم 58: علاقة الهشاشة الاجتماعية بتدهور المجال الغابوي



المصدر: البحث الميداني 2018-2020

وبشكل تفصيلي فإن علاقة الهشاشة الاجتماعية بتدهور المجال الغابوي علاقة مزدوجة الاتجاه، فالهشاشة الاجتماعية تعتبر أحد العوامل الرئيسة المفسرة لتراجع وتدهور هذا الأخير لعالية حوض نفيس ، كيف ذلك؟ لأن احتياجات الساكنة المحلية التي تعاني من ارتفاع معدلات الهشاشة الاجتماعية وسبل معيشتهم الملحة تعني في كثير من الأحيان القيام بممارسات وسلوكات مدمرة للبيئة بصفة عامة والمجال الغابوي بصفة خاصة والتي تساهم في تسريع وثيرة تدهورها، العوامل الطبيعية أيضا حيث إن المجال

الغابوي بعالية نفيس عرف تراجعاً كبيراً في العقود الأخيرة بسبب الضغط البشري المسؤول عن فقدان 8,54 كلم² ما بين 1975 إلى غاية 2019 ، بنسبة تراجع بلغت 8.56 كلم². وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن هذا التراجع ليس وليد الهشاشة الاقتصادية فحسب، بل هناك عوامل أخرى تساهم بدورها في هذا التدهور، لكن مع ذلك فإن الوضعية الاقتصادية تعد من بين أكثر العوامل المفسرة لهذا التراجع على اعتبار أن الهشاشة الاقتصادية هي التي تفسر وتفرز لنا باقي أنماط الهشاشة الاجتماعية ، وتؤدي بالتالي إلى عدم القدرة على تجديد موارد الغابات بسبب الضغط المتزايد الناتج عن قلة مواردهم من جهة، والتزايد الديمغرافي من جهة ثانية. ويحدث هذا عادة في عالية حوض نفيس حيث معدلات الهشاشة الاجتماعية جد مرتفعة بالمقارنة مع مجالات أخرى مشابهة من الناحية.

خلاصة الفصل

هكذا يتضح ، بأن التدهور البيئي بصفة عامة، وتدهور المجال الغابوي بصفة خاصة يساهم في تقاوم مخاطر الهشاشة الاجتماعية بكل تجلياتها على اعتبار أن تأثير الهشاشة الاجتماعية على الموارد الطبيعية بصفة عامة تتجلى في تضيق الآفاق الزمنية، إذ لا يكون هناك معنى لأن يقوم من يعاني من العوز والحاجة بالاستثمار في الموارد الطبيعية والتي لا تعطي في الغالب عائدا مباشرا إلا بعد عدة سنوات، في الوقت الذي لا تتوفر لديهم الحاجيات الأساسية، فتكون النتيجة هي الضغط مباشرة على المجال الغابوي بغية تسويقها وبالتالي تلبية الحد الأدنى من الحاجيات، بل إن من يعاني من تبعات الهشاشة الاجتماعية هم أول من يتأثر بالتدهور البيئي، حيث تقلل الهشاشة من فرص التنمية، وتدفع بالفرد نحو الفقر، الشيء الذي يشكل هدرا للزمن التنموي، ويعيق بالتالي أي تطور للمجتمع ولاسيما تلك المجتمعات التي تركز على الموارد الطبيعية في ظل غياب أية بدائل وأنشطة اقتصادية موازية كما هو الحال بالنسبة لعالية حوض نفيس .

ومن منظور سوسيولوجي فإن تعامل الفرد مع بيئته الطبيعية يخضع لجملة من المعطيات من بينها مستواه المعيشي، فلا يمكن الحديث عن سلوك بيئي إيجابي وعقلاني بينما يفتقد الفرد لأبسط ضروريات الحياة، مما يدخله في حيز الصراع من أجل البقاء. وطبعا فالخيار هو للفرد على حساب عناصر البيئة الطبيعية. كما أن المغرب أدرج بشكل واضح ضمن الاستراتيجية الوطنية للبيئة ومخطط العمل البيئي، ضرورة تقليص ظاهرة الهشاشة الاجتماعية والفقر والعمل على النمو المستدام الكفيل بتحسين إطار العيش، وفي الوقت نفسه المحافظة على الموارد الطبيعية من التدهور.

بغية تحقيق هذه المعادلة الصعبة، لابد من استحضار الخصوصيات المحلية والثقافية للمجتمع، على اعتبار أن ذلك هو السبيل الوحيد الذي من شأنه أن يساهم في تحفيز الساكنة المحلية للانخراط في هذا الورش التنموي وفي الوقت نفسه الاستفادة بشكل مباشر من ثماره، لا سيما وأن فشل العديد من المبادرات التنموية في المناطق الجبلية بالمغرب ليس مرتبطا بضعف الموارد المالية وغياب التخطيط كما قد يبدو من الوهلة الأولى، بل إن السبب الرئيسي الذي يتم تغييبه في الغالب هو عدم إدماج الخصوصيات المحلية والثقافية لذات المجتمع في ذلك المشروع التنموي، مما يساهم في رفع نسبة فشله. ولعل مشروع تشجير منطقة عالية نفيس بالأشجار المثمرة خير مثال على ذلك، حيث استنزف هذا المشروع مبالغ مالية مهمة لكن الساكنة لم تتخرب فيه بالشكل الكافي، وعندما بحثنا عن الأسباب الحقيقية وجدنا أن الساكنة كانت تفضل أشجار الجوز على أشجار اللوز بالنظر إلى عائدها الاقتصادي ومردوديتها المرتفعة، الأمر الذي لم يتم استحضاره من قبل الفاعلين في المجال بمختلف انتماءاتهم عند التخطيط لهذا المشروع، فكانت النتيجة كما أسلفنا إلى ذلك هي محدودية الأثر التنموي الذي خلفه هذا المشروع على الساكنة المحلية.

الفصل الرابع: السكن الريفي: سكن هش يساهم في تدهور المجال الغابوي لعالية حوض نفيس

مقدمة:

مما لا شك فيه أن مختلف المواثيق الدولية التي صادق عليها المغرب والتي تسمو على كل التشريعات الوطنية، تؤكد على أن السكن حق لكل مواطن من أجل ضمان كرامته. وفي هذا السياق يؤكد الدستور المغربي في الفصل 31 على الحق في الولوج إلى سكن لائق لفائدة جميع المواطنين.

إن الحق في السكن معناه حق كل مواطن في التوفر على مكان لائق ومناسب لحفظ مكانته على اعتبار أن الرمزية التي يتمتع بها المسكن تجعل منه حقا لا بد أن يتمتع به كل فرد. غير أنه يبدو أن الولوج إلى السكن القروي لا يتصدر أولويات مختلف الحكومات التي تعاقبت على المغرب منذ الاستقلال، بل يمكننا الجزم بأن هذا الحق ظل جانبا في مجمل البرامج التنموية التي عرفت بلادنا منذ النصف الثاني من القرن العشرين، على عكس باقي الحقوق الأساسية التي حظيت بشيء من الاهتمام كالحق في الولوج للتعليم والصحة وفك العزلة عن العالم القروي، رغم أن مجال الدراسة (عالية حوض نفيس) لا زال يعيش عزلة مزدوجة في هذا المجال حيث الهشاشة هي القاسم المشترك بين مختلف الجماعات الترابية التي تشكل هذا المجال الغني بموارده الطبيعية وموارده البشرية، والهش - بالمقابل - على كافة مؤشرات التنمية البشرية كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصول السابقة.

وانسجاما مع الأهمية التي يحظى بها السكن عموما، فإن السكن القروي بشكل خاص ليس مرادفا للمسكن، بل هو إطار أوسع للعيش ووحدة مجالية وظيفية توفر في الوقت نفسه المسكن للأسر القروية وتؤدي وظائف ترتبط بأسلوب عيش الساكنة القروية (الفلاحة وتربية الماشية والصناعة التقليدية إلخ). كما أن للسكن القروي علاقات وثيقة بالمؤسسات الجماعية (المدارس العتيقة مخازن جماعية...)، وبمؤسسات أخرى ذات طابع جماعي (سوق أسبوعي، مسجد، زاوية...)، وبالتالي لا يمكننا الحديث عن السكن دون استحضار خصوصيات الحياة الاجتماعية لساكنة العالم القروي، وهي حياة سمتها الرئيسة وجود مختلف روابط التضامن لاسيما خلال تنظيم مناسبات معينة كالزواج والولادة ومراسيم الدفن...

يضاف إلى هذا البعد الاجتماعي الذي يضطلع في إطاره السكن القروي بدور أساسي، بالتنوع الكبير للمساكن؛ لأن هناك أشكالا معمارية تتعدد بتعدد المجالات القروية. وينبغي الإشارة في هذا الصدد إلى أن العالم القروي يزخر بإمكانات وقيم ثقافية وتراثية أصيلة تستدعي صيانة متواصلة قصد المحافظة عليها واستغلالها بكيفية عقلانية. وتتجلى هذه الثروات بشكل خاص في مجال السكن والإسكان في الوسط القروي، بحكم أن تنوع المجالات والتجمعات القروية بالمغرب يوفر تنوعا كبيرا على مستوى السكن.

في هذا الإطار، أصبح السكن القروي اليوم مكونا أساسيا من مكونات الرأسمال المادي وغير المادي، بالنظر إلى وجود ثراء مهم على مستوى أشكال البناء التي تتميز مختلف المباني التي يمكن استثمارها من أجل تحقيق التنمية الترابية، على اعتبار أن السكن القروي يعتبر رافعة لخلق الثروة والنهوض بها.

1. السكن الريفي: المفهوم والمقاربات المعتمدة في دراسته جغرافيا وسوسيولوجيا

1.1. في دلالة مفهوم: السكن الريفي

في البدء لابد من الإشارة إلى أن السكن الريفي يعد المحاولة الأولى للإنسان في استثمار بيئته حيث أنه تعرض للعديد من التحولات والتغيرات خلال مسيرة الإنسان، (صبري فارس الهيتي، صلاح حميد الجنابي، 1983). وقد استأثر السكن الريفي باهتمام كبير من مختلف التخصصات ولاسيما الجغرافية التي اهتمت بهذا الموضوع منذ سنة 1925، حيث يعد الجغرافي الفرنسي (ديمانجون demangeon)، أول من اهتم بهذا الموضوع، وفي هذا السياق يعرف السكن الريفي باعتباره « ذلك المبنى أو مجموعة المباني التي تقام في القرية كمأوى ومجال للاستغلال الزراعي ولباقي الأنشطة الفلاحية التي تتميز هذا المجال عن غيره من المجالات » (فيصل قماش وآخرون، 2014).

يختلف السكن الريفي إذن كمفهوم بالانتقال من المدينة إلى البادية، ففي الأولى يعني: المنزل الذي يأوي الأسرة، بينما يعني في الثانية: تلك الرقعة التي يحتلها المنزل الذي يأوي الأسرة وكذلك المرافق التابعة له والمتعلقة بمزاولة نشاط اقتصادي أو حرفة معينة؛ أي أن السكن في هذه الحالة يقوم بوظائف متعددة ليصبح بذلك مفهوما مركبا لواقع اجتماعي متعدد الأبعاد.

ومن هذا المنطلق فإن المسكن بالبادية، لاسيما إذا كان مرتبطا بالنشاط الفلاحي، يقوم إلى جانب وظيفته الرئيسية المتمثلة في إيواء الأسر، بوظيفة – إن لم نقل بعدة وظائف – ذات بعد اقتصادي تتمثل في إيواء الماشية وحفظ المعدات الفلاحية وممارسة بعض الحرف ولاسيما تلك التي لها صلة بالإنتاج الفلاحي، ومن ثم فإن المسكن الريفي يكتسي دلالة رمزية بالنسبة للأسر على اعتبار أنه يعبر عن مكانتها ضمن التراتبية الاجتماعية داخل الدوار (عبد الرحيم عني، 2018)، ويعكس بالتالي المستوى الاجتماعي لمالكه وتصورات حول مسكنه من خلال تمثل مكوناته ومرافقه وأشكال استغلال هذه المكونات والمرافق في ظل غياب قانون التعمير، حيث تظل الوضعية الاجتماعية لصاحب المسكن الريفي هي المحدد الرئيسي لنوعية هذا المسكن الذي يعتبر قبل كل شيء منتجا ثقافيا بامتياز، تتداخل في تشكيله عناصر متعددة، منها على وجه الخصوص العادات والتقاليد الاجتماعية إلى جانب المستويين الاقتصادي والاجتماعي لأصحابه. فهو بذلك ليس مجرد مأوى للعيش والتكاثر فقط، ولكنه عنصر ثقافي يؤثر في تشكيل ثقافة أخرى (خليل اسماعيل محمد، 1982). وفي هذا السياق فإن معظم المساكن المتواجدة لعالية حوض نفيس تستمد

هندستها من مرجعية تقليدية موروثة ضمن الخصوصيات الثقافية المحلية لساكنة هذا المجال، رغم أن هذا لا ينفي وجود مساكن ذات مرجعية مستوردة من الوسط الحضري أو يتم استلهاها من منازل شيدتها الدولة في إطار السكن الوظيفي.

وفي إطار السعي لإعطاء تعريف دقيق للسكن الريفي، يمكننا الإشارة في هذا الإطار إلى التعريف الذي تعطيه الأمم المتحدة لهذا النوع من السكن حيث اقترحت في مقررها الخاص حول تعريف الحق في السكن الملائم لعام 2001: « إن الحق الإنساني في السكن الملائم هو حق لكل امرأة ورجل وشاب وطفل في الحصول على بيت ومجتمع محلي آمنين يعيش فيهما بسلام وكرامة » (منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف، 2011).

أما السكن الريفي عند R. Lebeau فقد عرفه بكونه عبارة عن « نمط توزيع المنازل الفلاحية داخل المحيط، باعتباره ترابا تمارس به المجموعات الريفية والمجموعات الفلاحية الأنشطة الفلاحية والحقوق الزراعية (الفارسي لحسن، 2019).

2.1. المقاربة المعتمدة في دراسة السكن الريفي

1.2.1. المقاربة السوسيولوجية للمسكن:

إن الترابط القوي بين الأسرة كمؤسسة اجتماعية والفضاء المنزلي كمجال مكاني، يعبر عن الامتداد المادي والثقافي الرمزي للأسرة، الشيء الذي يجعل التركيز في هذا المحور على الأبعاد الاجتماعية الاقتصادية والثقافية الرمزية للمسكن من جهة، ومظاهر الهشاشة التي تعاني منها مختلف هذه المستويات بمجال الدراسة من جهة أخرى، يكتسي أهمية بالغة؛ وذلك بالنظر إلى أن السكن الريفي بعالية نفيس يعبر بشكل أو بآخر عن الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للساكنة المحلية، الشيء الذي يدفعنا إلى ضرورة مقارنة هذا الموضوع على كافة المستويات:

أ. السكن الريفي والمحددات الكيفية (الجانب الوصفي

تعتبر المحددات الكيفية مؤشرا أساسيا يجب استحضاره أثناء دراسة هذا الموضوع، وذلك على اعتبار أنها تعطينا فكرة حول أهميته لاسيما على مستوى:

● **الطبيعة السوسيو مهنية للأسرة:** بحيث يكون حجم الأسرة بارزا على الشكل الهندسي للمسكن وعلى عدد غرفه ومساحته وكذلك على الأبعاد الاجتماعية والتربوية؛ فبالنسبة لعالية نفيس فإن ارتفاع معدلات الهشاشة الاجتماعية وضعف القدرة الاقتصادية للساكنة المحلية، إلى جانب ارتفاع معدل الأسر عادة ما ينعكس بشكل كبير على طبيعة السكن الذي يغلب عليه السكن التقليدي الهش، والذي

يضم عددا صغيرا من الغرف عكس ما نجده في مناطق ريفية أخرى، حيث عادة ما يتجاوز عدد الغرف أربعة، وهذا في حد ذاته يعكس جانبا من الهشاشة التي تعاني منها المنطقة بالنظر لمحدودية الأنشطة الاقتصادية التي تعتمد في معظمها على الموارد الغابوية التي تشكل العنصر الرئيسي في تشييد المسكن بالمنطقة، وهو ما يساهم في تعميق وتسريع وثيرة تدهور هذه الموارد، حيث أن 70% من الساكنة المحلية اعتمدت، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، على الغابة من أجل تشييد مساكنها.

① إن مؤشر المسكن القروي يعد مؤشرا أساسيا: على طبيعة التنشئة الاجتماعية للطفل وتحديد المجال الخاص والعام، أي مجال الذكور ومجال الإناث، وكذلك على الأدوار الاجتماعية والاقتصادية لأفراد الأسرة. كما أنه يؤثر على تقسيم العمل بين أفراد الوحدة الأسرية حسب السن والجنس.

② طبيعة المسكن وشكله: يعكسان مدى اهتمام الأسرة بقضايا الصحة والإعلام، كما يعكس درجة التمسك بالإنتاج الاجتماعي وبالمخزون الثقافي والرمزي للأسرة.

③ المسكن القروي يعكس: الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للأسرة ويسمح كذلك بتحديد الدخل الأسري. كما يسمح بتحديد التراتيبات سواء داخل الأسرة أو داخل الجماعة القروية أو جماعة الدوار. بالإضافة إلى ذلك، فإن المسكن القروي يسمح للباحث بتحديد حاجيات الأسرة وحجم الاستهلاك.

هذا من حيث المستوى الأول. أما المستوى الثاني فيتناول المميزات الكمية والتي تتم دراستها من خلال مؤشرات أساسية:

④ عدد الأسر لكل مسكن.

⑤ عدد غرف المسكن لكل أسرة.

⑥ معدل الإيواء في الغرف.

⑦ نظام أشغال المسكن ونمط حيازة الملكية.

ب. السكن الريفي والمحددات الكمية

إذا كانت أهمية المؤشرات النوعية هي تحديد الطبقة السوسيو مهنية والوضعية الاقتصادية والتراتبية الاجتماعية وتقسيم المجال بين أفراد الوحدة المنزلية، فإن أهمية المؤشرات الكمية تفيد أساسا في تقديم تغطية المساكن المتوفرة لحاجيات الأسر. يسمح لنا هذا التحديد بقياس معظم التغيرات والتحولات التي لحقت بالبنيات الأسرية وتطلعاتها.

فالمقاربة السوسولوجية إذن للمسكن في علاقاتها بالدينامية التي تعرفها الأسر لا تفصل بين الثقافة المادية والرمزية للأسرة، وبالتالي تعتبر المسكن الوجه المادي الذي تعكسه الوضعية الاقتصادية

والديمغرافية والاجتماعية والثقافية الرمزية للأسرة. فالمجال المنزلي هو إذن القاعدة الأساسية لمكانة الأسرة وللتراتبيات الاجتماعية والاقتصادية التي تؤثر بدورها على الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للجماعة الكبرى التي تنتمي إليها الأسرة. (عبد الرحيم عني، 2018)

إن عدم الفصل بين الأبعاد الثقافية والرمزية والأبعاد الثقافية والمادية للأسرة، يجعل المسكن أكبر من كونه مساحة أو مكانا يضم غرفا وجدراناً ومرافق مرتبطة بتلبية حاجيات الأفراد الأولية (الأكل والنوم)، بل كونه مجالا لاكتساب الخبرات والارتباط الوجداني وممارسة الطقوس والعلاقات الحميمة، (افيلال، 1997) وذلك بحكم تعايش الوحدة الأسرية وتفاعلها داخله. إنه المجال الذي يلتقي فيه تدبير النقود بصياغة القرارات المتعلقة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية للأسرة. لا يقف المجال المنزلي عند هذه الحدود فقط، بل يتعداها ليصبح مكانا له عدة دلالات ومضامين اجتماعية ، متجاوزا بذلك الوظيفة الاجتماعية والسكنية، ليصبح وسيلة من وسائل الإنتاج الاقتصادي، وأداة أساسية للعمل الزراعي ووسيلة أساسية للمنتجين والانتاج، مما يجعل منه واجهة أساسية تعبر من خلالها الأسرة وبنياتها الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية عن القيم التي تحيط بها، كالأستقرار والأمان. ومن ناحية ثانية يرتبط بالخصائص والمميزات التي تؤثر على مختلف الدلالات التي يمنحها له الفرد، والتي تعبر إما عن رضاه بانتمائه إلى جماعة الأسرة، أو الإحساس بعدم الرضى وعدم التفاعلية، وبالتالي الإحباط. من هنا ارتأينا أن ندرس المسكن القروي في علاقاته بالديناميات الأسرية باعتبارها هي الفاعلة في تنظيم المجال المنزلي.

2.2.1. المقاربة الجغرافية للسكن القروي وخصائصها

إذا كانت المقاربة السوسولوجية تنظر إلى السكن باعتباره ذلك الفضاء الذي يعبر عن الامتداد المادي والثقافي الرمزي للأسرة، فإن المقاربة الجغرافية تنظر إلى هذا الفضاء باعتباره فضاء لا يعني فقط المساكن بأي حال من الأحوال، على اعتبار أن هناك خلط كبير بين المسكن والسكن. حيث أن هذا الأخير يختلف جذريا عن المسكن الذي هو مفهوم شاسع يؤدي وظائف متعددة ترتبط بأسلوب عيش السكان في المناطق الجبلية، إذ يمكنه أن يرتبط بوظائف الفلاحة (تربية الماشية، تخزين المنتجات الفلاحية...) أو قد يشكل فضاء للصناعة التقليدية اليدوية وأنشطة اقتصادية واجتماعية تزاوّل ضمن الإطار الاجتماعي للعالم القروي.

إن السكن في العالم القروي قد يتوفر على مؤسسات جماعية (المدارس العتيقة، مخازن جماعية، دار الجماعة...)، كما أنه قد يرتبط ارتباطا وثيقا بمؤسسات أخرى ذات طابع جماعي (سوق أسبوعي، مسجد، زاوية...) (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2018)، وبالتالي لا يمكن الحديث عن السكن القروي

بدون الحديث عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية للسكان الذين تجمعهم روابط تضامنية وثيقة الصلة، رغم أن هذه الروابط وهذه القيم بصفة عامة عرفت تراجعاً كبيراً في السنوات الأخيرة أمام طغيان قيم الفردانية، وبداية ظهور الأسرة النووية على حساب الأسرة الممتدة التي كانت تميز المناطق القروية بصفة عامة ومنطقة نفيس بصفة خاصة.

تتميز منطقة عالية حوض نفيس بتاريخها الغني والمتنوع على مستوى السكن القروي منذ القدم باعتبارها شكلت على الدوام مجالا للعديد من القبائل التي تركت بصمتها على تاريخ المنطقة ولاسيما فيما يتعلق بطبيعة السكن الذي عرف جملة من التحولات على مر السنين لكنه ظل محافظا على خصائصه الأساسية وفي مقدمتها نمط البناء الذي يعتمد أساسا على المواد المحلية، أو من حيث استخدامه كمجال متعدد الاستعمالات، فهو في الوقت نفسه مجال متعدد الوظائف، إنه بعبارة أخرى مجال يقدم العديد من الخدمات ويقوم بعدة أدوار وفي مقدمتها السكن تم تخزين المنتجات الفلاحية وما يرتبط بها من أنشطة أخرى كتربية الماشية أو ممارسة بعض الأنشطة التي تدخل في إطار الصناعة التقليدية.

لاشك أن التحولات العميقة التي عرفت المناطق الجبلية لم يسلم منها السكن الريفي الذي عرف بدوره تحولات عميقة تتجلى أساسا في ظهور بوادر التعمير العصري (الشكل 59) وما رافقه من تغيير في نمط العيش والبنية الاجتماعية والثقافية لساكنة المنطقة، التي بالمناسبة يجب الحفاظ عليها والعمل على احترام خصوصياتها المحلية ونمط عيشها إذ لا ينبغي أن يصبح التحديث بمثابة تبعية الساكنة القروية لنموذج مستعار من «العالمية» و«التمدن» بقدر ما ينبغي أن يكون بمثابة وسيلة لتأهيل وتطوير البنيات الاجتماعية التقليدية مع الحفاظ في الوقت نفسه على خصائصها وقيمها (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2018)

الشكل رقم 59: لوحة غزو البناء العصري لعالية حوض نفيس



المصدر: تحريات ميدانية، مارس 2019

1.2.2.1. الخصائص الجغرافية للسكن الريفي لعالية حوض نفيس

إن دراسة السكن الريفي بعالية نفيس يطرح جملة من الصعوبات المنهجية التي تشكل عائقاً أمام أي باحث، حيث إن طبيعة المنطقة التي يغلب عليها الطابع المحافظ، والتوجس من أي شخص أجنبي وغريب عن المنطقة، عادة ما ينظر إليه على أنه يحاول اكتشاف ما يتم اعتباره هنا بمثابة انتهاك لخصوصيات هذا المجال لاسيما وأن السكن يتمتع بخصوصيات متعددة تتجاوز كونه فقط مكان للاستقرار إلى درجة أنه مكان له حميميته التي لا ينبغي السماح لأي طرف بانتهاكها، وهو ما يعيق أخذ صور لهذا المجال الذي يعتبر مجالا خاصا غير مفتوح في وجه العموم.

يتخذ شكل السكن بمجال عالية نفيس، وعلى غرار المجالات الجبلية الوعرة، هيئة السكن المتجمع المتراس الذي يتماهى مع الخصوصيات الطبيعية لمجال الدراسة، والتي تتميز بكونها مجالا يغلب عليه طابع التضرس وقوة الانحدارات، حيث عادة ما يتم تشييد المساكن فوق سفوح تشرف على الأودية الجبلية بالأطلس الكبير الغربي. ويشغل الجزء الثاني الذي يعلو المحيط الزراعي الذي تنتظم فيه المنازل على هيئة واحدة وأسلوب موحد، حيث أن الأجزاء السفلى تخصص للماشية والجزء الذي يليه يضم الغرف والمطبخ، وفي الأجزاء العليا توجد المخازن، حيث تخزن الحبوب والخضر... هذه الهيئة التي تنتظم عليها المنازل تجعل من الصعب على الملاحظ تحديد وتمييز حدود المنازل فيما بينها، كما يعطي انطبعا ودلالة على أن السكن يعكس سلوكيات اجتماعية وتاريخية؛ إذ يوحى إلى التكافل الاجتماعي بين الأسر، وإلى

الدور الدفاعي الذي يقوم به هذا الشكل من السكن، حيث التآزر والتضامن ضد أي اعتداءات خارجية على القبيلة.

لكل هذه الأدوار، يحظى تشييد السكن بعناية كبيرة في هذا المجال، ويكون أكثر صلابة من السكن بالدير وفي الأحواض السفلى، لكون الأحواض العليا من الأودية الجبلية تتميز بخصائص طبوغرافية خاصة؛ فقد يتخذ الوادي شكل خانق عميق، مما يجعل احتمال وقوع الخطر واردا في كل لحظة، الشيء الذي يحتم الاهتمام بالسكن، كما أن الموارد المستعملة في بنائه تحظى بأهمية قصوى، لذا نجد الجدران تتميز بالمتانة والصلابة باستعمال مواد محلية كالصخور وأشجار اللوز والجوز وسرو الأطلس...، وتصل كمية القطع الخشبية التي يتطلبها تشييد منزل 100-300 قطعة. وتحمل الجدران في الغالب ثلاث نوافذ (تيسيفت) وتكون على الواجهة التي تطل منها الشمس، وتكون هذه المنازل مجتمعة على شكل طريق معلق يسمح بالمرور بسهولة من منزل إلى آخر.

الشكل رقم 60: لوحة تعكس هشاشة السكن لعالية حوض نفيس



المصدر: تحريات ميدانية، مارس 2019

غير أن صفة السكن المتراس ليست هي الغالبة، إذ في بعض الدواوير الصغيرة تكون المنازل معزولة بالأزقة، وفي البعض الآخر تنتظم من صفين متوازيين من المنازل. ولكون نمط العيش السائد هو نمط اجتماعي قبلي ينبني على التكافل، فالسكن القبلي «الاجتماعي» يحتل هو الآخر مكانة مهمة، إذ نجد في بعض القرى «كامليل» و «ويزمارن» و «إكيس»، بعض المنازل الجماعية تدعى «بأكادير» وتكون في الغالب خارج القرية وفي منطقة معزولة، وتتوفر هذه المنازل على باب واحد، وتتكون من خمسة إلى ستة

طوابق ومن غرف صغيرة، يتم الوصول إليها عبر سلم أو طريق مغلق (أسفل Asfel)) وكل أسرة تمتلك داخل أكادير من ثلاثة إلى أربعة غرف كمعدل، تستعمل في المحافظة على المحاصيل. ويبقى «أكادير» مفتوحا طوال النهار، أما المفاتيح فتكون محفوظة فقط عند السكان. ويكمن دور هذه المنازل في كون القرية تتعرض أحيانا لبعض الأخطار سواء الداخلية أو الخارجية، وبالتالي تكون الموارد المحفوظة في هذه المنازل في مأمن عن الخطر

وإجمالا يتم تشيد هذه المساكن فوق السفوح ذات الأجراف الصخرية، التي تعلو المجال المخصص للفلاحة. وكانت هذه المنازل أكادير أو «تميدلت»، تشيد في أماكن مرتفعة، وهي بمثابة احتياطي من المحاصيل بالنسبة لسكان جبل نفوسة عند خروجهم من قراهم إلى المناطق التي يقصدونها للرعي في فترات الانتجاع، وهذا أمر على خلاف الأطلس الكبير عامة ومجال أغبار بصفة خاصة كما تم ذكره سلفا، إلا أن الهدف منها واحد وهو حفظ المحاصيل الزراعية. وعموما فالسكن يتميز بكونه سكن مجتمع، غير أنه يخضع لترميم مستمر بطرق معمارية جديدة، مع توغل الإسمنت المسلح إلى المجال.

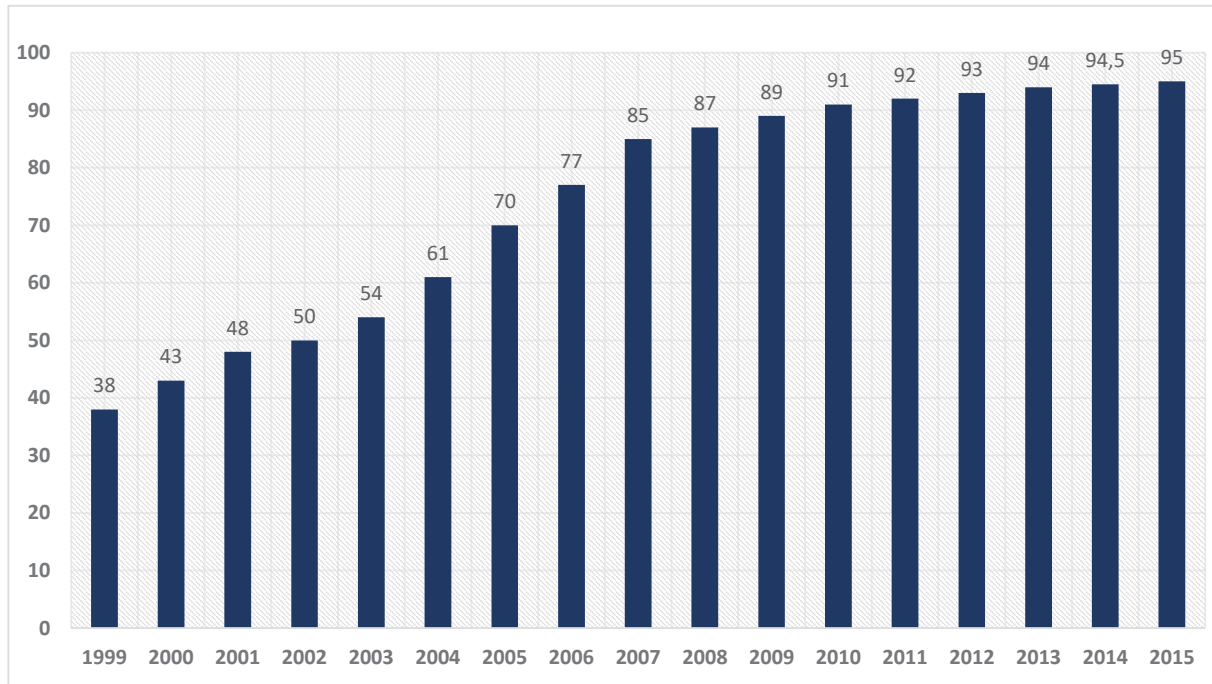
إن فالسكن يحظى بأهمية بالغة من لدن السكان، لذا يتم ملاءمته مع الظروف الطبيعية وذلك باستغلال المواد المحلية التي يوفرها المجال، إذ يتم توظيف الموارد الغابوية في البناء مما يدل على أن غابة أغبار قديمة الاستغلال وليست حديثة بالتراجع الذي لحقها، زيادة على الرعي الجائر والأنشطة الموازية له، والذي يساهم بدوره في هذا التدهور.

2. هشاشة السكن الريفي لعالية حوض نفيس تكرر واقع الهشاشة الاجتماعية

1.2. قطاع الماء بعالية نفيس أرقام مشجعة مع وجود عدة اختلالات

عملت الدولة المغربية في إطار برنامج تقليص الفوارق المجالية بين المجال الحضري والريفي على اتخاذ مجموعة من التدابير بهدف تقليص هذه الفوارق، وبالتالي الحد من ظاهرة الهجرة القروية التي تؤثر بشكل مباشر سواء على المجالات المستقبلية لهؤلاء المهاجرين، أم تلك المجالات الطارئة لهذه الفئة، إلى جانب تحسين مستوى التنمية البشرية لدى فئة عريضة من السكان الريفيين. وفي هذا السياق يعتبر البرنامج المندمج لتزويد العالم القروي بالماء الصالح للشرب (PAGER) من أبرز هذه البرامج التي حقق فيها المغرب نجاحا كبيرا، حيث انتقلت نسبة الربط بالماء الصالح للشرب بالعالم القروي من 14% سنة 1994 إلى 96% سنة 2016، الشيء الذي يعكس المجهود الكبير الذي بذلته الدولة في هذا الإطار.

الشكل رقم 6I: تطور نسبة الولوج لخدمات الماء الشروب ما بين 1995 و 2015



المصدر: البحث الميداني 2018-2020

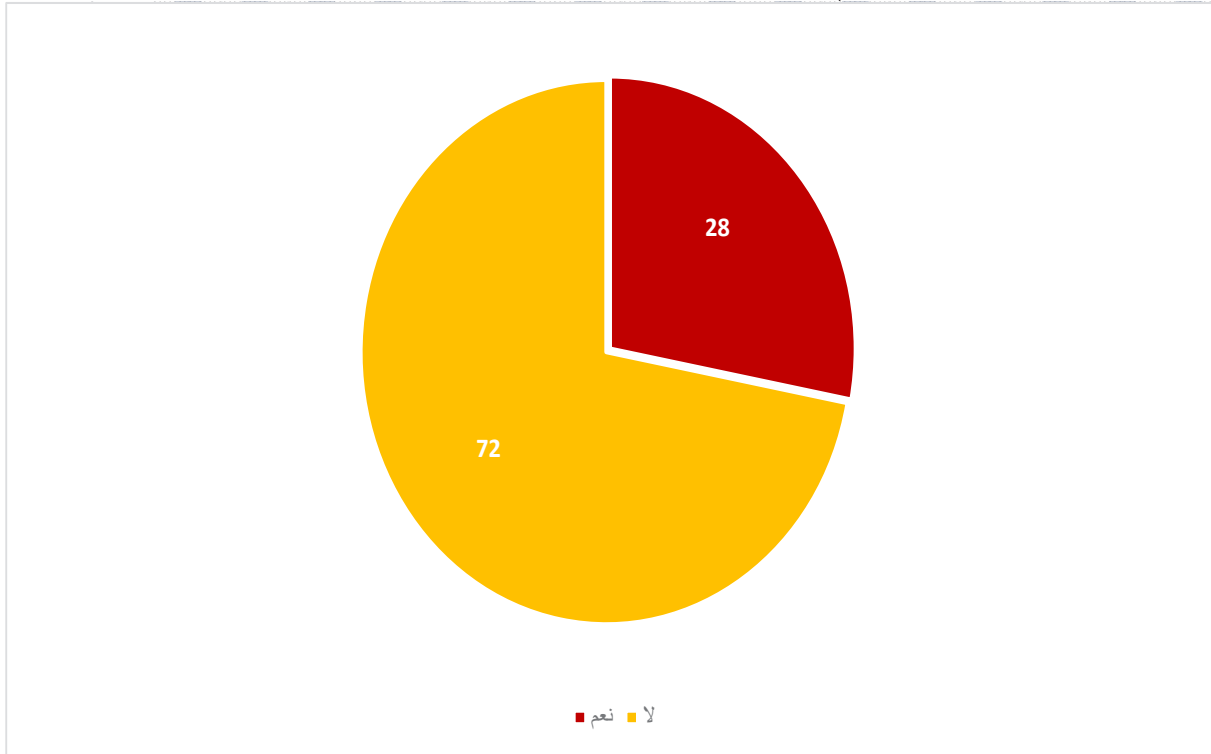
غير أنه هنا لابد من التمييز بين مؤشرين فيما يتعلق بالماء الشروب:

أولاً: مؤشر الولوج للماء الصالح للشرب

حسب مؤشر الولوج للماء الصالح للشرب، فإن نسبة التغطية تتجاوز 95%، غير أن هذه الأرقام لا تعكس كثيراً الواقع، حيث لازالت مناطق كثيرة بعالية نفيس تعاني من ضعف نسبة الربط بشبكة الماء الصالح للشرب، وهذا ما كشف عنه تقرير أعده البرلمان المغربي سنة 2016 حول البرنامج الوطني المندمج لتزويد العالم القروي بالماء الشروب (PAGER) مكن من بلوغ هدف تزويد 90 % من الساكنة بالماء الصالح للشرب، مع تأخير يناهز ثلاث سنوات، واستدعى صرف اعتمادات من أجل الاستثمار تقدر بـ 16,8 مليار درهم.

وجاء ضمن هذا التقرير الذي أعدته لجنة العمل الموضوعاتية لتقييم السياسات العمومية المتعلقة بالتنمية القروية بمجلس النواب، أن 610 ألف مواطن من الساكنة القروية لم تشملهم التغطية بالماء الشروب سنة 2015، بالإضافة إلى أن 2,9 مليون نسمة يتوفرون على تغطية بمنظومة تزويد بالماء الصالح للشرب تعتبرها اختلالات، والتي تمثل 28%. وهو ما يعني أن أكثر من 3,5 مليون شخص مغربي بالعالم القروي دون ولوج دائم للماء الصالح للشرب بالمغرب، مقابل 72% من السكان الذين يستفيدون من أنظمة التشغيل بشكل سليم (البرلمان المغربي، 2016).

الشكل رقم 62: نسبة رضى الساكنة على خدمات الماء الشروب



المصدر: المكتب الوطني للكهرباء والماء الصالح للشرب، دراسة تقييمية حول تأهيل منظومة التزويد بالماء الشروب بالعالم القروي، خلاصة تركيبية، دجنبر 2014

أما بالنسبة لعالية نفيس، فإن الولوج للماء الصالح للشرب لا يتعدى 80%، أي بفارق 15 نقطة عن المعدل الوطني الذي يقارب 95%. غير أن هذه الأرقام لا تعكس في الحقيقة الواقع المر الذي تعيشه الساكنة في هذا المجال، وخاصة فيما يتعلق بمؤشر الربط الفردي الذي تسجل فيه المنطقة عجزا كبيرا.

ثانيا: مؤشر الربط الفردي بالماء الصالح للشرب

يعتمد المكتب الوطني للكهرباء والماء الصالح للشرب لحساب نسبة الربط بشبكة الماء الصالح للشرب من خلال الايصالات الفردية، الصيغة التالية: حاصل قسمة الساكنة المزودة بإيصالات فردية برسم سنة مرجعية معينة على مجموع الساكنة برسم السنة نفسها:

⊙ نسبة الربط بشبكة الماء الصالح للشرب من مجموع الساكنة المستفيدة بمنطقة معينة خلال سنة مرجعية

⊙ خلال الإيصالات الفردية برسم سنة مرجعية ما مجموع الساكنة برسم نفس السنة المرجعية

إذا كان مؤشر الولوج للماء الشروب، رغم الاختلالات التي تعترضه، قد حقق نتائج إيجابية على مستوى تمكين ساكنة العالم القروي من الولوج للماء الصالح للشرب، فإن مؤشر الربط الفردي يكشف عن عمق الخصاص المهول والاختلالات الكبيرة التي لازال العالم القروي يعاني منها، حيث لازالت نسبة الربط الفردي ضعيفة جدا في العديد من المجالات القروية رغم أن نسبة الربط الفردي بالوسط القروي في عام

2015 حسب المكتب الوطني للكهرباء والماء الصالح للشرب بلغت 90% على المستوى الوطني، وهو ما يعادل 5.3 مليون نسمة يحصلون على الماء من خلال إيصال إلى المنزل. وحسب المندوبية السامية للتخطيط، فقد بلغ معدل الربط الفردي في الوسط القروي في 2015 37,8% على المستوى الوطني⁽¹⁸⁸⁾. (البرلمان المغربي، 2016). إلا أن نصيب جهة مراكش آسفي من هذا الإنجاز لا يتعدى 52% وهو ما يبرز حجم الخصائص الكبير على مستوى تزويد المنازل بالماء الشروب. وفيما يتعلق لعالية حوض نفيس، فإن هذا المعدل يقل عن 40% من السكان الذين يرتبطون بشكل مباشر بشبكة الماء

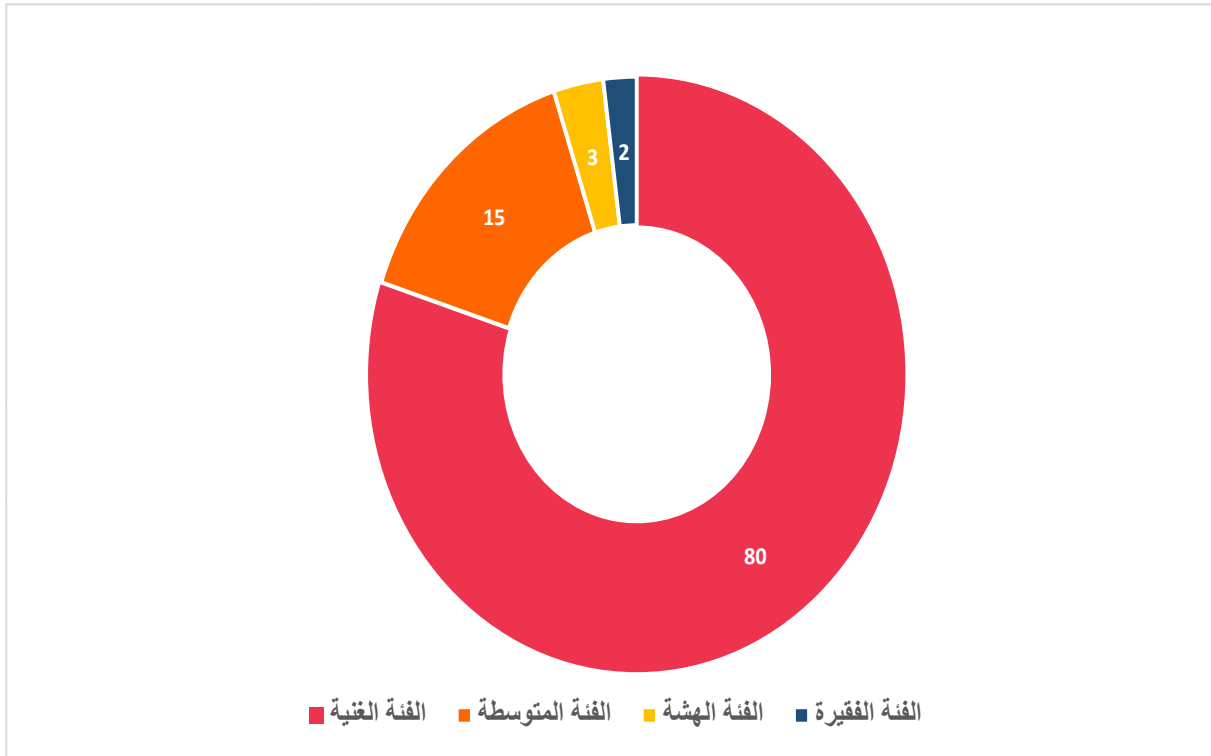
إن ضعف نسبة الربط الفردي بالماء الصالح للشرب يمكن تفسيره بضعف القدرة الشرائية لدى غالبية الساكنة المحلية التي تعاني، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، من ارتفاع معدلات الهشاشة الاجتماعية والاقتصادية، الشيء الذي يجعلها غير قادرة على تحمل تكلفة الربط المباشر بالماء، حيث أن التكلفة المتوسطة للربط الفردي تبلغ 7000 درهم، وهو رقم جد مرتفع وباهظ بالنسبة لساكنة عالية نفيس، وساكنة باقي المجالات الجبلية، الشيء الذي دفع بالدولة عبر الجماعات الترابية إلى تحمل نصف التكلفة، على أن يتحمل المستفيد من الربط الفردي نصف التكلفة الباقي (أي مبلغ 3500 درهم)⁽¹⁸⁹⁾، غير أن جزءا كبيرا من الساكنة المحلية بعالية نفيس لم يستفد من هذا الربط نظرا للتشتت الذي يميز عدة دواوير، مما يفرض عليها تحمل تكاليف إضافية لمد وتوسيع الشبكة، الشيء الذي تعجز عنه في الغالب العديد من الأسر، وبالتالي فإنها تبقى محرومة من التزود بالماء الشروب، ويتجلى ذلك بشكل كبير عند تحليل شبكة الأسر التي استفادت من الربط الفردي بالماء في عالية نفيس، حيث أن الأسر ذات الدخل المرتفع هي التي تستفيد بشكل كبير من الربط الفردي بنسبة تمثل 80% مقابل 2.5% بالنسبة للأسر الأكثر فقرا (الشكل 63).

(188) تعتبر الأرقام الإحصائية الرسمية بمثابة القاعدة الأساسية التي يتم اعتمادها من أجل اتخاذ أي قرار أو أي مشروع يهم القطاعات الاقتصادية أو يهم سياسة الدولة بصفة عامة. ومن البديهي أيضاً أنه كلما كانت تلك الأرقام المقدمة للجهات المعنية دقيقة وصحيحة، كان هذا القرار أو ذلك الإجراء صائباً. غير أن ما يقع حالياً من تناقض صارخ بين المؤسسات الحكومية وأرقام المندوبية السامية للتخطيط من جهة، ومن تشكيك في صحة هذه الأرقام والمعطيات الإحصائية من قبل العديد من الباحثين والمهتمين بالشأن المحلي الوطني من جهة ثانية.. يجعلنا جميعاً نتساءل عن المعايير التي تعتمدها كل جهة وعن صدقية وعلمية هذه المعايير. كما يجعلنا نشكك في مصداقية مؤسسات الدولة وما تقدمه من معطيات. وشكنا هنا هو شك علمي بالأساس لا علاقة له بالاتجاهات العدمية والتبخيسية التي غالباً ما ترتبط بالمصالح السياسية الضيقة لدى البعض. كما أن من شأن هذا التعارض والتضارب في الأرقام أن يدخل بلادنا في متاهة تجعلها في موقف غير مرغوب فيه أمام المؤسسات الدولية. ومن الأمثلة الواضحة على هذا العبث، التباين الكبير على مستوى الإحصائيات الخاصة بالربط بالماء الشروب بين المكتب الوطني للكهرباء والماء والشروب من جهة وبين المندوبية السامية للتخطيط من جهة أخرى، مما يعكس بعمق غياب التنسيق بين هاتين المؤسستين ويطرح بالتالي إشكالية كبيرة تتمثل في مدى مصداقية الأرقام التي يتم التصريح بها. الشيء الذي يسيء لصورة المغرب، والجدير بالذكر أن هذا التباين لا يرتبط فقط بهاتين المؤسستين بل إنه ظاهرة عامة تكاد تمس كل المؤسسات. وفيما يلي النسب المقدمة من طرف كل مؤسسة في الموضوع:

- نسبة الربط بالماء الصالح للشرب سنة 2015 حسب المكتب الوطني للماء والكهرباء بالنسبة للعالم القروي هي: 90% وطنياً أي ما يعادل 5.3 مليون نسمة يحصلون على الماء من خلال إيصاله إلى المنزل. النسبة حسب المندوبية السامية للتخطيط والتي، بالمناسبة/ تدقق في الأمر وتحدث عن الربط الفردي ولا تعمم كما فعل المكتب الوطني للماء والكهرباء، بلغت فقط: 37.8% وهو معدل الربط الفردي بالماء الشروب في الوسط القروي سنة 2015.

(189) بالنظر إلى ارتفاع معدلات الهشاشة الاجتماعية بالمناطق القروية، اعتمد المكتب الوطني للكهرباء والماء الصالح للشرب نظام تسهيلات في الأداء لفائدة الأسر يتجلى في: دفع مبلغ 500 درهم على سبيل التسبيق من طرف كل أسرة قبل انطلاق المشروع، على أن يتم دفع تسبيق ثان قدره 500 درهم عند انجاز البرنامج، وأخيراً دفع مبلغ 2500 درهم المتبقي عند الربط عن طريق الإيصال الفردي أو على دفعات فدت تصل لمدة 7 سنوات بسعر فائدة قدره 5%، لكن رغم كل هذه التسهيلات فإن عددا كبيرا من الأسر لم تستطع... بعد أن تستفيد من الربط الفردي بالماء، وهو ما يبرز حجم الهشاشة التي تعيشها هذه الفئات لاسيما تلك التي تعيش في دواوير بعيدة عن التجمعات السكانية والتي هي مطالبة بتحمل تكاليف إضافية في حالة رغبت في الاستفادة من الربط بالماء الصالح للشرب.

الشكل رقم 63: نسبة الربط الفردي بالماء الشروب حسب المستوى الاقتصادي
بعالية نفيس



المصدر: البحث الميداني 2019-2020

إن ما يزيد من ضعف نسبة الساكنة التي تمكنت من الربط الفردي بالماء الصالح للشرب هو تكلفة بيع الماء والتي تعادل نفس التكلفة المطبقة في المجال الحضري (البرلمان المغربي، 2016)، وهو ما يطرح أكثر من سؤال حول المنطق المعتمد في مجالات قروية وذات أنشطة اقتصادية محدودة لكن تفرض عليها نفس تكلفة بيع الماء السائدة بالمجال الحضري، الشيء الذي يدفعنا إلى التساؤل حول ما إذا كان هذا البرنامج قد نجح في تحقيق أهدافه التي كان من أبرزها العمل على تحسين ظروف العيش لساكنة العالم القروي التي تتجاوز اليوم 12.6 مليون نسمة، لكن هذا البرنامج شكل أحد الأسباب التي دفعت بعدد كبير من السكان إلى الهجرة نحو المدن بهدف البحث عن الموارد المالية الكفيلة بتأدية كل هذه المصاريف المستحدثة سواء الناتجة عن التزود بالماء أو الكهرباء.

مما لا شك فيه أن برنامج تزويد العالم القروي بالماء الصالح للشرب حقق العديد من الأرقام الإيجابية التي ساهمت إلى حد كبير في فك العزلة عن العالم القروي وتمكينه من الموارد المائية وبالتالي تحسين ظروف عيش فئة كبيرة من سكان العالم القروي، لكن هذا لا ينفي وجود العديد من الاختلالات التي تؤثر سلبا على تحقيق الأهداف التي تم تحديدها لهذا البرنامج منذ انطلاقه سنة 1995⁽¹⁹⁰⁾، وفي مقدمة هذه الاختلالات:

(190) تمثلت الأهداف الثلاثة المعلنة للبرنامج المندمج لتزويد العالم القروي بالماء الصالح للشرب في: تعميم توفير الماء الشروب بالوسط القروي لفائدة 80% من الساكنة القروية في أفق 2010، إلى جانب ضمان استدامة خدمات التزويد بهذه المادة لفائدة ساكنة العالم القروي، وأخيرا ضمان جودة الماء

- ⊙ ضعف نسبة الولوج لخدمات التزود بالماء الشروب، حيث إن 28% من السكان لا يستفيدون بشكل كبير من هذا البرنامج وذلك لعدة أسباب يمكن تلخيصها في:
- ⊙ نقص في الموارد المائية بسبب تعاقب فترات الجفاف.
- ⊙ التزايد الديمغرافي السريع مع تراجع نسبة الموارد المائية المتاحة.
- ⊙ غياب الصيانة وتقدم التجهيزات، مما يؤثر على جودة المياه التي تتعرض بشكل كبير لمخاطر التلوث، في ظل غياب مناطق حماية عازلة حول نقاط المياه بالعالم القروي.
- ⊙ سوء التدبير، حيث أن الجمعيات المكلفة عادة بتدبير شبكات التوزيع والبالغ عددها أكثر من 7000 جمعية على الصعيد الوطني، تعيش عددا من الصراعات وسوء التدبير بسبب أن معظم من يسيرون هذه الجمعيات ذوو مستوى تعليمي متوسط وبالتالي فهم يفتقدون في الغالب إلى الطرق الحديثة في تدبير الجمعيات.

وأخيرا لابد من الإشارة إلى ضرورة إدراج ديمومة الخدمة وجودة المياه كركيزتين أساسيتين، وتعميم البرنامج المندمج لتعميم تزويد العالم القروي بالماء الشروب، وزيادة حصص الاستهلاك، إضافة إلى إدماج التطهير السائل، وحماية البيئة، ضمن أهداف البرنامج المندمج لتعميم تزويد العالم القروي بالماء الشروب التي لا تحظى بالأولوية، خصوصاً أن ارتفاع نسبة التزود بالماء ينتج عنه ارتفاع نسبة مياه الصرف الصحي في الطبيعة بشكل أكبر مما يساهم في ارتفاع نسبة التلوث بالمجالات القروية التي تعاني أصلاً من الهشاشة الطبيعية، حيث إن تعميم الولوج إلى الماء الصالح للشرب عبر السقايات الجماعية كهدف وحيد للبرنامج لم يعد ملائماً، للإشكاليات الراهنة للسكان القروية التي تطمح في معظمها إلى التوفر على ربط فردي، فضلاً عن كون سعر بيع الماء المطبق لا يأخذ بعين الاعتبار القدرة الشرائية للسكان القروية، وبالتالي يساهم في الحد من مستوى استهلاك الماء (البرلمان المغربي، 2016).

2.2. قطاع الكهرباء: تغطية شبه شاملة لكنها لا تعكس الواقع.

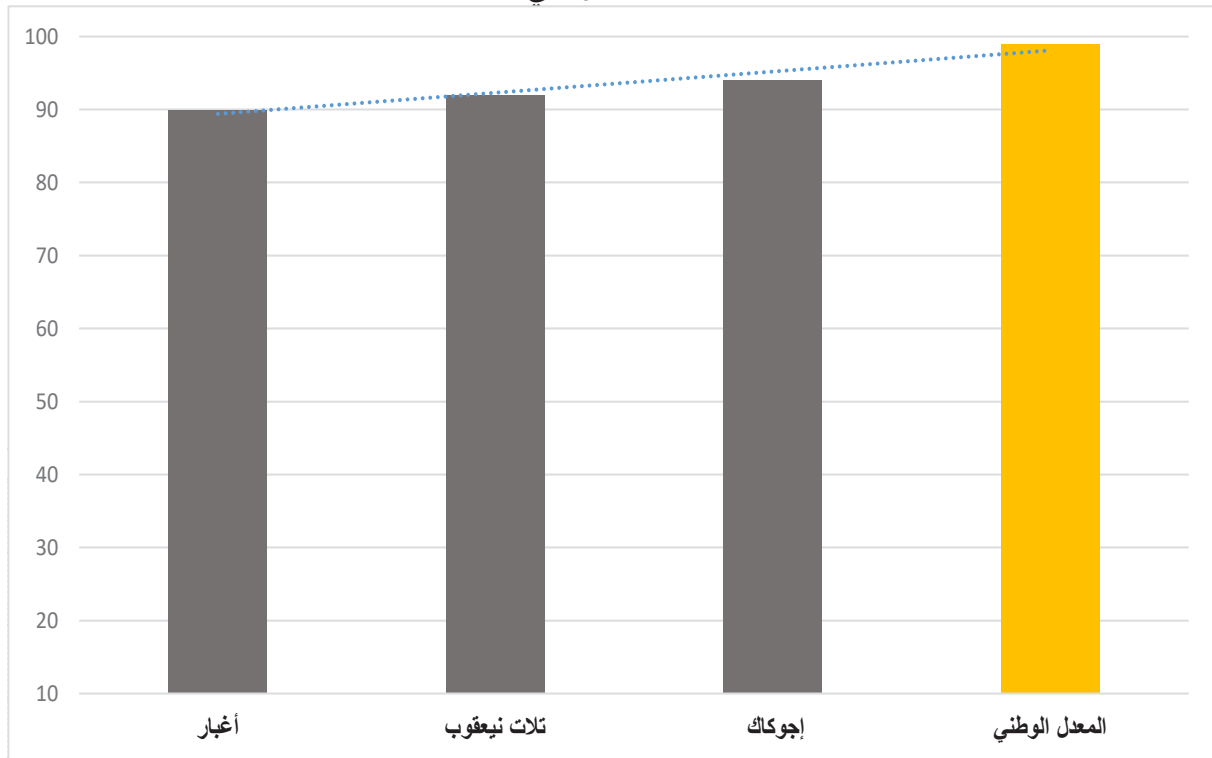
يؤكد دستور المملكة المغربية على ضرورة تمكين كل مواطن من الكرامة الإنسانية والتنمية المستدامة، على أساس قواعد الإنصاف والعدالة. ولاشك أن محاربة الفوارق المجالية وتحقيق التنمية، يركز بشكل أساسي على مدى تمكين العالم القروي من كل الوسائل والسبل الكفيلة بتحسين إطار العيش لسكانه تتجاوز 13 مليون نسمة، وفي هذا السياق عملت الدولة منذ الستينيات من القرن العشرين على اعتماد عدة برامج بهدف تقليص الفجوة بين المجال الحضري والمجال الريفي، وتعتبر برامج كهربة العالم القروي من أبرز هذه البرامج حيث تم اعتماد الكثير منها من قبيل البرنامج الوطني للكهربة القروية والبرنامج الوطني للكهربة اللامركزية (PPER) ثم البرنامج النموذجي للكهربة. ومع ذلك ظلت حصيلة مجموع السياسات

والمبادرات المنجزة إلى حدود عام 1995 دون الأهداف الأولية، حيث أن الكهرباء القروية شملت 520 قرية و 110,000 بيت، أي بمعدلٍ للكهربة القروية يناهز 18% مقابل معدلات كهربة المناطق القروية في الفترة نفسها بكل من تونس والجزائر ومصر، سجلت على التوالي 70%، 80% و 84% (مجلس النواب، 2016)، ليتم اعتماد برنامج أكثر شمولية تتحقق فيه الإرادة العمومية مع الواقع المعيش للسكان القرويين ابتداء من التسعينيات من القرن العشرين حيث تم إعطاء الانطلاقة الرسمية لبرنامج الكهرباء القروية الشمولي PERG، سنة 1996 والذي تم تحديد غلاف تنفيذه في 15 سنة ويهم تغطية 1000 دوار بالمملكة، وتساهم فيه كل الجماعات الترابية والمكتب الوطني للكهرباء إلى جانب الساكنة المحلية، الشيء الذي مكن من تحقيق تراكم كبير على مستوى تزويد العالم القروي بالكهرباء والذي انتقل من 18 % سنة 1995 إلى 99% سنة 2015.

هكذا يتضح إذن أن اعتماد سياسة الإنصاف المجالي والتراحي لإصلاح أعطاب العدالة المجالية من قبل الفاعل السياسي لتحقيق التوازن بين المدن والأرياف، يعتبر من بين الأهداف الأساسية التي يسعى برنامج كهربة العالم القروي إلى تحقيقها وذلك بالنظر إلى الدور الكبير الذي يلعبه الكهرباء في تحقيق التنمية وتحسين إطار عيش ساكنة العالم القروي بصفة عامة وعالية حوض نفيس بصفة خاصة باعتبارها من المجالات الجبلية التي راكمت مختلف مظاهر الهشاشة والتهميش على كافة المستويات والتي يعتبر السكن من أبرزها.

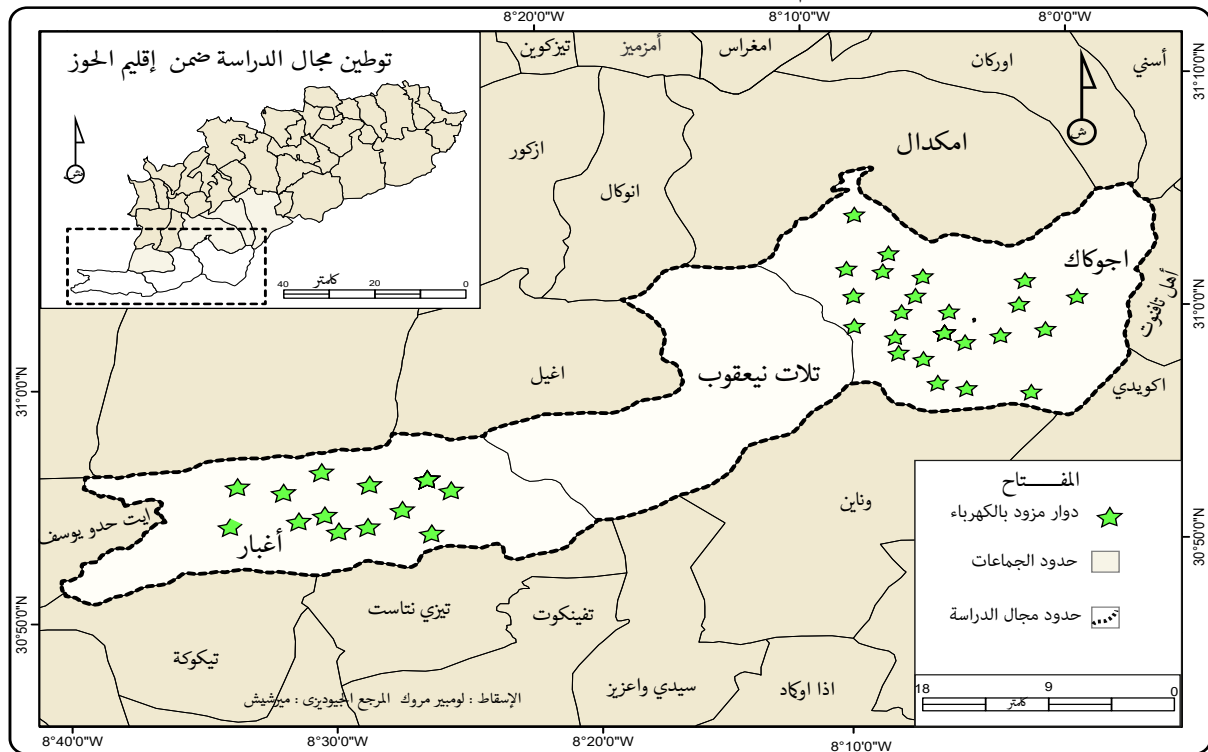
إن تبني خيار تزويد العالم القروي بالكهرباء كانت له نتائج إيجابية على المستوى الماكرو اقتصادي منذ انطلاقه سنة 1995، حيث ساهم في تنمية نسيج صناعة الطاقة بالمغرب، إلى جانب مساهمته بطريقة غير مباشرة في زيادة الناتج الداخلي الخام من خلال فك العزلة عن بعض المناطق وتيسير إحداث المقاولات وفتح مسالك جديدة للمبادلات التجارية؛ إذ انتقل الناتج الداخلي الخام من 317 مليار درهم في سنة 1995 إلى 982 مليار درهم في 2015 مدعوما بالأساس بقطاع الخدمات بـ 51,4% والصناعة بـ 32,2% والفلاحة بـ 16,5%، الشيء الذي كانت له انعكاسات إيجابية على مستوى تحسين مناصب الشغل في قطاع الكهرباء المنظم والذي تضاعف ثلاث مرات إذ انتقل من 11 ألف إلى 33 ألف منصب، جزء منها يعود الفضل في إحداثه إلى برنامج الكهرباء القروية الشمولي. (مجلس النواب، 2016). غير أن عالية حوض نفيس بشكل خاص وإقليم الحوز بصفة عامة رغم أنه استفاد بدوره من هذا البرنامج إلا هذا لا ينفي وجود العديد من الإكراهات على مستوى تزويد معظم السكان بالكهرباء، وهو ما يشكل عائقا أمام تنمية هذه المناطق، بل والحيلولة دون تحسين إطار عيش الساكنة المحلية الذي يعتبر من أبرز الأهداف التي يسعى هذا البرنامج إلى تحقيقه.

الشكل رقم 64: معدل الاشتراك الفردي في الكهرباء بعالية نفيس مقارنة مع المعدل الوطني



المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014

الشكل رقم 65: ربط عالية حوض نفيس بشبكة الكهرباء



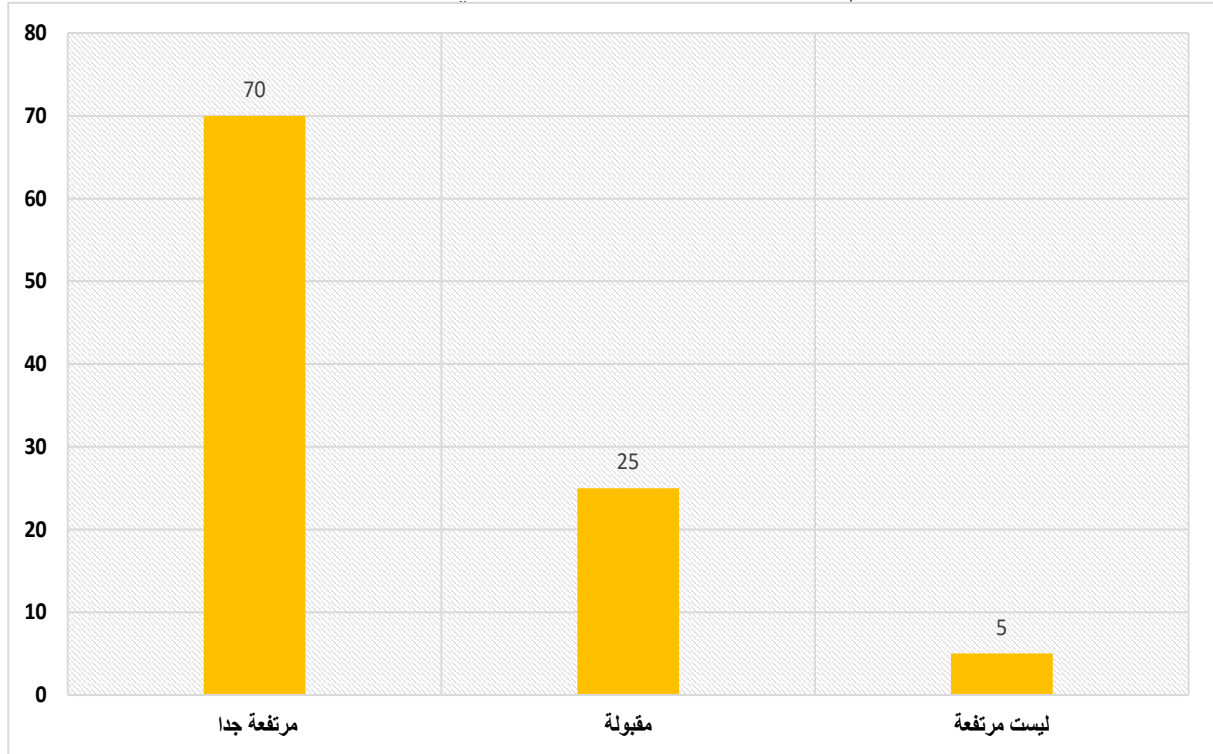
لاشك بأن المطلع على الأرقام المرتبطة بالربط الفردي بالكهرباء بالمنطقة المدروسة سيخرج بخلاصة مفادها أن الوضعية جيدة باعتبارها لا تختلف كثيرا عن الوضعية الوطنية ذلك أن أعلى نسبة فرق تم

تسجيلها في أعبار وهي لا تتعدى 9 % مقارنة بالمعدل الوطني.(90% بأعبار مقابل 99% وطنيا)، رغم وجود بعض الدواوير التي لازالت غير مرتبطة بشبكة الكهرباء كما هو الشأن بالنسبة لدوار «إيكيس» و « تاويريت » ونفس الشيء بالنسبة لبعض الدواوير في الجماعة الترابية اجوكاك لكن الحقيقة غير ذلك تماما لأن المقاربة المعتمدة في هذا التقديم هي مقارنة كمية تختزل وراءها حقيقة الواقع في مجرد أرقام، وإلا فبماذا نفسر اللجوء الكبير إلى مصادر الطاقة التقليدية بالمنطقة وخاصة الخشب؟ كما أننا نتساءل كذلك عن السر وراء الموقف السلبي للسكان من هذا الربط الذي اعتبرته نسبة مهمة منهم (70%) مرتفع التكلفة بالمقارنة مع مستوى عيش السكان حيث نسبة الهشاشة مرتفعة مقارنة مع باقي المجالات القروية (الشكل 66) ؟ هل حقيقة أن المسألة مسألة تكلفة مرتفعة لا يكاد يتحملها سكان المنطقة، أم أن هذا الحكم له علاقة بتمثل الساكنة لهذه الخدمة من الأساس؟ ثم ما نوعية هذا الربط هل هو شبيه بالذي نجده في المناطق الحضرية المغربية أم أنه من نوع الربط المسبق الدفع؟ في هذه الحالة نتساءل عن نسبة الأسر التي تعيد ملء عداداتها بانتظام؟

لابد من الانتباه إلى التضييل الذي قد تمارسه الأرقام على كل باحث عن حقيقة الوضع بالمناطق المعزولة والمهمشة بالقرى والأرياف المغربية عامة وبالمناطق على وجه التحديد. والحل هو البحث الميداني من أجل الوقوف على حقيقة الأوضاع والاتصال المباشر بالسكان المعنيين، حيث سنجد بأن الغالبية العظمى من هؤلاء لا تكاد تستفيد من هذا الربط إلا في بعض الأمور البسيطة بالنظر إلى حجم التجهيزات التي يتوفر عليها كل مسكن والتي تعمل بالطاقة الكهربائية؛ فباستثناء عملية الإنارة وأجهزة التلفاز والصحون المقعرة التي عوضت المذياع نسبيا في هذه المناطق، فإننا لا نكاد نجد أثرا لتجهيزات كهربائية أخرى كما هو الحال في المجال الحضري. هذا بالإضافة إلى استمرار تبني سلوك الندرة والتقصير المرتبطين بما أطلقنا عليه سابقا «ثقافة الفقر» حتى في مجال التعامل مع هذه الطاقة التي تعتبر نسبيا عنصرا دخيلا في هذه المجالات.

قد يعتقد البعض أن لغة الأرقام معبرة وكافية لتقييم مدى نجاعة برنامج كهربة العالم القروي، لكننا هنا لا نقلل من الأثر الإيجابي الذي خلفه هذا البرنامج على الساكنة والمنطقة عموما، لكن هذا لا يعني أن الساكنة تستفيد منه بشكل كبير، وهنا يكفي أن نشير إلى أن تعميم التعليم بالمغرب لا يعني بالضرورة أنه يحقق الجودة المطلوبة.

الشكل رقم 66: رأي الأسر بعالية نفيس في كلفة الربط بالكهرباء



المصدر: البحث الميداني 2018 - 2020

3. السكن لعالية حوض نفيس بين الهشاشة وضعف التجهيزات الأساسية

1.3. يتميز عالية حوض نفيس بهيمنة السكن القروي الهش

لقد عرف السكن لعالية حوض نفيس مجموعة من التحولات المتمثلة أساسا في الاهتمام المتزايد بالتنظيم المدني للمكان عوض التنظيم القروي، حيث تتحول البنية الأسرية من خلال الاحتكاك اليومي بالتنظيم المدني ومن خلال الاحتكاك بدلالاته الرمزية المتعددة نظرا للدور الذي يلعبه تنظيم الفضاء المنزلي في الإنتاج الاجتماعي وفي بروز قيم جديدة وكذا في تحديد المواقف، بل في إنتاج الإنسان⁽¹⁹¹⁾، فإن الساكنة القروية صارت تسعى إلى بناء مساكن تختلف عما كانت عليه في السابق، مجسدة إحدى مظاهر الرغبة في نقل نماذج معمارية موجودة في المدن. هذا النقل ساهم بشكل كبير في تنظيم الفضاء المنزلي، مع إعادة النظر في مجموع الدلالات الرمزية، والمضامين الاجتماعية التي كان يحملها القروي حول السكن. غير أن هذه الظاهرة جد محدودة بالنسبة لمجال نفيس (جدول 30) ولا سيما في الجماعات الترابية لأغبار واجوكاك حيث السكن التقليدي هو المهيمن والذي يمثل 97% و 95% على التوالي، على عكس الجماعة الترابية لتلات نيعقوب حيث السكن الحديث حاضر نسبيا، إذ يمثل ما مجموعه 23%. ويمكن تفسير هذا الاستثناء الذي تعرفه هذه الجماعة بكونها تمثل المركز في المنطقة وتتوفر على العديد من التجهيزات والخدمات العمومية كالمستوصف والبريد والثانوية الإعدادية وما يتطلبه ذلك من وجود طبقة

(191) زينب معادي،: الأسرة المغربية والتحولات المكانية»، الثقافة والتحولات الاجتماعية، أعمال الندوة المنظمة من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، منشورات عكاظ 1988، ص. 26

متوسطة وذات مستوى تعليمي مرتفع بالمقارنة مع باقي الجماعات التي يغلب عليها الطابع القروي والتي تسجل فيها أعلى نسب الأمية.

جدول رقم 30: طبيعة السكن المتواجد بعالية نفيس

الجماعات	سكن قروي	دار مغربية عصرية أو تقليدية	فيلا	اخر
أغبار	97	2,1	0,3	0,3
تلات نيعقوب	76,4	22,9	0,1	0,4
اجوكاك	94,7	4,8	0,2	0,3

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014

إن هيمنة السكن القروي الهش على بنية السكن بمجال الدراسة يطرح جملة من الإكراهات خاصة فيما يتعلق بمدى قدرة هذا النوع من السكن على مواجهة المخاطر الطبيعية التي تعيشها المنطقة لاسيما خلال فصل الشتاء حيث درجة الحرارة تنخفض إلى أدنى المستويات، مما يؤثر على هذا النوع من السكن.

2.3. يتميز السكن لعالية حوض نفيس بضعف تجهيزاته الأساسية

إن السكن لعالية حوض نفيس يعاني بشكل كبير من مختلف مظاهر الهشاشة ليس فقط على مستوى الوسائل المستعملة في بنائه، إنما يتجاوز الأمر ذلك إلى مستوى التجهيزات الصحية، وهو الأمر الذي يكرس انتشار مختلف الأمراض لدى ساكنة هذا المجال العطوب، سواء من الناحية الطبيعية حيث صعوبة الظروف الطبيعية، أو على المستوى الاقتصادي حيث محدودية الأنشطة الاقتصادية التي تتمركز حول النشاط الفلاحي ذي المردودية الضعيفة.

جدول رقم 31: نسبة الأسر المتوفرة على أهم التجهيزات لعالية حوض نفيس

الكهرباء	الماء	الحمامات	المرحاض	
90,2	95,6	27,2	86,1	أغبار
92,7	79,9	50,1	91,6	تلات نيعقوب
94	81,5	23,1	77,8	اجوكاك

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014

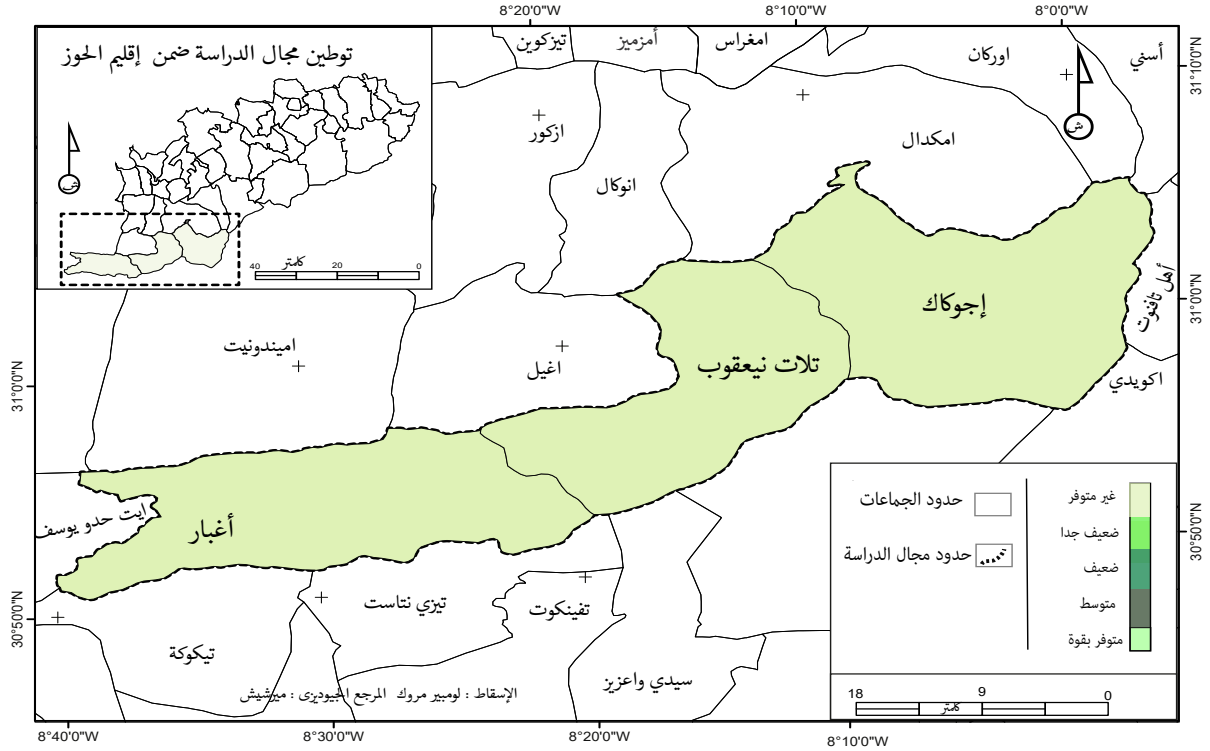
من خلال المؤشرات التي خلص إليها الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014، نلاحظ بشكل جلي أن معظم الأسر تتوفر على شبكة الكهرباء والماء. وهذا التطور يعزى بالدرجة الأولى إلى المجهودات التي بذلتها الدولة من أجل فك العزلة عن العالم القروي من خلال اعتماد عدة برامج كبرنامج PAGER وغيرها من البرامج الموجهة لفك العزلة عن العالم القروي. لكن مع ذلك نلاحظ من خلال (جدول 31) أن هناك تباينا واضحا بين الجماعات الترابية المشكلة لعالية حوض نفيس على مستوى التجهيزات؛ فبالنسبة للكهرباء يلاحظ أن معظم المساكن بالجماعات الثلاث ترتبط بالكهرباء مع وجود تباينات محدودة بينها،

حيث أن الجماعة الترابية « إجوكاك تحتل المرتبة الأولى من حيث معدل الربط الكهربائي بما مجموعه 94% مقابل 90% بالنسبة للجماعة الترابية أغبار و 93% بالنسبة لتلات نيعقوب، هذه الأخيرة التي تحتل المرتبة الأولى على مستوى باقي التجهيزات الأساسية وفي مقدمتها (أجهزة التلفاز، التلاجات...).

إلى جانب ضعف التجهيزات الأساسية فإن المنطقة تعاني على غرار باقي المناطق القروية في المغرب من إشكال حقيقي على مستوى التخلص من مياه الصرف الصحي، حيث أن نصف الأسر القروية فقط لديها خزان للصرف الصحي، بينما تعتمد نسبة كبيرة من الساكنة والتي تقدر بنحو 34 % على الطبيعة من أجل تصريف مياهها العادمة وهو الأمر الذي يطرح إشكاليات كبيرة على مستوى حماية هذه الأوساط الهشة، أما بالنسبة للفئة المتبقية فإنها تعتمد على آبار لتفريغ مخلفاتها وهو الأمر الذي يقتضي ضرورة التفكير في ربط العالم القروي بقنوات الصرف الصحي خاصة في المناطق التي تعرف كثافة سكانية مرتفعة كما هو الشأن بالنسبة للجماعة الترابية «تلات نيعقوب».

إن افتقاد هذه المجالات إلى قنوات للصرف الصحي (الشكل 67)، يعبر بشكل كبير عن حجم الهشاشة التي تعاني منها هذه المناطق التي ظلت مهمشة طيلة السنوات الماضية من مختلف البرامج التنموية التي لم تحقق النتائج المتوخاة منها، صحيح أن هذه المناطق عرفت تطورا ملحوظا في العديد من المؤشرات (الكهرباء، الماء...)، لكن وبالنظر إلى حجم الخصائص الموهول الذي عانت ولا زالت تعاني منه فإنها تحتاج في يومنا هذا إلى حلول جذرية لتجاوز هذا المشكل الذي لا يقتصر فقط على عالية نفيس بل يهم الحوز بصفة عامة دون استثناء.

الشكل رقم 67: خريطة وضعية الصرف الصحي بعالية حوض نفيس



المصدر: مكتب الدراسات ATLAS JOBS و البحث الميداني

4. آية علاقة بين هشاشة السكن الريفي وتدهور المجال الغابوي لعالية حوض نفيس

لأشك أن السكن الريفي يمثل محورا أساسيا واستراتيجيا في عملية التنمية الريفية، فالسكن الريفي يعتبر مدخلا من مداخل تثبيت السكان وضمان استقرارهم في هذه الأوساط الريفية. شريطة خلق الانسجام التام مع الوسط الطبيعي الذي يعيشون فيه. فالتنمية الريفية يمكن تعريفها بمجموع الإجراءات الاقتصادية الإنتاجية الرامية إلى رفع مستوى معيشة أهل الريف دون المساس في العمق بنمط عيش السكان وبمحيط عيشهم. لكن غياب هذه التنمية وتزايد الإكراهات التي يعيشها هؤلاء السكان تدفعهم إلى سلوكين اثنين على الأقل تكون لهما نتائج سلبية ووخيمة على المجال والإنسان بالمناطق الريفية عموما وبمنطقة عالية حوض نفيس خصوصا. فما هما هذان السلوكان؟

أ- السلوك الأول: يتجلى في إفراغ المنطقة من اليد العاملة الشابة والضرورية لأي فعل تنموي، ولأي إقلاع أو مشروع تنموي، مما يترتب عنه " بوار اجتماعي " عادة ما تترتب عنه نتائج وخيمة على اقتصاد المنطقة.

ب- السلوك الثاني: وهو الذي يهملنا أكثر في هذه الدراسة ويتجلى في زيادة الضغط على الموارد المحلية -وفي هذه الحالة الغابة- من أجل توفير بعض ضروريات العيش، حتى وإن كان ذلك على حساب تضرر وتدهور الأوساط الطبيعية والبيئية التي تتميز بحساسية مفرطة والتي شكلت على الدوام محيطا

طبيعيا لعيش هؤلاء السكان الذين وجدوا أنفسهم اليوم أمام مجموعة من التحديات والإكراهات التي زادت الهشاشة الاجتماعية من حدتها.

إن اتجاه ساكنة المجال الريفي المدروس نحو مزيد من الضغط على الموارد الغابوية، ليس مرتبطا فقط بهشاشة السكن، بقدر ما له علاقة بالوضع العام الذي يعيشه هؤلاء. معنى هذا الكلام أنه يصعب تجزئ الهشاشة أو تقسيطها باعتبارها واقعا مركبا يتدخل فيه الدخل والصحة والتعليم والسكن... كما أنها تنتج واقعا مركبا يصعب تناوله بشكل مباشر.

إلا أن هذا الفصل خصصناه للسكن الريفي لعالية حوض نفيس وفي إطار محاولتنا للوقوف على مدى تأثير المجال الغابوي بـ "السكن الريفي"، كمسكن وكطريقة ونمط للعيش وهكذا سنتناول هذه العلاقة من خلال الجوانب الآتية:

1.4. استغلال خشب الغابة في بناء وإنتاج السكن الريفي:

1.1.4. تعتمد الساكنة المحلية على خشب الغابة بنسبة كبيرة في بناء مساكنها

شكل الخشب على مر التاريخ، وسيلة أساسية لتشييد وإنتاج وبناء السكن في القرى كما في المدن، وأداة مهمة للتزيين والتأثيث بعد البناء. وعالية حوض نفيس لا يشكل استثناء من هذه القاعدة، إذ يعد الخشب في المنطقة أحد العناصر الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها في تشييد كل البيوت، كما يستعمل في إنجاز وتقوية الجدران، وفي جميع أنواع الأسقف... وفي صنع النوافذ والأبواب (Montagne R., 1927). وقد سبق وأشرنا إلى أن تشييد منزل واحد بالمنطقة يتطلب ما بين 100 و 300 قطعة خشبية حسب المساحة وعدد الغرف.

جدول رقم 32: علاقة طبيعة السكن باستغلال الغابة spss

Corrélations

	استغلال الغابة	نوع_السكن
استغلال الغابة	Corrélacion de Pearson	1
	Sig. (bilatérale)	,918**
	N	,000
		318
نوع_السكن	Corrélacion de Pearson	1
	Sig. (bilatérale)	,918**
	N	,000
		318

** . La corrélation est significative au niveau 0.01 (bilatéral).

المصدر: البحث الميداني 2019-2020

انطلاقاً من الجدول أعلاه، نلاحظ ان هناك علاقة وطيدة وذات دلالة احصائية بين نوعية السكن واستغلال الغابة حسب معامل ارتباط بيرسون حيث أن قوة الارتباط تصل إلى 0,918 وهو ما يوضح حجم تأثير الغابة كنتيجة مباشرة للضغط الذي يمارسه الإنسان على المجال الغابوي في إطار الإستغلال المفرط. حيث أنه لا يقتصر بناء المنازل وتزيينها على نوع واحد من خشب الغابة المجاورة لهؤلاء السكان، وإنما يتم تنويع الأخشاب تبعاً لتنوع الاستعمالات، فالقطع الخشبية التي يجب استعمالها في تسقيف البيت ليست هي نفسها المستعملة مثلاً في صناعة الأبواب أو النوافذ أو الزينة. وعموماً يمكن الإشارة إلى أهم الأصناف الغابوية التي يتم استغلالها من طرف الساكنة المحلية في بناء مساكنها ومنها:

جدول رقم 33: أهم الأصناف الغابوية المعتمدة في بناء المسكن لعالية حوض نفيس

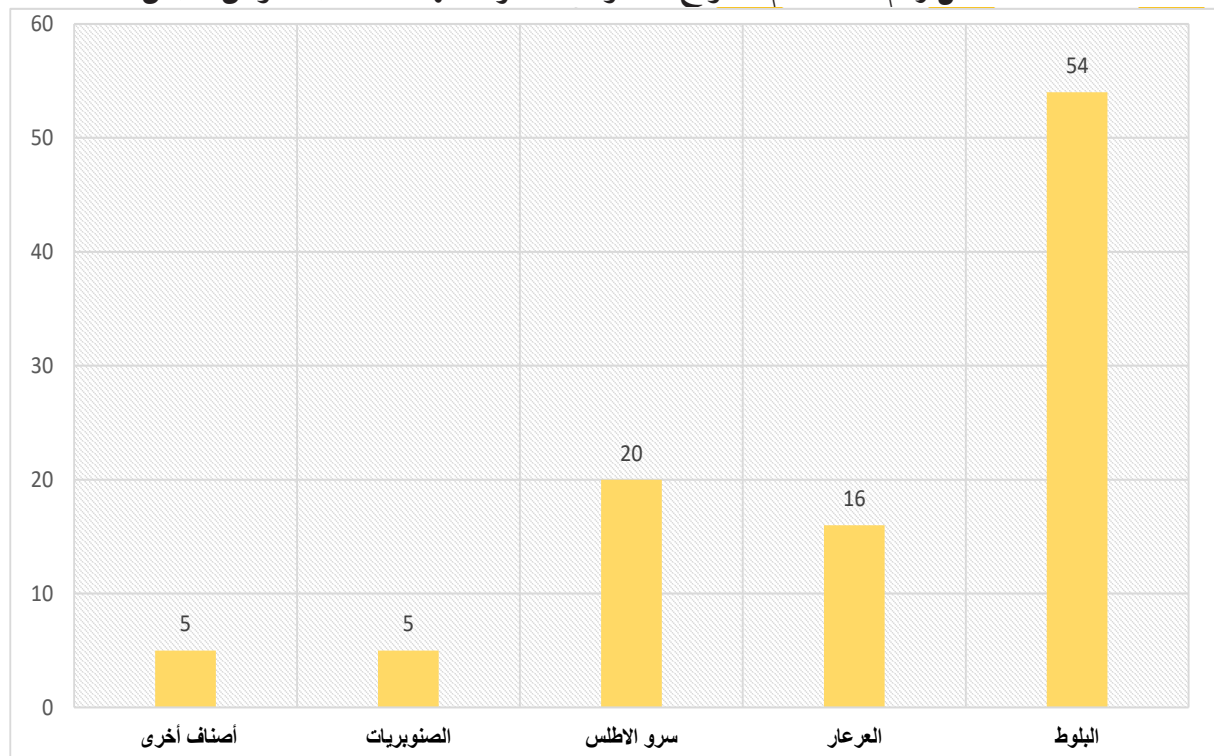
الصنف	النسبة %	معدل القطع المستعملة
سرو الأطلس	41	80-100
البلوط	18	20-60
العرعار	41	60-100

المصدر: البحث الميداني 2020-2018

يتضح من خلال الجدول بأن مسألة تأثير المجال الغابوي بسبب استعمال أخشابه في البناء أو في تشييد "السكن الريفي" عامة، هي حقيقة واضحة رغم كون هذه العملية قد لا تصل إلى مستويات ذات توتر عالٍ كما هو الشأن بالنسبة لتشييد السكن في المجال الحضري. لكن رغم ذلك فإن تشييد السكن

بالمجال المدروس، يؤدي بالضرورة إلى تدهور مجموعة من التشكيلات النباتية والشجرية (سرو الأطلس والعرعار، البلوط...) كما يتضح من خلال المبيان الآتي:

الشكل رقم 68: أهم الأنواع الغابوية الأكثر استهدافا لعلية حوض نفيس



المصدر: المصدر: البحث الميداني 2018-2020

القراءة الأولية للمبيان، تبرز بأن الغابة عامة، والأصناف الغابوية بشكل خاص، تتعرض لضغط واستغلال كبيرين. خاصة البلوط الأخضر الذي تقارب نسبة استغلاله 2/3 من مجموع أشجار غابة عالية حوض نفيس وذلك بحكم قابلية خشب هذا الصنف للاستعمال في عدة مجالات، وليس فقط في البناء. ثم يأتي العرعار في مرتبة ثانية بنسبة 30% ، وأخيرا سرو الأطلس بنسبة 8% ويمكن تفسير عدم استغلال سرو الأطلس بشكل كبير بالنظر إلى القدسية التي يتمتع بها لدى الساكنة المحلية باعتباره شجرا مقدسا ومباركا يجب الحفاظ عليه.

لكن ما يجب أخذه بعين الاعتبار أولا وقبل كل شيء هو أن هذه الأصناف تعاني في الأصل من التدهور والتراجع الكبير في مساحتها، مما يجعلها أوساطا هشة ومهددة بالانقراض، كما هو الشأن بالنسبة لصنف "العرعار" مثلا. هذه الملاحظة تجعل تأثر الغابة بقطع الأشجار مضاعفا، وإذا تأثر مزدوج.

خلصنا في الإحصائيات التي توصلنا إليها من خلال البحث الميداني وفي إطار المقابلات مع الساكنة المحلية إلى أن هناك تفاوتات في قطع الخشب المستعمل في بناء مسكن ريفي واحد باختلاف نوع الخشب المستعمل كما هو ممثل في المبيان الخاص بالأنواع المستعملة في البناء. وفي المتوسط تأكد لدينا

بأن تشييد منزل واحد قد يتطلب ما بين 300 و350 قطعة خشبية. بالرغم من كون كل هذه القطع لا تأتي بالضرورة عبر قطع خشب الغابة بشكل مباشر من طرف السكان أنفسهم، وإنما أحيانا عبر اقتناء هذه الأخشاب من بعض الأسواق المجاورة للمنطقة.

عموما فإن نسبة 43% من استعمالات الخشب في المنطقة، تخصص لبناء وتشييد المساكن الريفية، وهي نسبة كبيرة تقترب من 1/2 من مجموع استعمالات الخشب بالمجال المدروس. مما يؤكد على أن هذه العملية – أي بناء المساكن – ذات أهمية بالغة بالمنطقة رغم التحولات العميقة التي عرفت المنطقة من قبيل زحف أنماط البناء العصري (الاسمنت المسلح)، ورغم المراقبة الشديدة التي تقوم بها مصلحة المياه والغابات التي عملت على تحرير مجموعة من المخالفات الزجرية في حق الساكنة المحلية كما يتضح من خلال الشكل التالي:

جدول رقم 34: تطور عدد المخالفات المسجلة بغابة أغبار ما بين 2008-2014

السنوات	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014
عدد المخالفات	58	63	76	84	110	126	120

المصدر: مصلحة المياه والغابات بالحوز

يتضح من خلال المعطيات الواردة في الجدول أعلاه ان وثيرة المخالفات الزجرية المسجلة من طرف مصالح المياه والغابات عرفت تزايدا مطردا حيث انتقلت من 58 مخالفة سنة 2008 إلى 128 مخالفة سنة 2014 وهو الأمر الذي يوضح وبشكل كبير حجم الضغط الذي يتعرض له المجال الغابوي بعالية حوض نفيس ويعكس بالمقابل الاستغلال غير العقلاني للموارد الغابوية بالمنطقة . وتجدر الإشارة إلى أن معظم المخالفات المسجلة تهم أساسا القطع المتستر والعشوائي الذي يستهدف الخشب وموارد الغابة إلى جانب الرعي الجائر بالمقارنة مع باقي المخالفات من قبيل الترامي على الملك الغابوي وتقليص حدود الغابة والحرائق التي ما فتئت وثيرتها تسجل هي الأخرى ارتفاعا ملموسا حيث كان آخرها الحريق الذي عرفته تيزي نتاست في شهر ماي 2022 (الشكل 69).

الشكل رقم 69: جانب من حرائق الغابات بعالية حوض نفيس



المصدر: صفحة asif nfis على الفيسبوك بتاريخ 22 ماي 2022

2.1.4. قطع وجمع حطب التدفئة لعالية حوض نفيس يسرع من وثيرة التدهور

قد يقول قائل بأن استعمال الخشب في "البناء"، ربما تكون له علاقة بإشكالية هذا الفصل المتعلقة بعلاقة السكن الريفي بتدهور الموارد الغابوية، غير أن الجواب عن هذا اللبس في علاقته بعنوان هذا المقطع، هو أن "السكن الريفي" كمفهوم، لا يشمل فقط المسكن وإنما يتعداه إلى نمط ومحيط العيش، بما في ذلك المعيش اليومي للسكان. هكذا تتضح أهمية الاطلاع على مسألة القطع المتصلة بتوفير "الحطب".

إن جغرافية المجال المدروس، خاصة مناخه وتضاريسه، باعتباره مجالا جبليا يعاني من صعوبة الولوج ومن شدة البرودة في فصل الشتاء، تزيد من الضغط على المجال الغابوي قصد توفير خشب التدفئة وخشب الطهي. فقد أكدت بعض الدراسات الوطنية، على أن ما نسبته ما بين 80% و 98% من الاستهلاك الإجمالي للحطب في المغرب تتم على المستوى القروي. وبأن معدل الاستهلاك الفردي في هذه المناطق قد يصل إلى 512 كلغ/ للفرد/ السنة. أي 1,4 كلغ/الفرد/اليوم.

أما في المجال المدروس فإن هذه النسبة/ المعدل يرتفع بحكم ضعف استهلاك الغاز الطبيعي من قبل السكان بحكم التكلفة، وبالنظر أيضا إلى العادات والتقاليد كذلك، وأخيرا بحكم العزلة أحيانا والتي تحول دون استفادة الساكنة من هذه المادة، حيث نلاحظ من خلال الجدول أن الساكنة المحلية تعتمد بنسبة كبيرة على الحطب في مجال الطهي إذ تمثل هذه النسبة 72% مقابل 28% بالنسبة للغاز، وهو الأمر الذي

ينعكس بشكل سلبي على المجال الغابوي بالمنطقة لاسيما إذا علمنا أن نسبة الاعتماد على الحطب على مستوى التدفئة تناهز 97%، وهو ما يبرز حجم الضرر الكبير الذي يلحق بالغابة.

الجدير بالذكر أن نفس الأنواع المتضررة فيما يتعلق بالبناء وإنتاج السكن هي نفسها المتضررة فيما يتعلق بنمط عيش السكان، ونقصد: البلوط الأخضر والعرجار وسرو الأطلس. مع تسجيل ملاحظة مهمة بخصوص "سرو الأطلس"، فيما يتعلق بالتدفئة والطهي تتمثل في قلة استعماله في هذا الباب بحكم إفرازه لأدخنة قوية قد تؤثر على صحة الأطفال بالخصوص. إلا أنه مع ذلك يتعرض للتدهور المستمر. بل إن الأمر قد يصل في مجال قطع الحطب إلى استغلال الأشجار المثمرة كاللوز والجوز، مما يؤكد الحاجة الملحة إلى الخشب في هذه المناطق. فما هي الطرق والوسائل التي بواسطتها يتم الحصول على هذه الأخشاب؟

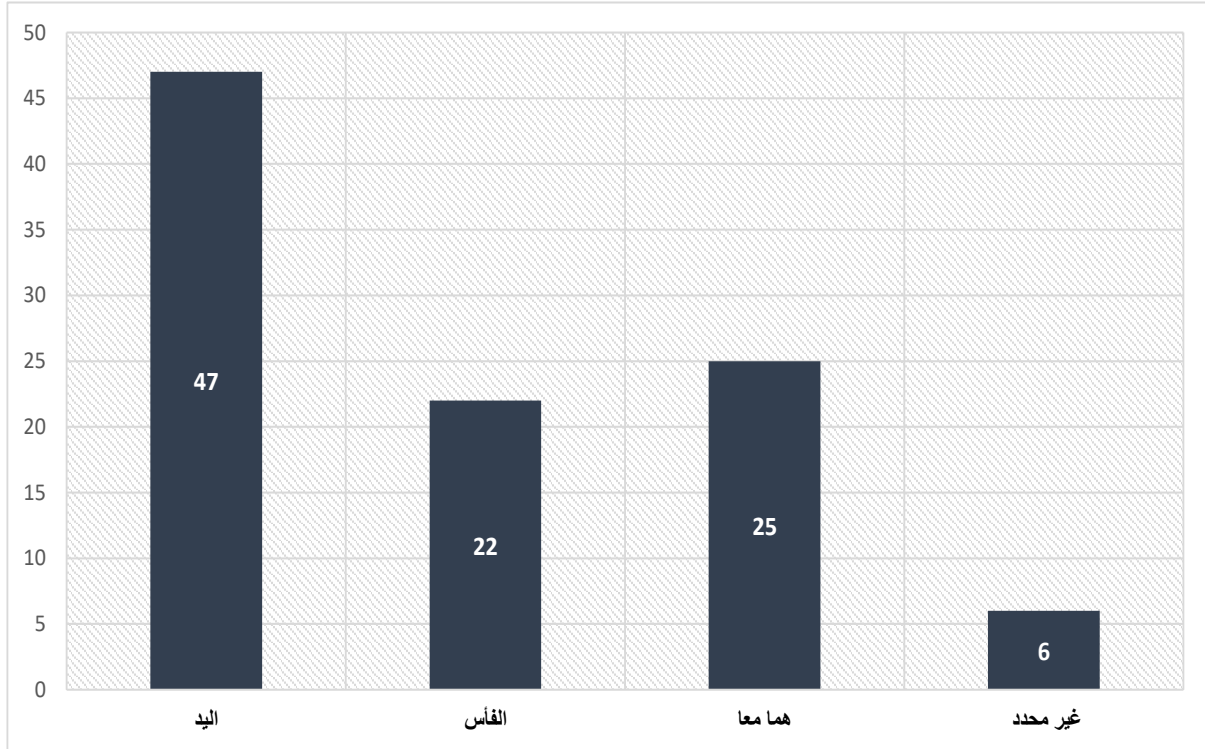
3.1.4. تعتمد ساكنة عالية حوض نفيس على عدة وسائل من أجل جمع وقطع

خشب الغابة

تعتبر مهمة الخروج إلى الغابة من أجل جلب الحطب أو العلف للماشية في المجتمعات الجبلية، مهمة تشترك فيها المرأة والرجل على حد سواء. ذلك أن النساء يقمن تقريبا بشكل يومي وعلى مدار السنة، بالخروج في جماعات كشكل من أشكال الأنشطة التي تعتبر متنفسا للمرأة القروية، وفضاء للحميمية ولنسج العلاقات والصدقات... من أجل جمع الحطب الصالح للطبخ وكذا بعض النباتات أو البراعم التي تتغذى عليها الحيوانات. وغالبا ما تقتصر هذه المهمة على المجالات القريبة من السكن، وعلى جمع الأغصان والأخشاب الميتة. لكن قد تضطر النساء إلى استعمال أدوات لقطع بعض الأشجار أو لتقطيع الأخشاب. أما الذكور فغالبا لا يتوجهون إلى هذه المهمة إلا من أجل قطع الأشجار، التي تتطلب قوة عضلية أو في حالة الحاجة إلى كميات كبيرة من الخشب لاسيما مع بداية فصل الشتاء، حيث يزداد الطلب على حطب التدفئة، أو من أجل قطع الأشجار الصالحة للبناء.

هذا التباين في المهام وفي الكمية التي يتم جلبها من الخشب، ينتج عنها بالضرورة اختلاف في الطرق والوسائل المعتمدة في الحصول على خشب الغابة، ومن أهم هذه الوسائل ما يبرزه الشكل التالي:

الشكل رقم 70: مبيان طرق جمع وقطع خشب الغابة بالنسبة %



المصدر: بحث ميداني 2018-2020

ملاحظة أولية للمبيان، توضح بأن الساكنة المحلية لا تستعمل وسائل متطورة أو خطيرة في قطع خشب الغابة، وإنما حافظت على نمط عيشها القديم المعتمد بالأساس على التقاط الأغصان الميتة بواسطة الأيدي بالنسبة لحوالي 47%، وهي نسبة تتجاوز النصف إذا أضفنا إليها النسبة الخاصة باستعمال اليد والفأس في الآن نفسه، والتي تمثل 25% بما يفيد وعي السكان بأهمية محيطهم البيئي وبضرورة الحفاظ عليه. في حين تبقى نسبة استعمال الفأس في قطع الأخشاب في حدود 5/1 من الوسائل المستعملة بما نسبته 22%. مع ما يقتضيه فهما لاستعمال الفأس كوسيلة بدائية وغير ذات تأثير كبير على وثيرة القطع. لكنها تؤثر على النوع بشكل كبير. هذا بالإضافة إلى أن التزايد الديمغرافي يولد بالضرورة زيادة عدد الفؤوس وزيادة الضغط، فكما هو معلوم ارتفعت أعداد الأسر بالمنطقة بشكل كبير حيث انتقلت من 2892 سنة 1994 إلى 3796 سنة 2014، فخلال العشرين سنة الأخيرة نسجل ما يلي:

يتضح من خلال (جدول 35)، أن ساكنة عالية حوض نفيس عرفت ارتفاعا ديمغرافيا مهما بشكل عام، رغم التفاوت بين الجماعات الترابية الثلاث، حيث أن جماعة ثلاث نيعقوب سجلت أعلى نسبة من التزايد الديمغرافي بفعل الزيادة الطبيعية للسكان من جهة واستقطابها لمهاجرين قادمين من جماعات أخرى بالنظر إلى البنات التحتية التي تتوفر عليها مقارنة مع باقي الجماعات، رغم التفاوت بين الجماعات الترابية من حيث النمو الديمغرافي. غير أن مجال الدراسة عرف نقلة ديمغرافية بتزايد السكان المستقرين، نظرا للبنية الاجتماعية التقليدية القبلية التي تطبع المجالات القروية بصفة عامة ومجال نفيس بشكل خاص

على اعتبار أنها بنية تشجع على الإنجاب، كما أن الخصائص السوسيو اقتصادية التي يتحكم فيها اقتصاد الندرة والارتباط بالاستعمال الجماعي للموارد، إلى جانب ارتفاع نسبة الأمية وضعف استعمال وسائل تنظيم النسل وتدني الدخل. كلها عوامل تفسر ارتفاع معدلات الخصوبة الكلية والحفاظ على وثيرة النمو المتزايد لاسيما وأن الساكنة القروية تتعامل مع الشباب كطاقة عمل يمكن استثمارها في المستقبل بهدف مواجهة متطلبات الحياة.

جدول رقم 35: التزايد الديمغرافي لعالية حوض نفيس ما بين 1994-2014

السنوات	1994	2004	2014
الجماعات الترابية			
أغبار	633	823	909
تلات نيعقوب	1266	1494	680 1
اجوكاك	993	1100	207 1
المجموع	2892	3417	3796

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنوات 1994-2004-2014

4.1.4. يستهدف جمع الحطب لعالية حوض نفيس مجالات متعددة

نقصد بالمجالات الوضعية العقارية والقانونية للأرض المستهدفة في أنشطة السكان الخاصة بجمع الحطب والأخشاب وغالبا ما تتراوح هذه الوضعية:

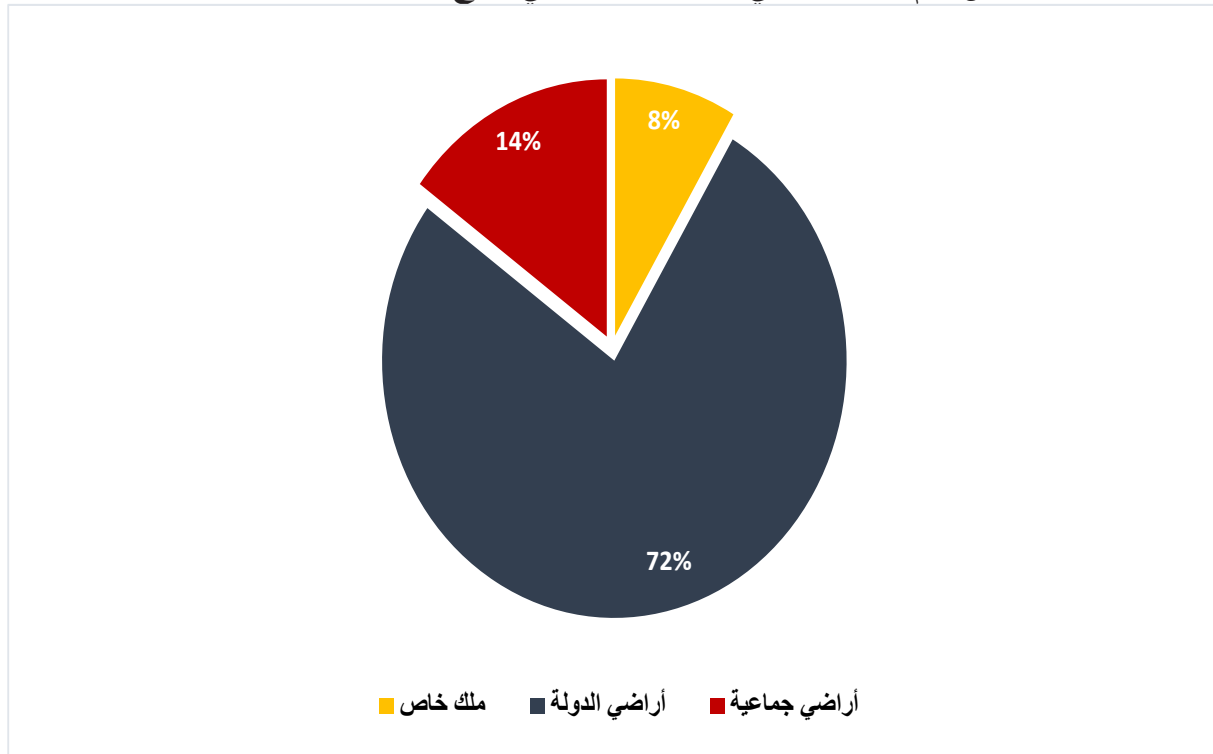
⊙ أراضي الملك الخاص

⊙ أراضي جماعية

⊙ أراضي الدولة

تستهدف النساء اللائي يقمن بجمع الأخشاب والحطب وأغصان علف الماشية في الغالب الأراضي الخاصة، أي التابعة للأشخاص، (الأسرة الصغيرة أو الكبيرة)، وأحيانا الأراضي الجماعية التي تكون تحت تصرف الجماعة أو القبيلة. غير أن جمع الأخشاب وقطع الأشجار، غالبا ما يتجه في شكله الأكثر تواترا إلى أراضي الدولة، التي تبقى هي المتضرر الأكبر من هذا النشاط رغم جميع أشكال التدخل والزجر. ورغم تعدد المقاربات التي اعتمدتها هذه الأخيرة من أجل خلق نوع من التوافق مع الأهالي. هكذا نجد بأن هنالك تفاوتات واضحة في توزيع الأراضي المستهدفة بجمع أو قطع الأخشاب، كما هو مبين في الشكل الآتي:

الشكل رقم 71: الأراضي المعتمد عليها في جمع الحطب لعالية حوض نفيس



المصدر: بحث ميداني 2018-2020

انطلاقاً من (الشكل 71)، يتضح بأن "أراضي الدولة" تتأثر بنسبة 72% من نشاط جمع أو قطع الحطب بمنطقة عالية حوض نفيس . تليها الأراضي الجماعية بما مجموعه 14%، في حين أن أراضي الملك الخاص تبقى مستغلة بشكل محدود وضعيف نسبياً حيث لا تتعدى 8%. والجدير بالذكر أن معظم الأراضي الخاصة عرفت تزايداً سريعاً في فترة تحديد الملك الغابوي الذي يوجد في ملكية الدولة حيث استحوذت الساكنة المحلية على أجزاء من أراض كانت في الماضي غابوية في ملكية القبيلة، غير أن مساحتها جد صغيرة بسبب عدة عوامل وفي مقدمتها الإرث، الشيء الذي يدفع بهذه الساكنة إلى استهداف الغابة باعتبارها ملكاً عاماً لا ضير في استغلاله، وهو ما يعبر عن نوع من التناقض، وعن سيكولوجية الإنسان المغربي الذي يستهدف كل ما هو عام، على عكس الملك الخاص الذي يسعى إلى الحفاظ عليه.

خلاصة الفصل

خلاصة القول نستنتج أن تدهور المجال الغابوي لعالية حوض نفيس يرتبط إلى حد كبير بالاستغلال غير المعقلن لهذا المجال الذي يكتسي أهمية بالغة بالنسبة للسكان المحلية بالنظر إلى الوظائف التي تقوم بها الغابة سواء على المستوى السوسيو-اقتصادي أو على المستوى البيئي، هذا الأخير الذي عرف اختلالا مهما في العقود الأخيرة كنتيجة مباشرة للضغط على المجال الغابوي بما فيها استغلال هذه الأخيرة من أجل تشييد المساكن القروية التي تستهلك جزء مهم من خشب الغابة أو فيما يتعلق بمتطلبات التدفئة... لذلك لا بد من اعتماد مقاربة تنموية جديدة تأخذ بعين الاعتبار إكراهات وخصوصيات المناطق الجبلية التي تحتاج إلى تمييز إيجابي وليس فقط للأصناف المجالي الذي تراهن عليه سياسة الدولة في السنوات الأخيرة رغم أن هذا الخيار تواجهه العديد من العراقيل عند تنزيله وفي مقدمتها الطبيعة البيروقراطية للمسؤولين على كافة المستويات. وهو ما ينبغي تجاوزه إن كانت لدينا فعلا قناعة والتزام حقيقيين تجاه ساكنة العالم القروي. فإلى أي حد سينجح النموذج التنموي الجديد الذي تراهن عليه بلادنا من أجل كسب تحديات الألفية الثالثة وبالتالي تمكين مكونات المجتمع المغربي من نفس الحظوظ للاستفادة من ثمار التنمية المنشودة؟

خاتمة الباب

في هذا الباب نجد أنفسنا في ما يصطلح عليه بـ «مغرب الهامش» حيث وقفنا على حجم التأخر في مجال التنمية بمفهومها الشامل. لكن وقفنا قبل ذلك على حجم المجهود الذي ينبغي بذله على مستوى البنيات الثقافية التي لازالت إلى حد اليوم بنيات تقليدية تنعكس لا محالة على السلوكات والبنى الإنتاجية بالمنطقة. نحن لا نبرر هنا حجم التخلف في التنمية بخصوصية ذاتية ترتبط فقط بالسكان، غير أننا نؤكد على أهمية وضرة المدخل الثقافي في معالجة المشكل الاجتماعي والتنموي.

صحيح أن الخصوصيات الاجتماعية المرتبطة بـ: التعليم والصحة والسكن والدخل... أي بمدخل التنمية البشرية تبقى ذات دلالة على حجم العطب السوسيو تنموي لعالية حوض نفيس كمجال جبلي ، لكنها كذلك دليل على حجم التباينات بين مغرب المركز - الذي يحتضن أعطابه السوسيو تنموية هو الآخر - ومغرب الهامش، وتأكيد على تلك النظريات والأطاريح التي تتحدث عن مغرب يسير بسرعتين . رغم أن الأمانة العلمية تقتضي منا الاعتراف بحجم الجهود المبذولة من طرف الجهات الرسمية لتغيير هذه المؤشرات على أرض الواقع. وهو الامر الذي جعلنا أمام عدة إشكالات من أبرزها مبررات وعوامل فشل ترجمة حجم المجهودات التي تبذلها الدولة من أجل التنمية على أرض الواقع ؟ ليس فقط في عالية حوض نفيس، وإنما أيضا في مختلف المناطق الجبلية بالمغرب؟

خلاصة هذا الباب ، هي أن العطب الاجتماعي ثابت في مجال عالية حوض نفيس، وهو عطب مركب يلامس مختلف جوانب التنمية الشرية في مفهومها الشامل : من تعليم وصحة ودخل وسكن... بل إننا عمقنا الدراسة في مجال الصحة أساسا لنصل إلى نتيجة نعتبرها ذات دلالة وتفسر باقي مكونات معادلة التنمية بالمطقة ألا وهي: أهمية ودور البنيات الثقافية التقليدية المتحكمة في مختلف السلوكات والبنى الإنتاجية. ليبقى فقط أن نتساءل عن العلاقة التي يمكن أن تربط بين الهشاشة الاجتماعية والعطب الطبيعي الذي توصلنا إليه في الباب الأول وبين تدهور وتراجع المجال الغابوي لعالية حوض نفيس؟

الباب الثالث: مظاهر تدهور المجال الغابوي لعالية حوض نفيس وآفاق التنمية المستدامة بالمنطقة.

مقدمة:

قد يتساءل الكثيرون عن العلاقة التي يمكن إيجادها بين العناصر الثلاثة المكونة لعنوان هذا الباب، ونقصد الهشاشة الاجتماعية والمجال الغابوي والتنمية. فإذا أمكن القول بأن علاقة الهشاشة الاجتماعية بالتنمية المستدامة واضحة، فإن علاقتها بتدهور الموارد تحتاج إلى مزيد من التوضيح، وهي الغاية التي سيعمل هذا الباب على إبرازها من خلال إبراز مختلف مظاهر العلاقة التي يمكن أن توجد بين وضع اجتماعي يتصف بالهشاشة، ووضع طبيعي عنوانه التدهور عامة وتدهور المورد الغابوي على وجه الخصوص. إنها الثنائية التي تدرسها الجغرافيا الحديثة والمعاصرة: أي ثنائية المجال بمفهومه الجغرافي الواسع، والإنسان، في أفق الوقوف على الاختلالات الكبرى التي تعترى هذه العلاقة من جهة وفي سبيل المساهمة في معالجة المشاكل المجالية عبر التنمية المستدامة كأفق وكغاية لأي عمل رصين يساهم به الجغرافي في مسار البحث الأكاديمي الفعال.

إن الهشاشة كمظهر اجتماعي في عالية حوض نفيس لا يمكن فصلها عن المورد الطبيعي الأساس في المنطقة، ونقصد به الغابة التي كانت ولا تزال فضاء ووسطا للعيش بالنسبة لسكان المنطقة. بل إنها تحولت مع الوقت وعمق العلاقة بينها وبين السكان في المجال المدروس، إلى نمط للعيش. لذلك لا يمكن نفي علاقة التأثير والتأثر القائمة بين هذين المكونين. أما التنمية المستدامة فهي ورش آخر قائم بذاته ويرتكز على مجموعة من الشروط الموضوعية التي لا بد من توفيرها أولا، سواء على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثقافي... وأيضا على مستوى الإرادة السياسية الحقيقية لتحقيق التغيير. خلاصة القول، إن سلامة المورد الغابوي رهينة بسلامة الوضع السوسيو-اقتصادي للسكان المحلية، ثم بعد ذلك يمكن الحديث عن التنمية.

الفصل الأول: المجال الغابوي لعالية حوض نفيس : خصائصه وديناميته ومظاهر تدهوره

مقدمة

سنشتغل في هذا الفصل على المجال الغابوي لعالية حوض نفيس، وسنعمل على إبراز مختلف الخصائص المميزة لهذا المورد على مستوى الحجم والمساحة والتنوع البيولوجي، مع العمل على مقارنة واقع هذا المورد اليوم بما كان عليه في الماضي القريب منذ الربع الأخير من القرن الماضي من أجل الوقوف على الثابت والمتحول في هذا المجال.

فمما لا شك فيه أن هذه الموارد الطبيعية شهدت ولا تزال دينامية سريعة أدت إلى العديد من التغيرات التي - للأسف - تتجه كلها اتجاهها سلبيا يمكن تلخيصه في مقولة التدهور. هذا التدهور، سنحاول تشخيصه عبر الوقوف على مختلف مظاهره الكبرى وتجلياته سواء الكمية أو النوعية، بغاية توفير قاعدة من البيانات التي سنشتغل عليها فيما بعد. كما يمكن أن يشتغل عليها أي باحث من أجل التفسير كمرحلة أولى ثم اقتراح الحلول والبدائل الممكنة في مستوى ثان.

1. يتميز عالية حوض نفيس بثروة غابوية غنية ومتنوعة:

1.1. تتجلى أهمية الغابة على عدة مستويات

حسب المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر، فإنه لا يوجد هناك بلد بإمكانه تقديم مشهد متنوع من الناحية البيئية في رقعة جغرافية محدودة، حيث تتواجد المناطق الباردة إلى جانب فضاءات المناخ الجاف والصحراوي، ثم مناطق الثلوج في الجبال التي يتجاوز علو بعضها 4 آلاف متر، فضلا عن المجالات الرطبة مثل المغرب. فالرصيد المغربي من التنوع الإحيائي يجعله يحتل المرتبة الثانية في منطقة البحر الأبيض المتوسط بعد منطقة الأناضول التركية، مع معدل توطن إجمالي يصل 20%. وسنقتصر في هذا الباب على جانبين فقط من الجوانب التي تبرز أهمية الغابة المغربية عموما، وهما الجانب الإيكولوجي والجانب الاقتصادي، لننتقل فيما بعد إلى أهمية الغابة بمنطقة عالية حوض نفيس.

1.1.1. الأهمية الإيكولوجية:

تشكل الغابة عنصرا أساسيا ضمن الثروة الإيكولوجية المغربية على اعتبار أنها تحتضن ثلثي الأصناف النباتية، إلى جانب ثلث الأصناف الحيوانية. بل ويعتبر المغرب أحد البلدان التي تتمتع بأصالة ثرائها البيولوجي، والبيوجغرافي، حيث تمتد التشكيلات الغابوية المغربية على مساحة تصل تقريبا إلى 9037714 هكتارا. وتمتاز هذه المجالات الغابوية بثراء وتنوع أصنافها النباتية وتنوع مجالات استعمالها.

غير أن الموارد الطبيعية التي يتوفر عليها المغرب، حتى وإن كانت ذات جودة عالية، فإنها تعاني من الهشاشة، كما أنها غير محمية بما فيه الكفاية، ومن ثم فإن رهان حماية الأوساط الطبيعية يعد رهانا حاسما. فالمغرب مطالب بمواجهة ظاهرة التصحر التي أصبحت بفعل التغيرات المناخية على الصعيد الكوني، الخصم الرئيس للجهود المبذولة من أجل حماية الموروث الطبيعي.

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن 93 % من التراب الوطني مهددة بالتصحر وفقا للمعطيات الصادرة عن المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر. ويصل معدل التشجير نسبة 8 %، ويتفاوت هذا المعدل بين منطقة وأخرى، حيث يبلغ نسبة 42 % في الريف، و 22 % في الأطلس المتوسط، و 3 % فقط في المناطق الجنوبية.

ومن أجل تثمين الموروث الغابوي الوطني، فإن المغرب أطلق منذ عقود نظاما للفضاءات المحمية يضم نظاما إحيائية فريدة وممثلة للتنوع البيولوجي للبلاد؛ فمن سنة 1942 حتى 2006، ثم خلق تسع منتزهات وطنية وهي: توبقال (1942)، وتازكا (1950)، وسوس ماسة (1991)، وإيريكي (1994)، وتلسمتان (2004)، وإفران (2004)، والأطلس الكبير الشرقي (2004)، والحسيمة (2004)، واخنيفيس (2006)، حيث تصل المساحة الإجمالية لهذه المنتزهات إلى 606 آلاف من الهكتارات.

وقد حدد المخطط الإداري للفضاءات المحمية الذي وضع سنة 1996 ما مجموعه 154 موقعا ذات قيمة بيولوجية وإيكولوجية، وهي تمثل تقريبا مجموع النظم الإحيائية الطبيعية في المغرب، حيث اقترح المخطط تصنيف مجموعة من هذه الفضاءات كمنتزهات وطنية. وعلاوة على شبكة المنتزهات الوطنية، فإن المغرب يمتلك ثلاث محميات للمحيط الحيوي تجمع بين الاستغلال المستدام لثرواتها من جهة، وحماية التنوع الإحيائي الخاص بهذه المحميات من جهة ثانية. ويتعلق الأمر ب:

- ⊙ المحمية الحيوية للمحيط الحيوي للأركان ؛
- ⊙ المحمية الحيوية للوحدات في الجنوب المغربي ؛
- ⊙ المحمية الحيوية القارية للمتوسط ؛
- ⊙ مشروع رابع يتعلق بمحمية الأرز في الأطلس المتوسط.

كما تحتوي الغابات المغربية على ثروة غنية على الصعيدين الحيواني والنباتي، حيث تم تحديد حوالي 40 من النظم الإحيائية الأرضية التي تحتوي على أزيد من 4 آلاف صنف نباتي، وحوالي 550 صنف من الفقريات، وحوالي ألف صنف من اللافقاريات.

وتتكون الغابات المغربية من أصناف مختلفة من الأشجار والنباتات من ضمنها على الخصوص شجر البلوط بمختلف أصنافه، والأركان، والخروب، والفلين، والصنوبر الحلبي والبري، والأكاسيا، وغيرها

من الأشجار، منها ما يتأقلم مع الجو البارد كما هو الحال في الجبال والمرتفعات، ومنها ما يقاوم حرارة المناخ كما هو الحال بالنسبة للأركان وغيره من الأشجار التي تنمو في المناطق الجافة وشبه الجافة، علاوة على الانتشار الواسع لشجر النخيل في الواحات بجنوب المملكة.

2.1.1. الأهمية الاقتصادية:

وعلى المستوى الاقتصادي، فإن القطاع الغابوي يدر دخلاً سنوياً بقيمة مالية تصل إلى حوالي 7 مليارات درهم، من دون احتساب الخدمات البيئية التي تبقى لحد الآن غير خاضعة للتقييم، لفائدة الساكنة المنتفعة من هذه الفضاءات، والتي تمثل حوالي نصف الساكنة القروية المغربية. (عمر عاشي، 2019)

وتمثل الغابات ثروة مهمة تصل إلى 8 % من مساحة التراب الوطني. وتصنف هذه النسبة المغرب من أفضل الدول الجنوب المتوسطية غابياً، علماً أن 91 % من أراضيه جافة إلى شبه جافة. كما يوفر القطاع الغابوي حوالي 10 ملايين يوم عمل سنوياً في العالم القروي، و28 ألف وظيفة في المقاولات، و14 ألف وظيفة في مجال التحويل، و26 ألف فرصة عمل في جمع الخشب.

وتساهم الغابة المغربية بمداخل مهمة للسكان القرويين والجماعات المحلية، تقدر بأكثر من 5 مليار درهم سنوياً، عن طريق الاستغلال المباشر وفق حقوق الانتفاع، من خشب وحطب التدفئة ورعي المواشي. كما تساهم بنحو 2 % من الناتج الداخلي الزراعي، و 0,4 % من الناتج الداخلي الوطني. وهذه المساهمة لا تأخذ في الاعتبار سوى قيمة الاستهلاك المباشرة في إطار سلاسل الإنتاج المنظمة للسوق الوطنية، أما إذا أخذت في الاعتبار المداخل المباشرة للسكان المجاورين للغابات، فيمكن تقديرها بنحو 10 % من الناتج الداخلي الزراعي.

وتصل قيمة المواد الغابوية، ومشتقاتها التي يستوردها المغرب إلى 5,5 ملايين درهم. وتبقى الصادرات في هذا الباب محدودة، إذ تقتصر على عجين الورق، والفلين، بقيمة 1,3 ملايين درهم، وبذلك لا تتجاوز نسبة التغطية 23%.

وتشكل الغابة ثروة اقتصادية، إذ تنتج سنوياً 600 ألف متر مكعب من خشب النجارة، والصناعة بنسبة 30 % من الحاجات الوطنية، و10 ملايين متر مكعب من حطب التدفئة بنسبة 30 % من الحصة الطاقية، و 1,5 بليون وحدة علفية سنوياً بنسبة 17 % من حاجات القطيع الوطني، فضلاً عن منتجات مختلفة تتضمن 15 ألف طن من الفلين، و4000 طن من العسل. لكن حجم الاستنزاف الذي يتعرض له هذا المجال الطبيعي يتفاقم باستمرار بفعل عوامل طبيعية وبشرية كالرعي الجائر، والقطع غير القانوني للأشجار، والهجمات الطفيلية، إضافة إلى العوامل المناخية.

وعلى هذا الأساس سوف نقف عند مجموعة من المشاكل التي تعاني منها الغابات المغربية، وكذلك بعض الإجراءات والمخططات التي اعتمدتها الدولة من أجل تأهيل المجالات الغابوية الوطنية خلال الثلاث عقود الأخيرة من التنمية المحلية. تبقى هذه إذن بعض أهم مظاهر أهمية الغابة المغربية بصفة عامة على الصعيدين الإيكولوجي والاقتصادي على الأقل، ليبقى السؤال عن مدى أهمية الغابة بمنطقة عالية حوض نفيس؟

2.1. تنسم المعطيات الفيتوجغرافية بتنوع التشكيلات النباتية لعالية حوض نفيس

ساهمت الظروف الطبيعية لعالية حوض نفيس في تشكل غطاء نباتي غني ومتميز، من حيث الأصناف الشجرية والتشكيلات الغابوية، هذه الأخيرة التي تلعب دورا مهما على كافة المستويات البيئية، الجيومرفولوجية - من خلال المساهمة في تثبيت السفوح، والحد من نشاط التعرية - الهيدرولوجية - عن طريق الحد من نشاط الجريان السطحي وتنظيم الجريان الباطني للمياه - وأخيرا على المستوى السوسيو-اقتصادي والثقافي (Benabid.A,2000). وسنعمل خلال هذا القسم من البحث على جرد أهم التشكيلات وأصناف الغطاء النباتي بمجال الدراسة، وتحديد خصائصها الفيتوجغرافية وتوطينها الارتفاعي وتوزيعها المجالي الذي يعرف تباينا كبيرا، غير أننا سنعمل على رصد طبيعة الدينامية التي يشهدها هذا المورد، إلى جانب الوقوف على مختلف مظاهر الاختلال الذي تعرفه المجال الغابوي في علاقتها بالهشاشة الاجتماعية في الباب الثالث.

3.1. يتميز عالية حوض نفيس بغطاء نباتي كثيف

يتشكل المجال الغابوي بالمنطقة من أربع مجالات رئيسة تمتد على طول واد نفيس حيث تتركز بشكل خاص في أغبار، ادني واجوكاك (جدول رقم 36). والجدير بالذكر أن المنطقة غنية بموارد غابوية متنوعة وتتكون أساسا من تشكيلات البلوط الأخضر وسرو الأطلس والعراعر وغيرها من التشكيلات النباتية التي تلعب أدوارا مهمة سواء فيما يتعلق بالجانب البيئي أو فيما يخص دورها الإيجابي على المستوى السوسيو اقتصادي حيث الساكنة المحلية تعتمد على هذه الموارد بشكل كبير، لاسيما في ظل ضعف وندرة الأنشطة الاقتصادية وارتفاع معدلات الهشاشة الاجتماعية بالمنطقة، حيث الضغط يوجه أساسا نحو المجالات الغابوية التي تعرضت لتدهور كبير.

جدول رقم 36: طبيعة الغطاء النباتي المهيمن على عالية حوض نفيس

المساحة بالهكتار	العشيرة النباتية
6000	سرو الأطلس
30000	البوط الأخضر
5600	العرعار الفواح

المصدر: المديرية الإقليمية للمياه والغابات الحوز

انطلاقاً من الجدول أعلاه نلاحظ أن التنوع هو السمة الرئيسة للموارد الغابوية لعالية حوض نفيس ، حيث يعتبر سرو الأطلس⁽¹⁹²⁾ من أبرز التشكيلات الغابوية التي تؤثرت فضاء المجال الغابوي بالمنطقة، إذ يمثل ما مجموعه 34% من إجمالي التشكيلات النباتية لعالية حوض نفيس. وتجدر الإشارة إلى أنه يتركز بشكل خاص في الجماعة الترابية لاغبار التي يتجاوز ارتفاعها أكثر من 2000م غير أنه وبحكم تواجده بالقرب من الساكنة المحلية، فإنه يتعرض لتدهور وتراجع كبيرين لاسيما خلال العقود الأخيرة التي تميزت بتعاقب فترات الجفاف و تراجع النشاط الفلاحي بالمنطقة، مما دفع بالساكنة المحلية إلى محاولة استنزاف هذا المورد الذي يعتبر نادراً بالمغرب على عكس باقي الأصناف الغابوية، فهو لا يمثل سوى نسبة ضعيفة، الشيء الذي حدا بمنظمة الزراعة والأغذية (FAO) إلى تصنيفه سنة 1976 ضمن 17 نوعاً من الأنواع الغابوية التي تجب حمايتها (فريد الواحدي، 2004) رغم أنه يمكن أن يعيش لما يقارب 700 سنة. لكن الاستغلال غير المعقلن الذي تعرض له، ساهم في تراجع شكل ملحوظ خلال العقود الأخيرة.

إلى جانب سرو الأطلس، فإن عالية نفيس تتميز بتواجد مهم وكثيف للبوط الأخضر الذي يمتد على مساحات شاسعة، إذ يمثل حوالي 65% من التشكيلات النباتية بالحوض، إما بشكل خالص أو بشكل مختلط مع أصناف أخرى ولاسيما العرعار.

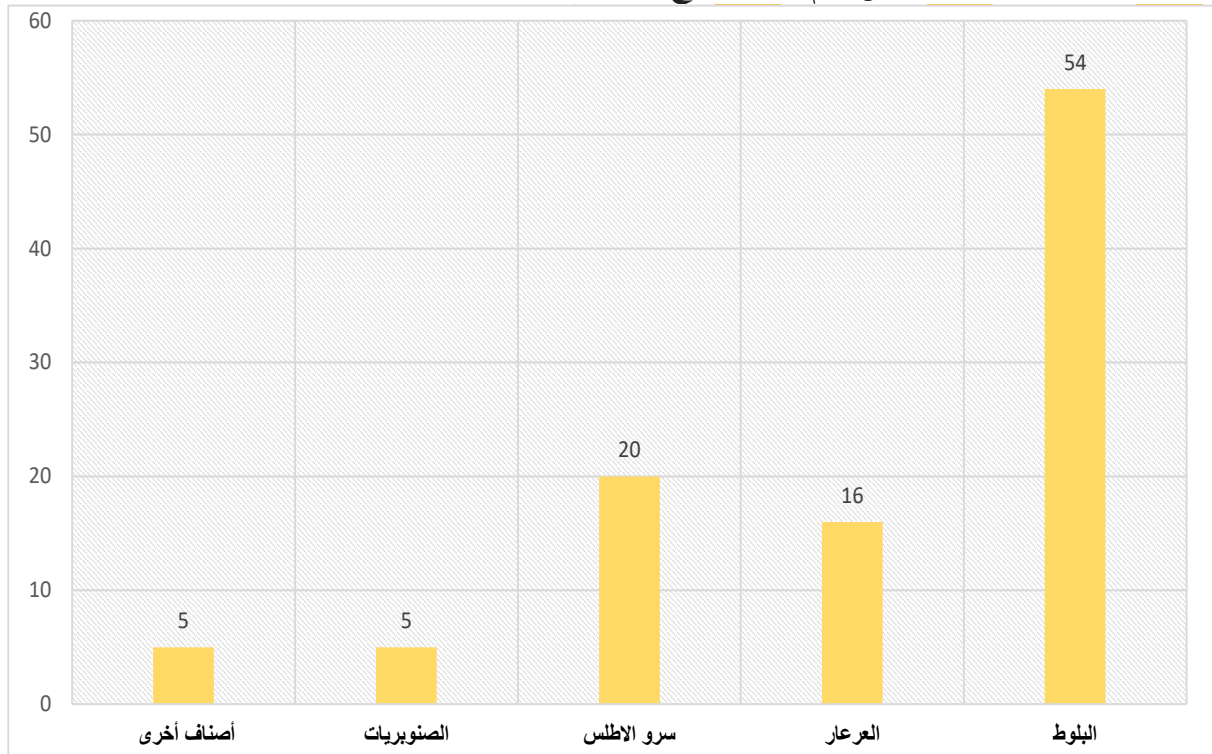
يعزى هذا التفاوت في توزيع التشكيلات النباتية لعالية حوض نفيس إلى قدرة هذه التشكيلات المتوسطة المستوطنة على التكيف والانتشار في كل النطاقات البيومناخية المتوسطة المتواجدة بالحوض، بحيث اصطلح عليها أومبرجي اسم الإسمنت الحي (شحو ادريس 1989)، لتركزه في عدة نطاقات بيومناخية متوسطة. وبالنظر إلى خصائصه المورفولوجية المتمسكة بكثافة أوراقه وقامته المتوسطة، فإنه يعتبر المصدر الأساسي للساكنة المحلية فيما يتعلق بحطب التدفئة ومصدراً مهماً لكلاً الماشية، ناهيك عن الرعي، الأمر الذي يفسر حجم الضغط والاستنزاف الذي تتعرض له هذه التشكيلات النباتية على طول واد نفيس.

(192) سرو الأطلس: يعتبر من التشكيلات الغابوية المتوسطة ومن الصنوبريات التي يصل ارتفاعها إلى أكثر من 30 متر، ويتركز بالخصوص في المرتفعات التي تتراوح ما بين 900-1400 م ويعرف لدى الساكنة المحلية باميجيط، ويتميز بكونه يتأقلم مع الظروف المناخية التي تعرفها المنطقة سواء فيما يتعلق بالجفاف-الذي يميز المنطقة بين الفينة أو الأخرى – او فترات الرطوبة حيث التساقطات تتجاوز 500 ملم / السنة، لكنه يتكيف بشكل كبير مع المناخ الرطب على اعتبار أنه يتحمل الحرارة المنخفضة (8-°). وفي هذا السياق لابد من الإشارة إلى أنه يتواجد بشكل كبير في منطقة البحر الأبيض المتوسط ولاسيما تركيا وتونس والجزائر والمغرب،

1.3.1. يشكل البلوط الأخضر وسرو الأطلس أهم التشكيلات النباتية

لعالية حوض نفيس

الشكل رقم 72: توزيع الأصناف الغابوية لعالية حوض نفيس



المصدر: المديرية الإقليمية للمياه والغابات بمراكش 2018

انطلاقاً من المبيان أعلاه نلاحظ أن عالية حوض نفيس يتسم بالتنوع على مستوى التشكيلات النباتية المتوسطة، والتي تغطي عليها تشكيلات نباتية بعينها كما هو الشأن بالنسبة للبلوط الذي يمثل 54% من إجمالي التشكيلات الغابوية بالمنطقة يليه سرو الأطلس بنسبة 18% ثم العرعار 12%. أما بالنسبة للأصناف الأخرى فتتمثل أساساً في الخروب والزيتون البري. وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن هذه التشكيلات النباتية تتواجد مع تشكيلات أخرى رئيسة باستثناء سرو الأطلس والبلوط.

2.3.1. تشكيلات الصنوبريات والمورقات من أهم الأصناف النائية المنتشرة بالحوض:

1.2.3.1. أهم التشكيلات الصنوبريات بالمنطقة

العرعار: يعتبر من أبرز هذه التشكيلات النباتية الأصلية بالمناطق الجبلية المغربية، حيث يتركز بالمنطقة ويختلط مع جميع الأصناف الأخرى لاسيما البلوط الأخضر والأرز، وفي أحيانا كثيرة يتواجد على شكل تجمعات خاصة (المديرية الإقليمية للمياه والغابات بمراكش 2004)، ويتواجد على ارتفاعات تتراوح ما بين 1300-2400 م، ويتسم بكونه يتمتع بقدرة كبيرة على التجدد والاستخلاف السريع، إلى جانب قدرته على مقاومة مختلف الأمراض والطفيليات، والتأقلم مع الأتربة الفقيرة والمنحدرات القوية،

ناهيك عن صموده أمام الاستغلال الجائر الذي يتعرض له، حيث يفلح بوثيرة سريعة في استعادة عافيته وحيويته (الدريس شحو، 2003).

وفي عالية نفيس يعاني العرعار من الاستغلال المفرط لاسيما وأنه ينتشر في السفوح القريبة من التجمعات السكنية، الشيء الذي جعله عرضة لاستغلال غير معقلن خاصة وأنه يتم استغلاله كحطب للتدفئة إلى جانب استخدامه في تشييد المنازل وصناعة بعض الأواني المنزلية. لكل هذه العوامل فإن العرعار بالمنطقة عرف تراجعا كبيرا على غرار باقي التشكيلات النباتية، الشيء الذي يطرح أكثر من سؤال حول مستقبل هذه الأصناف الغابوية التي تكتسي إلى جانب أهميته الإيكولوجية أهمية بالغة على المستوى السوسيو اقتصادي في المنطقة التي تعاني من مختلف مظاهر الهشاشة الاجتماعية، والتي تساهم في تسريع وثيرة تدهور هذا المورد الطبيعي الذي كان ولا يزال من أهم مميزات منطقة نفيس عبر التاريخ وإلى يومنا هذا.

إن التشكيلات النباتية للعرعار بمختلف أصنافه، نادرا ما نجدها مستقلة عن باقي التشكيلات شبه الغابوية، حيث عادة ما نجد العصفية أو ما يعرف بالعرعار المغاربي يختلط بشكل كبير مع هذه التشكيلة التي تمتد على مساحات مهمة على العموم رغم أنها قليلة بالمقارنة مع باقي الأصناف الغابوية التي تنتشر على نطاق واسع في عالية نفيس.

أما بالنسبة لباقي الصنوبريات الأخرى، فإنها تتكون من تشكيلات غابوية خالصة واصطناعية للصنوبر الحلبي الذي يرتبط تشكلا بعملية التشجير التي اعتمدتها إدارة المياه والغابات بالمنطقة، بهدف المساهمة في الحد من انهيار السفوح وانجراف التربة، ولاسيما في المناطق التي تتميز بسيادة تربات فقيرة وسريعة التدهور وذات خصائص بيومناخية شبه جافة، كما هو الشأن بالنسبة لمنخفض تلات نيعقوب حيث الارتفاعات متوسطة وتتأرجح ما بين 800 و 1200 م.

سرو الأطلس: إن أهمية سرو الأطلس تكمن في الدور الكبير الذي يقوم به على كافة المستويات ولاسيما على المستوى الإيكولوجي حيث يعمل على حماية السكان بيئيا⁽¹⁹³⁾، كما يساهم في حماية التربة من مخاطر التعرية – التي تعاني منها المنطقة بحكم شدة انحدار سفوحها وارتفاعاتها التي تتجاوز 2000 م – إلى جانب دوره المهم في إغناء التنوع البيولوجي الغابوي في حوض نفيس بشكل خاص والمجال المغربي بصفة عامة.

(193) خلال مرحلة البحث الميداني عبر لنا مجموعة من السكان المحليين على أن سرو الأطلس يفرز بخارا كثيفا مما يوحى بقرب تهطل الأمطار. وهذا الاعتقاد راسخ لدى معظم السكان المحليين الذي يتعاملون مع هذا التشكيل الغابوي بطريقة مقدسة لكونه يتركز بالقرب من مجموعة من الأولياء بالمنطقة، الشيء الذي اضفى عليه قداسة معينة، رغم أن هذه القداسة لم تحد من استغلاله بشكل مفرط، غير أن قداسة سرو الأطلس شيء والحاجة الملحة لسكان المنطقة شيء آخر مما يضطرها إلى انتهاك الطبيعة والبيئة وحتى القداسة. إنها تجلّ بسيط من تجليات الهشاشة التي ما فتئنا ننبه إلى توغلها عميقا في المنطقة وعلى كل الأصعدة.

إذا كان سرو الأطلس يضطلع بأدوار متعددة وفي مقدمتها دوره الايكولوجي كصمام أمان بالنسبة للمنطقة من مخاطر الهشاشة الطبيعية التي تعرفها المنطقة، فإنه بالمقابل يقوم بدور اجتماعي كبير من خلال استقطابه للسكان المحلية التي تعمل على استغلاله كخشب للتدفئة بغية مواجهة الظروف المناخية الصعبة التي تعرفها المنطقة على طول 7 أشهر من السنة حيث درجة الحرارة تسجل معدلات منخفضة وتصل في بعض المواسم إلى 8°C -، خاصة في منطقة أغبار التي تعتبر خزاناً رئيساً لهذا التشكيل الغابوي على اعتبار أنه يساهم في تلبية الحاجيات الأساسية للسكان المحلية على مستوى الاستفادة من الأخشاب التي يتم استنزافها بشكل كبير نظراً للظروف المناخية التي تميز المنطقة حيث درجة الحرارة تقل عن 8 تحت الصفر خلال فصل الشتاء. لكن وحسب مجموعة من السكان المحلية، فإن خشب سرو الأطلس يتم استغلاله بشكل رئيسي في عملية البناء، مما يساهم في الإخلال بالتوازن الايكولوجي للغابة بهذا المجال العطوب.

2.2.3.1. تشكيلات المورقات حاضرة بشكل كبير لعالية حوض نفيس

يعتبر البلوط الأخضر من أهم الأنواع السائدة بالمغرب حيث تناهز مساحته 1.360,000 هكتار، ويتركز بالخصوص في الأطلس الكبير والمتوسط والريف. أما بالنسبة لعالية نفيس فإنه يستوطن المنطقة على شكل تشكيلات منفحة من الماطورال ويمثل 54% من إجمالي الأصناف الغابوية بالمنطقة حيث يتركز بشكل خاص في الشمال الشرقي حيث تتزايد كميات التساقطات على ارتفاعات تتأرجح ما بين 2200م و 2800 م، ويتواجد في المنطقة إما بشكل معزول - حيث يمتد على مساحات شاسعة لاسيما في أغبار، على مساحة تناهز 2200 هكتار، أي ما يمثل حوالي 40% من المساحة الإجمالية لغابة أغبار (المديرية الإقليمية للمياه والغابات بمراكش 2004). أما بالنسبة لباقي مجالات عالية نفيس، فإنه ينتشر كذلك في ثلاث نيعقوب واجوكاك وإن بنسب متفاوتة وأقل مقارنة مع أغبار كما سبقت الإشارة إلى ذلك - أو بشكل مختلط - مع سرو الأطلس أو العرعار، فهو بذلك يعتبر الأكثر كثافة، ويمثل الحد الأقصى للتشكيلات الغابوية لعالية حوض نفيس خاصة، ونفيس على العموم. غير أنه - مع ذلك - يتعرض بدوره لتراجع كبير خاصة في السنوات الأخيرة حيث أضحي يشكل أحد التشكيلات الغابوية التي يتم استهدافها من طرف السكان المحلية ومن طرف فاعلين آخرين خارج مجال نفيس⁽¹⁹⁴⁾

(194) خلال مرحلة البحث الميداني، وبناء على المقابلات التي قمنا بها مع السكان المحلية، صرحوا لنا بأن الذي يساهم في تراجع وتدهور المجال الغابوي بالمنطقة ليس السكان المحليين فقط، وإنما هناك تجار خارج المنطقة يعملون على استنزاف الثروة الغابوية لنفيس والعمل على توجيهها نحو المدن المجاورة ولاسيما مراكش وأكادير.

الشكل رقم 73: لوحة: تشكيلات من شجر سرو الأطلس لعالية حوض نفيس



المصدر: غوغل + تصوير شخصي 2019

4.1. يزخر عالية حوض نفيس بتشكيلات شجرية وعشبية متنوعة

1.4.1. يعتبر الخروب من اهم التشكيلات الشجرية بعالية نفيس

بالموازاة مع التشكيلات الغابوية الرئيسة التي تزخر بها غابات عالية نفيس، هناك عدة أصناف من التشكيلات الشجرية والعشبية الأخرى الثانوية، والمختلطة مع الأصناف الغابوية الرئيسة التي لعبت الظروف المناخية الرطبة والتضاريس المرتفعة 1200 م، دورا كبيرا في تشكلها. غير أنها لم تتمكن من تشكيل مجال غابوي خاص بها، بل إنها تظهر على شكل أدغال من شجيرات متناثرة في وسط غابوي أو شبه غابوي (Benabid, A, 1988).

تتمثل أهم الأصناف الثانوية المنتشرة بعالية نفيس في أصناف صنوبرية أو مورقة، تساهم في تعزيز التغطية النباتية بالمنطقة، وتنتشر على مساحات محدودة. ويعتبر الخروب⁽¹⁹⁵⁾ من أبرز هذه التشكيلات المتوسطة الثانوية، غير أنه يتميز بضعف كثافته وتراجعها بالمنطقة⁽¹⁹⁶⁾ حيث عادة ما ينتشر على شكل أحرش، ويتركز بالخصوص في المناطق شبه الجافة التي تتلقى كميات متوسطة من التساقطات والتي تبلغ

(195) يعتبر المغرب من الدول التي تحتل المرتبة الثانية عالميا على مستوى انتاج الخروب، متفوقا بذلك على مجموعة من الدول المتوسطية كتركيا وإيطاليا واليونان. وتكمن أهمية الخروب في احتوائه على 9,8 من الكربوهيدرات والألياف الخشبية التي تتدخل في التغذية وتوفر أيضا على 900 ملغرام من البوتاسيوم و300 ملغرام من الكالسيوم، علاوة على احتوائها على نسبة عالية من السكر والبروتين والفيتامينات المهمة للجسم. كما للخروب عدة استعمالات وفوائد سواء طبية كمضاد للجراثيم ومعالج للحساسية وطارد للديدان وأيضا مفيد للمغص وبعض حالات الإسهال. ويعتبر مساعدا في خفض الكوليسترول في الدم ومضادا للأكسدة، أو تجميلية حيث يستخرج من خشبها زيت للتجميل، ويستعمل صمغها أيضا في صناعة الورق والنسيج وصبغات الشعر حيث يعطي لونا بنيا لامعا، ويعد خشبها الياابس أحسن حطب للتدفئة لأن له رائحة زكية يصنع من الخروب أحد أنواع المواد المحافطة للمنتوجات الغذائية بحيث يرمز لها ب(E410).

(196) يعزى تراجع الخروب بالمنطقة إلى مجموعة من العوامل المتمثلة أساسا في الرعي الجائر والحرائق إضافة إلى بعض الأمراض التي صرحت بها المندوبية السامية للمياه والغابات كتعفن الجذور وكذا الاستغلال المفرط من وسطاء الخروب الذين يبيعونه لمصانع الشكلاطة ولختبرات التجميل وسماسرة بيع الحطب الذين يقطعون الجذور الحية فيتسببون في تدهورها.

في المتوسط السنوي 300 ملم، كما أنه ينمو فوق الأتربة الحمضية الفقيرة (Aafi.A,2007)، وعادة ما يكون مختلطاً مع العرعار أو البلوط الأخضر في أغبار وتلات نيعقوب.

إلى جانب الخروب، فإن المنطقة تعرف أيضاً انتشاراً لتشكيلات متنوعة وفي مقدمتها الزيتون البري والطرفاء وغيرها من التشكيلات الشجرية التي تعزز من كثافة الغطاء النباتي بمجال الدراسة، وهي - للإشارة - تنتمي لفصيلة المورقات الدائمة الاخضرار كذلك، وتنتشر بشكل كبير على طول واد نفيس وروافده الرئيسية.

2.4.1. عالية حوض نفيس : مجال غني بتشكيلات عشبية متنوعة

تعتبر منطقة عالية حوض نفيس نموذجاً متقدماً على مستوى التشكيلات العشبية التي تزخر بها سواء داخل المنخفضات شبه الجافة أو في القمم العليا ذات الظروف المناخية الرطبة. ومن أبرز هذه التشكيلات العشبية نجد: « أزوكن، إزري، إيجا أمغار، فليو، إفزي....»، والتي تلعب أدواراً متعددة لاسيما على المستوى الاجتماعي حيث يتم استغلالها كأعشاب طبية، لاسيما في ظل العجز الكبير الذي تعرفه المنطقة فيما يتعلق بالخدمات الصحية التي تتميز بهشاشتها سواء بالنسبة للبنات التحتية أو الموارد البشرية، مما جعل التداوي بهذه الأعشاب، في إطار ما يعرف بالطب التقليدي، أحد الحلول التي يتم اعتمادها من طرف الساكنة المحلية لمواجهة مختلف الأمراض التي تنتشر بمجال الدراسة - كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الباب الثاني - أو كعلف للمواشي، مما يساهم في تخفيف عبء تربية المواشي التي تعد من الأنشطة الأساسية للساكنة المحلية، لاسيما في فترات الجفاف حيث تكون أسعار الأعلاف جد مرتفعة وتعجز الكثير من الأسر عن تحملها في ظل ارتفاع معدلات الهشاشة والفقر بالمنطقة.

2. التصنيف المورفولوجي للأصناف الغابوية لعالية حوض نفيس

1.2. تتسم التجمعات النباتية بعالية نفيس بعدة خصائص مورفولوجية

إذا كانت التشكيلات الغابوية بعالية نفيس تتسم بخاصية أساسية تتجلى في التوزيع غير المتكافئ، فإنها تتفرد أيضاً بالعديد من المميزات التي تتمثل أساساً في قيمتها البيئية والسوسيوولوجية بالغة الأهمية، والتي تستمد منها أصلاتها النباتية المتوسطة. وسنحاول من خلال هذا القسم وبناء على مجموعة من الدراسات التي تناولت خصائص التشكيلات الغابوية في علاقاتها بالارتفاع والتربة والمناخ والبيومناخ كما هو الشأن بالنسبة لدراسة (Quezel.P,1971) (Emberger.L,1964) و (Benabid.A,1985)، سنحاول رصد أهم الخصائص المورفولوجية للتشكيلات النباتية بعالية نفيس على الشكل الآتي:

1.1.2. البلوط الأخضر يعتبر من بين الأصناف الغابوية الأكثر استهدافا من طرف

السكان المحلية

ينتمي إلى عائلة القسطليات المستوطنة للحوض المتوسطي. يتميز بأوراقه البيضوية الشكل وذات اللون الفاتح والتي تعرف بمقاومتها للبرودة الشديدة، ويتراوح ارتفاعها ما بين 12 إلى 20 م عند النضج (Benabid.A,1985)، (Emberger.L,1964) لذلك فهو ينتشر على نطاق واسع في المغرب عموما وفي عالية نفيس خصوصا، ويحظى بأهمية كبيرة بالنسبة للسكان المحلية بحكم الدور البيئي والسوسيو اقتصادي، الشيء الذي يجعله من أكثر الأصناف استهدافا بفعل ارتفاع الطلب عليه خاصة في فصل الشتاء حيث الظروف المناخية القاسية تفرض على السكان المحلية اللجوء إلى الغابة من أجل الحصول على حطب التدفئة، خاصة وأن المنطقة تعاني من ارتفاع تكاليف الارتباط بالشبكة الكهربائية، الشيء الذي يمنعهم من استعمال وسائل أخرى للتدفئة غير الحطب⁽¹⁹⁷⁾، ناهيك عن استعمال خشب البلوط في أعمال البناء والرعي، مما ساهم في تراجع بوثيرة سريعة فأصبح يظهر على شكل ماطورال منفتح أو متدهور.

يعتبر البلوط الأخضر من الأشجار المتوسطة العمر، إذ يمكن أن يصل عمره إلى 300 سنة. ويعد من الأنواع التي تستوطن السهل كما الجبل، ويصل الكتل الغابوية ببعضها البعض على صعيد التراب الوطني (ادريس شحو، 2011)، ويتسم بقدرته الكبيرة على التأقلم مع مختلف الأوساط البيئية المختلفة، سواء تلك التي تتجاوز ارتفاعاتها 2500 م، أو تلك الارتفاعات التي لا تتجاوز 400 م. وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن البلوط الأخضر يضطلع بدور بيولوجي وبيئي جد مهم، وذلك من خلال مساعدة الأصناف النباتية الأخرى على النمو واستكمال دورتها الإنباتية، فهو الصنف الذي تمكن من تشكيل غابات حقيقية بجبال الأطلس عن طريق احتلاله لمساحات شاسعة (Bourouze.A,1982)، ويتواجد بشكل خاص في مختلف المجالات المنتمية لعالية نفيس، ولاسيما منطقة أغبار حيث يتركز على العموم في أسيف نجانتان، امسوي.

2.1.2. العرعار صنف غابوي مميز لجبال الأطلس

ينتمي إلى عائلة السرويات ويحتل المرتبة الثالثة من حيث الأهمية بعالية نفيس بعد البلوط الأخضر وسرو الأطلس، فهو من الأصناف الصمغية التي تنتشر في المنطقة تبعا لخصائص بيومناخية،

(197) خلال البحث الميداني صرح لنا مجموعة من السكان المحليين على أن ارتفاع تكاليف الكهرباء بالمقارنة مع الدخل المتواضع الذي يعتمد أساسا على النشاط الفلاحي يحول دون استعمال وسائل أخرى للتدفئة، بل إن بعض السكان غير مرتبطين بشبكة الكهرباء التي عرفتها المنطقة في إطار برنامج ربط العالم القروي بالكهرباء الذي اعتمدته الدولة ابتداء من 1996 والذي يهدف إلى توسيع الكهرباء في المناطق القروية التي لا تتوفر على الكهرباء لتشمل 1.500.000 مسكن في أفق 2010، أي بمعدل 1000 قرية في السنة تضم 100.000 مسكن ما بين 1996 و 2010، بغلاف مالي قدره مليار درهم سنويا. غير أن المنطقة لم تستفد منه إلا في سنة 2006، في حين لازالت دواوير تعاني من غياب شبكة الكهرباء، الشيء الذي يساهم في تكريس واقع الهشاشة الاجتماعية التي تعيشها المنطقة على كافة المستويات.

(Sebatien.C,1950) حيث ينتشر العرعار في معظم مجال عالية نفيس باستثناء اغبار حيث يعد أقل كثافة مقارنة مع باقي التشكيلات الغابوية التي تميز المنطقة، لكنه بالمقابل ينتشر على نطاق واسع لاسيما عند الارتفاعات الدنيا والسفوح المشمسة، في ثلاث نيعقوب.

يعتبر العرعار الأحمر من أهم التشكيلات الغابوية التي تميز جبال الأطلس عند ارتفاع يتراوح ما بين 1000م و2200 م، ولاسيما بجبال الأطلس الكبير والصغير (Benabid.A,1985)⁽¹⁹⁸⁾ وبالنسبة لمجال الدراسة بعالية نفيس فهو يمتد على مساحات شاسعة تتجاوز 4000 هكتار، إذ نجده عند مستويات بيومناخية شبه جافة وجافة علوية، ذات شتاء بارد أو بارد جدا، على شكل تشكيلات شبه سهوبية.

تتميز عالية نفيس بأهمية العرعار المغربي الذي ينتشر على مساحات كبيرة تناهز 2600 هكتار، وهو للإشارة صنف ينفرد بعدة خصائص مورفولوجية تميزه عن باقي الأصناف الأخرى، إذ يعد من بين الأصناف المستوطنة بالمنطقة وفي غرب البحر الأبيض المتوسط ككل، يتركز في المناطق شبه الجافة وشبه الرطبة ذات شتاء بارد أو ندي (Sebatien.C,1950)، ويتراوح ارتفاعه ما بين 10 أمتار إلى 20 مترا في حالة ملائمة الظروف الايكولوجية، ويعتبر من الأشجار المعمرة إذ من الممكن أن يعيش لأكثر من 500 سنة، ويسود بالخصوص في المناطق ذات الانحدارات شديدة الوعورة (شحو ادريس،2003). والجدير بالذكر أن العرعار المغربي يتمتع بعدة خصائص تجعله قادرا على النمو بسرعة بعد الاجتثاث ولديه قدرة هائلة على التجدد الطبيعي والاستخلاف في ظرف قياسي، مما يؤهله لمواجهة مخاطر الاستغلال غير العقلاني الذي يتعرض له، كما أنه من بين الأصناف النادرة التي تتعرض للطفيليات وتتمتع بقدرة كبيرة على الاستمرار في التوالد والتكاثر إلى سن متقدمة، (شحو ادريس،2003).

بخصوص العرعار الفواح فهو يمثل الحد الأعلى للغطاء الغابوي بالمغرب (Quezel.P,1981)، وينمو بالخصوص في المرتفعات التي تتعدى 2500 م، حيث نحده مختلطا في الغالب مع البلوط الأخضر، مشكلا بذلك مساحات شبه غابوية مهمة تناهز 3400 هـ، غير أنه هو الآخر يتعرض لاستنزاف كبير بفعل الرعي الجائر واستعماله في اشغال البناء وحطب التدفئة، إلى جانب استغلاله في الصناعة التقليدية، الشيء الذي يجعله عرضة للانقراض باعتباره من الأصناف المتوسطة المستوطنة والمهددة بالانقراض بفعل نموه البطيء وصعوبة استخلافه، على عكس البلوط الأخضر.

(198) حسب الباحث (Benabid.A,1985) فالإ جانب التشكيلة الأطلسية للعرعار بالجبال، فهناك أيضا التشكيلة الساحلية التي نجدها بمناطق ساحلية شبه جافة وشبه رطبة وذات الشتاء الدافئ، حيث عادة ما ينمو فوق أترية فقيرة رملية متصلبة كما هو الأمر بالنسبة للمهدية والسعيدية والصويرة

3. الغابة لعالية حوض نفيس بين الملك القانوني للدولة وذوي الحقوق واستمرار إشكالية التدبير

1.3. الغابة: جدلية الصراع بين القبيلة والدولة

في البداية لابد من الإشارة إلى أن المجالات الغابوية وشبه الغابوية لعالية حوض نفيس ، تعتبر إرثا إيكولوجيا وسوسيو إيكولوجي جد مهم، ويحظى باهتمام بالغ من طرف كل الفاعلين في المجال، الشيء الذي منح له (المجال الغابوي) طابعا خاصا إلى درجة أنه ارتقى إلى مستوى الحق التاريخي الذي يمنح للسكان المحلية أن تستفيد منه كيفما شاءت. لكن تدخل الدولة في هذا المجال من خلال مختلف برامج التهيئة والاستغلال والتدبير جعل العلاقة بين الطرفين: أي ذوي الحقوق التاريخية (السكان المحلية) من جهة، والدولة من جهة أخرى، تشهد نوعا من التوتر في السنوات الأخيرة. لذلك سنعمل على رصد مختلف مظاهر استغلال المجال الغابوي لعالية حوض نفيس . لكن قبل ذلك لابد من فهم أشكال استغلال المجال الغابوي والعوامل التي ساهمت في تزايد الضغط عليه خلال العقود الأخيرة من خلال استثمار صور الأعمار الاصطناعية لتتبع الدينامية التي تعرفها هذه الموارد بعالية نفيس وتأثير ذلك على استدامتها أو تدهورها على المدى المتوسط والبعيد، مما يطرح إشكالية التنمية المستدامة في علاقاتها بالهشاشة الاجتماعية التي ترزح تحتها السكان المحلية، والتي سنعمل على إبراز علاقتها بتدهور المجال الغابوي حيث سنعمل على تأكيد أو نفي الفرضيات⁽¹⁹⁹⁾ التي طرحتها في مقدمة هذا العمل حول ما إذا كانت للهشاشة الاجتماعية أية علاقة بالتدهور المستمر للموارد الغابوية لعالية حوض نفيس .

مما لا شك فيه أن المجال الغابوي لعالية نفيس بشكل خاص وباقي المجالات الجبلية بشكل عام تشكل أحد الأسس الرئيسية التي يركز عليها المجال المحلي، بل إنها تعتبر المحرك الأساس للدورة الاقتصادية في المنطقة التي توقفت فيها عجلة الاقتصاد، فأصبحت بذلك تعاني من مختلف مظاهر الهشاشة الاجتماعية في منطقة يحكمها «اقتصاد الندرة»، الشيء الذي جعل السكان المحلية أو ما يسمى بذوي الحقوق التاريخية يرفضون أي مساس بحقوقهم التاريخية في الاستغلال، وغير القابلة للتقادم أو الإلغاء حسب تعبيرهم⁽²⁰⁰⁾، على اعتبار أن ارتباطهم الوجداني والعائلي بالغابة لا يمكن القفز عليه تحت أي مبرر. لكن، بطبيعة الحال، يبقى هذا الطرح غير سليم في ظل التدهور الذي تعاني منه المجالات الغابوية بعالية نفيس، بل إن هذا المجال قبل التوقيع على معاهدة الحماية لسنة 1912 كان خاضعا لـ «مؤسسة الجماعة» أو ما يعرف محليا بـ «أمكون» باعتبارها مؤسسة محورية في السيرة التاريخية

(199) في مقدمة هذا البحث طرحنا مجموعة من الفرضيات حول ما إذا كان للهشاشة الاجتماعية علاقة بتدهور وتراجع المجال الغابوي بعالية نفيس، وتعتبر هذه الفرضية المنطلق الأساس الذي جعلنا ندخل تجربة معالجة هذه الإشكالية رغم علمنا المسبق بمدى صعوبتها على اعتبار أنها تتطلب منا جهدا كبيرا لتفنيد أو نفي تلك الفرضية المركزية في هذا العمل.

(200) في منطقة أغبار عبر لنا مجموعة من ذوي الحقوق على أن الغابة هي المورد الأساس الذي يقيم من العوز والفقير وبالتالي فهم ينظرون بعين من الريبة والشك لكل محاولات الدولة للتدخل من أجل تهيئة المجال الغابوي ويعتبرون ذلك نوعا من الاحتلال لمجال الفوه والفهم حسب تعبيرهم لدرجة التماهي. وبالتالي فهم لا يقبلون المساس بحقوقهم هاته إلى درجة أن بعضهم يعبر عن افتخاره بعدم أداء الغرامات المالية التي تفرضها مديرية الغابات لردع المخالفات التي يرتكبها هؤلاء السكان لاسيما فما يتعلق بالرعي بالغابات المجاورة لهم.

للمجتمع المغربي من خلال سَنها لمجموعة من القوانين المحلية التي أضحت بمثابة «أعراف» و«إزرفان» لتدبير واستغلال الملك الغابوي المشترك بطريقة عقلانية تراعي خصوصيات المجال الغابوي الذي يتسم بهشاشته، والتصدي لكل ما يهدد هذا المجال لاسيما ما يتعلق بتلك الصراعات والخلافات التي عرفتھا المنطقة حول المراعي والماء والغابة. وذلك من خلال توقيع القبائل المتصارعة على المجال على اتفاقية «تافركانت» (الرضاعة)، بهدف الحد من الصراعات التي كانت تنشب بينها، إلى جانب الدفاع عن الأراضي الزراعية التي تشكل جوهر الصراع بين مختلف القبائل لاسيما في فترات الانتجاع من خلال الانتقال بين قمم الجبال والمنخفضات بعالية نفيس.

هكذا يتضح بأن الساكنة المحلية عبر التاريخ، تفاعلت بشكل إيجابي مع وسطها البيئي بطريقة تخضع لنوع من المنطق والاستغلال المعقلن، بعيدا عن سطوة الدولة المركزية التي كانت تشن حركات لاستخلاص الكلف والجبايات من هذه القبائل التي تعرف ببلاد السببة. لكن مؤسسة الجماعة «مكنت من الحفاظ نسبيا على الاستغلال العقلاني للمجال الغابوي، والدليل على ذلك هو أن وثيرة التدهور لم تبدأ إلا مع بداية القرن العشرين بعد إصدار قانون الغابة لسنة 1917، والذي شرع الباب أمام الاستغلال غير المعقلن لهذه المجالات من طرف سلطات الحماية، ثم بعد الاستقلال حيث أصبحت أيضا وثيرة التدهور بالمجالات الغابوية مرتفعة بعدما كانت هذه الأخيرة، وبحكم عزلتها، بمثابة صمام الأمان لمجموعات نباتية وحيوانية، فحافظت بذلك على تنوعها البيولوجي وإرثها الطبيعي (بوجروف سعيد، 2006).

إن طبيعة الاستغلال الذي عرفه المجال الغابوي بالمجالات الجبلية والذي كان يخضع لمنطق التدبير المشترك من خلال «مؤسسة الجماعة»، عرف تحولا كبيرا بعد فرض الحماية الفرنسية على المغرب، لتنتقل بذلك المجالات الغابوية من مرحلة التدبير الجماعي المشترك إلى مرحلة التملك والصراع مع الدولة، الأمر الذي أفرز جملة من الإشكالات والتحديات المرتبطة أساسا بالتناقض بين الإرث المشترك للقبيلة التي تتمتع بحقوق تاريخية والدولة التي تدخلت لتنظيم هذا المجال والتحكم فيه من خلال إصدار مجموعة من القوانين التي ألحقت ضررا كبيرا بمؤسسة «القبيلة» و «جماعة»، لاسيما بعد سنة 1917 حيث أصبحت الغابة منذ هذا التاريخ تعتبر ملكا للدولة بقوة القانون، كما جاء في ظهير 10 أكتوبر 1917م، الذي انتقل بالغابة من ملكية السكان إلى ملكية الدولة (201).

مما لاشك فيه أن هذا القانون أفرز ردود فعل عنيفة - من طرف ذوي الحقوق التاريخية في الغابة، الذين أصبحوا حسب هذا الظهير مجرد أشخاص لهم الحق في الانتجاع دون غيره من الحقوق

(201) نص الفصل الأول من ظهير 1917، على تحديد الملك الغابوي داخل الغابات المخزنية، وغابات القبائل القابلة للهيئة والاستغلال بصفة منتظمة والأراضي الجماعية المعاد غرسها، وأراضي الرعي الجماعية، وأراضي الرعي الجارية على ملك أحد الأفراد، والتي يريد ملاكها أن يعهدوا بصدها للدولة إما بالحراسة أو التسيير، ويتعرض مخالفتها لعقوبات مقتضيات الظهير المنصوص عليها.

(Boulhol.P,1983)، تمثلت أساسا في الترامي على الملك الغابوي والاستغلال غير المعقلن لمواردها⁽²⁰²⁾، وهكذا فإن احتكار الدول للغابة جعل هذه الأخيرة تنتقل من بنية إنتاجية منسجمة مع النظام البيئي المحلي حيث كان التسيير المشترك للغابة يحقق نوعا من الاستغلال العقلاني، إلى وضعية أخرى يطبعها التوتر والعدوانية تجاه الغابة من قبل السكان الذين ينظرون للدولة كوافد جديد سلبهم حقهم التاريخي ولم يقدم لهم بالمقابل أي تنمية، بل بالعكس ساهم حسب تعبيرهم في هجرة العديد من أبناء المناطق الجبلية نحو المدن الكبرى، وكرس بذلك واقع الفقر والهشاشة التي تعاني منها الساكنة المحلية.

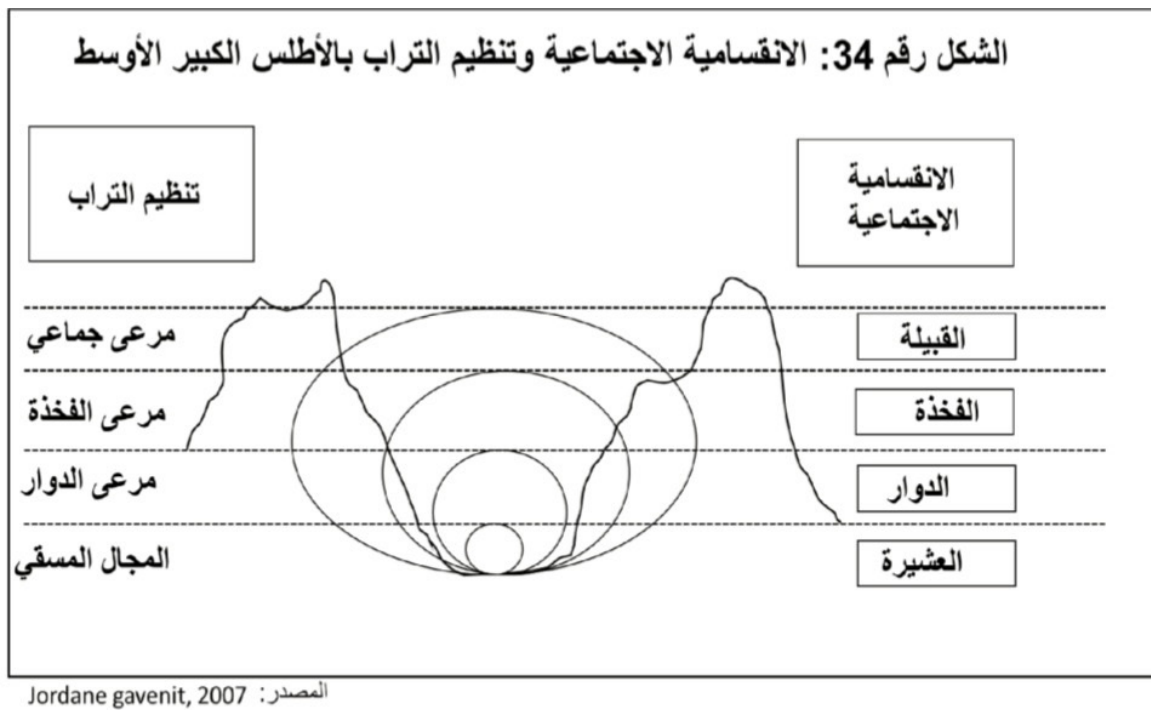
إن إشكالية الصراع بين ذوي الحقوق والدولة وما رافقها من اضطرابات أثرت بشكل كبير على النسيج الاجتماعي لمفهوم القبيلة، وخلقت بذلك صراعات جديدة بين أفراد هذه القبيلة، تقتضي ضرورة إعادة النظر في طريقة تعامل الدولة مع إشكالية تدبير وتسيير الغابة، من خلال العمل على ضرورة استحضار تجربة هؤلاء السكان في التعامل مع مجالهم الغابوي الذي يعد عصب الاقتصاد بالنسبة لهم. وفي هذا السياق يتساءل الأستاذ الناصري محمد بقوله: «تظل مشكلة تدبير المراعي الجماعية مطروحة بحدّة، إلا أنه يلاحظ أن تقاليد حمايتها والدفاع عنها في فترات ملائمة من صلب عادات سكان الجبال. فكيف لا يستعمل هذا الميراث الثقافي كقاعدة أساسية للانطلاق نحو تجديد سبل معالجة مشاكلها؟» (محمد الناصري، 2003)، على اعتبار أن التنظيم الاجتماعي للقبيلة يساهم لا محالة في مسألة تدبير المجال الغابوي والمحافظة عليها، من خلال امتلاكه لمجموعة من المقومات التي ساهمت منذ فترة طويلة في الحفاظ على التوازن البيئي للغابة، حيث الأعراف هي التي كانت تحول دون اندلاع الصراع بين القبائل حول المراعي والمجال الغابوي بصفة عامة.

هكذا يتضح بأن مجال عالية نفيس، يتميز بنظام تقليدي محكم في تدبير المجال الغابوي، ويعتبر العرف حجر الزاوية في هذا النظام قبل فرض نظام الحماية الفرنسية على المغرب، سواء فيما يتعلق بالروابط الاجتماعية داخل كل قبيلة، أو المراعي الصيفية بقمم الجبال التي شكلت ولا زالت تشكل فضاء تنتشر فيه تربية المواشي بالمنطقة. والجدير بالذكر أن هذا التنظيم سمح باستدامة الموارد الطبيعية بصفة عامة والمجال الغابوي بصفة خاصة، حيث إن مستوى تدهور وتراجع هذا الأخير قبل نظام الحماية كان محدودا مقارنة مع وثيرة التدهور التي تعرفها المجالات الغابوية بالمنطقة.

(202) نظمت الساكنة المحلية وقفات احتجاجية للمطالبة بإعادة النظر في المساطر القانونية وآليات تحديد الملك الغابوي، بالشكل الذي يضمن حقوق السكان المحليين في الاستفادة المباشرة والعادلة من الثروات الطبيعية ومراجعة وضعية المجالات التي تم تحديدها سابقا من أجل إنصاف ذوي الحقوق المتضررين، فضلا عن العمل على جبر الضرر الجماعي والفردى والتحديد "الأحادي والتعسفي" - حسب قولهم - للملك الغابوي، وشدد المتضررون على ضرورة اعتماد مقاربة تشاركية حقيقية وفعالة مع السكان كمنهج أساسي لتأطير عمليات تدبير المجال، وذلك عبر الوقف الفوري لكل عمليات تحديد وإعادة تحديد الملك الغابوي بمجال نفيس إلى حين مراجعة المساطر القانونية وإنصاف ذوي الحقوق، كما دعوا إلى التعبئة الشاملة للجماعات المحلية بغية إرساء قواعد التنمية المستدامة.

لقد ساهم التنظيم القبلي للغابة منذ القدم في ضمان استدامة الموارد الطبيعية بالمنطقة، حيث أن نظام الانتجاع بين القمم العليا والمنخفضات، أكسب السكان ثقافة بيئية مكنتهم من القدرة على تكيف وسائل الإنتاج المحلي التقليدي السائد مع الظروف المناخية، الشيء الذي جعلها (القبيلة) تحقق الاكتفاء الذاتي وتضمن بذلك استقلالها عن السلطة المخزنية بفضل مؤسسة أمكون التي تجسد التدبير الجماعي لشؤون القبيلة – وفي إطار مقارنة تشاركية تراعي خصوصيات كل منطقة على حدة – رغم أن هذا لم يمنع المنطقة من التعرض لمجموعة من الحركات التأديبية من طرف المخزن الذي كان يرغب في الحصول على الخيرات والموارد التي تزرع بها المنطقة.

الشكل رقم 74: الانقسامية الاجتماعية وتنظيم التراب بالأطلس الكبير



2.3. الغابة لعالية حوض نفيس وظهور أشكال جديدة لتنظيم المجال

شكلت فترة الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912 محطة حاسمة على كافة المستويات، حيث إنها أدت إلى بروز مجموعة من التحولات المجالية على مستوى أشكال الاستغلال، من خلال تراجع النظام القديم لصالح تنظيمات جديدة تركز على تكريس سيطرة الدولة على المجال وتملكه، وذلك عبر ترسانة من القوانين الرامية إلى تقنين استعمال المجال واستغلال الموارد، (Boulhol.p,1973). وقد كانت الغابة من أبرز الموارد الطبيعية التي استهدفتها الحماية الفرنسية بغية استغلالها لفائدتها، الشيء الذي كانت له انعكاسات وخيمة لازالت الدولة المغربية تؤدي تكلفتها إلى يومنا هذا.

لقد خضع المجال الغابوي والمراعي بالأطلس الكبير ككل، وفي عالية نفيس بشكل خاص لتحولات جذرية تمثلت أساسا في انتقالها من مرحلة التدبير الجماعي الذي تضطلع به القبيلة عبر مؤسسة «جماعة» إلى تدبير آخر أكثر رأسمالية، منذ فرض الحماية التي عملت على فرض سيطرة الدولة المركزية، مدشنة بذلك حقبة جديدة من التدبير العصري المقنن، والمؤسس على اختيارات واردة من المركز كسياسة عمومية تطبق محليا بقوة الدولة (Boulhol.p,1973)، فتراجعت بذلك سلطة القبيلة التي وجدت نفسها في مواجهة مباشرة مع الوافد الجديد الذي لم يأخذ بعين الاعتبار خصوصيات المنطقة التي تتميز بالهشاشة وتعتمد أساسا على الموارد الغابوية من أجل العيش، الشيء الذي دفع بالسكان المحلية إلى التعامل مع الغابة بنوع من العدوانية من خلال استهدافها بالرعي الجائر والاجتثاث والتراخي على الملك الغابوي كرد فعل يعبر عن سخطهم تجاه الدولة التي اغتصبت حقهم وتعاملت معهم بنوع من التهميش وتلمصت في نهاية المطاف من تقديم البديل للسكان المحلية التي فقدت موردها الأساسي.

إذا كانت معظم الأراضي بعالية نفيس قبل الحماية خاضعة للجماعة، فإن هذه الوضعية عرفت تغيرا جذريا بعد الحماية، حيث أضحت الغابة تحت سيطرة الدولة التي سعت عبر ترسانة متعددة من القوانين، إلى تكريس سيطرتها على هذا المجال الحيوي الذي أشعل صراعا مريرا كان من نتائجه اجتثاث مساحات مهمة، تبرز اليوم كمساحات رعوية أو مزروعة شاهدة على حجم الاستغلال المفرط الذي تعرض له المجال الغابوي.

مما سبق نستنتج أن الغابة في عالية نفيس خضعت لنمطين متناقضين من التدبير والاستغلال؛ فهناك من جهة نمط تقليدي متجذر في التاريخ، ويتجلى في «مؤسسة جماعة» التي تعرضت للتهميش والإقصاء الممنهجين، رغم نجاعة الأسلوب الذي اعتمدته في تدبير الغابة، والذي ساهم إلى حد كبير في الحفاظ على التوازنات البيئية، ومن جهة أخرى برز نمط جديد في تدبير الغابة متمثلا في الدولة عبر المندوبية السامية للمياه والغابات، التي خول لها القانون حق احتكار تدبير وتهيئة المجال الغابوي. وتجذر الإشارة في هذا السياق إلى أن هذا النمط الجديد كان يركز على الأهمية الاقتصادية للغابة، متجاهلا بذلك مصلحة الساكنة المحلية التي كانت في الماضي القريب تعتمد القانون العرفي وتشكل تنظيمات محلية تهم مجالها القبلي ككل (Auclair.L,1996)، الأمر الذي مكن من إدماج الغابة ضمن باقي عناصر البيئة الأخرى التي تقع تحت تصرفها كالماء والمراعي، مما ساهم في الحفاظ على التوازنات الغابوية، وبالتالي حمايتها وضمان استدامتها، على عكس الواقع المر الذي تعيشه الغابة اليوم.

4. المجال الغابوي لعالية نفيس: تدهور كبير ودينامية سريعة

1.4. بعض مظاهر تدهور الغابة المغربية:

يطرح واقع الثروة الغابوية ببلادنا تنوع التحديات التي تواجه الغطاء الغابوي؛ تحديات تزداد حدة مع استمرار عوامل تهديد هذه الثروة، وذلك ليس وليد اليوم، وإنما يعود إلى الماضي، وبالضبط مع سقوط المغرب في يد الحماية، مما أثر بشكل كبير على الغابات المغربية، كما على الفلاحة. وتتضمن أهم هذه التحديات، على الخصوص، في ما يلي:

إن مساحة الأراضي محدودة في المغرب، رغم وجود مليون هكتار من أراضي الاستعمار، منها 300 ألف من أراضي الاستعمار الرسمي والتي ذهبت إلى الإصلاح الزراعي، والباقي تم استرجاعه من طرف صوديا و سوجيطة من 300 إلى 320 ألف هكتار سنة 1972. بينما ذهب الباقي إلى المعمرين الجدد. ومعلوم أن 300 ألف هكتار التابعة لصوديا و سوجيطة تم توزيعها، ولم يتبق منها سوى ما بين 56 و 76 ألف هكتار، أي أنه حتى تلك الهكتارات ذهبت إلى طبقة معينة. (إدريس اسكيكري، 2013)

إن إدخال الغابة في ملك المخزن، بعدما كانت محمية من طرف القبائل أدى إلى اندثار الغابة، بالإضافة إلى ظهور شركات مجهولة لا يعرفها الفلاحون، لكنهم يعلمون بأن هناك أشخاصا يكترون الغابة، و يحيطونها بالأسلاك، ليطلقوا فيها الوحش والغزال. و طبعا فإن هذه المسألة تشكل خطورة بالنسبة للكسابة الذين يعيشون في المناطق الجبلية، ولهم علاقة وطيدة بالغابة ومجالات الرعي فيها⁽²⁰³⁾.

مشكل الجفاف، وتحدي التقلبات المناخية، والذي يتسبب في التقلص التدريجي للمساحة الصالحة للزراعة. ومن المعلوم أن الفلاحة لا يمكنها أن تضمن عيش السكان في البادية، خاصة وأن نسبة 60% من السكان، موجودون في المناطق الجافة بالجنال وبالمناطق الواحية، وبالتالي تراجع مداخيل الفلاحين خاصة في المناطق الجبلية، مما يؤدي بالسكان إلى الاتجاه نحو القطاع الغابوي بحثا عن مورد عيش بديل عن الفلاحة. فيتم قطع الغابة وبيعها، بالإضافة إلى جمع حطب التدفئة، والرعي.

- ⊙ تحدي الضغط الديمغرافي المتواصل على الموارد الطبيعية، وعلى رأسها الغطاء الغابوي؛
- ⊙ تحدي توسع الأراضي المزروعة على حساب الأراضي الغابوية والرعية؛
- ⊙ تحدي زحف التعمير على المساحات الغابوية 1500 هكتار سنويا تقريبا؛
- ⊙ تحدي التصحر الذي أصبح ظاهرة مقلقة؛

(203) أجار محمد، الحوار المتمدن- العدد: 1174 - 2005 المحور: الطبيعة، التلوث، وحماية البيئة ونشاط حركات الخض.

② تحدي تفاقم بعض السلوكيات البشرية المدمرة: الحرائق، الرعي غير المعقلن الذي يتجاوز القدرات الفعلية لتجدد الموارد الغابوية⁽²⁰⁴⁾

③ كل هذه العوامل وغيرها جعلت الغطاء الغابوي المغربي يعيش تراجعاً متزايداً مع مرور السنين. ويبدو ذلك جلياً أكثر بالاطلاع على بعض المصادر التاريخية التي تتحدث عن واقع المنطقة في الماضي من حيث المناخ والنبات، أو بالعودة إلى بعض الصور الجوية القديمة نسبياً ومقارنتها بالصور الجوية للوقت الحاضر.

في هذا السياق نجد بأن بعض التقديرات تتحدث عن كون الغابة المغربية كانت إلى حدود منتصف القرن الماضي تغطي حوالي 13.5 مليون هكتاراً، وهو الرقم الذي تحول مع بداية القرن الحالي، أي في ظرف نصف قرن فقط، إلى 8.5 مليون هكتار، منها حوالي 4 مليون هكتار عبارة عن سهوب وطلح صحراوي. بمعنى آخر أن الغابة لم تعد تمثل سوى 8 % من مساحة التراب الوطني، وهي نسبة بعيدة جداً عن المعيار الدولي الذي يعتبر بأن على الغابة تغطية ما بين 25% و 30% من مساحة البلد حتى تتحقق الغايات الكبرى المرجوة منها كمورد طبيعي.

الأرقام الوطنية تتحدث كذلك عن تراجع مهول للغابة بمعدلات سنوية تتراوح ما بين 30000 و 35000 هكتار في السنة. وهو ما يهدد حوالي 1500 نوع نباتي بالانقراض، مع ما يرتبط بذلك من حياة بيئية حيوانية. وعموماً فإن الغابات الأكثر تضرراً في المغرب هي غابات الريف والأطلس المتوسط (خاصة الأرز) وغابة المعمورة، وغابة سوس ماسة (الأركان)⁽²⁰⁵⁾. فإذا كان هذا هو الوضع بالمغرب عموماً، فما هو وضع الغابة في المنطقة المدروسة، أي في عالية حوض نفيس ؟

2.4. مظاهر تراجع المجال الغابوي بعالية نفيس وعواملها:

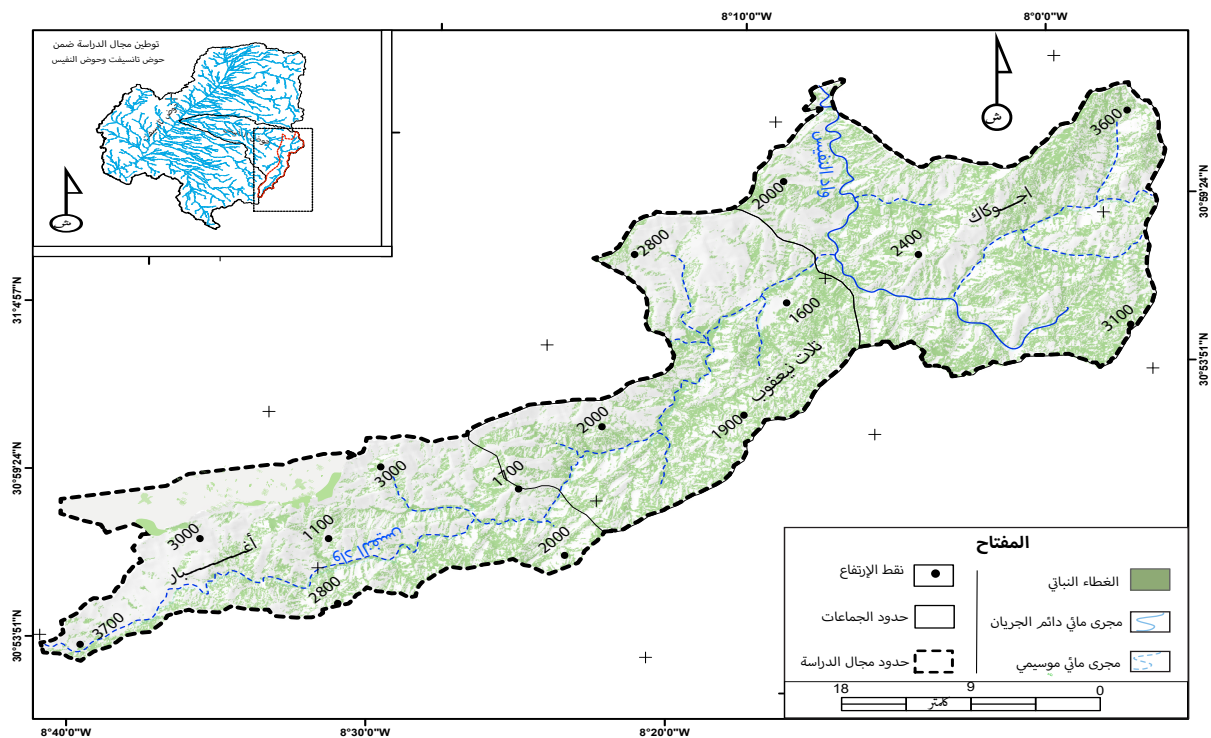
1.2.4. أهم مظاهر تراجع المجال الغابوي لعالية حوض نفيس ما بين 1980 – 2019

أشرنا سابقاً إلى أن العلامة الأولى على تدهور الغطاء الغابوي هي تراجع المساحة التي يغطيها أو يشغلها في الحاضر مقارنة بالماضي. وهذه المسألة من اليسير التأكد منها بمجرد القيام بمقارنة بين صور الأقمار الاصطناعية والخرائط الطبوغرافية بين الأمس واليوم. هذه الآلية (المقارنة) اعتمدناها في المنطقة المدروسة، وذلك بالمقارنة بين وضع ومساحة الغابة بين عامي 1980 م و 2019 م. وهو ما توضحه الوثائق التالية:

(204) د محمد الشيخ بيد الله 2014: «إشكاليات تطور القطاع الغابوي: الواقع الحلول والآفاق».

(205) كل المجالات الغابوية المغربية تتدهور بوثيرة أو بأخرى وإنما ذكرنا هذه الغابات تحديداً باعتبارها الأكثر تضرراً.

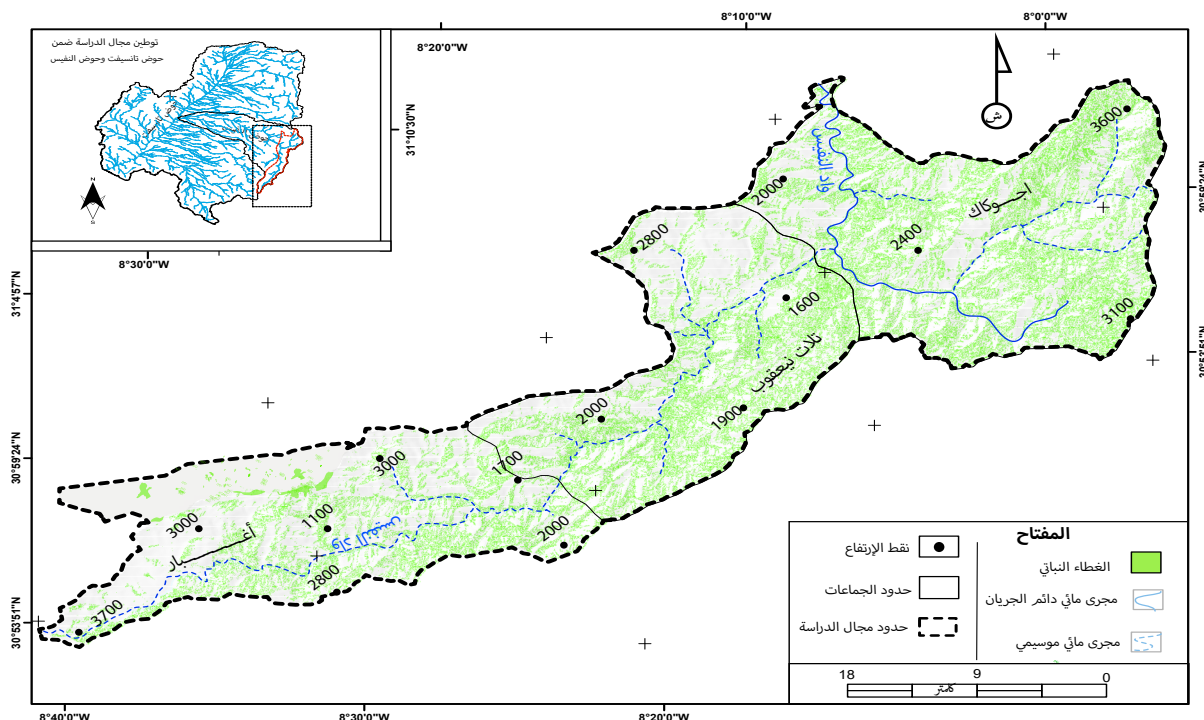
الشكل رقم 75: خريطة الغطاء النباتي لعالية حوض نفيس سنة 1980



المصدر: المصدر: استغلال مرئيات القمر الاصطناعي لاندسات من نوع TM سنة 1980

ان تراجع الغطاء النباتي لعالية حوض نفيس في الفترة ما بين 1980 و 1990 كان محدودا رغم ذلك. ويمكن تفسير ذلك بمجموعة من العوامل المتمثلة أساسا في كون الإنسان كان يستغل المجال الغابوي لكن بطريقة عقلانية، حيث أنه كان يعتبر هذا المجال ملكا له، وبالتالي فهو مطالب بالحفاظ عليه من أجل الاستعادة منه بطريقة مستدامة. أضف إلى ذلك أن النمو الديمغرافي كان معقولا بالمنطقة. لذلك ومن خلال الشكل 75 و 76 نلاحظ أن وثيرة التدهور ظلت محدودة، حيث همت بالأساس الاجتثاث والقطع إلى جانب الرعي، لكنه كانه محدودا في الزمن والمجال، لذلك فإن وثيرة التدهور كانت محدودة. على عكس الفترات اللاحقة حيث نسبة تراجع وتدهور المجال الغابوي بعالية نفيس ازدادت بشكل كبير بسبب تظافر العديد من العوامل التي سنعمل على تسليط الضوء عليها.

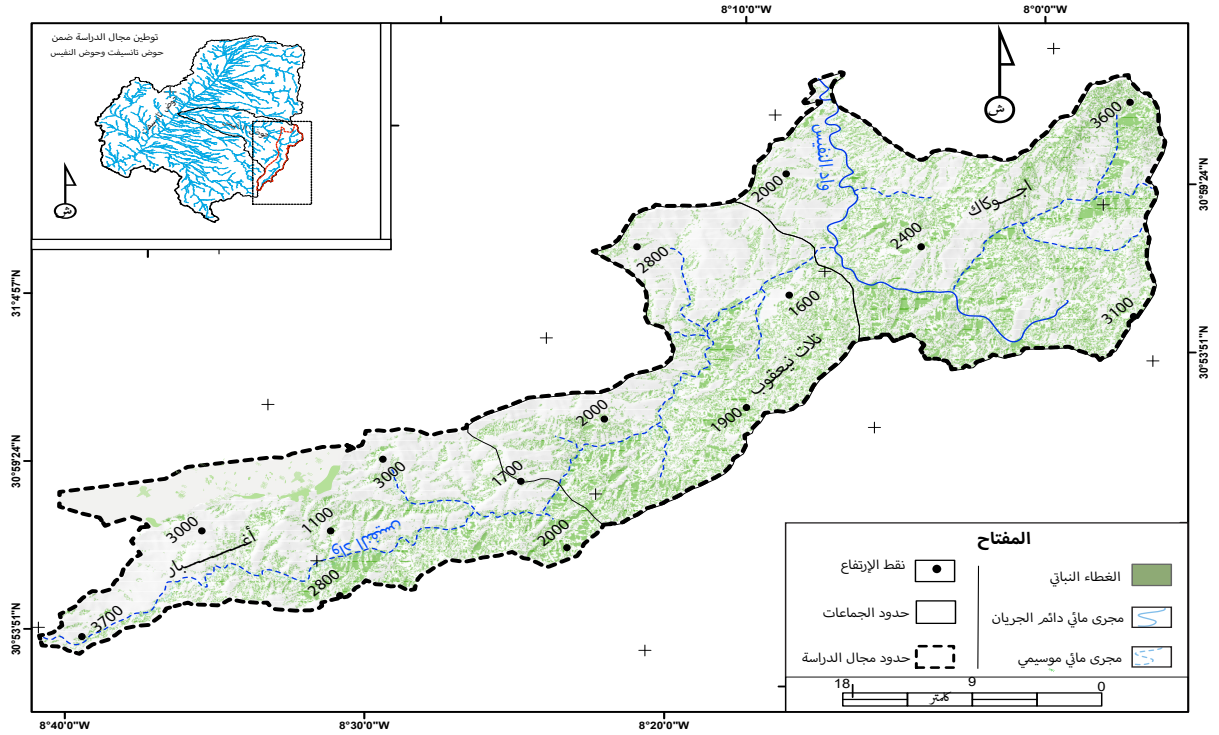
الشكل رقم 76: خريطة الغطاء النباتي لعالية حوض نفيس سنة 1990



المصدر: المصدر: استغلال مرئيات القمر الاصطناعي لاندسات مت نوع MSS سنة 1990

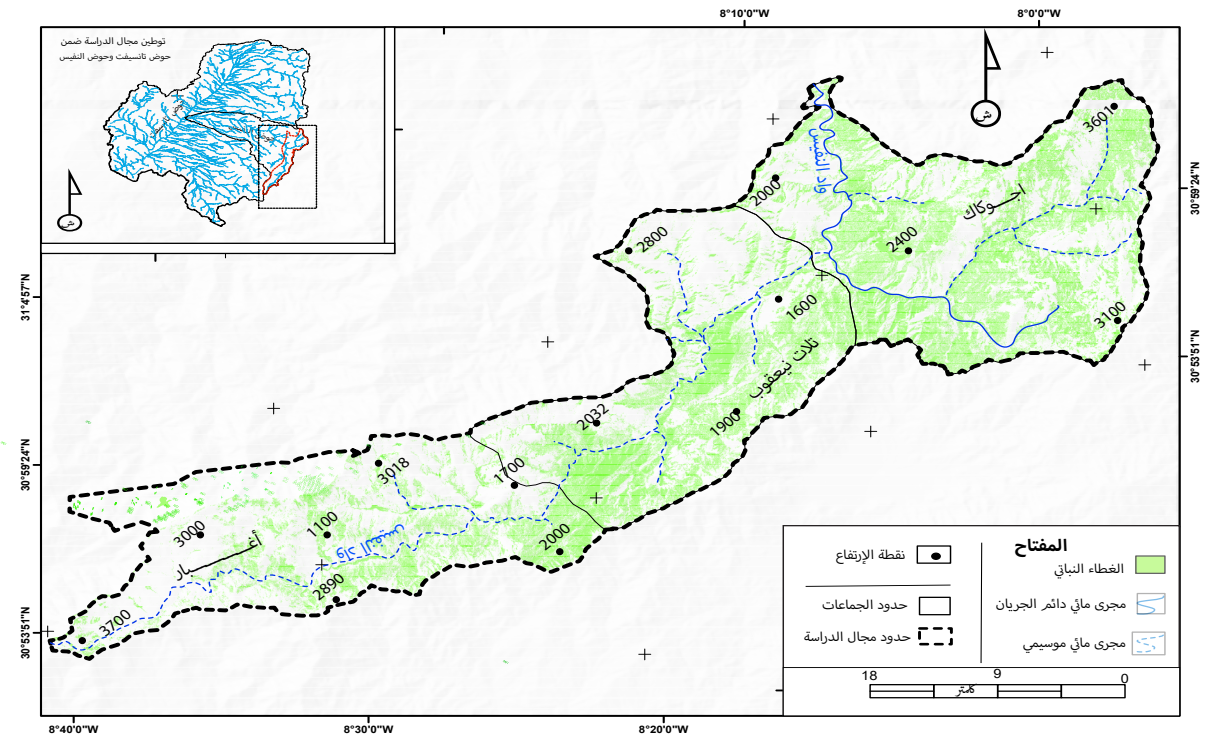
شكلت فترة التسعينيات من القرن العشرين منعطفا حاسما بالنسبة لدينامية المجالات الغابوية لعالية حوض نفيس ، حيث تعرض المجال الغابوي لتدهور كبير بلغت نسبته 6.2%، مقابل 1.9% خلال الفترة الممتدة ما بين 1980 و 1990، خلال نفس الفترة، ويمكن تفسير ارتفاع وثيرة هذا التدهور خلال هذه الفترة بجملة من العوامل المتمثلة أساسا في كون هذه الفترة تميزت بضغط بشري كبير على المجال، سواء تعلق الأمر بتأثير الرعي على المجال الغابوي أو الاجتثاث وتعدد استعمالات الموارد الغابوية. ناهيك عن كون فترة التسعينيات شهدت انفجارا ديمغرافيا كبيرا، واكبه ارتفاع حجم الأسر وتشكيل أخرى جديدة عملت على التوسع على حساب المجال الغابوي. وأخيرا فإن هذه الفترة شهدت أيضا تعاقب سنوات الجفاف والقحط التي انعكست سلبا على الغطاء النباتي، لاسيما في الجماعة الترابية لتلات نيعقوب، حيث تراجع المجال الغابوي بشكل كبير وذلك بحكم استقطاب هذه الجماعة لنسبة كبيرة من سكان المناطق المجاورة. الأمر الذي بدى تأثيره واضحا على المجال الغابوي. وفي هذا السياق لابد من الإشارة أيضا إلى أن الجماعة الترابية لاجوكاك، قد شهدت بدورها تقلصا ملحوظا في مجالها الغابوي ابتداء من فترة التسعينيات إلى حدود سنة 2005، الشيء الذي يمكن ملامسته بشكل واضح في تراجع العديد من الأصناف الغابوية كالبلوط والعرعار، باعتبارهما من الأصناف التي تستعمل بشكل كبير في التدفئة والرعي.

الشكل رقم 77: خريطة الغطاء النباتي لعالية حوض نفيس سنة 2000



المصدر: المصدر: استغلال مرئيات القمر الاصطناعي لاندسات مت نوع ETM سنة 2000

الشكل رقم 78: الغطاء النباتي لعالية حوض نفيس سنة 2019

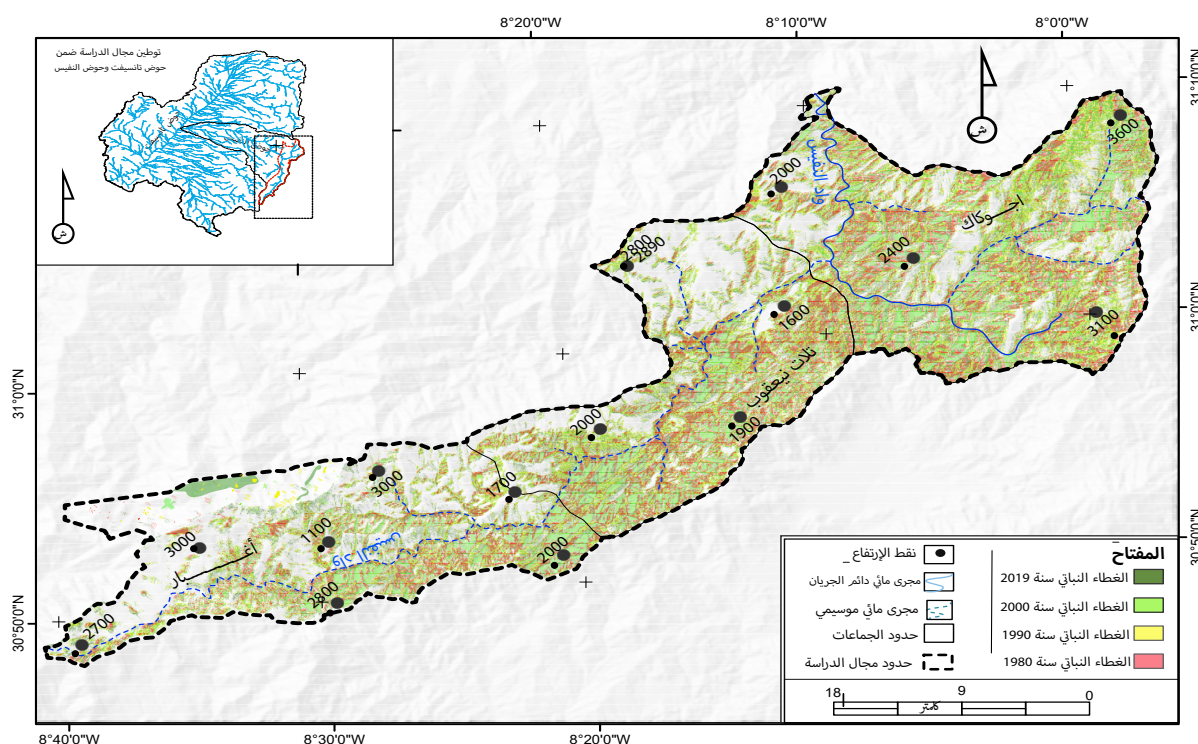


المصدر: استغلال مرئيات القمر الاصطناعي لاندسات 8 سنة 2019

على غرار الفترة السابقة، فإن المجال الغابوي لعالية حوض نفيس خلال الفترة الممتدة ما بين 2000-2019. عرفت استمرار تدهور وتراجع الغابة بهذا المجال، حيث بلغت نسبة تراجع الغطاء النباتي

6.54% وهي نسبة جد مرتفعة بالمقارنة مع الفترات السابقة. وهو مؤشر يدل على أن وثيرة التدهور استمرت بشكل كبير، رغم التدخلات التي قامت بها مديرية المياه والغابات من خلال اطلاق مشروع لتشجير مناطق واسعة بعالية نفيس. غير أن نتائج هذه التدخلات لم ترق إلى مستوى وثيرة الاجتثاث التي تعرضت لها المنطقة. أضف إلى ذلك، عدم انخراط الساكنة المحلية في برامج هذه المديرية، و التي يتم النظر إليها كدخيل احتكر الموارد الغابوية، وانتزعها من يد الساكنة المحلية التي كانت في ما مضى هي المتحكمة فيها. الشيء الذي جعل العلاقة بين الساكنة المحلية من جهة، ومديرية المياه والغابات من جهة ثانية تعرف توترا كبيرا، انعكس بشكل واضح على وثيرة التدهور. وهو ما يستدعي ضرورة إعادة النظر في الأساليب التي يتم اعتمادها في تدبير هكذا مجالات. ويتضح من خلال (الشكل 79)، بأن الغطاء النباتي المحاذي لوادي نفيس، عرف تراجعاً بشكل كبير في عالية نفيس بصفة عامة، واغبار وتلات نيعقوب بشكل خاص.

الشكل رقم 79: خريطة الغطاء النباتي لعالية حوض نفيس بين 1980 و 2000



المصدر: البحث الميداني 2019-2020

جدول رقم 37: تطور معدلات استعمال الأرض بمجال الدراسة ب كلم² بين 1980 و 2019

2019	2000	1990	1980	
463,68	2015	428,68	410	المجال غير المبني
0,82	445,66	0,92	0,98	المجال المبني
213,55	0,83	243,7	248,51	الغطاء النباتي
2,66	228,56	7,41	11,22	الغابة
680,71	5,66	680,71	670,71	المجموع

المصدر: الصور الجوية لسنوات 1980-1990-2000-2019 لمجال الدراسة

من خلال هذه الوثائق يتضح ما يلي:

⊙ أن الغطاء النباتي بالمنطقة قد تراجعت مساحته ما بين سنتي 1980 و2019 من 248.51 كلم² إلى 213.55 كلم² أي بتقلص مساحي بلغ حجمه حوالي 35 كلم²، وهو ما يمثل نسبة تراجع بلغت 14.06%.

⊙ أن الغابة بدورها تقلصت مساحتها من 11.22 كلم² سنة 1975 إلى 2.66 كلم² فقط سنة 2019، بتراجع مساحي بلغ 8.56 كلم² وهو ما يمثل نسبة 76.29% أي 4/3 من المساحة الأصلية، وهي نسبة جد مرتفعة بالمقارنة مع الفترة الزمنية القصيرة التي حدث فيها هذا التراجع. (44 سنة فقط).

⊙ أن المجال المبنى ارتفعت مساحته في المنطقة على حساب الغابة في مقابل تراجع مساحة المجال غير المبنى.

⊙ أن مساحة الغطاء النباتي بالمنطقة قد تراجعت بأكثر من 75%، وهو ما توضحه الخريطة بشكل جلي.

هذه الأرقام المفزعة تجعلنا نجزم بأن أسباب التراجع ليست طبيعية فقط، وإنما وراءها عوامل أخرى تقتضي منا طرح سؤال الأسباب والعوامل الحقيقية وراء هذه الكارثة البيئية بكل المقاييس؟ إننا نتحدث هنا عن سؤال التفسير لهذه الظاهرة.

2.2.4. العوامل المفسرة لتراجع الغطاء الغابوي بالمنطقة عالية حوض نفيس :

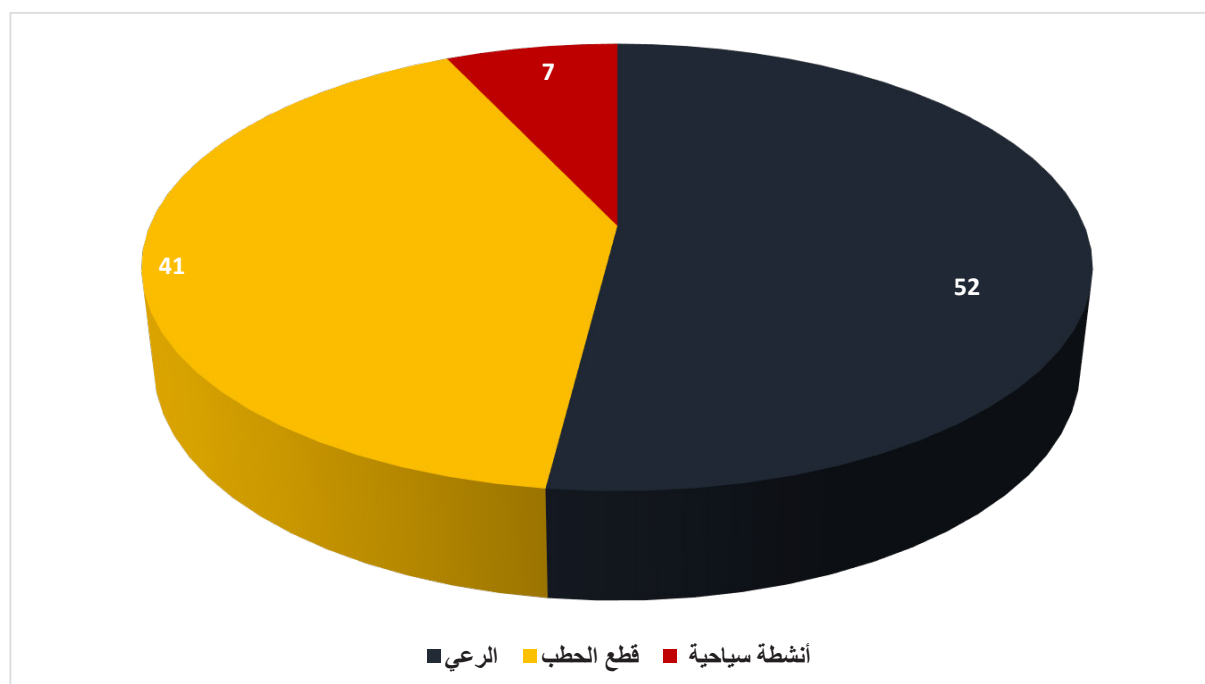
1.2.2.4. يتسبب الضغط الرعوي في إعاقة التجديد الطبيعي لمختلف أصناف

النباتات والأشجار:

يعتبر الرعي أحد أهم الأسباب المفسرة لحدة التراجع الذي تعيشه الغابة في عالية حوض نفيس خاصة إذا أخذنا في الحسبان بأنه أحد أهم الأنشطة التي يمارسها السكان داخل المجال الغابوي بنسبة تصل إلى 52% من مجموع الأنشطة الممارسة داخل الغابة، إلى جانب قطع الأشجار والأنشطة السياحية التي لا تمثل سوى 7%، رغم أن المنطقة تتوفر على مؤهلات سياحية مهمة⁽²⁰⁶⁾ من شأنها التقليل من معدلات الهشاشة الاجتماعية التي تعاني منها الساكنة المحلية، غير أنها غير مستغلة بشكل جيد، الشيء الذي يشكل عائقاً أمام تنمية المنطقة.

(206) تتوفر عالية نفيس على مؤهلات طبيعية مهمة من شأنها أن تساهم في تعزيز العرض السياحي الجبلي الذي يعتمد عليه إقليم الحوز والذي يشغل في بعض المجالات الجبلية نسبة مهمة من اليد العاملة والتي قد تتجاوز 70%، غير أن عالية حوض نفيس تعاني رغم توفرها على مؤهلات سياحية مهمة من ضعف النشاط السياحي، حيث أن المنطقة تزخر بالعديد من القصبات التي لعبت أدواراً مهمة في تاريخ المنطقة وتشكل تراثاً مادياً يتعرض للاندثار ولا يتم استغلاله في السياحة، كما أن المنطقة تحتضن مسجد تنمل الذي شكل مهد الدولة الموحدية، ويعتبر معلمة مهمة في المنطقة من شأن استثماره سياحياً أن يساهم في إنعاش المنطقة.

الشكل رقم 80: أهم الأنشطة التي تزاوّل داخل المجال الغابوي لعالية حوض نفيس



المصدر: بحث ميداني 2018-2020

هذا النشاط الرعوي الذي يدخل ضمن الأنشطة الفلاحية الممارسة بالمنطقة، يتخذ عدة أشكال مما يزيد من حدة تأثيره على الغطاء النباتي. ففي الجماعة الترابية أغبار مثلاً يتخذ هذا النشاط شكلين أساسيين:

⊙ الرعي اليومي أو شبه اليومي بنسبة 47.5%

⊙ الانتجاع بنسبة 23,5%

⊙ الخلط بين النوعين يمثل نسبة 18%

جدول رقم 38: أشكال الرعي لعالية حوض نفيس أغبار نموذجاً

النسبة %	نوع الرعي
47,5	يومي / شبه يومي
23,5	انتجاع
18	هما معا
11	دون اجابة

بحث ميداني 2018-2020

هذا النشاط الذي تمارسه جل الأسر بالمنطقة، يتخذ من الغابة فضاء لممارسته من قبل 34% من الأسر الرعوية، بينما تخط نسبة 42% من هذه الأسر بين الغابة والحقول كمجال لممارسة الرعي والانتجاع. بينما تتوجه 26% من هذه الأسر بنشاطها هذا إلى المزوجة بين المراعي الجماعية والغابة.

الملاحظ أن الغابة تبقى فضاء مستهدفا من قبل الفئات الثلاث. وبلغت الأرقام فإن 76.11% من الأسر الرعوية بالمنطقة، تتخذ من الغابة مجالا مفضلا لرعي قطعانها من المواشي، وهي نسبة مرتفعة سيتولد عنها بالضرورة ضغط على الغابة خاصة في ظل عدم احترام القوانين المعمول بها في هذا المجال وهذه مسألة أخرى سنعود إليها في حينها. وتبقى نسبة 23.89% من الأسر فقط هي التي يقتصر نشاطها الرعوي على المراعي الجماعية وعلى الحقول، كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول رقم 39: مجالات تردد الرعي والانتجاع بالقطعان في عالية نفيس

النسبة من الأسر الرعوية	مجالات الانتجاع والرعي
34	الغابة
42	حقول وغابة
26	مراعي جماعية
19	مراعي جماعية وحقول
13	الزريبة وحقول

المصدر: بحث ميداني 2018-2020

2.2.2.4. يساهم الاجتثاث العشوائي في تدهور المجال الغابوي

تعرض المجال الغابوي لعالية حوض نفيس منذ الحماية إلى يومنا هذا لضغط كبير بفعل تظافر العديد من العوامل وفي مقدمتها الحاجة إلى الحطب سواء للطهي أو للتدفئة في أيام الشتاء الباردة، خاصة إذا ما استحضرنّا عزلة المنطقة طبيعيا وتنمويا.⁽²⁰⁷⁾ وفيما يلي بعض الأرقام المرتبطة بالاستعمالات الرئيسية للخشب في المنطقة من طرف السكان:

جدول رقم 40: الاستعمالات الرئيسية للخشب بعالية نفيس

الاستعمالات اليومية	مصدر الطاقة المستعملة	النسبة %
الانارة	الغاز	46
	الكهرباء	54
	المجموع	100
الطهي	الحطب أو الفحم	72
	الغاز	28
	المجموع	100
التدفئة وتسخين المياه	الحطب	97
	آخر	3
	المجموع	100

المصدر: بحث ميداني 2018-2020

(207) كلما كان مستوى التنمية مرتفعا بهذه المناطق كلما أمكن الحديث عن إمكانية حماية الموارد الطبيعية التي تعتبر إرثا لجميع الأجيال في إطار الاستدامة التي يتحدث عنها الجميع. أما أن يكون الإنسان ملغى في أبسط حاجياته اليومية ونأتي لنتحدث له عن الحفاظ على الموارد فهو من قبيل الترف الفكري الزائد عن اللزوم والذي قد يرقى إلى مستوى السخرية من هؤلاء الناس، وهو ما يفسر عدم استجابتهم للعديد من المبادرات في هذا الباب.

فالسكان تعتمد على الحطب في الطهي بنسبة 76%، وفي التدفئة بنسبة 97% وهي نسب جد مرتفعة، مع العلم بأن المعدل الأسبوعي للاستهلاك يصل إلى:

⊙ ما بين 50 و 60 كلف بالنسبة للتدفئة.

⊙ ما بين 60 و 90 كلف بالنسبة لخشب الطهي.

كما أن النسبة التي يمثلها هذا النشاط، مضافا إليها النشاط الرعوي، تصل إلى 91.9% من مجموع الأنشطة الممارسة داخل الغابة بالمنطقة. (جدول 40).

الشكل رقم 8I: صور لنماذج من المناطق الغابوية بعالية نفيس التي تعرضت للتدهور



المصدر: صور من Google earth يوم 22 نونبر 2021

هذا الإفراط في قطع أشجار الغابة بالمنطقة، لا يمكن تفسيره فقط بالحاجة المحلية إلى حطب الطهي والتدفئة، فهذه الأمور رافقت دائما نمط عيش سكان المناطق الغابوية الجبلية في جميع مناطق العالم. وغالبا ما كانت تمضي الأمور في إطار نوع من التوازن بين الإنسان والمحيط الذي يعيش فيه. هنا لا بد

من طرح السؤال عن حقيقة هذا التدهور وعن المسؤول الرئيسي الذي يوجد وراءه؟ بل إن الاستعمالات الأخرى التي ترتبط بالغابة كمورد طبيعي، وكمصدر لعيش ساكنة الجبال، من قبيل توفير الأعلاف للماشية والذي يستهدف بالأساس السنديان الأخضر بمعدل استهلاك أسبوعي يصل إلى ما بين 20 و 40 كلغ، أو توفير خشب البناء، وخاصة أشجار العرعار، فإنهما نشاطان لا يمثلان سوى ما نسبته 12 % و 7% على التوالي من مجموع أشكال الاستغلال الغابوي بالمنطقة.

فالسكان بالمنطقة رغم ما يعيشونه من عزلة ومن تهميش لا يستطيعون إلحاق كل هذا الضرر بالوسط الذي تربطهم به مئات السنين من التعايش، حتى أصبح المجال والإنسان وجهين لعملة واحدة بهذه المناطق. هذا الاستنتاج يدفعنا إلى القول بوجود طرف ثالث (غير الطبيعة والسكان المحلية) مشارك في هذه الكارثة البيئية. هذا الطرف قد يلجأ إلى استغلال حاجة السكان اليومية وفقرهم من أجل الدفع بهم إلى هذه المغامرة غير محسوبة العواقب. نقصد هنا مافيات تهريب وقطع الأخشاب، أو أصحاب الصفقات التجارية الذين لا يحركهم سوى الربح المادي، بعيدا كل البعد عن أية فلسفة بيئية أو تنمية. بل قد يتواطؤون مع من كان من المفروض فيهم حماية مصالح الساكنة، وتنزيل مخططات الدولة، ونقصد بعض رؤساء الجماعات المحلية الذين يضطرون من أجل توفير بعض الموارد المالية الزائدة إلى التضحية بالغابة وبمستقبل الأجيال القادمة.

هذا الطرح يفسر نسبيا عدم نجاعة السياسة الزجرية في هذا الباب، والتي غالبا ما تستهدف المواطن البسيط المقهور، وتغض الطرف عن اللوبيات الكبرى القادرة على تمرير مخططاتها التخريبية بواسطة سلطة المال والفساد السياسي، الشيء الذي يؤدي إلى سياسة عكسية، خاصة مع إحساس السكان بالظلم الذي سينضاف إلى التهميش والهشاشة بالمنطقة.

جدول رقم 4I: تطور مخالفات قطع الأشجار بالمنطقة ما بين 2014/2008:

السنوات	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014
عدد المخالفات	58	63	76	84	110	126	120

المصدر: مصلحة المياه والغابة بالأطلس الكبير

3.2.2.4. يساهم الضعف التنموي بالمنطقة في تراجع المجال الغابوي:

تتسم الغابة بالمغرب عموما وغابة عالية نفيس بشكل خاص، بتعدد وتنوع الأنشطة المزاولة بداخلها (الرعي، الزراعة، استغلال الخشب، الأعشاب الطبية...)، مما يشكل ضغطا كبيرا على الموارد الغابوية، ويساهم بالتالي في ارتفاع وثيرة تدهورها، الشيء الذي سنحاول إبرازه من خلال تسليط الضوء على بعض مظاهر تدهور المجال الغابوي لعالية حوض نفيس من خلال استثمار صور الأقمار الاصطناعية لرصد هذا التدهور إلى جانب استغلال معطيات البحث الميداني التي مكنتنا من رصد عدة مظاهر تعكس

التدهور الكبير الذي عرفته وتعرفه الغابة بهذا المجال الذي يتسم بالهشاشة الطبيعية والهشاشة الاجتماعية، الشيء الذي سرع من وثيرة تدهوره.

في البداية لابد من الإشارة إلى أن الغابة المغربية عرفت، منذ فرض نظام الحماية، تدهورا كبيرا بعد ارتفاع وثيرة الاستغلال التي شرعت فيها سلطات الحماية، خلال المرحلة الأولى، من أجل استنزاف موارد البلاد. وبعد الاستقلال، استمرت الدولة في عملية التعامل مع الغابة بمقاربة اقتصادية محضة لا تراعي إلى حد كبير التوازنات البيئية، مما ساهم في اختلال العلاقة بين الإنسان والغابة، حيث تم الانتقال من التدبير المشترك إلى التدبير المتمحور حول إدارة المياه والغابات والجماعة الترابية⁽²⁰⁸⁾. غير أن دور الإنسان في هذا التدهور لا يمكن تجاهله، إذ أن تعدد وظائف الغابة (الشكل 80)، جعلها عرضة لضغط بشري كبير لاسيما وأن المنطقة تتميز بارتفاع معدلات الفقر والهشاشة الاجتماعية وبالتالي فإن الغابة هي المتنفس الوحيد الذي يتم اللجوء إليه من أجل الحصول على مورد مالي لمعظم الساكنة القريبة للغابة بعالية نفيس.

(208) تشكل الغابة موردا مهما بالنسبة للعديد من الجماعات الترابية بالمنطقة حيث أنها تستفيد من مداخل الغابة عن طريق صفقات السمسرة للاستغلال الرسمي للغابات، كما ان غياب برامج حقيقية للتنمية في المنطقة يدفع بالفاعلين السياسيين إلى البحث عن الحلول السهلة للحصول على الموارد المالية الكافية لتغطية العجز الذي تعاني منه أغلب ميزانيات الجماعات الترابية بعالية نفيس.

خلاصة الفصل:

خلاصة القول، أن المجال الغابوي لعالية حوض نفيس، يعرف دينامية كبيرة ساهم في حدوثها تضافر العديد من العوامل التي يتداخل فيها ما هو مرتبط بهشاشة الوسط الطبيعي من جهة والهشاشة الاجتماعية التي تعرفها المنطقة من جهة أخرى، فكانت النتيجة أن المجال الغابوي عرف تدهورا كبيرا رغم التدابير التي تم اتخاذها.

أمام الدينامية الكبيرة التي يعرفها المجال الغابوي لعالية حوض نفيس ، أضى خيار التدبير والتهيئة يكتسي أهمية بالغة، بهدف معالجة العديد من الاختلالات التي بدت ملامحها واضحة بهذا الوسط العطوب وفي مقدمتها تراجع المجال الغابوي بوثيرة سريعة، لذلك فإن المقاربة التي اعتمدتها الوزارة الوصية على القطاع لم تحقق النتائج المتوخاة منها على اعتبار أنها تفتقد للمقاربة التشاركية وهو ما ساهم في عدم نجاعتها، لذلك فهي مطالبة اليوم أكثر من أي وقت مضى بضرورة مراعاة حقوق ذوي الانتفاع، واعتماد التدبير المستدام للأنظمة الغابوية قصد المحافظة على التنوع البيولوجي.

الفصل الثاني: المجال الغابوي بعالية نفيس من التهيئة القطاعية الى التهيئة التشاركية

تقديم:

على الرغم من الجهود التي بذلتها وتبذلها الدولة المغربية من أجل تحقيق عدالة مجالية بين المناطق الجبلية وغيرها من المناطق، فإن النتائج التي حققتها مختلف هذه التدخلات لا ترقى إلى طموحات ساكنة هذه المناطق التي تعاني من خصائص كبيرة فيما يتعلق بمختلف مؤشرات التنمية البشرية. كنتيجة طبيعية للعزلة والتهميش المزدوجين اللذان انعكسا سلبيا على حياة الساكنة المحلية التي لجأت هي الأخرى إلى الضغط على المجال الطبيعي وخاصة المورد الغابوي من اجل ممارسه أنشطة الحياة اليومية. وكسب لقمة العيش في ظل ظروف قاسية تتسم بزيادة الضغط الديمغرافي وتزايد حدة التغيرات المناخية مما أدى إلى الإخلال بالتوازنات البيئية والطبيعية بالمنطقة. وهو الأمر الذي لم يعد ممكنا تجاوزه أو الإغفال عنه لأنه تحول إلى واقع يهدد المجال الطبيعي وحياة ساكنيه يوما بعد يوم.

هذه النتيجة التي أكدت عليها هذه الدراسة عبر جميع فصولها هي التي جعلتنا نختار تخصيص هذا الفصل لإشكالية التهيئة التي نعتبرها مدخلا أساسيا وضروريا لمعالجه مختلف الاختلالات التي اشرنا إليها في السابق، ونقصد بهذه التهيئة كل ما من شأنه أن يؤدي إلى:

- صيانة الموارد الطبيعية؛
- تأهيل الأوساط الغابوية؛
- تأهيل الأوساط الرعوية؛
- تثبيت السفوح؛
- تثمين الرأسمال البشري؛

وهي سلسلة من التدابير والإجراءات ينبغي القيام بها على وجه السرعة من اجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل فوات الأوان. فما هي إذن الخيارات الممكنة التي تدخل في إطار تهيئه الوسط الطبيعي لعالية حوض نفيس؟ وما هي التدابير التي من شأن القيام بها المراهنة على تحقيق التنمية المستدامة بالمنطقة؟

1. تعتبر التهيئة مدخلا أساسيا لتجاوز مسالة تدهور الموارد الطبيعية لعالية حوض نفيس

1.1. تعرف المنطقة المدروسة خصاصا كبيرا على مستوى التدخلات المرتبطة بالتهيئة

يكاد يتفق جل الدارسين لإشكالية التنمية بالأوساط القروية بالمغرب عامة وبالأوساط الجبلية على وجه التحديد، على أن تدهور الأوساط الطبيعية بهذه المناطق (تدهور الأراضي و المراعي والغطاء النباتي والأثرية...) هي السمة المميزة لهذه المجالات في ظل ظروف طبيعية ومناخية غير مستقرة، وفي ظل تزايد

سكاني وضغط ديموغرافي غير مسبوق. في مقابل جهود محتشمة ومبادرات محدودة في إطار ما يعرف بمخططات التهيئة والإعداد. (209)

إن الإشكالية الحقيقية في نظرنا لمشكل التهيئة و الإعداد بالمناطق الجبلية بالمغرب عموما ولعالية حوض نفيس على وجه التحديد ليس فقط ضعف وتيرة التدخلات في هذا المجال وإنما أيضا طبيعة هذه التدخلات وأنواعها وأهدافها. علاوة على ما تعنيه التهيئة لدى الجهات المختصة. أي إشكالية المفهوم في حد ذاته، والذي يتضح بأنه لا يتجاوز مستوى التدخلات التقنية المعتادة التي تقوم بها الجهات المعنية والتي لا تتجاوز إصلاح بعض الأعطاب دون معالجة حقيقية للمشكل من جذوره وأسبابه⁽²¹⁰⁾. إننا نؤكد كما أكدت العديد من الأبحاث والدراسات السابقة على أن مدخل التهيئة لا بد له أن يكون مدخلا سوسيو - بيئي، يزاوج بين إصلاح البيئة الطبيعية وفي نفس الوقت تأمين المورد البشري الذي نعتبره لوحده مدخلا أساسيا لتحقيق التنمية المستدامة في أي مجال من المجالات.

إن مقارنة التهيئة من مدخل بيئي-اجتماعي، هي المقاربة الوحيدة التي من شأنها تقديم إضافة نوعية للمجالات الجبلية بالمغرب، وهي مقاربة شمولية في نظرنا كما أنها تراعي الفئات المعنية بهذه التدخلات في إطار جهد تشاركي يحقق التوازنات المجالية وفي نفس الوقت يراهن على التنمية البشرية والتنمية المستدامة لهذه المناطق. لعل من نقط قوة هذا العمل هو مقارنته الشمولية والتركيبية لقضية الهشاشة في علاقتها بتدهور الغطاء الغابوي لعالية حوض نفيس، وهو ما يمكن استثماره في إطار البحث عن الحل كما تم استثماره في التشخيص. بمعنى أنه ما دامت الإشكالية - أي إشكالية الهشاشة في علاقتها بتدهور المجال الغابوي - مركبة فإن أشكال التهيئة و الإعداد ينبغي هي الأخرى أن تكون شمولية ومركبة. وأن تنظر إلى إشكالية تدهور الأوساط الطبيعية لعالية حوض نفيس من تراجع الغطاء الغابوي وانجراف التربة وتدهور المراعي... الخ. على أنه انعكاس طبيعي لهشاشة اجتماعية وتنموية تم التعبير عنها عبر استغلال مفرط لموارد المجال الطبيعية دون مراعاة للأخطار التي يمكن أن تنتج عن ذلك في الحاضر وفي المستقبل.

2.1. تعتبر المقاربة التشاركية مدخلا أساسيا لتهيئة منطقه عالية حوض نفيس

ظلت الدولة إلى عهد قريب ولا زالت هي المتحكم الوحيد في مسار التدخلات التي تروم تهيئة الأوساط الهشة والشبه الهشة بالمغرب، عبر مقاربات عمودية وأحادية لا تراعي الفئات المعنية أو المنتفعة ولا تقوم بأدنى استشاره أو إشراك لهؤلاء في تدبير مجال هم أدري به من غيرهم. هذه السياسة فوتت على المغرب وعلى هذه المجالات العديد من الفرص والأموال التي تم هدرها طيلة عقود من الزمن. بل أكثر من

(209) أنظر دراسات وأبحاث من قبيل ما كتبه عبد الرحيم بن علي، و سعيد بوجروف، والميلودي شاكرو... وغيرهم من الباحثين الذين تناولوا قضية التنمية المستدامة بالمغرب في علاقتها بتدهور الأراضي والموارد بالمناطق الجبلية.

(210) تقتصر هذه التدخلات في الغالب على بعض الأعمال التقنية من قبيل تشجير بعض الأنواع النباتية المعتادة أو التسييج وبناء مصدات لبعض السفوح... الخ.

ذلك تم تهميش العديد من المبادرات الذاتية التي كان مصدرها السكان المحليون، بدعوى التدبير القطاعي الذي تقوم به الدولة. وهو تدبير موروث عن الاستعمار الذي كان هدفه هو الاستغلال وانتزاع الأرض من أصحابها، مما أدى إلى تصادمات بين الدولة وبين الساكنة المحلية حول مسألة من له الحق في التدبير والتدخل في هذه المجالات. وهو نفس الأمر الذي يقع اليوم مما يجعل تدخلات الدولة في إطار التهيئة تدخلات شاذة في هذه الأوساط.

لقد أكدنا منذ بداية هذا الفصل على أن المدخل الذي ينبغي أن تقارب به الدولة مسألة التهيئة في الأوساط الجبلية بالمغرب عامة هو مدخل ذي بعدين: بعد بيئي و بعد اجتماعي، هذا البعد الأخير لم نكن نقصد به فقط استهداف الإنسان في مسلسل التنمية وإنما أيضا استهدافه عبر إشراكه في التدبير وفي المساهمة في إيجاد الحلول وإبداء الرأي حول قضايا تهمه هو أولا قبل أي أحد. لذلك فإننا نعتبر بأن التهيئة عبر المقاربة التشاركية هي التهيئة المطلوبة. بل إن هذه التهيئة التي كانت خيارا من بين خيارات متعددة في الماضي، هي التي باتت سبيلا حقيقيا ووحيدا من أجل تحقيق النتائج المرجوة. فإشراك الساكنة المحلية لا يروم فقط الإنصات إلى الخبرات والتجارب المحلية والاستفادة منها وإنما أيضا إشراك هؤلاء في تحمل مسؤولية النتائج المترتبة عن التدبير المشترك لهذه المجالات. وهي نتائج ستعكس إما سلبا أو إيجابا على حياتهم اليومية من دون غيرهم في المقام الأول.

لقد أثبتت التدخلات السابقة في إطار التدبير القطاعي فشلها في إيقاف النزيف الذي تعرفه هذه الأوساط، سواء تعلق الأمر باستمرار نزيف الموارد الطبيعية وتدهورها أو تعلق الأمر بتزايد حجم العطب الاجتماعي المرتبط بالهشاشة الاقتصادية والاجتماعية، مما ينتج عنه مزيد من الضغط على المجال الطبيعي في إطار حلقة مفرغة تزيد من عزلة المنطقة أكثر فأكثر. لذلك لم تعد المسألة مجرد تشخيص معزول يمكن تجاهله بقدر ما تحول الأمر إلى هم حقيقي يشغل بال الساكنة المحلية كما الباحثين والمهتمين وأيضا بال السلطات العمومية التي أصبحت اليوم أكثر من أي وقت مضى معنية بهذا الأمر من أجل تدارك هذه الأوساط الهشة والمتدهورة، بالاستفادة من اليقظة الدولية حول كل ما له علاقة بمستقبل الأرض في ظل التغيرات المناخية والضغط السكاني.

وتعتبر المنطقة المدروسة من ضمن المناطق التي تستهدفها مشاريع تنمية الاقتصاد الريفي والجبلية وحماية الأوساط الطبيعية منذ فتره لا بأس بها. غير أن الإشكالية دائما تبقى في المقاربة المعتمدة والتي لم تكن تراعي الساكنة المحلية مما أدى إلى العديد من الإخفاقات في الماضي لا ينبغي تكرارها في الحاضر والمستقبل.

2. التهيئة الغابوية بالمغرب مسار طويل و مردودية محدودة

1.2. تحكمت العديد من التشريعات والقوانين في تدبير الملك الغابوي بالمغرب

يرجع الباحثون مسألة تدبير الأملاك الغابوية بالمغرب إلى فترة الحماية الفرنسية الإسبانية، و بالضبط إلى ظهير 1917 الذي يمكن اعتباره أول تشريع مؤسس لقوانين تدبير الموارد الغابوية، ومنذ ذلك الحين تعاقب صدور العديد من النصوص التشريعية والقوانين المنظمة لكيفية تدبير وتهيئة المجالات الغابوية بالمغرب وهو ما سنحاول تلخيصه في الجدول التالي:

جدول رقم 42: القوانين المنظمة لتدبير المجال الغابوي بالمغرب منذ 1917

القانون المنظم أو النص التشريعي	سنة صدوره	المضمون والمحتويات والمميزات
ظهير 10 أكتوبر	1917 زمن الحماية	هو بمثابة أول تشريع مؤسس لقوانين تدبير المجال الغابوي بالمغرب وقد تلتها مجموعة من القوانين الإجرائية. يتناول العديد من القضايا عبر أبوابه الثمانية ومنها: التعريف بالأملاك الغابوية؛ ومواصفاتها وطرق التحديد؛ طرق تقويت وبيع المحصول الغابوي؛ شروط قطع الأشجار والأخشاب؛ الانتفاع؛ تجديد الغابة؛ زجر المخالفات والتعويضات الناشئة عنها؛ الخ...
ظهير 20 شتنبر	1976	هو أهم تشريع بعد الاستقلال وقد حاول معالجة الاختلالات التي طبعت ظهير 1917 وباقي المراسيم التي تلتها. لكنه مع ذلك ظل وفيما لجوهر الظهير الاستعماري ويعتبر مجرد نص إجرائي وتقني أثناء التنفيذ؛ يضم 05 أجزاء و 16 فصلا؛ ميزته أنه نص لمح إلى ضرورة مساهمة الساكنة في تنمية الاقتصاد الغابوي؛ نص على إحداث مجلس وطني ومجالس إقليمية لتنمية الموارد الغابوية والرعية؛
ظهير 12 ماي	2003	كان الهدف منه تجاوز الاختلالات في ظهير 1976 والنصوص الملحقة به؛ اهتم بحماية التوازنات البيئية والغابوية؛ حاول التصدي للتصحر وانجراف التربة ودعم المحميات الحيوية؛ نص بشكل صريح على المقاربة التشاركية في تدبير المجالات الغابوية من أجل الحفاظ على التوازنات وإعادة تأهيل الأوساط التي تعاني من الضغط وتثمين المنتوجات الغابوية؛

المصدر: الظواهر المنظمة للغابة بالمغرب ما بين 1917-2003

يتضح من خلال هذا الجدول بأن مسألة تدبير المجالات الغابوية بالمغرب ظلت هما يشغل بال السلطة منذ بدايات الاستعمار مع ظهور 1917 الذي رغم اعتباره نصا مؤسسا ومرجعيا لجميع النصوص التي جاءت بعده. إلا أنه ظل مرادفا لسياسة الاستغلال الاستعماري والية من آليات ذلك، وهو ما جعله يفقد إلى العديد من المعايير التي تجعل منه أداة حقيقية غايتها التدبير. علاوة على انحيازه التام للمعمرين وتهميشه للمغاربة. وهو الأمر الذي عجل بصدور ظهور 1976 بعد الاستقلال كأول تشريع مغربي صرف في مجال تدبير الغابة. في محاولة لتجاوز مخلفات ظهور 10 أكتوبر 1917 والمراسيم التي لحقت طيلة فترة الحماية، وشكل تنصيبه على إشراك الساكنة المحلية في تنميته الاقتصاد الغابوي طفرة نوعية في مجال التدبير. غير أنه ظل مع ذلك وفي لروح ظهور 1917 وفي نفس الوقت محتشما بخصوص مسألة إشراك السكان سواء في التدبير أو في الاستفادة من مداخل الغابة التي كانت تذهب رأسا إلى الجماعات الترابية.

استمر هذا الوضع المعطوب إلى نهاية القرن الماضي وجر معه مجموعة من الاختلالات والهذر للزمن والجهد والمال، مما فوت على المغرب فرصة النهوض بمناطقه الجبلية والريفية عامة وإحاقها بسكة التنمية. وفي ظل تزايد حجم العطب وحجم الوعي به من طرف السلطات المختصة، جاءت العديد من النصوص التنظيمية فيما بعد والتي كان الهدف منها تجاوز الاختلالات السابقة، وهو ما تم تنويعه بالظهير الشريف ل 12 ماي 2003 والذي شكل تصريحه بضرورة مقاربة إشكالية تدبير المجال الغابوي المغربي بشكل تشاركي بين الدولة والساكنة المحلية من أهم المستجدات. رغم استمرار التوجس من هذا التوجه الذي يفرض نفسه يوما بعد يوم. وفي سنة 2004 ستطلق أشغال «المشروع الوطني المتعلق بالسياسة الغابوية»، والذي كان من بين أهدافه:

- ⊙ بلورة سياسات واستراتيجيات بعيدة المدى لحماية الغابة؛
- ⊙ اتخاذ إجراءات وتدابير وقائية لجعل المنظومة الغابوية المغربية قادرة على التكيف ومواجهه التحديات المناخية؛
- ⊙ ترشيد استغلال المجال الغابوي وضمان استمراريته؛
- ⊙ رصد حاجيات الساكنة المحلية وحقوق ذوي الانتفاع؛
- ⊙ تثمين المنتوجات الغابوية عبر دعم المراعي الغابوية وتشجيع التعاونيات؛

2.2. أدت سياسة التدبير القطاعي للغابة بمنطقة عالية نفيس إلى تكريس التدهور والهشاشة

لاشك في أن النتيجة التي توصلنا إليها عبر تشخيص واقع المجال الغابوي لعالية حوض نفيس ما هي إلا وجه من أوجه سياسة التدبير المتبعة بهذا المجال طيلة عقود من الزمن وبالضبط منذ إلحاق المنطقة الغابوية بالأمالك الخاصة بالدولة بمقتضى منطوق ظهور 10 أكتوبر 1917. عقب ذلك ستعمل سلطات الحماية على تحديد الملك الغابوي بما لا يسمح للساكنة المحلية وذوي حق الانتفاع، إلا بمزاولة

بعض الأنشطة المحدودة من قبيل حق الرعي وحق جمع الحطب اليابس وحق جمع بعض الأغصان الخضراء من أجل البناء والاستفادة من الأعشاب الطبية والعطرية... بشكل لا يضر بالغابة.

هذه العلاقة الجديدة التي أسس لها الاستعمار ستجعل الساكنة المحلية في جميع المناطق الجبلية بالمغرب وليس فقط في المنطقة المدروسة، تدخل في علاقة صراع مع الدولة باعتبارها مترامية على حق ذوي الحقوق في مجال غابوي يعتبرونه خاصا بهم. هذه العلاقة الصدامية التي نتج عنها تهيمش الساكنة المحلية، وإغراقها بالغرامات والمخالفات الزجرية... من جهة، واستنزاف المجال الغابوي من طرف الساكنة المحلية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا من جهة ثانية. كمظهر من مظاهر الرفض للقوانين المجحفة في نظر هؤلاء، ونوع من العنف ضد الدولة والمؤسسات المترامية على ملك الغير في اعتبار ذوي حق الانتفاع. وهو أمر لم يتوقف مع حصول المغرب على استقلاله بل استمر إلى يومنا هذا بحكم استمرار دوله الاستقلال في نهج نفس سياسة التهيمش تجاه ساكنة هذه المجالات.

لقد عملت الدولة من خلال تحديد الملك الغابوي لعالية حوض نفيس منذ زمن الاستعمار على تنظيم استغلال وتديبر هذا المجال. وذلك عبر شركاء من قبيل المديرية الإقليمية للمياه والغابات والجماعات الترابية فيما بعد. وهو الأمر الذي جعل سلطه القرار تأتي دائما من أعلى و بشكل أحادي ومفروض على الساكنة المحلية دون أدنى مراعاة لحاجياتهم أو أرائهم. فكانت نتائج هذا التديبر كارثية على المجال كما على الإنسان ووسط عيشه. وفيما يلي جرد لأهم خصوصيات هذا التديبر الأحادي ونتائجه على منطقته عاليه حوض نفيس:

جدول رقم 43: خصوصيات التديبر الأحادي للموارد الغابوية وأثر ذلك على عالية حوض نفيس

أثار وانعكاسات التديبر القطاعي على المجال الغابوي بعالية نفيس	خصوصيات التديبر القطاعي للدولة للمجال الغابوي
- خلخلة بنية الإنتاج سواء الرعوي أو الغابوي؛ - خلخلة العلاقة الطبيعية بين السكان وبين الغابة مما أدى إلى: - زيادة استنزاف الموارد الغابوية؛ - تخريب الغابة؛ - مخالفة القوانين التنظيمية؛ - الانتقام من الغابة باعتباره انتقاما من السلطة؛ - تدهور السفوح والغطاء النباتي بشكل عام؛ - فشل جميع التدخلات والمشاريع بالمنطقة؛	- التديبر المنفرد والاقصائي للسكان المحليين من المشاركة في تنمية المجال الغابوي؛ - اتخاذ قرارات أحادية الجانب لا تخدم مصلحة السكان المحليين دون مراعاة ذلك؛ - تهيمش الساكنة في كل ما له علاقة بتنمية موارد عيشهم وتحسين ظروفهم؛ - تبني المقاربة الأمنية الزجرية تجاه مخالفات السكان للقوانين المنظمة؛ - الاستفراد بمدخيل الغابة عبر الجماعات الترابية؛

إن الخيط الرابط في نظرنا بين الأسباب أعلاه والنتائج على أرض عالية حوض نفيس هو عامل تهميش الفاعل الحقيقي في هذا المجال الغابوي وهو الإنسان. فالتدبير القطاعي الأحادي لهذه المجالات اثبت عبر قرن من الزمن فشله الذريع سواء في الحفاظ على التوازنات البيئية أو على التوازنات الاجتماعية والاقتصادية بمنطقه عاليه حوض نفيس.

رغم كل الجهود المبذولة من طرف الدولة عبر المصلحة الإقليمية للمياه والغابات بمنطقه الحوز. و بواسطة العديد من المشاريع التي تم تسخيرها لمعالجة هذا الخل، فإن توجس الدولة من إشراك السكان إشراكا حقيقيا في التدبير لا زالت تؤدي تكلفته موارد المنطقة الغابوية خاصة والطبيعية عامة. كما أن التعويل على المقاربة الزجرية أثبت فشله هو الآخر رغم تصاعد حدة المخالفات المسجلة في المنطقة، وهو الأمر الذي أشرنا إليه في فصل سابق. فإلى أي مدى سيستمر استنزاف المجال الغابوي لعالية حوض نفيس حتى تدرك الدولة بأن مقاربة تشاركية حقيقية هي الكفيلة بإخراج المنطقة من الوضع الحرج الذي تعيش فيه.

3.2. المقاربة التشاركية مدخل لتحقيق التنمية المستدامة بعالية نفيس

نقصد بالمقاربة القطاعية لتدبير المجال الغابوي بالمغرب عامة وبالمناطق المدروسة تحديدا، تفويت مسألة التدبير إلى مجموعة من المتدخلين والفاعلين الذين لهم صلة ما بالغابة عامة، كالمياه والغابات والفلاحة...الخ. وهي جهات تابعة للدولة وتتولى تنفيذ سياسة هذه الأخيرة في تدبير قطاع الغابات. بينما نقصد بالمقاربة التشاركية تدخلا مندمجا بين الدولة ومختلف الفاعلين في المجال وعلى رأسهم الساكنة المحلية التي ينبغي إشراكها في جميع مراحل التدبير من التخطيط والتصور إلى التنفيذ والاستفادة من النتائج. وبالتالي فهي مقاربة أفقية تقطع مع أسلوب التدبير العمودي الذي تقوم عليه المقاربة القطاعية.

إن مفهوم المقاربة التشاركية التي ندعو إليها في هذه الدراسة يتسع ليشمل مفهومي الإشراك والمشاركة في التدبير كما في تحمل المسؤولية بين مختلف الأطراف المتدخلة (الدولة، المؤسسات، المنتخبون، الساكنة المحلية، المجتمع المدني...) وهو مفهوم يشكل قطيعة مع أساليب التدبير التقليدية التي أبانت عن فشلها طيلة عقود من الزمن. وهي في نفس الوقت أي المقاربة التشاركية، مقاربة واقعية وشمولية تتسع لتشمل جميع الاكراهات التي تعترض القطاع الغابوي بمختلف أبعاده الطبيعية والبيئية والاجتماعية والاقتصادية... كما نصت على ذلك البرامج التي وضعتها الدولة لتتزيل هذه المقاربة من قبيل البرنامج العشري 2005 – 2014 للمندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربه التصحر.⁽²¹¹⁾

(211) من بين أهداف هذا البرنامج: الحد من نشاط التعرية والحفاظ على التربة بتهيئة عالية الأحواض النهرية مع طرح بدائل لتخفيف الاستغلال المفرط للخشب وتشكيل تعاونيات غابوية مع تهيئة المناطق الرعوية الغابوية للحد من الرعي الجائر...الخ.

لابد لكل دارس للمجالات الغابوية بالمغرب من الاعتراف بالتطور الكبير الذي عرفته البرامج المخصصة لتهيئة هذه المجالات وان على المستوى الكمي على الأقل. ذلك أن نتائج هذه التهيئة ظلت محدودة سواء في مساحة الغابات التي استفادت من هذه البرامج، أو من حيث النتائج العامة التي ظلت دون المستوى المطلوب، بسبب الاختيارات الخاطئة من جهة وطريقه التدبير من جهة أخرى. وبخصوص المجال المدروس فقد كان مخطط التهيئة بالمنطقة والذي تشرف عليه الدولة عبر وزارتها الوصية على القطاع يهدف إلى:

- ضمان الاستغلال المستدام للغابة؛
- ضمان الاستخلاف للغطاء النباتي؛
- نهج مقاربه تشاركيه تروم الحفاظ على حقوق ذوي الانتفاع؛
- الحفاظ على التنوع البيولوجي؛
- التدبير المستديم للأنظمة البيئية الغابوية؛
- توظيف التقنيات الحديثة لمراقبة وضبط وتقييم الملك الغابوي ومراقبه تطوره؛

إن المتأمل في هذه الأهداف التي تضعها الدولة اليوم في نصب عينها وهي تقوم بتدبير المجال الغابوي لعالية حوض نفيس، يخرج بخلاصة مفادها بداية تغير المقاربة المعتمدة في التدبير، من المقاربة القطاعية العمودية التي كانت تستهدف ضبط المجال والإنسان والرفع من مداخل الجماعات الترابية عن طريق استغلال ثروات الغابة. إلى مقاربة تشاركية غايتها الأولى هي الاستدامة للأنظمة البيئية الغابوية. عبر جعل الساكنة المحلية منخرطة بشكل واعي في تدبير حاضر ومستقبل المجال الذي تعيش فيه. وهو الأمر الذي يتطلب فك العزلة عن هذه الساكنة عبر مشاريع بناء الطرق والقناطر والمسالك الجبلية وتزويد السكان بالماء والكهرباء. وكذلك عبر توفير مختلف المؤسسات الاجتماعية من مستشفيات ومدارس... وخلق أنشطة اقتصادية بديلة تروم تخفيف الضغط على الموارد الغابوية... الخ. إنها بشكل أو بآخر مقاربة تروم التنمية البشرية كأساس للحفاظ على الغابة. هذا هو المعنى الذي نقصده عند الحديث عن المقاربة التشاركية.

يتضح إذن من خلال التحليل السابق بأن الإنسان هو المدخل دائما، فعندما يتم إشراك هذا الأخير في تدبير مصيره من خلال تدبير المجال الذي يعيش فيه، وعندما يتم إعطاء الفرصة للاستفادة من الخبرات والتقاليد والعادات عبر الانفتاح على ثقافة وخصوصيات المجموعات البشرية التي تستوطن هذه المناطق، وعند تحسيس هؤلاء بان الغاية هي الصالح العام وليس الضبط والإقصاء. عند ذلك يمكن الحديث عن برامج حقيقية لتهيئة المجالات الغابوية عامه ومجال عاليه حوض نفيس على وجه الخصوص.

4.2. أهداف التدبير التشاركي للموارد الغابوية لعالية حوض نفيس

يعتبر اتجاه الدولة إلى اختيار التدبير التشاركي شكلا من أشكال الوعي بحجم الأعطاب التي خلفتها التدخلات السابقة. من أجل ذلك تم تخصيص ووضع مخطط وطني للغابة يقوم بالأساس على المدخل التشاركي في تدبير مجال أقل ما يقال عنه بأن داء العطب فيه قديم وأدى إلى هذر العديد من الإمكانيات والفرص. كما يقوم على دمج تهيئة الغابة ضمن مقاربة شمولية لتهيئة العالم القروي تستهدف تامين المنتوجات الغابوية وتأهيل التوازنات البيئية الغابوية.

إن هذا التوجه الجديد الذي اختارته الدولة وحاولت تنزيله عبر برامج مختلفة وخاصة في برامجها العشرية الأخيرة يهدف إلى:

- تدبير الملك الغابوي وفق سياسة قائمة على الحكامة الجيدة؛
- تحسين العلاقة بين الغابة وبين المحيط؛
- تنظيم العلاقة بين الغابة وبين المنتفعين منها بما يضمن تامين السلاسل الإنتاجية الغابوية وتعزيز الشراكات وتأهيل المقاولات الغابوية؛
- المحافظة على الملك الغابوي؛

وبطبيعة الحال فإنه لا يمكن تحقيق كل هذه الأهداف إلا بنهج سياسة شمولية تتداخل فيها اختصاصات مجموعة من القطاعات والمصالح والمؤسسات عبر شراكات واتفاقيات تهدف بالأساس إلى إنجاح هذه المقاربة التشاركية. مما غير من تعامل الساكنة المحلية لعالية حوض نفيس مع الدولة في شأن تدبير المجال الغابوي تمت ترجمته إلى انخراط حقيقي وفعلي للساكنة المحلية في العديد من الجمعيات الغابوية في الآونة الأخيرة.

لا يخفى على المهتمين بقضايا تدبير المجال بالمغرب عامة، وتدبير المجالات الجبلية على الغابوي على وجه الخصوص، بأن تغير سياسة الدولة ومقاربتها تجاه مسألة التدبير المجال الغابوي المغربي باتجاه الإشراك الحقيقي للساكنة المحلية. قد كانت له آثار وانعكاسات ايجابية على المجال كما على الإنسان. فقد نصت العديد من المخططات الوطنية⁽²¹²⁾ على ضرورة تأهيل النظم البيئية الغابوية على المستوى الوطني وذلك عبر آليات منها:

- توسيع برامج التشجير بأنصاف شجرية جيدة كالسرو والخروب والأرز؛
- تهيئه مدمجة وتشاركية للغابة؛

(212) أنظر مثلا المخطط المديرى للتشجير والمخطط الوطنى لتهيئة الأحواض النهرية والمخطط الوطنى لمحاربة التصحر... التى نصت جميعها على ضرورة تأهيل النظم البيئية الغابوية.

● تعويض الساكنة المنظمة في إطار جمعيات رعوية عن حقها في الرعي؛

● تطوير التعاونيات الغابوية إلى مقاولات صغيرة حقيقية؛

هذه الإجراءات التي ترجمها المخطط العشري 2016-2005 كانت لها انعكاسات ايجابية على الصعيد الوطني، خصوصا في الجانب المتعلق بتأسيس الجمعيات والتعاونيات الغابوية كشكل من أشكال الاستجابة والرغبة في الانخراط الحقيقي في مسلسل التنمية من طرف الساكنة المحلية لهذه المجالات الغابوية⁽²¹³⁾.

3. تستهدف التهيئة الشمولية لعالية حوض نفيس كسب رهان التوازنات البيئية

1.3. تعد المقاربة الشمولية للتهيئة مدخلا لتحقيق التنمية لعالية حوض نفيس

سبقت الإشارة مرارا وتكرارا طيلة فصول هذا العمل إلى أن مقارنة موضوع الهشاشة الاجتماعية وعلاقتها بتدهور المجال الغابوي لعالية حوض نفيس مقارنة شمولية ومركبة يتداخل فيها الطبيعي بالبيئي وبالبشري والاقتصادي وبسياسات الدولة. وهي مقارنة صائبة في نظرنا مكنتنا من التوصل إلى تشخيص مركب وشمولي لواقع تدبير المجال الغابوي بالمنطقة. مما أفصح عن العيوب التي رافقت مختلف مشاريع التهيئة الموجهة للمناطق الجبلية عامة منذ الاستعمار إلى بداية الألفية الثالثة. وهي مقارنة مبتورة تفنقر إلى التصور الشمولي والمركب، فضلا عن كونها مقارنة عمودية وأحادية لا علاقة لها باهتمامات وحاجيات وانشغالات الساكنة المحلية لهذه المجالات.

لقد شخص الباحثون من قبيل «محمد حوزي» و«السعيد بوجروف»... العديد من الأعطاب التي رافقت تدبير الدولة للمجالات الغابوية طيلة عقود من الزمن يمكن تلخيصها في ما يلي:

● الافتقار إلى الحكامة الإدارية في التدبير؛

● دور العامل البشري في فشل العديد من المشاريع؛

● الافتقار إلى ثقافة المشروع والتتبع والمساءلة والتقييم؛

● محدودية البرامج على مستوى الفعالية الميدانية؛

● التوقف المتكرر لإنجاز المشاريع لأسباب بيروقراطية صرفة ولتضارب المصالح بين

الإدارات والأشخاص؛

● المركزية في التنزيل؛

(213) ارتفع عدد التعاونيات الغابوية بشكل ملحوظ بالمغرب منذ سنة 2003 وهي السنة التي توافقت تاريخ تنفيذ القرار الوزاري رقم 1855.01 الصادر في 21 مارس 2002 والخاص بالإصلاحات التي همت التعاونيات الغابوية. كما سجل عدد الجمعيات الرعوية ارتفاعا هو الآخر منذ 2005.

ومن أجل تجاوز هذه الأعطاب كان لابد من وضع تصور يقوم على تدبير شمولي ومندمج لمشروع التهئية في منطقة عالية حوض نفيس خاصة و في المناطق الجبلية والغابوية عامة. وهو تصور يهدف إلى:

⊙ تصحيح أخطاء الماضي؛

⊙ تحقيق العدالة المجالية؛

⊙ كسب القدرة التنافسية لمجالات التهئية والتدخل؛

⊙ حماية وتأهيل مناطق التدخل؛

وذلك كله في إطار معادلة تقوم على:

تشخيص التراب + التخطيط + المقاربة التشاركية + الإشراف الإداري = التهئية المندمجة

وهي مقاربه لا نقول بأنها تعتبر حلا سحريا لإشكالية تدبير المجال الغابوي لعالية حوض نفيس والذي يعاني من مجموعه من الاكراهات والتحديات الموروثة عن التدبير السابق وكذلك عن تزايد حجم الهشاشة والإقصاء الاجتماعيين مما يزيد من حجم الضغط على المورد الطبيعي (رعي جائر، قطع أشجار، استنزاف النباتات العطرية والطبية، صيد الوحش...) لكنها على الأقل تقطع مع التصور السابق الذي نتج عنه مزيد من الاستنزاف لموارد المنطقة. وتفتح في جوهرها على الإنسان كغاية وكهدف لكل تهئية بالمنطقة.

2.3. التهئية المندمجة مدخل أساسي للتنمية المستدامة لعالية حوض نفيس

إن التصور المندمج للتهئية الذي دافعنا عنه في هذا الفصل لا يستمد قوته و مشروعيته إلا من الاهتمام الكبير الذي أولاه للإنسان في بعده الشمولي الاجتماعي والثقافي والاقتصادي باعتباره غاية في حد ذاته وليس فقط وسيلة لتزليل المخططات والمشاريع التي تضعها الدولة. ذلك أن المجهول الوحيد الذي ظلت تغفل عنه معادلات التهئية الغابوية طيلة قرن من الزمان أو بالأحرى تتغافل عنه، كان هو الإنسان والمتمثل في الساكنة المحلية وانتظاراتها وحاجياتها وتصوراتها والذي فطنت الدولة إلى ضرورة العودة إليه قصد إشراكه في إيجاد الحلول لمختلف المشاكل التي يعرفها المجال الغابوي الوطني عامه والجبلي على وجه الخصوص.

لقد ظلت الدولة هي الفاعل الوحيد في المجال ترسم السياسات القطاعية وتضع البرامج وفق تصورات سلطويه هاجسها الأول هو الضبط والتحكم من منظور مركزي للتدبير لطالما اعتبر بان المجالات الجبلية مجالات هامشية لا ينبغي إعارتها أي اهتمام. فكانت النتيجة عقودا من التأخر ومزيذا من التدهور لهذه

الأوساط بيئيا كما اجتماعيا وتنمويا. لكن بداية الألفية الثالثة بل ومنذ أواخر القرن الماضي فطن المغرب إلى ضرورة تغيير المنظور والمقاربة في تدبير هذه المجالات ف جاء برنامج العمل plan d'action 2012-2016 لتتغير معه الرؤية والمقاربة التي تبنتها الدولة لسنوات طويلة عبر إجراءين اثنين وهما:

⊙ إدماج البعد البيئي؛

⊙ إدماج الساكنة المحلية في التوجيهات الجديدة؛

وهما الإجراءان اللذان سمحا بتنزيل المقاربة التشاركية المندمجة في تدبير الأوساط الغابوية بالجبال المغربية مما سيسمح بتأهيل الأوساط الطبيعية وصيانتها والحفاظ على توازناتها. وفي هذا الصدد لابد من الإشارة إلى أهم الرهانات التي يركز عليها مشروع التهيئة المندمجة لعالية حوض نفيس والتي يمكن تلخيصها على الشكل التالي:

جدول رقم 44: الرهانات التي تعول عليها التهيئة المندمجة لعالية حوض نفيس

الرهان	الإجراءات والخصائص
الرهان الاجتماعي	تضع التهيئة المندمجة الإنسان في صلب اهتماماتها و هي مقاربة تنموية تراعي الخصوصيات المحلية وتعي حجم التهميش والخصائص الذي طال المنطقة لعقود و تقوم هذه المقاربة على: - تثمين المؤهلات المحلية؛ - فك العزلة على المنطقة والسكان عبر أوراش حقيقية للطرق والمسالك؛ - محاربة البطالة بالمنطقة بخلق فرص واقعية وبديلة؛ - الحد من الهجرة القروية؛
الرهان الاقتصادي	يقوم كسب هذا الرهان على: - تغيير العلاقات الاقتصادية التقليدية والمرتبطة أساسا بالفلاحة التقليدية؛ - التفكير في استثمار مؤهلات المنطقة خاصة الطبيعية لخلق أنشطة اقتصادية مدرة للدخل ترتبط بالسياحة الجبلية والبيئية والطبية والصناعة التقليدية؛ - ترشيد استغلال المجال وموارده بطريقة عقلانية ومستدامة؛
الرهان البيئي	يقوم هذا الرهان على الوعي بالتنوع البيئي والبيولوجي للمنطقة ويهدف إلى: - صيانة الأوساط الطبيعية؛ - الحفاظ على الموارد؛ - تدارك التأخر الحاصل والضرر الذي أصاب المنظومة البيئية؛

المصدر: بوعدين، أهمية الحكامة الترابية في انعاش الاقتصاد المحلي 2015

خلاصة الفصل

لقد اثبت التجربة والواقع طيلة قرن من الزمان على الأقل بأن المناطق الجبلية بالمغرب ومن ضمنها عاليه حوض نفيس كانت ضحية لتدبير غير معقلن من طرف السلطات الوصية من جهة وللاستنزاف والضغط الكبيرين من طرف الساكنة المحلية التي تحول سلوكها تجاه المجال من سلوك تعايش وتوازن

إلى سلوك من يندرج ضمن ردود الفعل العنيفة ضد السلطة وضد كل من يمثلها عبر الانتقام من مجال أصبحت هذه الساكنة تعتبره في ملك الغير ولم يعد مجالاً حياتياً طبيعياً كما كان في السابق. هذه العلاقة غير المتوازنة كانت عنواناً لسوء فهم كبير بين الدولة وبين السكان ذوي حق الانتفاع.

إن المدخل الذي ندافع عنه في تهيئة هذا المجال وغيره من المجالات الجبلية الشبيهة به على الصعيد الوطني يقوم على القطع مع المقاربات القطاعية التقليدية وتبني مقاربة تشاركية مندمجة تضع الإنسان في صلب اهتمامها وتشركه بشكل حقيقي في تدبير المجال الذي يعيش فيه عبر الاستفادة من الخبرات الحياتية للساكنة المحلية والإنصات إلى الحاجيات الحقيقية لهؤلاء وكذلك عبر الإشراك في تحمل مسؤولية النتائج. وهو مدخل شمولي مندمج يروم تحسين الشروط الاجتماعية والاقتصادية للساكنة وفي نفس الوقت الحفاظ على الأوساط الطبيعية والبيئية ومعالجة المشاكل المترتبة عن التدبير السابق.

الفصل الثالث : آليات ومداخل التنمية لعالية حوض نفيس

مقدمة:

اتضح لنا من خلال التحليل الذي قمنا به طيلة هذا العمل لمجال عالية نفيس، بأن هذه المنطقة الجبلية التي تزخر بالعديد من المؤهلات الطبيعية الفريدة من نوعها، سواء من حيث التضاريس أو الغطاء النباتي أو حتى النسيج الحيواني. هي منطقة ومجال عطوب بسبب التهميش والاقصاء الذين تعرض لهما طيلة عقود. وهو التهميش الذي جعلنا نتحدث في هذا البحث غير ما مرة عن مفهوم «العزلة المزدوجة»، لهذا المجال. هذه العزلة كانت عاملا أساسيا في تزايد حجم الضغط والاستنزاف الذي تعرضت لها الموارد الطبيعية وخاصة الغابة لعالية حوض نفيس .

إن خصوصية هذا المجال، وخصوصية تاريخ تدبيره وخصوصية ساكنته، جعلت قضية التهميش التي يعرفها والتي حاولنا تتبعها من خلال فصول هذا العمل هشاشة مركبة بشكل يصعب معه حصرها في جانب دون آخر. فهي هشاشة اجتماعية واقتصادية من جانب، وهي كذلك هشاشة بيئية وطبيعية من جانب آخر، مما يجعل كسب رهان التنمية بالمنطقة أمرا صعبا لكن ليس مستحيلا. وهو رهان يقوم على بعدين:

● البعد الأول: تحقيق التنمية المستدامة

● البعد الثاني: الحفاظ على التوازنات البيئية

فكيف يمكن معالجة أخطاء الماضي، والتي تركت أثارا واضحة على الإنسان والمجال في عالية نفيس، بشكل يضمن الحفاظ على توازن المجال الطبيعي والبيئي وعدم الاضرار به، وفي نفس الوقت تدارك التأخر الاجتماعي وتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية بالمنطقة؟

1. يعتبر مطلب تحقيق التنمية المستدامة مطلبا ملحا لعالية حوض نفيس

1.1. يقتضي مطلب التنمية المستدامة القطع مع مقاربات الماضي وتبني مقاربات جديدة

لعل الحديث عن المجالات الجبلية في المغرب ككل وليس فقط في عالية حوض نفيس غالبا ما يجرنا إلى قضية التنمية، هذه الأخيرة تجعلنا نقف أولا عند تشخيص دقيق لآثار الدينامية التي عرفتها هذه المجالات لفترة طويلة. هذا التشخيص هو الذي سيسمح لنا فيما بعد بتفسير ما نراه من مظاهر التدهور على السطح وفي الواقع المعيش للسكان المحلية. كما يفسر كذلك حجم الجهود التي بذلتها الجهات الوصية لتنمية هذه المجالات والنهوض بها. لقد سبق لنا أن قمنا بهذه العملية خلال هذه الدراسة، مما أعطانا مشروعية القول بأن مجال عالية حوض نفيس ، هو مجال عطوب اجتماعيا وبيئيا، ومجال يعاني

من التهميش على كافة المستويات الأمر الذي يفسر تزايد الضغط على المجال الغابوي كشكل من أشكال تنفيس الأزمة السوسيو اقتصادية للسكان المحلية.

اخترنا في هذا العمل، الاعتماد على المقاربة التشاركية والرهان عليها من أجل كسب رهان تهيئة شمولية تستحضر مختلف العناصر والفاعلين بشكل يقطع مع التهيئة القطاعية الموروثة عن زمن الاستعمار والتي زكاهها زمن الاستقلال رغم محدوديتها بل وفشلها إن صح التعبير، بل إن التحليل يدفعنا إلى القول بأن هذه السياسة ذات البعد التقني في الغالب، قد ساهمت هي الأخرى في استنزاف المجال الجبلي والمورد الغابوي لعالية حوض نفيس، على اعتبار كونها قامت في جوهرها على استغلال ثروت المنطقة -وفاء للسياسة الاستعمارية بوعي أو عن غير وعي- وفي نفس الوقت همشت المدخلين الأساسيين لأية استدامة وهما المدخل الاجتماعي، أي الإنسان والسكان المحلية، والمدخل البيئي المرتبطة بالطبيعة المحلية ومواردها.

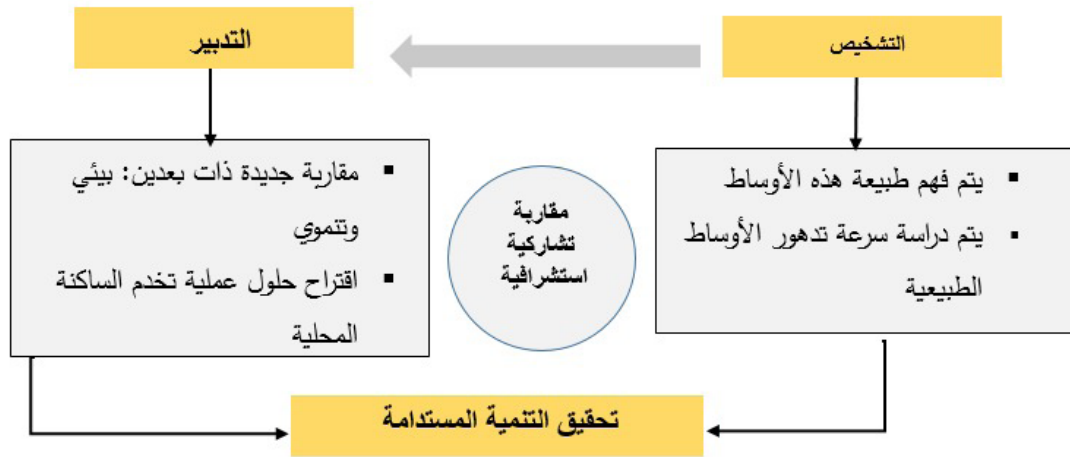
المستجد الذي يواجهه الدولة اليوم، هو عدم إمكانية الاستمرار في هذه السياسة، وعدم إمكانية الاستمرار في تأجيل قضية التنمية بالمجالات الجبلية عموماً، ومجال عالية حوض نفيس على وجه التحديد. فالعلاقة المركبة بين السهل والجبل، وارتباط تنمية أحدهما بالآخر وتنمية الوطن ككل. تجعل من ضرورة الإسراع بتغيير المقاربة المعتمدة في تنمية هذه المجالات من قبل الدولة أمراً ملحاً. وفي نفس الوقت أمراً يقطع مع السياسات السابقة ويقوم على تشخيص واقعي وعميق لحاجيات المنطقة وحاجيات ساكنتها. كأساس أولي تقوم عليه التهيئة الشمولية التي ندعو إليها.

إن مطلب تحقيق التنمية المستدامة، ليس مجرد شعار يمكن تحويله إلى إجراءات تقنية يتم تنزيلها على أرض عالية حوض نفيس، بل هو مطلب ثوري يقطع مع سياسة الإجراءات التقنية، وسياسة التدبير الفوقي القطاعي البعيد عن حاجيات وهموم الساكنة. إن هذا المطلب يقتضي أولاً فهم طبيعة وسط التدخل. أي معرفة كون عالية حوض نفيس جزء لا يتجزأ من وسط طبيعي هش، وسريع التدهور والاختلال. باعتباره ينتمي إلى « المنظومات الجبلية المتوسطة » (محمد الناصري، 2003) تم تانيا دراسة سرعة تدهور هذه الأوساط عن طريق إطلاق مشاريع بحثية حقيقية، تهدف أساساً إلى تشخيص العطب الحاصل في هذه المجالات، والذي تمت مراكمته لسنوات عديدة. وأخيراً تبني مقاربة جديدة ذات بعد بيئي -تتموي تراعي استدامة الأوساط البيئية وفي نفس الوقت تحريك عجلة التنمية المحلية بهذه المناطق.

هذه التنمية المستدامة لا يمكن أن تتم إلا بتضافر جهود جميع الفاعلين في إطار مقاربة استشرافية ذات بعد تشاركي: تستهدف الإنسان قبل المجال، باعتبار تنمية الإنسان مدخل للحفاظ على المجال وتنميته. حتى لا تتكرر أخطاء الماضي، وحتى لا يضيع المغرب في سنوات أخرى من التدبير غير

الصحيح وبذلك يتم هذر المزيد من الزمن التتموي الذي تحتاجة بلادنا من أجل اللحاق بركب التقدم والتتموية كما تسعى إلى ذلك رؤيته المستقبلية التي يراهن عليها النموذج التتموي الجديد.

الشكل رقم 82: المقاربة التشاركية مدخل رئيسي لتحقيق التنمية المستدامة



المصدر: تركيب شخصي

2.1. التنمية المستدامة رهينة بالإستجابة لحاجيات الساكنة المحلية

مما لاشك فيه أن إشكالية التنمية بالمغرب تكتسي أهمية بالغة منذ الحصول على الاستقلال، وذلك بحكم الاختلالات المجالية التي ساهمت سياسة المستعمر في إفرازها وساهمت سياسة الدولة بعد الاستقلال في تركيتها حيث كان الاهتمام منصبا أساسا على المجال الحضري في حين تم تجاهل المجالات القروية بصفة عامة والمجالات الجبلية بصفة خاصة لقد ظلت إذن مقاربة الدولة المغربية للمجال الجبلي عامة، مقاربة أمنية هاجسها الأول هو الضبط والإخضاع، (الهيلوش محمد، 2011) على اعتبار أن هذه المناطق التي شهدت زمن الاستعمار ما يعرف بـ «سياسة التهدة»، ظلت مصدرا للإزعاج الدائم للسلطة فكان الحل هو التهميش قصد الإغراق في الحاجة وفي التبعية. قد يكون لهذه السياسة ما يبررها في الماضي الاستعماري وهو ما يمكن أن نفهمه في ظل تزعمها أي -المناطق الجبلية- للمقاومة القبلية إلى غاية الثلاثينيات من القرن العشرين. لكن في وقتنا الراهن نجد بأن التنمية ارتكزت على مقاربة قطاعية محكومة بمنطق المردودية الاقتصادية ومبنية على تجزئ المسألة الترابية (الهيلوش محمد، 2011)، وهو الأمر الذي أدى إلى تكريس تفاوتات سوسيوترابية عميقة وخلق بالتالي أزمة شمولية تعددت امتداداتها وانعكست سلبا على المستوى المجالي والاجتماعي، خاصة الشعور بالانتماء إلى التراب والهوية الجماعية

وسيكولوجية الممارسة (ادالي محسن، 2005) مما عمق مظاهر الهشاشة الترابية كما هو الشأن بالنسبة لمجال الدراسة حيث ساهم عدم تامين التراب والعمل على استثمار كل المقومات التي يتميز بها إلى ضعف مساهمته في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة.

هذا الفهم وهذه السياسة هما اللذان جعل هذه المناطق تدخل في دينامية رتيبة وبعيدة كل البعد عن الدينامية التي تشهدها مجالات أخرى. ما جعل البعض اليوم يتحدث عن مغرب يسير بسرعتين، وهي نفس فكرة المغرب النافع والمغرب غير النافع بصيغة أخرى بلاد المخزن وبلاد السببة، مما أحدث اختلالات كبيرة على مستوى أقاليم المملكة.

هذه الرتبة وهذا الجمود الذي عرفتهما المجالات الجبلية، ساهم الوسط الطبيعي المتسم بالهشاشة والتدهور في ترسيخها رغم أنه يتوفر على موارد جد مهمة كما هو الشأن بالنسبة للمجال الغابوي والتراث المادي واللامادي الذي يميز هذه المجالات التي تعرضت بنيتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لتفكيك كبير منذ زمن الاستعمار، فكانت الحصيلة هي مجال عطوب بكل المقاييس، وتفاوتات مجالية صارخة بين مختلف مناطق المغرب. وبطبيعة الحال فإن تدبير الدولة لهذا الإشكال التنموي الناتج عن التباين بين مختلف المجالات يرتبط إلى حد كبير بمدى قدرتها (الدولة) على التوفيق بين النجاعة الاقتصادية والعدالة الاجتماعية مع الحفاظ على البيئة في إطار نهج تنمية مجالية مستدامة. فالمجال هو ذلك الإطار الذي يجمع الانسان والثقافة والتاريخ والأرض والهوية، فالمجال يؤخذ بالمقاربة الشمولية. (بلال عليو، 2019)

إن فهم هذا السياق الذي كان وراء انتاج هذا المجال وما راكمه من مشاكل وتعثرات، هو المدخل الأول لكل سياسة تهدف إلى تحقيق التنمية المستدامة بالمجالات الجبلية المغربية عامة، وعالية نفيس خاصة، ولن يتحقق هذا المبتغى إلا من خلال تضافر جهود الجميع من دولة ومجتمع مدني وساكنة محلية. والقطع مع المقاربة القطاعية التي نهجتها الدولة تجاه المجالات الجبلية والتي إلى جانب كل عيوبها فإنها ايضا كانت انتقائية بحيث أنها همشت المهمش، وخلقت ضمنه تفاوتات مجالية، بحيث أن الاهتمام الذي حظيت به المجالات القروية الحديثة نسبيا ليس هو نفس الاهتمام الذي أعطي للمناطق البورية والجبلية وهو ما يدفعنا إلى الحديث عن «هامش الهامش».

إن المجالات الجبلية، هي مجالات ذات ميزة خاصة بيئيا واجتماعيا وثقافيا واقتصاديا ينبغي استحضارها ومراعاتها أثناء أي تدخل، وهو ما يقتضي اعتماد مقاربة شمولية ذات بعد استشرافي تحترم كل هذا التنوع وهذه الخصوصيات. بمعنى أن تدبير هذه المجالات يقتضي ضرورة مراعاة الخصوصيات المحلية والتاريخية والبشرية للبيئة الجبلية. وأن لا يتم إدراج تدبير هذه المجالات ضمن تدبير المجالات

القروية فقط. بل تخصيصها بسياسة مميزة تراعي سياق تدهورها التاريخي وحاجيات الساكنة المحلية، وخصوصيات البيئة المحلية.

لكن، لابد من مراعاة مسألة ثانية إلى جانب الخصوصيات المحلية للمجال الجبلي لعالية حوض نفيس ، ويتعلق الأمر بانتظارات وحاجيات الساكنة المحلية، حتى تبقى المقاربة التي ندعو إليها وفيه للبعدين البيئي والاجتماعي. وهذا ما يفسر التأكيد على المقاربة التشاركية التي تفسح المجال أمام:

- ⊙ المبادرات الذاتية للسكان المحليين؛
- ⊙ تعبئة القدرات المحلية للسكان؛
- ⊙ الاستفادة من الخبرات المحلية والانفتاح على مختلف التجارب والأفكار؛
- ⊙ الاشراك في التدبير وفي المسؤولية للساكنة المحلية؛
- ⊙ تثمين المنتوجات المحلية؛
- ⊙ الاستفادة من الموروث الثقافي لهذه المناطق خاصة في مجال تدبير المجال والحاجيات (توزيع مياه السقي، التوزيع، المعروف....).

لقد أثبتت العديد من التجارب داخل المغرب وخارجه بأن مدخل اشراك الساكنة المحلية في تدبير المجال الذي تعيش فيه مدخل صحي لوضع حد لمختلف الاختلالات التي يمكن أن تظهر بسبب إغفال دور الفاعل الرئيسي في المجال وهو الإنسان. إنها شكل من أشكال ما يصطلح عليه بـ «الديمقراطية التشاركية».

3.1. إشكالية التنمية المستدامة هي إشكالية مركبة تقتضي استحضار عدة أليات

باعتبار مفهوم «التنمية المستدامة» مفهوما شموليا ومندمجا. وباعتبار المقاربة التي اقترحناها لإخراج عالية حوض نفيس من التهميش والاقصاء الذين يغرق فيهما، مقاربة مندمجة للتهيئة. فإن تنزيل التنمية المستدامة يقتضي جهدا تركيبيا تتداخل فيه مجموعة من العوامل فيما بينها لخدمة البعد البيئي والاجتماعي الذي تستهدفه التهيئة المندمجة لهذا المجال. ويمكن تلخيص هذه العوامل في:

1.3.1. المشروع الترابي آلية لتحقيق التنمية

في البداية لابد من الإشارة إلى أن لفظة المشروع مرتبطة أساسا بعالم المقولة والاقتصاد باعتبارها مجموعة من العمليات المحدودة في الزمن والمكان بهدف تحقيق الربح، وبالتالي يمكننا التساؤل في هذا السياق عن إمكانية تبني هذه المفاهيم التي تنتمي لحقل الاقتصاد ومحاولة تطبيقها من أجل تدبير التراب؟

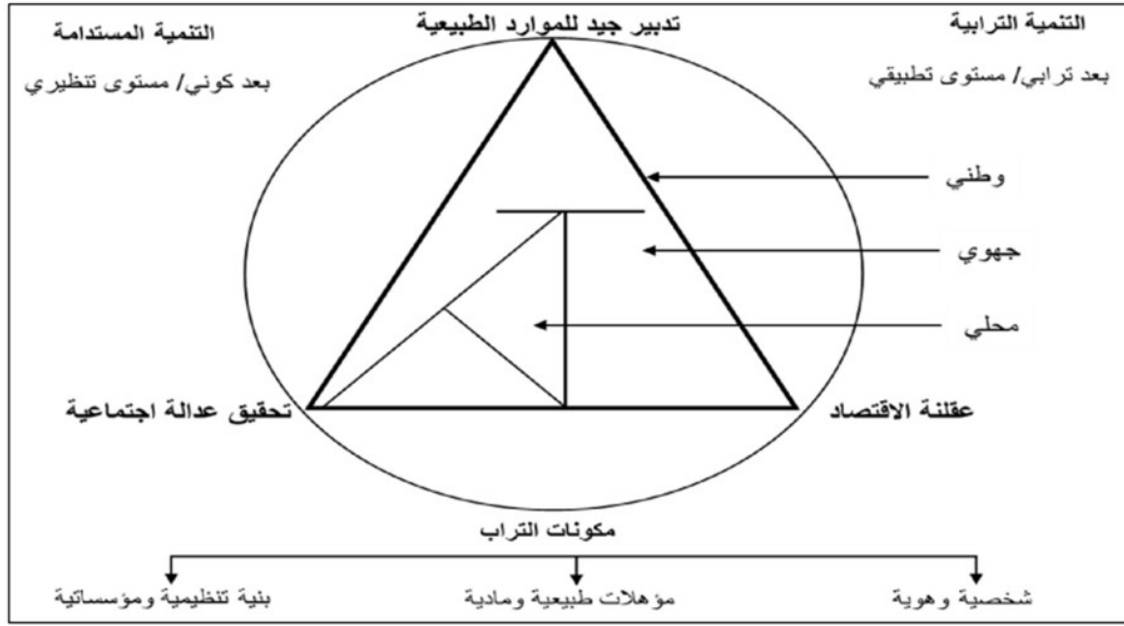
بعبارة أخرى هل طبيعة القضايا الترابية واكراهاتها يمكن أن نطبق عليها فكر المقابلة لاسيما وأن الجماعات الترابية لا تستهدف الربح ؟ (شفنار عبد الله، 2015)

إن المشروع الترابي اذن هو مجموعة من الأهداف التي يلتف حولها الفاعلون ويسعون لتحقيقها وفق نظرة استشرافية واعتمادا على تنسيق جميع التدخلات والجهود وتعبئة مختلف الموارد من أجل تنمية حيزهم الترابي إنه بعبارة أخرى فعل في التراب وخيار إرادي للجماعة (الزrhوني محمد، البقصي محمد، 2015)، يقوم على أساس مجموعة من الشروط المعلومة ويرتبط بأهداف محددة ومعلنة، يعكس تصورات مسبقة لكافة الفاعلين الترابيين لتحقيقها في المستقبل (الزrhوني محمد، البقصي محمد، 2015)، وهو بذلك نهج جديد ومبتكر يعتمد منهجية براغماتية غايتها الأساسية إبراز قوة كل تراب محلي على بلورة مشروعه التنموي المنبثق منه وإليه في نفس الوقت عبر اعتماد مقاربة تشاركية تجعل من الساكنة المحلية منطلقها وغايتها في نفس الوقت. وحتى يحقق المشروع الترابي أهدافه فإنه لابد من مراعاة المداخل الاتية واستحضارها أثناء التخطيط لأي مشروع من هذا القبيل:

إن نجاح المشروع الترابي رهين إلى حد كبير بمدى اعتماد هذه المبادئ الثلاث، حيث أن مبدأ التشاركية يعتبر عنصرا مركزيا في أي مشروع ترابي حيث يمكن الساكنة المحلية من المساهمة والانخراط في اقتراح حلول ناجعة لمواجهة مختلف الاكراهات التي يواجهها المجال كما هو الشأن بالنسبة لعالية حوض نفيس ، وتتلخص أهم أهداف مشاركة السكان في تحسين جودة التدبير العمومي وتدعيم قرات الجماعة وبالتالي تعزيز تنافسية التراب وجاذبيته. أما بالنسبة للمبدأ الثاني المتمثل في الحكامة فإنه عنصر لا غنى عنه من أجل ضمان نجاعة مختلف التدخلات التي تروم تحقيق التنمية الترابية من خلال الاستغلال المعقلن للموارد وتوجيهها بشكل يضمن النجاعة. هذه الأخيرة التي لن تتحقق إلا في إطار استحضار مبدأ الاستعراضية الذي يتيح لكافة الفاعلين التمكن من مشروع التراب في مختلف مكوناته الموضوعية وأهدافه (الاقتصادية والاجتماعية، البيئية، الثقافية.) بما يسمح بتنشيم الموارد الترابية وتقوية القدرة التفاوضية للتراب مع الشركاء الخارجيين في إطار تعاون بيبترابي (بوعدين لحسن، 2015).

إن فإن تحقيق التنمية المستدامة يرتبط أساسا بمدى قدرة مختلف الفاعلين على الاستجابة لانتظارات وحاجيات الحاضر دون المساس بحقوق الأجيال اللاحقة، غير أن كسب رهان هذه المعادلة التي في واقع الأمر صعبة لكنها ليست مستحيلة في حالة بلورة مشروع ترابي متكامل ويأخذ بعين الاعتبار مختلف الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كما يوضح (الشكل 83):

الشكل رقم 83: التنمية الترابية مدخل أساسي للتنمية المستدامة



المصدر: محمد حزوي وألفة حاج علي، 2005

2.3.1. المقاربة التشاركية مدخل أساسي لدعم التنمية لعالية حوض نفيس

مما لا شك فيه أن مفهوم المقاربة التشاركية حضي في العقود الأخيرة باهتمام كبير من مختلف الفاعلين في عملية التنمية وذلك بحكم الأهمية التي تكتسيها هذه المقاربة في دعم وتشجيع الساكنة المحلية على الانخراط بشكل إيجابي في دعم عملية التنمية من جهة وتقوية مختلف جوانب الحكامة واللامركزية

إن المقاربة التشاركية بالدرجة الأولى فلسفة تنموية تركز أساسا على انخراط مختلف شرائح المجتمع في تحقيق التنمية فهي بذلك تضمن للساكنة المحلية أن تكون عنصرا فاعلا من أجل الرقي بمستواه الاجتماعي والاقتصادي وبالتالي تحريك عجلة التنمية المحلية لاسيما في المناطق الجبلية كما هو الشأن بالنسبة لعالية حوض نفيس التي عانت طيلة العقود الماضية من التهميش ومن التنمية التي تنطلق من القمة (السلطة المركزية) عوض القاعدة (الساكنة المحلية).

في البداية لابد من الإشارة إلى أن مفهوم «المقاربة التشاركية» أثار نقاشا واسعا بين مختلف الفاعلين السياسيين والباحثين والمهتمين، لكنها دائما كانت ذات بعد ثنائي بين الحكومة من جهة، وبين الأحزاب وجمعيات المجتمع المدني من جهة أخرى، فظل هذا المفهوم يصارع من أجل البقاء، فالتأمل في النصوص القانونية المغربية سيجد أن هناك إعلانا بشكل صريح بالمقاربة التشاركية، لكن واقع الحال المغربي بصفة عامة وواقع عالية حوض نفيس بشكل خاص يعكس شيئا آخر، فهل هي أزمة نصوص قانونية وأزمة تخطيط أم هي أزمة تفعيل لمقتضيات هذه النصوص؟ هل يمكن أن نتحدث عن مقاربة

تشاركية مغربية في السياسات التنموية التي تتجهها الدولة؟ ما دور الفاعلين المحليين والمواطنين في هذه السياسات التنموية؟ وهل صناعة القرار التنموي حكر على «السياسي» و«التقني» أم أن للمواطن دورا في صناعة القرار المحلي؟ (سفيان شعو، 2019)

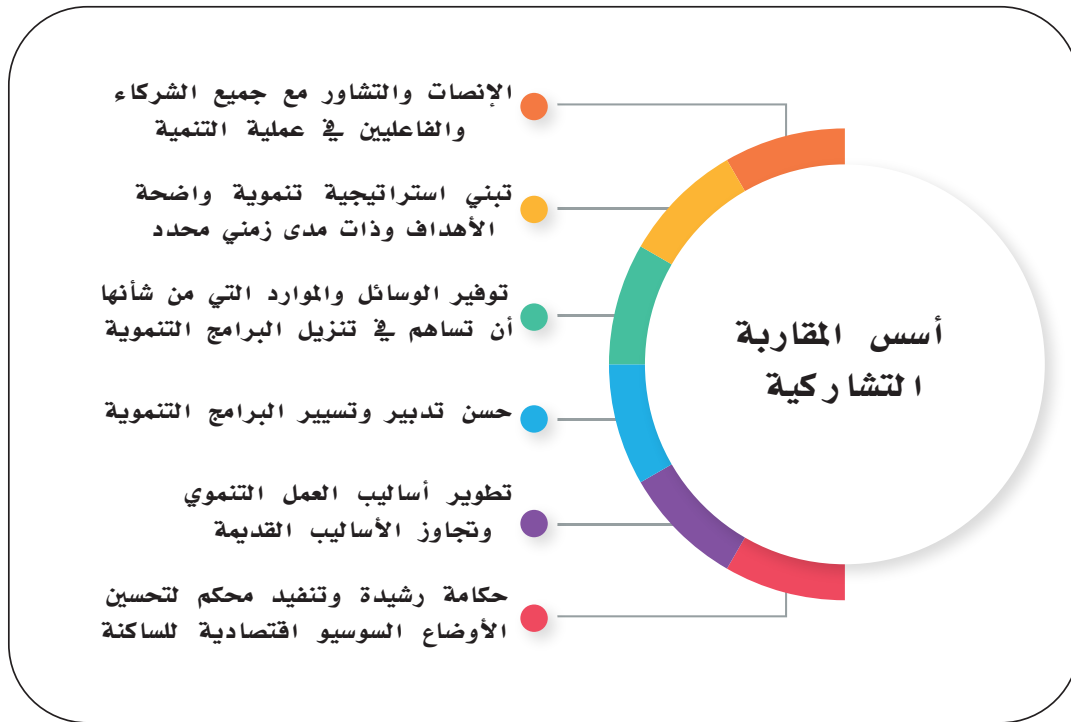
ربما تجد هذه الأسئلة مبرراتها في السياق المغربي، خصوصا وأنه ظل ولا يزال يصارع من أجل التنمية، وتعد المشاركة أحد أهم ركائز نجاح أو فشل أي فعل يتوخى التغيير، وقد برز هذا المفهوم بعد استفحال مجموعة من الظواهر من الفقر والتهميش والإقصاء وعجز الديمقراطية التمثيلية في معالجة المشاكل التنموية وفشل المخططات، من هنا إذن تم إقرار المقاربة التشاركية في دستور 2011 كبديل للتدبير السياسي والاقتصادي والتقني، لأن الإيمان بالمشاركة يقتضي معرفة الآخر والاعتراف بحقه في التأثير على صيرورة الأشياء، من هنا إذن برزت المقاربة التشاركية، وإذا ما حاولنا أن نعطي تعريفا بسيطا للمقاربة التشاركية يمكن القول إنه تدخل كل الفاعلين على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية، الاقتصادية، والثقافية بدور فعال في بلورة وبناء برامج عمل معينة بتوافق وانسجام وتعاون، وبالتالي لا بد من التأثير في البدء على أنه من الواجب الاقتناع بفائدة مساعدة كل الفاعلين، والمستويات والفئات العمرية، والإنصات لكل السكان والأخذ بأرائهم، وتقوية وتنمية طاقتهم وإشراكهم في أخذ المبادرة في البرمجة والتنفيذ والتقييم دون إقصاء أو تهميش. (سفيان شعو، 2019)

فلسفة المقاربة التشاركية ورهانها الأساسي هو تجاوز الطرق التقليدية في التسيير، وإبرام القدرات المحلية في التدبير، وحرية التعبير والديمقراطية في اتخاذ القرار، والإدماج والتنسيق بين جميع المتدخلين، وإلا فلا مجال للحديث عن المقاربة التشاركية. فأهميتها تكمن أساسا في الانتقال من التمرکز الثابت والمنغلق إلى اللاتمرکز والدينامية والانفتاح، وألا تكون البرامج التنموية والمخططات عمودية من أعلى إلى أسفل، بل من أسفل الهرم الاجتماعي إلى أعلى سلطة، والانتقال أيضا من إعطاء الأوامر والإخبارات إلى الحوار والإنصات لمعاناة الشعب، وما أحوجا في المسلسلات التنموية إلى حوار يؤسس للحوار، حوار جاد بين مختلف الفاعلين والمواطنين بغض النظر عن تبايناتهم وتراتبياتهم في المسؤولية.

إن الحاجة إذن أصبحت أكثر من ملحة في تفعيل حقيقي لمقتضيات هذه النصوص، سواء كانت فصول دستورية أو قوانين أو مراسيم، فإذا تأملنا الدستور المغربي الجديد لفتاح يوليوز 2011، فسنجد أن هناك تنصيحا على تفعيل المقاربة التشاركية في الإعداد والتفعيل والتنفيذ والتقييم للسياسات العمومية، وهي أساس الديمقراطية التشاركية التي يؤصل لها، وتعتبر شكلا متقدما للديمقراطية وتجسيدا للمواطنة الحقة، كما أنها واقع تفرضه ظروف تطور المجتمع وتنوع حاجياته وتعددها، لكن واقع الحال يعكس ذلك تماما، فمختلف البرامج التنموية والمخططات التي تم اعتمادها منذ الاستقلال كقيلة بإنتاج وتحقيق تنمية حقيقية، لكن هذا لا يمكن أن يتحقق في ظل تغييب المواطن باعتباره الفاعل المحوري في كل فعل تنموي.

على الرغم من المحاولات التي قام بها المغرب من أجل تبني المقاربة التشاركية إلا أنها لازالت محاولات محتشمة ولا ترقى إلى مستوى طموحات المجتمع المدني الذي أضحي يطالب أكثر من أي وقت مضى بضرورة بلورة خطة تنموية تستند إلى الفاعل المحلي عبر تفعيل المقاربة التشاركية لاسيما في ظل وجود ترسانة قانونية ونزوع تشاوري وتشاركي لبعض السياسات العمومية، من قبيل الحوار الوطني لإعداد التراب الوطني، والمبادرة الوطنية للتنمية البشرية، والحوار حول الجهوية الموسعة، والحوار حول المجتمع المدني وما يطرحه من إشكالات حول القضايا الاجتماعية والحقوقية التنموية، (آمنة الخلوقي، 2018) وتجدر الإشارة هنا إلى أن المسؤولية ملقاة على عاتق الدولة بكل مؤسساتها من جهة باعتبارها هي الضامن لحقوق وحرّيات الأفراد كما ينص على ذلك الدستور المغربي، ثم هناك الأحزاب السياسية من جهة أخرى والتي ينبغي أن تساهم في تأطير المجتمع وتخليق الحياة السياسية على الرغم من التطور الذي عرفه الخطاب الرسمي حول المقاربة التشاركية في التدبير الترابي، فإن عالية حوض نفيس لازال يعرف تأخرا كبيرا في هذا الصدد ويتجلى ذلك من خلال تغييب الساكنة المحلية عن المشاركة في صياغة وإعداد البرامج التنموية التي تنفرد بها الجماعات الترابية

الشكل رقم 84: أسس المقاربة التشاركية لعالية حوض نفيس

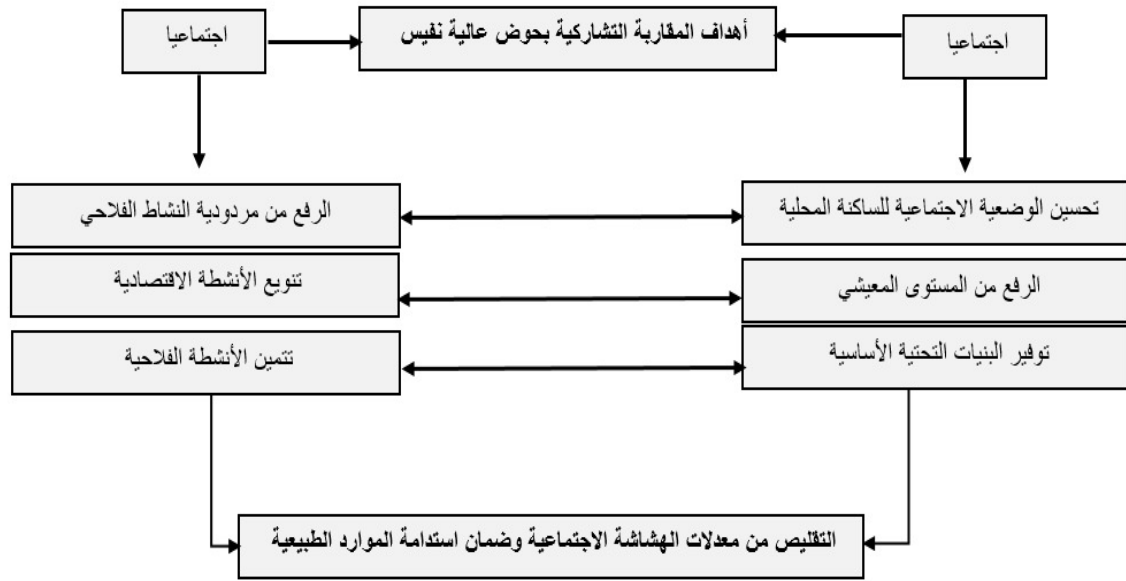


بدا واضحا إذن، أنه لكي نتحدث فعلا عن المقاربة التشاركية لا بد من إشراك المواطنين والفاعلين في تحديد وتشخيص مشاكلهم ومعيّناتهم لحاجياتهم بهدف العمل على تنزيلها، وبالتالي مساهمة كل الأطراف من حاكمين ومحكومين في صياغة وإنجاز وتقييم المشاريع التنموية، وجعلها أكثر مطابقة وملاءمة للواقع،

فالمقاربة التشاركية لابد أن تعطي الأولوية للعامل البشري في كل مخططات التنمية، وذلك انطلاقاً من كون الإنسان فاعل محوري في التنمية، مما يعطيه الحق في الاشتراك في السلطة واتخاذ القرار، بدل جعله مواطناً ممنوعاً من الصرف وطبعه بطابعه المجهولية، وهذا ما نجده للأسف كلما اقترب الكرنفال الانتخابي، فالمقاربة التشاركية لا تقتصر على المشاركة في اللوائح الانتخابية وبيع الوهم للمواطنين وتحريضهم على الذهاب إلى صناديق الاقتراع، من أجل بيع صوتهم لحزب معين، وإنما إشراكهم وهذا هو الرهان الحقيقي للمقاربة التشاركية، فهي تؤدي إلى حدوث نوع من الاستقلالية الفكرية بدل التبعية والخنوع للآخر، سواء كان القطاع العام أم المنظمات الدولية المانحة، بحيث يصبح المواطن فاعلاً ومنتفعلاً ومسؤولاً، يمكنه اتخاذ القرار بنفسه والتحكم في مصيره واختيار الحلول لمشاكله وبالتالي تنمية نفسه بنفسه. (زين الدين محمد، 2009)

حاصل القول إن المقاربة التشاركية هي وسيلة جديدة من أجل المشاركة المستمرة والدائمة من طرف مختلف الفاعلين وخصوصاً المجتمع المدني والمواطنين، في الإعداد والتفعيل والتفويض والتقييم للسياسات العمومية، وتكريس قيم الحكامة الجيدة وعلى رأسها مبدأ المحاسبة، كما أنها نظام للحكم الجيد وإعادة الثقة في السياسات الحكومية، وأن من نتائجها التحاور وإيجاد الحلول للمشاريع التي تلقى معارضة قوية من طرف المجتمع، وأنها طريقة للتقويم والتتبع والمراقبة الشعبية، وأنها كذلك عملية لترميم الديمقراطية التمثيلية، (عبد الرحمن الماضي، 2009) فالديمقراطية التشاركية تجعل المواطن العادي في قلب اهتماماتها، و للمبادرات الشعبية ويتعلق الأمر بالعريضة والملتمسات الأكثر انتشاراً لتفعيل الديمقراطية التشاركية، ولا سبيل إلى تحقيق ذلك إلا من خلال الاستثمار في البشر بدل الاستثمار في الحجر، واعتبار فعاليات المجتمع المدني والمواطنين قوة رافعة ودعامة أساسية للنهوض بالمجتمع وتحقيق التنمية المنشودة، وإلا فلا معنى لوضع مسلسلات من المخططات التي تغيب دور الإنسان المحلي والفاعل المدني وتبعده من السياسات العمومية. فإلى أي حد يمكن الخروج بالمقاربة التشاركية في السياسات التنموية مغرباً من التنظير والتخطيط إلى الواقع والتفويض والأجراء؟

الشكل رقم 85: خطاطة: أهم أهداف المقاربة التشاركية بمجال الدراسة



المصدر: تركيب شخصي اعتمادا على تحريات ميدانية 2018-2020

3.3.1. التشخيص الترابي مفتاح لتنمية ناجعة

يعتبر التشخيص الترابي من الآليات المهمة التي لا غنى عنها في تنزيل الرؤية التنموية باعتباره عملية تواصلية تسعى للوقوف على المشاكل التي يعاني منها مجال وفئة معينة وذلك من أجل الحصول على الحلول والبدائل التنموية خلال مدة زمنية محددة، ويمكن اختصار مفهومه في (العمل مع) عوض (العمل من أجل) بمعنى أن المواطن يصبح فاعلا ومتفاعلا ومسؤولا وليس مستفيدا فحسب (المندوبية السامية للتخطيط، 2016)، ومن أجل تشخيص ترابي ناجع فإنه لا مناص من تبني ما يعرف "بالتسويق الترابي"، الذي يهدف إلى إبراز مؤهلات ومميزات المجالات الترابية الاقتصادية والاجتماعية لجذب الاستثمارات و رؤوس الأموال. الأمر الذي يجعلها أكثر تنافسية وقادرة على تنفيذ التزاماتها وبرامجها التنموية. ولن يتأتى هذا الأمر إلا من خلال اعتماد مفاهيم السوق المعمول بها لبيع "المنتج الاستهلاكي" و دفع الجماعات الترابية إلى أن تتعامل مع ترابها "كمنتج" يحتاج إلى تسويق لدى المستثمر، بما يجعله الإطار الأكثر إجرائية لتنفيذ السياسات العمومية الترابية. وذلك بناء على ما يتوفر عليه من خصائص وإمكانات، الأمر الذي يساعد على وضع مخطط إستراتيجي تنموي وتشكيل شخصية أو "هوية" اقتصادية للجماعات (أمال بلشقر 2013)، وخاصة مجالس الجهات التي نص قانونها التنظيمي في المادة 80 منه على أن من مهام الجهة "تحسين جاذبية مجالها الترابي وتقوية تنافسيته الاقتصادية". وللوصول إلى نتائج أكثر مصداقية في

هذا الإطار اعتمدنا على الاستمارة والمقابلات الشفهية مع الساكنة المحلية والتي أسفرت عن التشخيص التالي لعالية حوض نفيس :

جدول رقم 45: أهم نقط الضعف والقوة بعالية حوض نفيس

الموارد	نقط القوة	نقط الضعف	الفرص	المهددات
الموارد الطبيعية	التضاريس والجيولوجيا	تنوع تضاريسي مهم غنى جيولوجي	- تساهم في عزلة الساكنة - تؤثر سلبا على البنيات التحتية أخطار جيومرفولوجية	- إمكانية التسويق السياحي للمنطقة - تثمين الموارد الطبيعية (الرمال، الأطنان)
	المناخ	مناخ معتدل	تدبب التساقطات الجفاف تردد الفيضانات	استغلال المناخ لتنوع الأنشطة الفلاحية وتشجيع السياحة
	الموارد المائية	شبكة مائية مهمة بفضل واد نفيس عيون مهمة	موسمية الجريان الاستغلال المفرط نضوب العيون وتزايد عمق القرشة	- تطوير القطاع الفلاحي بالمنطقة وتثمين منتجاته
	التربة	- تربة متنوعة	- التدهور - الانجراف - الاستغلال المفرط	- الانخراط في برامج المخطط الأخضر - إعادة الاعتبار للمجالات البورية
	الغطاء النباتي	- غطاء نباتي متنوع - نباتات عطرية يمكن استخدامها في التطبيق	- يتعرض للاستغلال والتدهور - تراجع العديد من الأصناف الغابوية الرعي الجائر	- ضرورة تثمين الغطاء النباتي وتسويقه بشكل أفضل - تنامي الوعي بأهمية التنوع البيولوجي الذي تزخر به المنطقة

الموارد	نقط القوة	نقط الضعف	الفرص	المهددات
الموارد البشرية	السكان	- غلبة الفئات الشابة على هرم السكان - ارتفاع معدل الخصوبة	- ارتفاع نسبة البطالة - الضغط على الموارد الطبيعية - الهجرة القروية	- ارتفاع نسبة الهشاشة الاجتماعية
	التعليم	- تحسن مؤشرات التمدد - تراجع نسب الهدر المدرسي	- ضعف العرض التعليمي (الثانوي والإعدادي) - ارتفاع نسب الهدر المدرسي في صفوف الإناث	- ارتفاع نسبة الهشاشة الاجتماعية - ارتفاع معدلات الهدر المدرسي - ضعف البنيات التحتية الخاصة بالتعليم
	الصحة	- تتوفر المنطقة على أعشاب طبية متنوعة - أهمية العلاج التقليدي	- ضعف معدل التأطير الطبي - ضعف الولوج إلى الخدمات الصحية	- انتشار الفقر والهشاشة الاجتماعية - ارتفاع تكلفة العلاج - بعد المؤسسات الصحية عن غالبية السكان

المصدر : تحريات ميدانية 2018 - 2020

إن حرص جهة مراكش اسفي و باقي الوحدات الترابية على تلميع صورة ترابها من خلال ابراز الإمميزات التي تتوفر عليها الجهة، من خلال تقديم معطيات دقيقة حول مؤهلاتها الترابية التي تتسم بالتنوع والتكامل من شأنه أن يساهم في اعطاء قيمة مضافة لمواردها الترابية وبالتالي تحقيق تنمية مستدامة من شأنها ان تقلص من حدة الهشاشة الاجتماعية التي تعاني منها المنطقة، وهذا لن يتأتى إلا من خلال تقوية التنافسية الترابية لمجال نفيس لما لها من تأثير ايجابي على استراتيجية التسويق الترابي وذلك بالموزة مع تحسين جاذبية التراب من خلال الحفاظ على البيئة و حماية التراث الثقافي من الإهمال و الإندثار .

وهكذا فان التسويق الترابي قد يمثل وسيلة هامة لتوفير موارد مالية هامة وتجاوز إشكالية ضعف الإيرادات الذاتية وضعف أو غياب التجهيزات و الخدمات العمومية الأساسية ومحدودية مساهمتها في التنمية المحلية. وهو ما يتطلب بذل جهود كبيرة من الجماعات الترابية وتحديد مجالس الجهات على مستوى التخطيط التنموي و التنظيم الداخلي وتثمين الموارد، فإعداد مجالات تنافسية يستوجب قدرا هاما من حسن التنظيم وجودة التدبير و القدرة على التشخيص الحقيقي للحاجيات.(ياسر عاجل،2018)

4.3.1. الديمقراطية التشاركية آلية لتعزيز التنمية لعالية حوض نفيس

من الأمور الأساسية التي ينبغي الانتباه إليها أثناء الحديث عن دستور 2011 أنه أشار بشكل صريح إلى الديمقراطية التشاركية كآلية أساسية من آليات التدبير، قصد تجاوز أعطاب ونقائص الديمقراطية التمثيلية. وهي خطوة مهمة نحو تمكين مختلف فئات المجتمع من الانخراط الإيجابي في المجهود التنموي الذي تعرفه بلادنا. وفي هذا الإطار لابد من الإشارة إلى أن الديمقراطية التشاركية لم تأت لتجاوز الديمقراطية التمثيلية التي تركز على العملية الانتخابية، بقدر ما جاءت من أجل تكميلها وتجويدها بما يحقق المشاركة الفعالة للسكان المحلية في الانخراط الإيجابي في التداول العمومي حول الاختيارات، ومرجعيات إعداد السياسات العمومية وتدبيرها، إنها بذلك تؤكد على ذلك التفاعل الإيجابي بين المواطنين ومدبري الشأن العام بشكل لا يقف فقط عند حدود منح الصوت لمن يمثلهم على غرار ما يجري في الديمقراطية التمثيلية التي ينتهي دور المواطنين فيها لحظة التصويت في الانتخابات⁽²¹⁴⁾

إن من شأن تفعيل الديمقراطية التشاركية أن يساهم في تمكين المواطنين من المساهمة الفعالة في صنع القرار العمومي على نحو يعيد الثقة بين الدولة وبين المواطنين وذلك في أفق العمل معاً لإيجاد حلول جذرية لمختلف الإكراهات التي تحول دون نجاعة التنمية المحلية رغم الاستثمارات الكبيرة التي تم رصدها عبر مختلف البرامج التنموية للعالم القروي، وفي هذا الإطار فإن الجماعات الترابية أصبحت مطالبة اليوم أكثر من أي وقت سابق على إيلاء الأهمية البالغة لهذه المقاربة التشاركية بغية صياغة قرار تنموي يستجيب لحاجيات الساكنة المحلية ويحقق بذلك تنمية القرب التي يكون فيها الإنسان عنصراً فاعلاً على اعتبار أن أهمية هذه المقاربة تنبع من قصور الاستراتيجيات التنموية الناتجة عن التخطيط المركزي، أي المنهج الفوقي لبناء القرار التنموي (ودار حسن، 2017).

ووعياً منها بأهمية المقاربة التشاركية في تحقيق تنمية مستدامة تساهم إلى حد ما في التقليل من المعدلات المرتفعة للهشاشة الاجتماعية بالمنطقة (7%) مقارنة بالمعدل الوطني، فقد ارتكز برنامج العمل للجماعة الترابية: ثلاث نيعقوب على ثلاثة محاور أساسية يمكن تلخيصها على الشكل التالي:

(214) الأمين سويقات، دور المجتمع المدني في تكريس الديمقراطية التشاركية، دراسة حالي الجزائر والمغرب، دفاتر السياسة والقانون العدد 17 يونيو

جدول رقم 46: مركّزات البرنامج الجماعي لثلاث نيعقوب

المحاور الرئيسة	الأهداف العامة	الأهداف الخاصة
تنمية وتطوير القطاع الفلاحي	- تطوير القطاع الفلاحي	- تامين المنتجات الفلاحية - المساهمة في تأطير الفلاحين وتشجيع الاقتصاد التضامني (التعاونيات)
	- تنويع الأنشطة الاقتصادية	- تطوير السياحة الايكولوجية - دعم الأنشطة التجارية
دعم العنصر البشري وتأهيل مالية الجماعة	- دعم الموارد البشرية والرفع من الموارد المالية للجماعة	- تنمية الموارد المالية للجماعة - الرفع من فعالية ونجاعة الفاعلين المحليين - تعزيز قدرات التسيير للجماعة الترابية
	- تقليص نسب الهدر المدرسي	- الانفتاح على المجتمع المدني لمحاربة الهدر المدرسي - توفير وسائل النقل المدرسي
تقوية البنية التحتية للجماعة	- تعزيز البنية التحتية للجماعة الترابية	- فك العزلة عن باقي الدواوير - الرفع من نسبة الربط بالماء والكهرباء - إصلاح الطرق والمسالك

المصدر: عمل برنامج الجماعة الترابية ثلاث نيعقوب 2017-2022

من خلال قراءة برنامج عمل الجماعة الترابية لثلاث نيعقوب يمكننا الخروج بالخلاصات الآتية:

- ⊙ لازالت الجماعة تعاني من ضعف مواردها المالية الشيء الذي ينعكس سلبا على برامجها التنموية التي تظل مع ذلك جد محتشمة ومحدودة؛
- ⊙ غياب تصور واضح للبحث عن الموارد المالية وعقد شراكات مع فاعلين آخرين؛
- ⊙ تراهن الجماعة الترابية على القطاع الفلاحي من أجل تحقيق تنمية مندمجة بالمنطقة لكنها بالمقابل تفتقد لبرامج من شأنها المساهمة في تامين المنتجات الفلاحية التي تظل نقطة قوة بمجال الدراسة بحكم تنوعها وقيمتها المضافة ؛
- ⊙ ضعف البنيات التحتية لاسيما الطرق يشكل عائقا أمام تحقيق تنمية حقيقية تنعكس بشكل إيجابي على الساكنة المحلية التي تعاني من ارتفاع حدة الفقر والهشاشة الاجتماعية لاسيما مع جائحة كورونا التي زادت من أعداد الساكنة التي أضحت تعيش تحت خط الفقر.

هكذا نستنتج أن تجاوز مختلف التحديات والإكراهات التي تعاني منها الجماعات الترابية لعالية حوض نفيس والمناطق الجبلية بالمغرب بصفة عامة، يقتضي من الدولة تسخير المزيد من البرامج التنموية لهذه المناطق التي تحتضن فئات عريضة من المجتمع المغربي وتعتبر خزاناً مهماً للموارد الطبيعية، لذلك فإنها تستحق تميزاً إيجابياً ومجهوداً تنموياً مضاعفاً حتى يتسنى لها المساهمة في أن تشكل عاملاً مساعداً على التنمية بدل أن تشكل كما هو الحال اليوم عائقاً أمام التنمية التي لازال المغرب يحتل فيها مراتب متأخرة. وهذا الأمر يتوقف أيضاً على مدى الوعي بأهمية المقاربة التشاركية التي تعتبر الديمقراطية

التشاركية مفتاحها الرئيسي غير أن هذه الأخيرة في مجال الدراسة لازالت تواجه العديد من الاكراهات التي تحول دون تنزيل وتفعيل هذه المقاربة بشكل كبير ومن أبرز هذه الاكراهات التي تم استنتاجها من خلال البحث الميداني:

① البيروقراطية الإدارية وعدم اقتناع معظم الإدارات بهذا النوع من التسيير الذي يركز على أن يعلي من شأن الفاعل المحلي؛

② عدم التواصل والتنسيق بين الجماعات الترابية المنتمية لنفس الحوض حول إعداد برامج عملها وهو الأمر الذي يقوض مبدأ الانسجام والتكامل على مستوى وحدة التراب الجماعي؛

③ ارتفاع نسبة الأمية بمجال الدراسة يجعل فئات عريضة من الساكنة المحلية غير مهتمة بالانخراط الإيجابي في العمل التشاركي ؛

④ تزامن إعداد برنامج العمل الخاص بالجماعات الترابية مع إعداد البرنامج التنموي الجهوي والإقليمي، وهو الأمر الذي يحول دون تحقيق الانسجام والالتفافية بين البرامج، وهو ما ينعكس بشكل سلبي على واقع التنمية بالجهة عموما ومجال الدراسة بشكل خاص؛

وبهدف تجاوز مختلف هذه الاكراهات، لابد من التحلي بنفس اقتراحي لدى مختلف الفاعلين والباحثين و المهتمين بقضايا التنمية المحلية عامة والتنمية المستدامة على وجه التحديد. فما هي التصورات الممكنة في هذا الباب بخصوص مجال الدراسة؟

2. يقتضي تحقيق التنمية المستدامة لعالية حوض نفيس اعتماد عدة مداخل

1.2. تنمية عالية حوض نفيس تتطلب تعزيز الحكامة المجالية

إن مواجهة الاختلالات التنموية التي يعاني منها العالم القروي يقتضي بالدرجة الأولى ضرورة وعي مختلف الفاعلين بالأهمية القصوى لادماج أولويات الساكنة المحلية بالعالم القروي في مخططات التنمية الجهوية وهذا الأمر ليس بطبيعة الحال كفيلا بانجاح هذا الورش المهم إلا عبر مساهمة الساكنة المحلية في تحديد حاجياتها وأولوياتها أثناء صياغة هذه المشاريع وكذا خلال تنفيذها وتتبعها. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن نجاح المقاربة التشاركية التي تعد المدخل الأساسي لتجاوز إكراهات العالم القروي تتوقف أيضا على مدى مساهمة مختلف الفاعلين السياسيين في النهوض بتنمية العالم القروي من خلال التنزيل السليم للامركزية الإدارية التي تعتبر شرطا لا بد منه من أجل كسب رهان التنمية بالمنطقة التي تعاني من التهميش سواء على الصعيد الوطني او على مستوى جهة مراكش حيث لازال عالية حوض نفيس يعرف تدخلا محتشما للجهات الوصية على الوضع التنموي على عكس سافلة الحوض حيث تتركز أهم البنيات التحتية (الطرق، المدارس، المستشفيات....)، ومن أجل تجاوز اللامعالية المجالية التي تطبع مجال نفيس

كان لزاما تفعيل وتنزيل الحكامة الترابية خاصة في ظل التوجه نحو اعتماد نموذج تنموي جديد يراهن على الانصاف المجالي لكل التراب المغربي.

غير أن تنزيل هذا الورش على أرض الواقع بمعظم الجماعات الترابية تواجهه العديد من الاكراهات:

① العائق العلائقي الذي يتجلى في عدم التكافؤ وضعف النجاعة التواصلية بين مختلف إدارات الدولة والجماعات الترابية التي لازالت تعاني من إشكالية الوصاية من طرف باقي الفاعلين في مراقبة التراب الوطني وفي مقدمتهم وزارة الداخلية مما يحول دون تحقيق النتائج المتوخاة من تبني الدولة لخيار الحكامة الترابية؛

② العائق المؤسساتي ويتجلى أساسا في ذلك الغموض الذي يطبع العلاقة بين المؤسسات الوطنية والجهوية وباقي مؤسسات المجتمع المدني، مع استمرار البيروقراطية الإدارية...؛

هذه الاكراهات وغيرها يضيع على المنطقة فرصا متعددة للتنمية كان من شأن تجاوزها المساهمة إلى حد كبير في إعطاء دفعة قوية للفعل التنموي بمجال لازال يرزخ تحت وطأة التهميش.

هكذا يتضح بأن الحكامة لا تقتصر أهميتها فقط في دورها الفعال في إعطاء دينامية قوية لمسلسل التنمية بالمنطقة من خلال توفير مختلف الشروط التي تضمن نجاعة التدخلات التنموية التي عادة ما تعاني من الارتجالية وغياب رؤية واضحة من طرف معظم الفاعلين الترابيين سواء على المستوى الجهوي أو المركزي، غير أن استيعاب هذا التصور لازال بعيدا كل البعد عن الممارسات التي عايشنها مع كل الأطراف التي أسندت لها مهمة تدبير الشأن المحلي بعلية نفيس، حيث غياب التواصل والانسجام بين البرامج التنموية للجماعات الترابية الثلاث التي اشتغلنا عليها في هذه الدراسة وهو الامر الذي يطرح اكثر من سؤال حول تمتلث هؤلاء الفاعلين لمساهمته الفعالة في تحقيق التنمية وتجاوز مختلف الاكراهات والعوائق التي سبقت الإشارة إليها سلفا.

2.2. المجتمع المدني فاعل أساسي لكسب رهان الحكامة الترابية

مما لا شك فيه أن نجاح ورش الحكامة الترابية يرتبط بشكل كبير بمدى اشراك المجتمع المدني باعتباره شريكا استراتيجيا لباقي الفاعلين الترابيين من أجل المساهمة في تحمل مسؤولية الفعل التنموي بالمنطقة التي تعاني وبدرجة كبيرة من ضعف جل مؤشرات التنمية البشرية بالمقارنة مع باقي مجالات نفيس. غير أن الإشكال المطروح في هذا السياق هو أن المجتمع المدني في حد ذاته لازال يبحث عن حكامته الداخلية حيث أن معظم الجمعيات في المنطقة لازالت تعاني من عدة اكراهات وفي مقدمتها ضعف الموارد المالية لهذه الجمعيات التي تعتمد على الدعم الذي تقدمه الجماعات الترابية لانجاز أنشطتها كما هو الشأن بالنسبة لغالبية الجمعيات النشيطة في ثلاث نيعقوب كما يتضح من خلال الجدول:

جدول رقم 47: بعض الجمعيات الفاعلة بعالية حوض نفيس

اسم الجمعية/التعاونية	عنوان المقر	طبيعة المشروع
الجمعية الخيرية الإسلامية دار الطالب	دوار امكدول	تسيير دار الطالب
تعاونية تربتين تسافت ثلاث نيعقوب	دوار تزونطان	اقتناء آلات صنع الحلويات و نسج الزرابي
جمعية ابراج كندافة للتنمية تكم نكران	دوار تكم نكران	توسيع شبكة الماء الصالح للشرب
جمعية أسول للتنمية و الثقافة والمحافظة على البيئة ثلاث نيعقوب	دوار اسول	تجهيز روض الاطفال
جمعية افتاس للتنمية و التعاون	دوار تفرغوست	اصلاح صهريج للماء الصالح للشرب
جمعية أفولكي للتنمية و التضامن ثلاث نيعقوب	دوارامي نكرزي	اقتناء المواد الاولية للحرف التقليدية
جمعية المعرفة للنقل المدرسي ثلاث نيعقوب	دوار امكدول	محاربة الهدر المدرسي
جمعية الموحدين تنمل للتنمية و السقي الفلاحي ثلاث نيعقوب	دوار تنمل	اصلاح حائط وقائي على شعبة تنمل
جمعية النهضة للتنمية و التعاون و المحافظة على البيئة ثلاث نيعقوب	دوار تزالت	تسيج مقبرة بدوار تزالت
جمعية تيماتين للتنمية بكندافة ثلاث نيعقوب	دوار ويكيت	تجهيز نادي نسوي
جمعية مجلس دار الشباب ثلاث نيعقوب	دوار امكدول	تنظيم اسبوع ثقافي
جمعية دار الامومة	دوار امكدول	تسيير دار الامومة

المصدر: الجماعة الترابية ثلاث نيعقوب 2020

من خلال الجدول أعلاه يتضح بشكل جلي أن دعم الجماعة الترابية لهيئات المجتمع المدني كان جد محتشم واقتصر فقط على ثلاث جمعيات ولاسيما الجمعية الخيرية الإسلامية (دار الطالبة) التي تنشط أساسا في تسيير دار الطالبة بهدف محاربة الهدر المدرسي من خلال توفير السكن والتغذية لمعظم التلاميذ الذين يتابعون دراستهم في الثانوية الإعدادية تنمل، وبالمقابل فإن الجمعيات الأخرى لم تتلقى أي دعم مادي من طرف الجماعة الشيء الذي يحول دون وفاء هذه الجمعيات بالتزاماتها التنموية رغم أن لها برامج تنموية يحول غياب التمويل دون تنزيلها وأجراتها. في ظل ضعف القدرة التواصلية والقدرة على الترافع لدى معظم هذه الجمعيات وعجزها عن ربط شراكات حقيقية مع باقي الفاعلين سواء في القطاع العام أو القطاع الخاص، حيث أن معظمها لم يستفيد أيضا من الدعم الذي تقدمه المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي استهدفت مشاريعها عالية حوض نفيس بشكل كبير.

وعموما فقد سجلنا العديد من إكراهات العمل الجماعي لعالية حوض نفيس نجلها فيما يلي:

❶ ضعف التكوين في العمل الجماعي وكيفية تطوير المشاريع التنموية؛

❷ افتقار معظم الجمعيات لبرامج عمل واضحة الأهداف والوسائل؛

- تدني تمثيل المرأة في النسيج الجمعي لأسباب ثقافية ترفض الانفتاح على المرأة (62 ٪ من الجمعيات النشيطة في المنطقة لا تتوفر في تركيبها على امرأة)؛
- ضعف اهتمام الجمعيات بالمجالات التي تهمل المرأة حيث لا تتعدى نسبة هذه الجمعيات 2٪ فقط
- ضعف التواصل بين الجمعيات والشركاء سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو الوطني والدولي وهو ما يطرح صعوبات كبيرة في البحث عن التمويل المناسب؛
- ارتفاع نسبة الأمية بالمنطقة يشكل عائقا أمام نجاح الكثير من الجمعيات؛
- عدم انخراط أعضائها بحضور الاجتماعات الضرورية (215) حيث أن نسبة الأعضاء الملتزمين بحضور هذه الاجتماعات لا يتجاوز 30٪ في حين تتجاوز نسبة الأعضاء الذين لا يحضرون هذه الاجتماعات 50٪؛

3.2. دعم المشاريع الصغيرة آلية فعالة لتحقيق التنمية المحلية:

يلعب بنك القرض الفلاحي دورا رئيسيا في دعم المجهود التنموي بالمناطق القروية بالمغرب من خلال القروض التي يمنحها للفلاحين بغية تمويل مشاريعهم غير أن الملاحظ في هذه التمويلات أنها لا تستهدف بالدرجة الأولى الفلاحين الصغار والفئات الهشة (216) التي لا تتوفر على أراضي فلاحية وهو الأمر الذي يحول دون ولوجية هذه الفئات إلى نظام التمويلات البنكية (217)، صحيح أن المبادرة الوطنية للتنمية البشرية تستهدف هذه الفئات غير أن تمويلاتها تظل مع ذلك جد محدودة (انظر الجدول رقم 65) وحتى بالنسبة للفئات المستفيدة من هذه البرامج رغم قلتها - على اعتبار أن الجماعة الترابية تلات نيعقوب غير مستهدفة ببرامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية (الشكل 86) - فإنها تعاني من غياب التتبع والمواكبة الشيء الذي جعل معظم هذه المشاريع الممولة من طرف المبادرة تنتهي بالفشل ويضيع بذلك المجهود التنموي الذي تراهن عليه بلادنا وأعلى سلطة في البلاد من أجل التقليل من التفاوتات المجالية ومحاربة مختلف مظاهر الإقصاء الاجتماعي. غير أن الإشكال كما يقول العديد من الفاعلين المحليين لا يكمن في المبادرة وفلسفتها بقدر ما يكمن في الأجهزة المشرفة عليها.

(215) خلال مقابلة بعض المسؤولين بالجماعات الترابية لتلات نيعقوب صرح لنا عدد منهم أن المجتمع المدني بالمنطقة غير مهتم بحضور الأنشطة التي تنظمها الجماعة كما أن بعض الجمعيات ان لم نقل جلها غير منخرطة في صياغة وتسطير البرامج التنموية التي تقترحها الجماعات الترابية وهو ما يفسر ضعف مساهمة النسيج الجمعي في فعل التنمية بالمنطقة.

(216) بالنسبة للاستغاليات الفلاحية الصغيرة والمتوسطة التي تعتمد أساسا على الفلاحة ولا تستجيب لمعايير التمويل البنكي، فإن بنك القرض الفلاحي اعتمد صيغة جديدة عرفت بـ«تمويل الفلاح» للقروض المتوسطة، حيث تم إحداث أكثر من 400 نقطة بيع و50 وكالة متنقلة على الصعيد الوطني غير أن حظ مجال الدراسة كان ضعيفا جدا بل لم تستفيد منه أي ساكنة حسب البحث الميداني الذي قمنا به في الفترة الممتدة ما بين 2018 و2020-

(217) حسب قانون المالية 2021 رصدت الدولة 1مليار درهم لصندوق دعم تمويل المبادرة المقاولاتية والذي استفاد منه 9,500 مقاول منها 2000 مقاولا بالعالم القروي، لكن للأسف لم تستفيد أي مقاولا بعالية حوض نفيس من هذا البرنامج الشيء الذي يطرح إشكالية العدالة المجالية في دعم المقاولات التي تأثرت أنشطتها بجائحة كورونا خاصة وأن معظم المقاولات النشيطة بالمنطقة تشتغل أساسا بالقطاع السياحي الذي كان من أكثر القطاعات الاقتصادية التي عانت من تداعيات الأزمة المرتبطة بجائحة كوفيد.

جدول رقم 48: نسبة المستفيدين من برامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية بعالية حوض نفيس

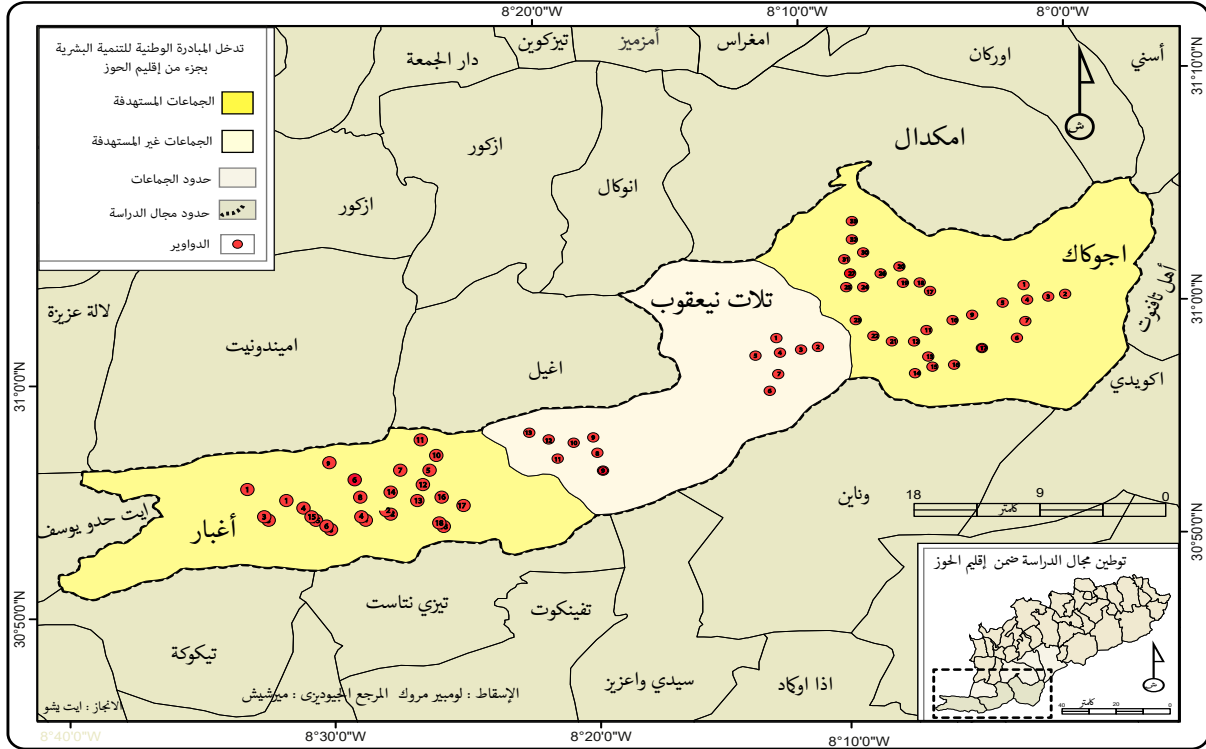
الجماعات الترابية	نعم	لا
أغبار	0,2	99,8
تلات نيعقوب	0	100
اجوكاك	1	99

المصدر بحث ميداني 2018-2020

إن محدودية الدعم الذي الموجه لفائدة الفئات الهشة يجعلنا نتساءل عن البدائل التي يمكن الاعتماد عليها من أجل تجاوز هذا الإكراه؟ لذلك كان لابد من إبداع حلول جديدة تسعى إلى تجاوز النقص الحاصل في تمويل وتشجيع المبادرات الذاتية بالمنطقة. فالقطاع البنكي المغربي ليست لديه الحافزية والضمانات من أجل الانخراط في مشاريع ذاتية تنتهي في الغالب بالفشل. كما أن المواطن أو المستثمر المحلي يتبرم من تبعة الملاحقات القضائية والديون ولا ينخرط بالتالي في هذه المبادرات غير مضمونة العواقب. من هنا جاءت مبادرات الدولة المتتالية لإعطاء الضمانات الكافية للمؤسسات التمويلية قصد تشجيع الشباب على الاستثمار، من قبيل المقاول الذاتي ومشروع انطلاقة المضمونين من طرف الدولة بغلاف مالي مهم، ناهيك عن برنامج أوراش الذي اطلقتته الحكومة لمواجهة تداعيات جائحة كورونا⁽²¹⁸⁾

(218) أطلقت الحكومة برنامج أوراش يوم 12 يناير 2022، ويستهدف في مرحلته الأولى 10 أقاليم، في أفق تعميمه تدريجيا على جميع أقاليم المملكة ويتعلق الأمر بأقاليم المضيق - الفنيدق، والحاجب، والرشيدي، وأزيلال، والنواصر، والحوز، وفيكيك، ووادي الذهب، وسيدي قاسم وتارودانت ويهدف برنامج أوراش إلى إحداث 250 ألف فرصة شغل مباشر خلال سنتي 2022 و2023، من خلال تقديم مساعدات مستعجلة وأنية للمواطنين الذين فقدوا عملهم بسبب جائحة كوفيد-19 وكذا أولئك الذين يجدون صعوبة في الولوج إلى فرص الشغل، وذلك دون اشتراط مؤهلات أكاديمية والجدير بالذكر أن الحكومة خصصت لهذا البرنامج ما مجموعه 2,25 مليار درهم برسم سنة 2022.

الشكل رقم 86: الجماعات الترابية المستهدفة ببرامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية



المصدر: قسم العمل الاجتماعي بعمالة الحوز 2021

انطلاقاً من الخريطة أعلاه، نلاحظ أن مجال الدراسة رغم أنه يعتبر من بين المناطق التي تسجل فيها أعلى معدلات الهشاشة الاجتماعية، فإنه على العكس من ذلك لم يستفيد بشكل كبير من برامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية ولا سيما فيما يتعلق بالجماعة الترابية «ثلاث نيعقوب» التي لم يتم استهدافها ببرامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي استهدفت بالمناسبة 21 جماعة ترابية بالحوز ويدخل ضمنها كل من جماعة اغبار واجوكاك وهو ما يطرح أكثر من سؤال حول هذا الإقصاء ودوافعه ومبرراته رغم أن المنطقة تسجل معدلات مرتفعة على مستوى الهشاشة الاجتماعية على غرار باقي مجالات عالية نفيس ؟

4.2. تسويق المنتجات المحلية دعامة أساسية لتنمية المنطقة

يشكل تسويق وتنمين المنتجات المحلية إحدى الوسائل الفعالة لتحقيق التنمية الترابية المستدامة وبالتالي تمكين الساكنة المحلية من مختلف الوسائل والآليات الكفيلة بمساعدتها على تجاوز الاكراهات والتحديات التي تعاني منها بفعل التهميش التي طالها طيلة عقود مضت، لذلك فإن اعتماد التسويق الترابي وتنمين المنتجات المحلية يشكل مدخلا أساسيا لتحقيق هذا المبتغى رغم أن التسويق الترابي وإن ارتبط في بدايته بالولايات المتحدة الأمريكية بالمجال الاقتصادي.

إذا كان التسويق الترابي في بعده المقاوالاتي يركز على أسس تسويق المنتجات أو تسويق الخدمات، فإن الجماعات الترابية بالمقابل تعمل على تسويق ما تتوفر عليه من موارد ومؤهلات اقتصادية وطبيعية

وذلك بهدف خلق جادبيتها الترابية(بودواح محمد بوهلال عبد السلام، 2015)، ويشكل عالية حوض نفيس مجالا غنيا بالمنتجات المحلية (الشكل رقم 87)

الشكل رقم 87: صور لبعض المنتجات المجالية بحوض عالية نفيس



المصدر: جمعية تنمّل بتلات نيعقوب 2020

إن غنى المنطقة بالمنتجات المحلية من شأنه أن يساهم إلى حد كبير في حالة تسويقه بشكل جيد ان ينقد العديد من الفئات الهشة من وضعيتها هاته على اعتبار أن منتجات المنطقة تتمتع بجودة عالية ولديها قدرة تنافسية عالية غير أنها لم تجد طريقها بعد إلى الأسواق بالشكل المطلوب كما يؤكد على ذلك المخطط الأخضر الذي يهدف إلى تحسين ظروف عيش الفلاح الصغير، ومحاربة الفقر في الوسط القروي عبر الرفع من الدخل الفلاحي في المناطق الأكثر هشاشة، إضافة إلى النهوض بفلاحة تضامنية ذات مردودية لفائدة المرأة القروية، من خلال مشاريع مخصصة للتعاونيات الفلاحية النسائية. وفي هذا السياق لابد من الإشارة إلى ضعف عملية تسويق المنتجات المحلية بمجال الدراسة مرتبط بعدة عوامل وفي مقدمتها:

- ⊙ ضعف البنيات التحتية لاسيما الطرق حيث غالبية المناطق تعيش حالة من العزلة رغم المجهودات التي بذلت في هذا المجال؛
- ⊙ ارتفاع نسبة الأمية في صفوف الفلاحية بالمنطقة يحول دون نجاح مشروع تامين وتسويق المنتجات المحلية ؛
- ⊙ تعدد الوسطاء يقلص إلى حد كبير من استفادة الفلاحين بشكل مباشر من تسويق المنتجات المحلية ؛
- ⊙ قلة عدد التعاونيات المهمة بتسويق المنتجات المحلية وافتقارها لتصور واضح لكسب رهان تسويق المنتجات المحلية؛

اذن كل هذه العوامل السالفة الذكر تؤدي الى ما يمكن تسميته ب «ضعف النجاعة التنموية للتسويق الترابي» بمجال الدراسة، الشيء الذي يحول دون تحسين وضعية غالبية الساكنة التي تعاني كما سبقت الإشارة إلى ذلك في اكثر من مناسبة من ارتفاع معدلات الهشاشة الاجتماعية ويسائل بالتالي مختلف البرامج التنموية التي اعتمدها المغرب منذ الاستقلال وصولا إلى برنامج تنمية العالم القروي الذي لم ينجح إلى حدود الساعة في الإجابة عن حاجيات الساكنة القروية التي تتطلع بدورها إلى الاستفادة من حقها في التنمية خاصة مع توالي سنوات الجفاف وتداعيات جائحة كورونا التي كانت جد قاسية بالنسبة للساكنة القروية التي تضررت أكثر من غيرها من هذه الجائحة. الامر الذي يفرض على مختلف الفاعلين البحث عن حلول جذرية لإشكالية التنمية بالعالم القروي من خلال الانفتاح على كل الكفاءات التي يمكنها أن تساهم في اقتراح حلول تنموية تستجيب لحاجيات الساكنة بالمناطق الجبلية وتساهم بالتالي في تحسين الأوضاع السوسيو اقتصادية لغالبية الساكنة المحلية التي تعتمد أساسا على الأنشطة الفلاحية بمختلف أشكالها.

غير ان هذا الأمر يتوقف على مدى توفير البنيات التحتية التي من شأنها ان تساهم في فك العزلة عن هذا المجال العطوب وبالتالي توفير الشروط الحقيقية لأي إقلاع تنموي تتطلع له الساكنة المحلية التي تعاني كما سبقت الإشارة إلى ذلك من مختلف مظاهر الهشاشة والاقصاء الاجتماعي.

5.2. تسويق البيئة الطبيعية باعتبارها تراثا محليا متعدد الأبعاد:

رغم أن مجال الدراسة على المستوى الطبيعي يعرف عدة اختلالات بحكم الهشاشة الطبيعية التي يعاني منها والتي تم رصدتها في الباب الأول حيث تم الخروج بخلاصة رئيسية مفادها أن المجال عطوب بامتياز على المستوى الطبيعي (التعرية، انجراف التربة وضعف خصوبتها، الجفاف....)، إلا انه وبالمقابل يتوفر على موارد طبيعية جد مهمة من شان استغلالها واستثمارها بشكل أفضل ان يساهم في الحفاظ على هذه الموارد باعتبارها ملكا مشتركا ليس فقط للساكنة المحلية بعالية حوض نفيس وانما للأمة المغربية كما يؤكد على ذلك الميثاق الوطني حول البيئة في المادة السادسة من الباب الثاني. لذلك لابد من العمل على استثمار كل تلك الموارد من خلال التثمين الترابي للبيئة الطبيعية بحوض عالية نفيس.

1.5.2. استغلال الموارد الرملية لنفيس لتنمية مالية الجماعات الترابية:

جدول رقم 49: أهمية العناصر الطبيعية في تحضير الرمال

العنصر الطبيعي	دوره في تحضير الرمال
الجيولوجيا	- وجود انكسارات والتواءات تساعد على تقدم التعرية - تنوع صخاري مهم مع غلبة الصخور الهشة - صخور بلورية تعطي رمالا جيدة - ضعف نفاذية الصخور يسمح بجريان مهم وبالتالي تحريك للمواد الصلبة
الطبوغرافيا	- انحدارات شديدة تمكن من نشاط ديناميات: السيل، النهر، السفح - تباين ارتفاعي مهم - عالية متضرسة منتحة، وسافلة منبسطة تشكل مجالا للفرز والترسيب - ضيق المجاري المائية يجعلها أكثر نشاطا في عملية النحت
الخصائص الهيدروغرافية	- طول الشبكة المائية يساعد على نشاط عمليتي الدحرجة والدملكة - تشعب الشبكة المائية وأهمية مؤشر الكثافة التصريفية - معدل التشعب مهم جدا في نشاط التعرية النهرية
عناصر المناخ	- تفاوتات حرارية في الزمان تسهل عملية التهشيم الحراري لاسيما في العالية - تساقطات متركزة في الزمان والمكان، تتسم بالعنف - فيضانات جارفة للمادة الصلبة، ورافعة لقدرة وكثافة واد نفيس وروافده
الهيدرولوجيا	- صبيب مهم خاصة في القسم الجبلي - نظام هيدرولوجي مطر وتلجي مساعد على طول مدة اشتغال الدينامية النهرية
الغطاء النباتي	- تدرج نباتي منظم لنقل الحمولة الصلبة - تدهور الغطاء النباتي يجعل السطح أكثر عرضة لعنف التساقطات

المصدر، أودوروش إسماعيل، 2015. تدبير الموارد الطبيعية بحوض نفيس: رمال الأودية نموذجاً

هكذا يتضح من خلال الجدول أعلاه أن البيئية الطبيعية لحوض نفيس توفر إمكانيات كبيرة لاستغلال وتنمين مورد الرمال باعتباره مصدرا مهما في تنمية ميزانية العديد من الجماعات الترابية⁽²¹⁹⁾ التي أصبحت اليوم مداخلها محدودة بسبب تراجع مردودية الأنشطة الفلاحية التي تعد العنصر الأساسي في النشاط الاقتصادي للمنطقة. الشيء الذي يمكن تداركه من خلال العمل على تنمين استغلال الرمال بهذه المجالات التي تعرف ارتفاعا كبيرا لمعدلات الفقر والهشاشة الاجتماعية مع استحضار ضرورة الاستغلال العقلاني لهذا المورد الذي يتعرض بدوره لضغط كبير في السنوات الأخيرة.

(219) يشكل استغلال الرمال موردا مهما بالنسبة للعديد من الجماعات الترابية بنفيس كما هو الشأن بالنسبة للجماعة الترابية لالة تتركوست التي تجاوزت فيها مداخل الرمال ما قيمته 349860.00 درهم سنة 2014، من مجموع المداخل البالغة 22.3269450

2.5.2. السياحة الايكو ثقافية رافعة أساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية بحوض

عالية نفيس

في البداية لابد من الوقوف عند مفهوم السياحة الثقافية باعتباره « كل نشاط استجمام دافعه الرئيسي البحث عن المعرفة والانفعالات من خلال العمل على اكتشاف التراث على غرار المدن والمعالم التاريخية والمباني الدينية والحدائق أو تراث روحي مثل الحفلات التقليدية والتقاليد المحلية والوطنية». (نسيمة، 2010) وفي تعريف آخر اعتبرت السياحة الثقافية تلك الحركة التي تهدف إلى التعرف على الحضارات القديمة وزيارة الأماكن ذات الماضي والتاريخ الهام بالإضافة إلى إقامة الندوات والمسابقات الثقافية والمعارض. لذلك فهي تستقطب فئة معينة من السياح الذين يملكهم الفضول لإشباع رغبتهم في التعرف على الحضارات السابقة والاطلاع على الرصيد الحضاري الذي راكمته هذه القوى التي كان لها دور كبير في مختلف الأحداث التاريخية التي طبعت المنطقة كما هو الشأن بالنسبة لمسجد تتم بتلات نيعقوب.

هذه المعلمة التاريخية التي تؤرخ لفترة مهمة من تاريخ المغرب في العصر الوسيط، حيث ميلاد الدولة الموحدية بقيادة محمد بن تومرت. والذي شيده السلطان عبد المؤمن بن علي ما بين سنة 1148 وسنة 1153م، ويعد هذا المسجد الأول من مجموعة مساجد صممت وشيدت من قبل الموحدين على نفس الطراز المعماري كالكتبية بمراكش وحسّان بالرباط والخيرالدا باشبيلية.

إن الأهمية التاريخية التي يكتسبها مسجد تتمم والقيمة التاريخية التي يمثلها تفرض على كل الفاعلين سواء المحليين أو المركزيين ضرورة الانفتاح على هذا التراث التاريخي المهم والعمل على استثماره وتنميته في إطار ما يعرف بالسياحة الثقافية الأمر الذي من شأنه أن يساهم في استقطاب نسبة كبيرة من السياح الذين تهوئهم مثل هذه المآثر التاريخية التي تشكل جزء من الذاكرة الجماعية للمجتمع المغربي بصفة عامة وذاكرة مجال نفيس بشكل خاص، هذا الأخير الذي يزخر أيضا بالعديد من المآثر التاريخية المتنوعة لاسيما فيما يتعلق بالقصبات التاريخية التي كانت تلعب دورا مهما في مراقبة الممرات التجارية التي كانت تربط بين مراكش وسوس عبر تزي ناست.

الشكل رقم 88: صورة لمسجد تنمل بين الأمس واليوم



المصدر: موقع google.com

إلى جانب هذا المسجد الذي يجب استثماره وتنميته في إطار السياحة الثقافية، فإن الغنى الذي تتميز به المنطقة من شأن استغلاله بشكل أفضل أن يشكل تحولا مهما في الأنشطة الاقتصادية لمجال نفيس لاسيما فيما يتعلق بالقصبات التي يحتضنها مجال نفيس وفي مقدمتها قصبة الكندافي⁽²²⁰⁾ التي كانت تلعب دورا مهما في المنطقة من خلال مراقبة الطريق التجاري الرابط بين سوس والحوز والتي كان يسيطر عليها القائد محمد الطيب الكندافي⁽²²¹⁾

(220) في المرحلة الأولى التي دامت خمسة عشر عاما، من سنة 1850 إلى سنة 1865، أي في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن وفي عهد ابنه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (1859 – 1873)، قام أمغار السي محمد آيت لحسن أولا بتشيد منزل كبير لأمغار يويكيث، ثم قصبتيان عظيمتان: قصبة تَكْنَدَافُثْ وقصبة تَالُثْ نِيْعُقُوبْ، وقصبتيان متواضعتان: قصبة أَكْدِيرْ نَوَالاً وقصبة تِيْنَمْلْ ثم مخزن محصن يسمى أَكْدِيرْ نَوَادَارْ

(221) لقياد الذين تعاقبوا على رأس القيادة المعنية، كانوا ينتمون لنظام قائدي مَيَزْ الأطلس الكبير والحوز في النصف الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. فالقائد محمد الكندافي (-1850 1883) وابنه القائد الطيب الكندافي (1883 – 1924) استطاعا، ما بين 1850 و1906، إنشاء منطقة حكم كبيرة. وقد كانت هذه الأخيرة تمتد من سوس إلى الحوز عبر الأطلس. (قائد من مغرب الأمس-الطيب الكندافي، ص 139 لمؤلفه عمر الكندافي)

خلاصة الفصل:

هكذا يتضح بان تحقيق التنمية المستدامة في عالية حوض نفيس يعتبر أحد المداخل الأساسية التي يمكن الاعتماد عليها من أجل كسب رهان الحفاظ على المجال الغابوي. الذي يتعرض لتدهور كبير وسريع خلال العقود الأخيرة، وفي نفس الوقت كسب تحدي تنمية الإنسان باعتباره رافعة أساسية لا يمكن الاستغناء عنها من أجل انجاح النموذج التنموي الجديد الذي تراهن عليه بلادنا من أجل تجاوز الاختلالات التي واكبت مختلف البرامج والتدخلات التي وجهتها الدولة الى العالم القروي عامة و إلى المناطق الجبلية ومن ضمنها مجال عالية حوض نفيس على وجه التحديد. هذا المجال الذي عانى كثيرا على غرار باقي المجالات الهشة الشبيهة به من آثار وانعكاسات جائحة كورونا التي زادت من عزلة المنطقة ومن تعميق مظاهر الاقصاء والتهميش.

لعل الوقت قد حان من أجل رفع الحيف على المجالات الجبلية بالمغرب عامة وعلى مجال حوض نفيس الذي خصصناه بهذه الدراسة، والعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية والمجالية وتوفير شروط العيش الكريم لساكنة هذه المناطق مما من شأنه أن يساهم بشكل إيجابي في كسب رهان التنمية المستدامة والذي اعتبرناه مدخلات اساسيا للحفاظ على المورد الغابوي.

خاتمة الباب

لقد عملنا في هذا الباب على تشخيص نتيجة العلاقة بين العطب الطبيعي في عالية حوض نفيس، والعطب الاجتماعي، وأثر ذلك على تدهور المجال الغابوي. بعبارة أخرى إنه باب لتفسير العلاقة والبحث عن حلول لهذا الوضع غير السليم. فبقدر ما أكدنا على تدهور المجال الغابوي نتيجة العلاقة أعلاه. بقدر ما انتقدنا بشدة تلك المقاربة القطاعية التي حكمت تدخل الدولة لإصلاح العطب مند عقود. وبقدر ما أكدنا على ضرورة القطع مع هذه السياسة التي أثبتت فشلها طيلة السنوات الماضية. والانفتاح على ما أسميناه بالمقاربة "المندمجة" أو "التهيئة المندمجة" التي تتبني على مقاربة تشاركية وتدخل قائم على: "التشخيص الترابي" والمزاوجة بين التنمية المستدامة، وبين خلق تنمية اجتماعية حقيقية بالمجال المدروس.

لقد أكدنا في هذا الباب على حجم الكلفة التي يؤديها المغرب نتيجة التأخر في تغيير أساليب تدبير المجالات الجبلية عموما والمجالات الغابوية على وجه التحديد. ونبهنا إلى أن حجم التأخر الحاصل في مسلسل تحقيق التنمية الاجتماعية والحفاظ على الموارد الغابوية، ليس مرده إلى قلة المبادرات والمجهودات المبذولة، وإنما إلى عدم استهداف الوجهة الصحية والمدخل الأساسي لقلب معادلة التنمية. وهذا المدخل هو "الإنسان" الذي ينبغي أن يكون غاية في حد ذاته لأي مبادرة تروم النهوض بأوضاع المنطقة والحفاظ على مواردها الطبيعية ومن ضمنها الغابة.

إن خلاصة من هذا القبيل ليست سبقا لهذه الدراسة، فالدعوة إلى تنزيل ديمقراطية تشاركية حقيقية في تدبير المجالات الجبلية ليست وليدة اليوم بل هي مطلب كل الدراسات التي ترى مدخل التنمية هو "الإنسان". غير أن حجم التوازنات السياسية وأولويات التدبير تقف أمام مثل هذه المبادرات والدعوات وبالتالي فالرهان اليوم هو رهان يتعلق بالزمن، وكل تأخر له كلفة معينة ستؤثر لا محالة على الجيل الحالي في المناطق الجبلية وعلى الأجيال القادمة ما لم يتم تدارك التأخر الحاصل في مختلف مؤشرات التنمية البشرية بما يضمن العدالة المجالية لكل التراب المغربي.

مناقشة الفرضيات:

لقد مكنتنا التحليل الذي قمنا به طيلة فصول هذا البحث من تمحيص مختلف الفرضيات التي طرحناها منذ البداية كمعالم موجهة لسير هذه الأطروحة وهي خمسة فرضيات كبرى حاولنا من خلالها الإحاطة بجميع الجوانب التي لها علاقة بالإشكالية المركزية لهذا العمل. لقد وزعت هذه الفرضيات الخمس على ثلاثة محاور كبرى رأينا بأنها تتداخل فيما بينها لتعطي لنا في نهاية المطاف واقع المجال الغابوي لعالية حوض نفيس، كما أنها تفسر لنا الثابت والمتحول في هذه الوضعية. وهذه المحاور الثلاثة الكبرى هي:

⊙ العامل الطبيعي المتمثل في طبيعة المنطقة وخصوصياتها من حيث الجيولوجيا والمناخ والتضاريس والغطاء النباتي وغيرها من العناصر الطبيعية التي كان لها تأثير كبير في رسم جزء من الصورة التي أمامنا اليوم والتي تهم المجال الغابوي بالمجال المدروس؛

⊙ العامل البشري والذي نقصد به خصوصيات الساكنة المحلية على مستوى مؤشرات التنمية البشرية عامة، كالتعليم والصحة والدخل والسكن... ومدى ارتباط وضع هذه الساكنة ومستوى هشاشتها وعلاقة ذلك بالمجال الغابوي لعالية حوض نفيس؛

⊙ لاشك أن مختلف التدخلات التي قامت بها الدولة في تدبير هذا القطاع والتي تروم الحفاظ على المجال الغابوي لعالية حوض نفيس هي التي أفرزت الهشاشة التي يعيشها المجال الغابوي ؛

لا بد من التذكير مرة أخرى بأن ميزة هذا العمل تكمن في سعيه منذ البداية إلى تأكيد أو نفي العلاقة القائمة بين الهشاشة الاجتماعية التي تعرفها المنطقة وبين الهشاشة التي افترضنا أنه يعرفها المجال الغابوي. بمعنى أن الدراسة ككل تحاول طرح إشكالية «المجال» من خلال دراسة تفاعل الإنسان مع الطبيعة في عالية نفيس. إنها عملية بحثية تروم الإجابة عن سؤال مركزي مباشر يمكن صياغته كالتالي « من أو ما المسؤول عن تدهور المجال الغابوي لعالية حوض نفيس؟ هل الإنسان والوضع التنموي الهش الذي يعيش فيه؟ أم هي الطبيعة القاسية التي تحتضن بين ثناياها عوامل ذاتية تؤدي بشكل أو بآخر إلى تدهور المجال الغابوي؟

كانت نتيجة التحليل بخصوص الفرضية الأولى والثانية المرتبطتان بالمحور الأول الخاص بالعامل الطبيعي واللذان تقولان بأن:

⊙ طبيعة المنطقة الجبلية وذات التضاريس الوعرة أثر بشكل سلبي على علاقة السكان بالوسط الطبيعي عامة والوسط الغابوي خاصة

⊙ صعوبة الظروف الطبيعية لمجال الدراسة ساهم في ارتفاع نسبة الهشاشة الاجتماعية لعالية حوض نفيس والتي تؤثر هي الأخرى على حجم التدهور الذي تعرفه الغابة في المنطقة ؛

كانت نتيجة التحليل هي تأكيد هاتين الفرضيتين على اعتبار كون طبيعة المنطقة سواء من حيث التضاريس أو المناخ والجيولوجيا هي طبيعة قاسية كرسست العزلة الطبيعية لهذا المجال، وبالتالي أترت بشكل سلبي على حياة الساكنة ومعيشيهم اليومي وعلى علاقة السكان بالوسط الطبيعي عامة والغابة على وجه التحديد. فالعزلة الطبيعية هي عامل من عوامل العزلة المزدوجة التي أكدنا على أن هذا المجال يعرفها وتساهم في ارتفاع وثيرة تدهور المجال الغابوي كما أنها تؤثر على عملية التنمية بالمنطقة.

نجزم إذن بأن صعوبة العامل الطبيعي ووعورة تضاريس المنطقة ساهم بشكل كبير في ارتفاع نسبة الهشاشة الاجتماعية وفي عزلة الساكنة المحلية، وبالتالي أثر سلبا على سلوك الساكنة المحلية تجاه المجال وموارده الطبيعية وفي مقدمتها المجال الغابوي الذي ازدادت وثيرة تدهوره في السنوات الأخيرة.

أما فيما يتعلق بالفرضيتين الثالثة والرابعة اللتان تقولان:

- ضعف تدخل الجهات الوصية وعدم تتمين الموارد الطبيعية وصيانتها بالمنطقة. أدى إلى ارتفاع حدة ووثيرة تدهور المجال الغابوي في عالية حوض نفيس وفي الوقت نفسه تزايد مظاهر الهشاشة الاجتماعية بالمنطقة؛

- مختلف السياسات التي اتخذتها الدولة لتنمية المنطقة يعترتها الخلل في مكون من مكوناتها أو في جميع المكونات ان صح التعبير ونقصد هنا العملية برمتها من التصور إلى التنزيل؛

فبخصوص الفرضية الثالثة، فإننا نؤكد على أن تدخل الجهات الوصية لا يمكن انكاره، غير أن كم التدخلات هذه لم يكن له أثر بالغ على حماية المجال الغابوي وخلق التنمية المستدامة بالمنطقة. وهو الأمر الذي يجعلنا نؤكد على الفرضية الرابعة التي تقول بوجود خلل ما في مكونات هذا التدخل. أي أن الدولة عبر أكثر من نصف قرن من الاستقلال إلى اليوم كانت دائما حاضرة في هذا المجال وهي صاحبة المشاريع التدخلية التي تروم تحسين أوضاع الساكنة المحلية عبر استهداف التنمية البشرية من جهة، وحماية الموارد الطبيعية وفي مقدمتها المجال الغابوي من جهة ثانية. وهو ما وصفناه في هذا العمل ب: مشكلة إخطاء الدولة لمدخل مقاربة التدخل في هذا المجال وهو مدخل « الإنسان » وكذا عدم القدرة على التنزيل الحقيقي للمقاربة التشاركية أثناء التدخل في مجال تعود فيه العلاقة بين الإنسان والغابة إلى قرون عديدة، بحيث لا يمكن فصل هذا عن ذاك. أو العمل على معالجة كل مشكل على حدة. فالغابة والانسان في عالية حوض نفيس هما وجهان لعملة واحدة. مع التأكيد على أن المدخل الأول لتحقيق التنمية وحماية الغابة في الوقت نفسه هو الإنسان باعتباره منطلق وغاية التنمية وذلك عبر «تهيئة مندمجة» حقيقة تعيد الاعتبار للإنسان عبر الاشراك الفعلي له في التدبير وفي تحمل المسؤولية.

هذه الفرضيات الأربع الأولى جعلتنا من خلال تمحيصها ودراستها نؤكد الفرضية الخامسة التي تقول بأن:

واقع الحال يخبرنا بأن معدلات الهشاشة الاجتماعية المرتفعة بالمنطقة بالموازاة مع التدهور الكبير الذي يشهده المجال الغابوي في عالية حوض نفيس خاصة منذ الربع الأخير من القرن العشرين هو في الحقيقية مشكل مركب تتداخل فيه مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية: تستدعي منا تدبيرا يراعي حاجيات ومتطلبات إنسان هذه المناطق بالدرجة الأولى وتكون غايته الأساسية هي التنمية المستدامة ؛

هذه الفرضية التي يمكن نعتها بكونها مركز وخلاصة هذه الأطروحة ككل هي التي ما فتئ هذا العمل يؤكد عليها منذ البداية. بحيث قلنا على طول صفحات هذه الأطروحة بأن إشكالية الهشاشة الاجتماعية في علاقتها بتدهور المجال الغابوي لعالية حوض نفيس، هي إشكالية مركبة لا يمكن الوقوف على مظاهرها وعواملها بشكل بسيط غير مركب. كما أننا أكدنا مرارا على أن من نقط قوة هذه الأطروحة، شمولية تناولها لهذه الإشكالية وكذا شمولية المقترح الذي تقدمه لتجاوز هذه الاختلالات التي تعرفها المنطقة سواء من حيث العطب البشري أو العطب الطبيعي.

خلاصة القول أن أطروحتنا هذه عبارة عن معادلة بمجهولين، مجهول له علاقة بالعامل الطبيعي في مفهومه الواسع الذي يشمل الجيولوجيا والتضاريس والمناخ والغطاء النباتي. وغيرها من الأمور المرتبطة بالطبيعة. ومجهول له علاقة بالإنسان، سواء من حيث السلوك البشري في المجال أو من حيث خصوصيات هذه الساكنة ومستوى التنمية الذي تعيشه. أو كذلك السياسة التدبيرية للجهات الوصية على هذا القطاع. هذه المعادلة التي وإن كانت بمجهولين كما اسلفنا إلا أن الحل يكمن في المجهول الثاني الذي هو الإنسان عبر تنميته وفك العزلة عنه وإخراجه من وضعية الهشاشة التي يعيشها.

بهذا نكون قد أكنا على وجود علاقة جدلية بين الهشاشة الاجتماعية بالمنطقة وبين تدهور المجال الغابوي. فكلما زادت حدة العامل الأول بسبب عدم اعتبار الإنسان غاية في حد ذاته كلما زادت حدة المشكل الثاني المرتبط بالغابة والعكس صحيح. ذلك أن استهداف التنمية البشرية وتحويل الإنسان إلى غاية لمختلف التدخلات بالمنطقة من شأنه أن يغير الواقع الهش الذي نراه اليوم في عالية حوض نفيس.

لقد رسخت لدينا معالجة فصول هذا العمل، قناعة أكيدة بأن المشاكل التي يعاني منها المجال المغربي هي مشاكل مركبة، ينبغي التعامل معها بمقاربات مركبة كذلك. وأن أي تجزئ لهذه المشاكل لن يتولد عنه إلا مقاربات مجزأة قد لا تزيد الأوضاع إلا سوءا وتعقيدا. مدعى هذا الكلام، هو الخلاصة الأساسية التي خلصنا إليها من خلال هذا البحث، والمتمثلة في كون مسألة تدهور المجال الغابوي في علاقتها بالهشاشة الاجتماعية بعالية حوض نفيس هي مسألة ذات أوجه وأبعاد متعددة، وفي نفس الوقت متداخلة ومركبة. حيث يتحول المظهر إلى سبب والسبب إلى نتيجة...، في سلسلة من العلاقات التي ما أن تنتهي حتى تبدأ من جديد. إننا لا نزعّم بأن هذه الخلاصة هي مسألة جديدة أو أمر غير معروف، لكننا نجزم بأن ملامسة هذا الأمر وتحليله تحليلًا علميًا والعمل على إيجاد حلول له هو أمر ليس بالسهل.

إن التوصيفات التي يطلقها البعض على المجالات الجبلية بالمغرب من قبيل «المجالات العطوبية» أو « المجالات ذات الهشاشة المزدوجة» وغيرها من التسميات التي تقر بوجود مشاكل حقيقية في هذه المناطق. تأكدت لنا قابلية تنزيلها على مجال حوض عالية نفيس. ذلك أن فصول هذا العمل جعلتنا ننقل من هذه التسميات كمجرد فرضيات قابلة للصحة أو الخطأ إلى حقائق عاينها في الميدان طبيعيا وبشريًا. فبالإضافة إلى العزلة الطبيعية التي تعيشها المنطقة وسط سلسلة جبال الأطلس الكبير الغربي، فإننا وقفنا على الوجه الأول لهشاشتها الطبيعية من خلال مستوى تدهور الأتربة وتراجع السفوح وتدهور الغطاء النباتي والمراعي وغيرها من المشاكل التي تعكس حجم الهشاشة الطبيعية التي يعيشها مجال نفيس بصفة عامة وعاليته بصفة خاصة وهو الأمر الذي جعلنا نتساءل عن العوامل المفسرة لسرعة تدهور هذه الأوساط الطبيعية الهشة ؟

مقاربتنا للعنصر الطبيعي، لن نتثينا عن مقارنة الجانب الثاني المشكل لهذه الأطروحة العلمية، ونقصد به العنصر البشري بالمنطقة وهو العنصر الذي وقفنا على أنه ظل مغيبا طيلة العقود الماضية في المشاركة والانخراط الإيجابيين في تقرير مصير المجال الذي ينتمي إليه والذي يشكل جزءا من هويته وامتداده التاريخي ذلك أن التأخر الحاصل على صعيد تحقيق التنمية البشرية والتنمية المستدامة بالمنطقة، ليس مرده قلة المبادرات، بل على العكس من ذلك فعدم اختيار الوجهة الصحيحة والمدخل الأساسي الذي تمتله الساكنة المحلية التي كانت فيما مضى مجرد وسيلة لتنزيل مخططات الدولة التي أثبتت التجربة والتاريخ عدم نجاعة هذا التوجه العمودي الذي يغيب المقاربة التشاركية التي كان من المفروض أن تجعل الإنسان المحلي غاية في حد ذاته وليس فقط وسيلة حتى يتم تدارك التأخر الحاصل في عجلة التنمية بالمنطقة والتي توضح مختلف المؤشرات أنها لازالت دون المستوى المطلوب ولا تلبى تطلعات الساكنة

المحلية التي اختارت استغلال واستهداف المجال الغابوي بغية تلبية حاجياتها المتزايدة وهو الأمر الذي يشكل جوهر هذه الأطروحة.

لمقاربة هذا الموضوع استعنا بكل الوسائل والآليات المعرفية والمنهجية المتاحة التي يوفرها حقل البحث الجغرافي الذي ينتمي إليه هذا العمل في الأساس (المنهج الجغرافي، نظم المعلومات الجغرافية، البحث الميداني،...) ناهيك عن الانفتاح على الحقول المعرفية التي يتقاطع معها هذا العمل ولاسيما «علم الاجتماع» و «الإحصاء» والاقتصاد والجيولوجيا والديمقراطية والتاريخ وغيرها من العلوم التي جعلت لهذا العمل عدة نقط قوة وزاويًا نظر متعددة لمقاربة مسألة مجالية ذات أبعاد اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية تدبيرية... ذلك أن العلاقة بين تدهور المجال الغابوي وبين الهشاشة الاجتماعية، هي علاقة مركبة ومتداخلة ينبغي معها استثمار مختلف الوسائل والمناهج العلمية التي تسمح بمقاربة الموضوع. ولقد سبق وقلنا بأن شمولية المقاربة المعتمدة هي إحدى نقط القوة في هذا العمل.

عموماً ومن خلال هذه الدراسة التي بين أيدينا يمكن القول بأن المجال الغابوي لعالية حوض نفيس تشهد تدهوراً كبيراً في السنوات الأخيرة، مقارنة مع وثيرة التدهور التي كانت تعرفها المنطقة في مطلع القرن العشرين. وهو الأمر الذي يمكن أن يرقى إلى مستوى الهشاشة البيئية المركبة، والتي تتداخل فيها مجموعة من العوامل ذات البعد الطبيعي والبشري. وإن كنا نحن ركزنا في هذا العمل على الهشاشة الاجتماعية بالمنطقة كعامل من عوامل الدينامية المفسرة لتدهور الوسط الغابوي بحوض نفيس.

لقد اتضح لنا من خلال دراسة وتشخيص مكونات الوسط البيئي، بأن عالية حوض نفيس يتميز بعدة أشكال تضاريسية وذات خصائص طبوغرافية متنوعة باعتباره مجالا جغرافيا مركبا عرف العديد من الحركات البنائية التي أفرزت العديد من الوحدات التضاريسية التي يغلب عليها الطابع الجبلي الذي يمثل 80 % وهو الأمر الذي يفسر سيادة انحدارات قوية تساهم في تسريع وثيرة التعرية وبالتالي عدم استقرار السفوح وتجريدها بالتالي من الغطاء النباتي. مما كرس واقع العزلة الطبيعية بالمنطقة وساهم بالتالي في ارتفاع معدلات الهشاشة الاجتماعية التي تعتبر في نهاية المطاف نتيجة طبيعية لهشاشة الوسط.

إن الوضعية الطبوغرافية لحوض نفيس هي نتاج طبيعي للمعطيات الجيولوجية الموروثة حيث أن تشكل عالية حوض نفيس على غرار باقي الأحواض التي تميز الأطلس الكبير الغربي عموماً فوق قاعدة صخرية جاء نتيجة تطورات عديدة عبر تاريخ جيولوجي طويل ومعقد.

أما في الفصل الثالث من هذا العمل فقد وقفنا على العديد من الخصوصيات البيومناخية التي تطبع مجال عالية نفيس والنتيجة أساساً عن تظافر العديد من العوامل المتمثلة أساساً في امتداد واتجاه السفوح إلى جانب عامل الارتفاع ومميزات الغطاء النباتي وغيرها من العوامل التي جعلت مناخ الحوض

دو خصائص المناخ المتوسطي المعتدل المتأثر بالعوامل المحلية وخاصة المرفولوجيا والموقع العرضي والدورة الهوائية المحلية. مما يؤدي إلى هيمنة مناخ دو طابع شبه جاف على المنطقة خاصة بالنسبة لسافلة الحوض وانحصار الطابع شبه الرطب في العالية مع الارتفاع. لكن خلاصة القول أن المنطقة تتسم بعدم انتظام كمية التساقطات زمنيا ومكانيا، مع نزعة واضحة نحو الجفاف المزمّن كنتيجة مباشرة للتغيرات المناخية التي يعيشها العالم في العقود الأخيرة، مما يؤثر بشكل سلبي على الغطاء النباتي عامة وعلى المجال الغابوي على وجه الخصوص. وبالرغم من أهمية التساقطات الثلجية بالمنطقة فإن تردد عامل «الجمد» يؤثر بشكل سلبي على الوسط الطبيعي باعتباره مفعلا للآليات الميكانيكية للتعرية.

هذه المعطيات تجعلنا أمام وسط طبيعي محتضن لكل العوامل التي من شأنها أن تجعلنا نتحدث عن عزلة طبيعية إن لم نقل هشاشة طبيعية تؤثر بشكل أو بآخر في تدهور المجال الغابوي لعالية حوض نفيس. وتؤثر في نهاية المطاف على الإنسان وبالتالي على واقع التنمية بالمنطقة.

إن المكون الثاني من مكونات هذا العمل، والذي يشكل عنصرا أساسيا في الإشكالية المؤطرة لهذا البحث هو المكون البشري. وبالضبط إشكالية الهشاشة الاجتماعية التي تعاني منها المنطقة. فالتشخيص وقف على مجموعة من المؤشرات التي تحكم الدينامية البشرية عامة والتي تؤكد في جلها على وضع هش ومتدهور له علاقة مطردة مع ما يعرفه الوسط الغابوي من تدهور هو الآخر. وعندما نقول الدينامية البشرية بالمنطقة فإننا نقصد كل ما له علاقة بالولوج إلى الخدمات الاجتماعية وبقضايا الهجرة وحركة السكان والانتقال الديمغرافي... وأيضا مختلف أنماط العيش بالمنطقة. دون اغفال أشكال استجابة السكان لمقاربات الدولة وتدخلاتها في المجال الغابوي باعتبار هذه الأخيرة -أي الدولة - وصية على القطاع. وذلك من أجل الحفاظ على الغابة وتحقيق التنمية. وهي المسألة التي وقفنا فيها على تباين وتضارب الرؤى والاولويات بين الدولة التي تعتبر الحفاظ على المجال الغابوي أولوية قصوى دون اغفال أهمية تحقيق التنمية الشاملة للسكان المحلية التي تعتبر قضية التنمية وقضية المشاركة في التدبير أولوية أساسية قبل الحديث عن أي شيء آخر. هل يصل الأمر إلى مستوى الصدام بين الطرفين؟ قد لا نجزم بهذه المسألة، لكننا نؤكد على أن تضارب المصالح بين الطرفين جزء أساسي في مشكل هذه المناطق الجبلية عامة ومنطقة عالية حوض نفيس خاصة.

هكذا تم تخصيص الباب الثاني لدراسة مختلف مظاهر الهشاشة الاجتماعية لعالية حوض نفيس انطلاقا من المداخل الكبرى لقياس مؤشر التنمية البشرية ونقص الصحة والتعليم والدخل الفردي إلى جانب السكن، لكن المقاربة ظلت دائما هي المزوجة بين تلك الهشاشة والتدهور الذين سجلناهما عند الحديث عن المجال الغابوي، ومن مظاهر الهشاشة الاجتماعية التي تعيشها الساكنة المحلية. بمعنى أننا لازلنا

أوفياء للسؤال الإشكالي الأول الذي يحاول الربط بين العطب الطبيعي وبين العطب الاجتماعي الذي تعرفه المنطقة.

لقد وقفنا في فصول هذا الباب على مؤشرات تؤكد جميعها على أن السمة الرئيسة التي تطبع المؤشرات الاجتماعية بعالية نفيس هي سمة الهشاشة والتي تتجلى في: عدة مستويات وفي مقدمتها قطاع التعليم الذي تتجلى مظاهر هشاشته فيما يلي:

⊙ ضعف البنيات التحتية سواء على مستوى المرافق أو المؤسسات التعليمية أو على مستوى الولوج؛

⊙ ارتفاع نسبة الهدر المدرسي بالمنطقة؛

⊙ ارتفاع نسبة الأمية ولاسيما في صفوف الإناث مقارنة مع الذكور

⊙ ارتفاع معدلات التكرار الدراسي

وغيرها من المؤشرات التي أكدت لدينا وجود خلل كبير في المنطقة المدروسة على مستوى أهم ركيزة من ركائز تحقيق التنمية البشرية ألا وهي التعليم.

بالنسبة للصحة فقد تناولناها من مدخل «المحددات الاجتماعية» باعتباره مدخلا تفسيريا بامتياز مكننا من بلورة رؤية حقيقية للوضع الصحي بالمنطقة. لقد سمحت لنا مقارنة بعض المفاهيم من قبيل «ثقافة الفقر» و « الجوع النوعي» و «الولوجية إلى المجال»... بالإضافة إلى « منظومة الثقافة» أو مستوى الوعي المتحكم في السلوك الصحي... بالوقوف على وضع صحي هش، أنتجته معطيات ذاتية مرتبطة بالسكان المحلية ومعطيات موضوعية مرتبطة بالمسؤول عن القطاع، حيث خلصنا إلى:

⊙ ضعف البنيات التحتية الصحية ؛

⊙ ضعف الخدمات والمرافق الصحية؛

⊙ ضعف مستوى التأطير الطبي؛

⊙ ضعف مستوى التغطية الصحية وعدم نجاعة برنامج الراميد ؛

⊙ ارتفاع معدلات ذوي الاجتياحات الخاصة أو ما اصطلحنا عليه «الهشاشة المزدوجة»

وعموما فإنه إذا كانت الصحة كظاهرة اجتماعية تعكس بشكل أو بآخر وضع التنمية في مجتمع باعتبار التنمية وجه آخر من أوجه العيش بصحة جيدة. فإن عالية حوض نفيس يفتقد لهذه المعادلة من وجهيها أي من وجه التنمية ومن وجه الصحة. وهو ما يعكس حجم الهشاشة التي يعاني منها هذا المجال.

وفيما يتعلق بالدخل والوضع الاقتصادي بصفة عامة فإن الساكنة المحلية بالرغم من الجهود المبذولة في هذا الباب من أجل محاربة الفقر والهشاشة وتقليص الفوارق الاجتماعية فإن العجز الاجتماعي لازال

مستمرًا بشكل كبير وهو الأمر الذي دفعنا إلى التساؤل عن الأسباب الحقيقية لمحدودية مختلف البرامج التنموية التي أطلقتها الدولة خاصة عند نهاية القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة.

عموما فإن الأنشطة الاقتصادية التقليدية الموروثة رغم مساهمتها الضعيفة في دخل الساكنة المحلية إلا أنها تبقى هي المهيمنة داخل مجال نفيس ولاسيما النشاط الرعوي والزراعي. بحكم مجموعة من العوامل كالظروف الطبيعية والتنظيمية وأيضا ما له علاقة بالبنية العقارية....، وفي نفس السياق لابد من الإشارة إلى أن المنطقة على غرار باقي المناطق الجبلية لازالت تعاني من آفة تهشم المرأة في معادلة الشغل، وهو أمر يمكن تفسيره بالنظر إلى أننا في مغرب الهامش حيث الصراع بين البنيات التقليدية التي لازالت هي المتحكم والموجه لسلوك وتصرف الإنسان، وهو السلوك الذي يلخص وظيفة المرأة في الانجاب وهي مسألة يمكن التصدي لها من وجهة نظرنا عبر حسمها على المستوى الثقافي باعتباره أحد المداخل الأساسية التي يمكن الرهان عليها من أجل تحقيق تنمية حقيقية تستفيد منها مختلف الشرائح الاجتماعية.

من أجل إتمام المعادلة التنموية خصصنا الفصل الرابع من هذا الباب لمسألة « السكن » باعتباره أولا حقا من الحقوق الأساسية التي تضمن الكرامة وتانيا باعتبارها وجها من أوجه التنمية، فهو يعكس الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للأسرة. وهو عموما سكن متجمع ومتراص يتماهى مع الخصوصيات الطبيعية لمجال الدراسة. غير أن هذا السكن يعرف تسجيل العديد من مظاهر الهشاشة هو الآخر ومن أبرزها:

⊙ ضعف الاستفادة من الربط الفردي بالماء الصالح للشرب والكهرباء؛

⊙ هيمنة السكن القروي الهش؛

⊙ ضعف التجهيزات الأساسية وشبكة الصرف الصحي...

وغيرها من مظاهر الهشاشة المرتبطة بالسكن كوجه آخر من أوجه معادلة التنمية بالمنطقة المدروسة. وهي التنمية التي تغيب بشكل أو بآخر. عندما نقوم بتركيب الصورة الكلية للمؤشرات الأربعة: التعليم، الصحة، الدخل، السكن فما حدود التداخل بين هذه الهشاشة الاجتماعية وبين تدهور المجال الغابوي لعالية حوض نفيس.

الجواب على هذا السؤال المركزي، كان غاييتنا من الباب الثالث والموسوم ب: دور الهشاشة الاجتماعية في «تدهور المجال الغابوي وأفق التنمية المستدامة لعالية حوض نفيس» وهو الباب الذي وقفنا فيه على:

⊙ أهمية المجال الغابوي لعالية حوض نفيس سواء على المستوى الايكولوجي أو الاقتصادي

⊙ استمرار الصراع بين الدولة كوصية على قطاع الغابات وبين ذوي حقوق الانتفاع ويتجلى هذا

الصراع في عدة مظاهر من أهمها:

⊙ الصراع بين منطق القبيلة ومنطق الدولة؛

الببليوغرافية

1- باللغة العربية

- ⊙ أزيكو، ع. "لمحة عن ماضي كونفيدرالية أيت واوزكيت من خلال بعض المصادر التاريخية"، ضمن: تاريخ المغرب أو التأويلات الممكنة، مركز طارق بن زياد، الرباط، ط.1، 2002، ص.ص. 167-184.
- ⊙ اسكيري، إ. (2013)، مستويات إعادة تأهيل المجالات الغابوية الوطنية: حصيلة ثلاث عقود من التنمية المندمجة. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مارتيل تطوان
- ⊙ باحو، ع. (2003)، الجفاف المناخي بالمغرب: خصائصه وعلاقاته بآليات الدورة الهوائية وأثره على زراعة الحبوب، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا الطبيعية، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 597 ص.
- ⊙ بزاز، م. (1992). تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 18، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص. 127.
- ⊙ البكري (ت: 487هـ)، المسالك و الممالك، دار الغرب الإسلامي، 1992 م. 2، ص. 346.
- ⊙ بنعلي، ع. (2003). المؤهلات الاقتصادية والاجتماعية وعلاقاتها بالوسط الطبيعي للحوض الأوس لوادي العبيد. أعمال الملتقى السابع للجيومرفولوجيين المغاربة حول الأحواض النهرية بالمغرب وإشكالية التهيئة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مطبعة النجاح الجديد الدار البيضاء، 2 175-155
- ⊙ بوجروف، س. (2007). الجبال المغربية أي تهيئة، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، 564 ص.
- ⊙ بودواح، م. بوهلال ع. (2015). التسويق الترابي وأفاق التنمية المحلية في المغرب. الدورة الخامسة لمنتدى التنمية والثقافة لإغزران.
- ⊙ البوزيدي، س. (2006)، دور المجال الغابوي في حفظ التوازنات البيئية والاقتصادية في المغرب خلال الفترة القديمة، محمد حمام عبد الله، ورد في البيئة بالمغرب معطيات تاريخية وأفاق تنمية، منطقة درعة نموذجاً، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 9، مطبعة المعارف الجديدة- الرباط، ص: 37-21
- ⊙ بوعدين، ح. (2015). أهمية الحكامة الترابية في انعاش الاقتصاد المحلي.
- ⊙ التاسفتي، ع. (ق. 18 م.)، رحلة الوافد - لحظات من تاريخ أدرار ن درن (أطلس مراكش) وسوس في القرن 12 الهجري / 18 الميلادي-، [تحقيق: علي صدقي أزيكو]، منشورات كلية الآداب القنيطرة، 1992، ص. 11.
- ⊙ التوفيق، أ. (1976)، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1850-1912)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة وأطروحات رقم 63، الطبعة الثالثة.

- التوفيق، أ. 1983. المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر إينولتان 1850 م - 1912 م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 63، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ص. 86.
- جاك بيري، "في مدلول القبيلة بشمال أفريقيا"، ضمن: الأنثروبولوجية والتاريخ حالة المغرب العربي، [ترجمة: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق]، درا توفيق، الدار البيضاء، ط. 2، 2007، (ص.ص. 113-125)، ص.ص. 122 - 123.
- جريدة الصباح العدد 6041. (20-19 مارس، 2019). اختلات قطاع الصحة بالمغرب.
- جنان، ل. (2010)، العالم القروي في البحث الجغرافي، مجلة دفاتر جغرافية، العدد 7، البحث الجغرافي بالمغرب قراءة في الإشكاليات وفي المناهج، مختبر التراث والمجال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز، فاس، ص 33-9.
- الخطيب، أ. (ابن قنفذ القسنطيني) (1965). أنس الفقير وعز الحقير، [نشره و صححه: محمد الفاسي وأدولف فور]، سلسلة الرحلات 2، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس كلية الآداب، الرباط.
- خليل إسماعيل، م. (1982). أنماط الاستيطان الريفي في العراق. جامعة بغداد : مطبعة الحوادث.
- رشيدة أفيال. (1997).
- الزرهوني، م. (1998) العلاقات بين السلطة والسكان بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي في أعوام الستين من القرن التاسع عشر (1280 هـ / 1863 م - 1290 هـ / 1873 م)، منشورات كلية الآداب الدار البيضاء، مطبعة فضالة، ص. 52.
- زروال، أ "وادي نفيس"، ضمن: "المعلمة"، م.س.، ج. 22، ص. 7451.
- سوردون، "الحق العام في الجبال المغربية"، [ترجمة: بناصر بن عمر]، ضمن: المجلة المغربية للقوانين والمذاهب والأحكام الأهلية، عدد 6 و7، (ص.ص. 9-17)، ص. 16.
- شاكر، م. (2010) المغرب الشمالي الشرقي، دينامية الموارد الطبيعية وخطورة التصحر (نموذج كتلة بوخوالي وهوامشها السهوبية) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 60، الطبعة الأولى 2010، ص 375
- شفانار، ع. (2015). الفاعلون المحليون والسياسات العمومية المحلية دراسة في القرار المحلي.
- الصنهاجي، أ (البيذق)، (1971). المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، [تحقيق: عبد الوهاب بن منصور]، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص. 48.
- ضايض، ح. (2016). تعدد مؤشرات الفقر وألوانه في الريف المغربي. مجلة عمران، العدد 145
- ظهير شريف بمثابة قانون رقم 1.76.350 بتاريخ 25 رمضان 1396 (20 شتنبر 1976)، يتعلق بتنظيم مساهمة السكان في تنمية الاقتصاد الغابوي، الفصل السادس أورد في الجريدة الرسمية عدد 3334 بتاريخ 22 شتنبر 1976، ص 2915 .
- العطري، ع. (2012)، تحولات المغرب القروي: أسئلة التنمية المؤجلة، مطبعة طوب بريس، الرباط
- عليوب، ب (2019)، مدخل إلى المشروع الترابي. Récupéré sur https://3ilm3.blogspot.com/2019/05/blog-post_29.html

- ⊙ عني، ع . (2018). الأسرة القروية بالمغرب : من الوحدة الإنتاجية إلى الاستهلاك. أكادير: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن زهر ،أكادير
- ⊙ العوينة،ع. (2007)، التدبير المحافظ على المياه والأثرية في المغرب، تنوع استراتيجيات الفلاحين تجاه تدهور الأراضي ، منشور جماعي كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط
- ⊙ الفاسي، ا. (1982)، الجفاف حول الصحراء: الطبيعة والسلوك البشري دراسة بيئية، مجلة جغرافية المغرب، السلسلة الجديدة، العدد 6، ص 37-50
- ⊙ فرانسو،ت ،بريان م. وآخرون.(2006)، ترجمة أيت حماد علي والبوشاوي إدريس(2006)، المغرب مقارنة جديدة في الجغرافية الجهوية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى ،471 ص .
- ⊙ فليح ،ف. نجاز،ع.(2008)، الأمراض والخدمات الصحية في مناطق مختارة من محافظة رام الله والبيرة، دراسة في الجغرافيا الطبية
- ⊙ القاسمي العلوي،هـ.(1995) مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري/ منتصف القرن العاشر الميلادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج. 2، ص. 188.
- ⊙ الكبير، ع.(2011). الهجرات العالمية والمغربية قضايا ونماذج، مقارنة سوسيو- تاريخية منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير، طباعة ونشر سوس، أكادير، ط. 2، 2012، ص. 84.
- ⊙ لبركر،ر.(2003)، إعداد التراب الوطني، ورهان التنمية الجهوية، مطبعة عكاظ، الرباط
- ⊙ لحرش،ك. (2009)، الحكامة المحلية بالمغرب، سلسلة اللامركزية والإدارة المحلية 2، مطبعة طوب بريس، الرباط.
- ⊙ لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، [نشر وتعليق: أحمد المختار العبادي]، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، بدون تاريخ طبع.
- ⊙ المالكي،ع.(2016) مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ، ص 135.
- ⊙ المجلس الأعلى للتعليم . (2007). أشغال ندوات المجلس الأعلى للتعليم .
- ⊙ المجلس الأعلى للتعليم . (2007). المدرسة والسلوك المدني 23 24- ماي. أشغال ندوة المدرسة والسلوك المدني، (p. 16). الرباط.
- ⊙ مجهول برتغالي، تاريخ سانتاكروز - أكادير، نص برتغالي من القرن السادس عشر، [ترجمة: أحمد صابر]، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، سلسلة الوثائق رقم 1، 2007، ص.ص. 19، 85.
- ⊙ المختار السوسي،م. (1960) سوس العالمية، مطبعة فضالة، المحمدية، ج. 1، ص. 228.
- ⊙ مديرية إعداد التراب الوطني(2002)، نوافذ على المجال المغربي، منشورات مديرية إعداد التراب الوطني، مطبعة عكاظ، الطبعة الأولى الرباط

- ⊙ مديرية إعداد التراب الوطني(2004)، التصميم الوطني لإعداد التراب : الوثيقة التركيبية ، مطبعة عكاظ، الطبعة الأولى الرباط
- ⊙ المغرب الممكن.(2006). تقرير حول 50 سنة من التنمية البشرية بالمغرب وآفاق سنة 2025، مطبعة دار النشر المغربية ،الفصل الرابع، تعبئة الإمكان البشري: النمو، السياسات الاقتصادية والتشغيل.
- ⊙ المندوبية السامية للتخطيط . (s.d). ظاهرة الهشاشة بالمغرب. الرباط.
- ⊙ المودن، ع (1995).البوادي المغربية قبل الاستعمار: قبائل إيناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 25، ط.1، ص. 202، ص. 114.
- ⊙ موساوي،م. (2012)، تثمين الموارد الترابية آلية لاستدامة التنمية المحلية بالمجالات القروية حالة جماعة إغزران، محمد البقصي ومحمد الزرهوني(تنسيق) ورد في التنمية القروية بالمناطق الجبلية الحاجيات والمنتظرات ضمن أشغال المنتدى الثاني للتنمية والثقافة بإغزران، ص 1-30
- ⊙ الناصري، أ.(1997) الجبال المغربية: مركزيتها ، هامشيتها، تنميتها، منشورات وزارة الثقافة بمناسبة اليوم العالمي للجبال، ص: 241
- ⊙ الناصري،أ. الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، [تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري]، دار الكتاب - الدار البيضاء ، ج.7، ص.7.
- ⊙ الهوزالي،أ. "نغيس"، ضمن: المعلمة، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ج. 22، ص. 7451.
- ⊙ الهيلوش محمد . (2011). التدبير التشاركي الاستراتيجي أداة الحكامة المحلية الجديدة الدورة 22 للملتقى الثقافي مدينة صفرو حول " المجتمع المدني و الحكامة الترابية
- ⊙ وزارة الفلاحة والتنمية القروية والصيد البحري.(2006) ،"1956-2005، خمسون سنة من الفلاحة"، مطبعة عكاظ الحديدة،الرباط،ص،11.

- ⊙ Benziane.M : (1997) L'aménagement forestier : concept et évolution, Le grande livre de la forêt Marocaine ; Mardaga ; Rabat
- ⊙ Aafi. A, (2007) : Etude de la diversité floristique de l'écosystème de chêne-liège du foret de la Mamoura, thèse doctorat, INS.Agro.veter.Hassan II, n° ordre EM/4, 190 p.
- ⊙ Abou Obayda M ;(1980) ; Etude hydrologique du bassin versant du N'Fis, prévision des apports au niveau du barrage Lalla Takerkoust ; projet de fin d'étude, Ecole Mohammedia
- ⊙ Agdal patrimoine socio-écologique de l'Atlas marocaine, (2012) : sous-direction de Laurent
- ⊙ Auclair et Mohamed Alifrqui, Edition IRD et IRCAM, 647p.
- ⊙ Amat.J.P Et Hotyat.M,)1985: (Paysage Forestier Et Télédétection ,In Revue Géographie De L'est Tome 25,N04,PP379 -389
- ⊙ Andre.A et joly.f,)1957:(forets, not, exp.planche,atlas du Maroc no 19,pub. Par le comité national de géographie du Maroc, rabat.
- ⊙ Auclair. L,) 1996 :(Les L'Appropriation Communautaire Des Forêts Dans Le Haut Atlas Marocain, Cah.Sci .Hum.N0 32, PP 177 -194
- ⊙ Beadet.G Et Troin. J.F Et Michel.C,(1967) :L'agriculture Et Les Forêts Au Maroc ,Les Cahiers De La Recherche Agronomique ,No24,Chap.IV, PP130 140
- ⊙ Benabdellah.A et Fay.G, (1986) : Habitat rural, systèmes de production et formations socio-spatiales dans le haut Atlas Central, Edi.CNRS.Annu.l'Afrique du Nord, Tome XXV, p 377-392.
- ⊙ Benabid. A.(1985) :Les Ecosystèmes Forestiers Et Périforestiers Et Présteppiques Du Maroc :Diversité Répartition Biogéographique Et Problèmes Posés Par Leur Aménagement, Forêt Méditerranéenne,T,Vii,N01,Pp 53- 64
- ⊙ Benabid.A, (1982) : Bref Aperçu sur la zonation Altitudinale de la végétation climacique au Maroc, Ecolg.Med.8, pp 301-315
- ⊙ Benabid.Et Fennane. M,(1994) Connaissance Sur La Végétation Du Maroc : Phytogéographie Phytosociologie Et Séries De Végétations, Lazaroa 14 : 21- 97 PP 21- 97

- Bencherifa .A ,(1993) :Paru dans Montagnes et Hauts Pays de l'Afrique : utilisation et conservation des ressources, publications de la Faculté des lettres et des sciences humaines, Rabat, p. 181–197.
- Benoît . T ,(2012) :L'exploitation et la protection des ressources forestières en République Centrafricaine de la période précoloniale à nos jours. Thèse Doctorat, Présente A l'Université de Nantes , no 2012NANT3006,p520
- Berque.J, (1956) : Structures sociales du Haut Atlas, Rev.Géo.alpin.vol 44 n°1, pp 211–213.
- Boserp.E, (1970) : Evolution agraire et pression démographique, traduit de l'anglais par métalier,flamanion, paris.
- Boulhol.P,(1973) : Législation Forestier Marocain, Revue Forestière Française, No 64,Pp 232– 245.
- Bourbouz,A,(1982) : L'élevage Dans La Montagne Marocaine : Organisation De L'Espace Et Utilisation Des Parcours Par L'élevage Du Haut Atlas , La Montagne Marocaine :Organisation De L'espace Et Utilisation Des Parcours Par L'Eleveur Du Haut Atlas. Thèse Doctorat, Présente A L'institut National Agronomique Paris Grignonn,375p
- Bourbouz,A,(1995 :Les Politiques Agricoles Et La Dynamique Des Systèmes Agropastoraux Au Maghreb, Options Méditerranéennes, Ser.B.No14,Pp 139 –165
- Bourbouz,A,(1995) : gestion de la mobilité et résistance des organisation pastorales des éleveurs du haut atlas marocain face aux transformations du contexte pastoral maghrébin, Congres International Des Terres De Parcours ,Pp 1–30
- Calvet.C,(1979) : Interprétation Hydrique De La Notion D'étage De Végétation Selon L.Emberger :Application Au Maroc. Bull. ASSOC. Géogr. France, Paris,N0 464,Pp 331 339
- EL Alaoui .A,EL Fels ;(2007) Le Cyprès de L'Atlas : état des lieux et perspective, 7–9 février : Palermo ; Italie.
- Fassi.D, (1986) : Les ressources humaines et les problèmes de l'Environnement vision et perspectives (les régions Arides et les régions de Montagne), centre documentation,Rabat, n°0364, pp 01–30

- Fay.G, (1986) : Désagrégation des collectivités et dégradation des milieux dans le Haut Atlasmarocain, Revue de l'occident Musulman et de la Méditerranée, N°41-42, pp 234-248.
- Fennane. M,(2004) : Proposition De Zones Importantes Pour Les Plantes Au Maroc, Atelier National De Plante Au Maroc, Rabat,Inst.Sci.PP 1- 25
- Frédéric. L et Freddy .V(2020) : La vulnérabilité des sociétés et des territoires face aux menaces naturelles, Analyses géographiques, pp 9,27
- Friaa.J, (2004) : Projet de développement Rural intègre des zones forestières et périforestiers projet DRI-Forets, Pub.Disc.Auth, pp 1-70
- Gentil. L (1912) Le Maroc physique, nouvelle collection scientifique, Librairie Félix Alcan, p329.
- Gentil.L, (1923) : Explorations au Maroc, Edition Masson, Paris, 392p.
- Gratier. J.P (1981) : caractères de déformations successives dans l'Atlas de Beni Mellal (Haut Atlas marocain), notes serv.géol.Maroc, n°308, pp 195-212.
- Hans G. Bohle, Thomas E. Downing and Michael J. Watts .(1994) :Climate change and social vulnerability, Global Environmental Change 1994 Volume 4 Number 1,p37-48
- Ionesco.T, (1964) : La Cartographie de la végétation au Maroc, Al Awamia, n°10, pp 187-221.
- Ionesco.T, (1965) : Eléments phytoécologiques Fondamentaux pour une mise en valeur, secteur côtier sidi taibi, Al Awamia, n°17, pp 49-141.
- Louina A . Et Ait Hamza M. Et Chaker M. Et Nafaa R .(2000) : La Montagne Marocaine, Dynamiques Agraire Et Développement Durable.(A.N.G.M),Imp.Almarif Al Jadida, Rabat 5 34
- Louina.A,(2007) : La Gestion Conservatoire Des Eaux Et Des Sols Au Maroc :Essai De Distribution Spatiale, Actes Des JSIRAUF,Hanoi,PP 1- 8.
- Louina.A,(2010) : Conservatoire Des Eaux Et Des Sols Au Maroc : Prise en compte de la diversité géographique, norois n 214,210 p 85- 99
- Maselli.D (1995) :L'écosystème montagnard agro-Sylvo-pastoral de Tagndaft (Haut Atlas Occidental ; Maroc), Ressource processus et problèmes d'une utilisation durable .Géographia Bernensia; Africain Studies; série A12

- programme de conservation et de développement des écosystèmes forestiers 2005-2014,p 46
- programme forestier nationale, rapport final, CIRAD foret,1998,p 210
- Rachik .H : (2016) Espace pastoral et conflits de gestion collective dans une vallée du Haut Atlas Occidental ; L'esprit Du Terrain , Centre Jacques Berqu, <https://books.openedition.org/cjb/814DOI : 10.4000/books.cjb.752>
- Rosose. E Et Louina .A Et Sabir.M Et Jean Albergel.J,(2006) : Efficacité De La Gestion De L'eau Et De La Fertilité Des Sols En Milieux Semi Arides. Editions Des Archives Contemporaines, IRD, paris France
- Rosose. E Et Louina,(2020) : Gestion Durable Des Eaux Et Des Sols Au Maroc Valorisation Des Technique Traditionnelles Méditerranéennes , Edition IRD, Marseille.
- Royaume Du Maroc, Haut-Commissariat Aux Eaux Et Foret Et La Lutte Contre La Désertification. Rapport De Synthèse, Le Programme D'action National Du Lutte Contre La Désertification Actualisation Et Adaptation Aux Spécifices Zonales. 2014 ; P52
- Royaume Du Maroc, Haut-Commissariat Aux Eaux Et Foret Et La Lutte Contre La Désertification
- Royaume Du Maroc, Haut-Commissariat Aux Eaux Et Foret Et La Lutte Contre La Désertification national de

فهرس المحتويات

1	تقديم عام
4	أهمية الدراسة وأهداف البحث:
6	إشكالية البحث:
7	فرضيات البحث:
8	مجال الدراسة:
10	منهجية البحث والتقنيات المستعملة فيه:
13	الباب الأول: الخصوصيات الجغرافية والبشرية لعالية حوض نفيس
13	مقدمة
14	الفصل الأول: الإطار المفاهيمي للبحث
14	مقدمة
15	1. الهشاشة و الهامشية مدخل مفاهيمي.
15	1.1. مفهوم الهشاشة:
16	2.1. مفهوم الهامشية:
17	2. المقاربات المعتمدة في معالجة مفهومي الهشاشة و الهامشية و أبعادهما:
18	1.2. بعض المقاربات المعتمدة:
18	2.2. أبعاد دراسة مفهومي الهشاشة و الهامشية:
19	1.2.2. الهشاشة و التهميش الاجتماعي:
22	2.2.2. الهشاشة البيئية أو التهميش البيئي:
24	3. الدراسات السابقة.
27	خلاصة الفصل
28	الفصل الثاني: الخصائص الطبغرافية و الهيدروغرافية لعالية حوض نفيس
28	مقدمة
28	1. حوض نفيس: تاريخه وخصائصه العامة
30	1.1. المميزات العامة للمجال الجغرافي لكنفيسة:
31	1.1.1. يتميز عالية حوض نفيس بأشكال تضاريسية متنوعة وذات خصائص متفردة.
32	2.1.1. تعتبر الجبال أهم الأشكال التضاريسية بعالية نفيس:
33	3.1.1. تتميز عالية حوض نفيس بمنخفضات ممتدة:
34	2. الشبكة الهيدروغرافية والخصائص الهيدرولوجية لعالية حوض نفيس
35	1.2. مميزات الشبكة المائية بعالية حوض نفيس
37	2.2. الخصائص الهيدرولوجية لعالية حوض نفيس
38	3.2. التغيرات الزمنية والمجالية للصبيب بحوض عالية نفيس:
39	1.3.2. يتسم الصبيب بعالية حوض نفيس بعدة تغيرات زمنية تنعكس على الموارد المائية بالحوض:

41	 خلاصة الفصل:
42	 الفصل الثالث: الإطار الجيولوجي لحوض عالية نفيس: سيادة التوضعات الرباعية
42	 مقدمة:
42	 1. الإطار الجيولوجي: تكوينات جيولوجية متباينة أترت عليها البنائية بشكل خاص ما بين نهاية الزمن الأول إلى غاية نهاية الزمن الثاني
42	 1.1. القاعدة الصخرية وتغليفاتها الرسوبية خلال الجوراسي:
43	 2.1. التعرية قبل كريتاسية و الترسيب الكريتاسي:
44	 2. التوزيع المجالي و النوعي لصخرة و بنائية عرض نفيس:
44	 1.2. يتميز عالية حوض نفيس بهيمنة الصخور الصلبة:
47	 2.2. التوزيع المجالي و النوعي لبنائية حوض نفيس:
47	 1.2.2. تعرض حوض نفيس الحركات بنائية هرسينية عنيفة:
49	 2.2.2. تنتظم المورفولوجية العامة للحوض على شكل بنية إلتوائية أطلسية:
49	 3.2.2. المحدبات المختلفة الامتداد والشكل بالحوض:
50	 4.2.2. يجسد مقعر ثلاث نيعقوب أهم المقعرات الرئيسية بالحوض:
51	 3.2. الاشكال المرفونية لعالية حوض نفيس
54	 خلاصة الفصل
55	 الفصل الرابع: الخصائص البيو مناخية وأثرها على التشكيلات الغابوية بعالية نفيس
55	 مقدمة:
55	 1. الخصائص المناخية لعالية حوض نفيس: التساقطات والحرارة
56	 1.1. البيانات المناخية: عواملها وخصوصياتها وتوزيعها الزمني والمكاني.
56	 1.1.1. تتسم عالية حوض نفيس بخصائص مناخية شبه جافة خاضعة لعوامل جغرافية محلية.
57	 2.1.1. تتسم البيانات المناخية لعالية حوض نفيس بخصائص متباينة زمنيا ومجاليا
57	 1.2.1.1. توطئ المحطات المرجعية
58	 2.2.1.1. التوزيع الزمني للتساقطات المطرية السنوية بمجال الدراسة مقارنة مع المحطات المجاورة.
60	 3.2.1.1. التوزيع الزمني للتساقطات الشهرية
62	 4.2.1.1. دراسة الزعة العامة للتساقطات خلال الفترة المدروسة
69	 5.2.1.1. التوزيع الزمني لدرجة الحرارة
72	 6.2.1.1. تعرف عالية الحوض تساقطات ثلجية مهمة تنعكس إيجابا على واد نفيس.
74	 2. التصنيف البيومناخي للمنطقة على ضوء البيانات المناخية المتاحة.
77	 خلاصة الفصل
78	 الفصل الخامس: الخصائص البشرية لعالية حوض نفيس وعلاقتها بالمجال الغابوي
78	 مقدمة:
78	 1. يتميز مجال نفيس باستقرار بشري متجدد في القدم وتنظيم اجتماعي قبلي
79	 1.1. تشغل اتحادية كنفيصة حيزا كبيرا من مجال نفيس
79	 2.1. مجتمع نفيس مجتمع مركب:

2. يعتبر مجال نفيس مجال عبور وحلقة وصل بين مراكش وسوس: 80
- 1.2. عرف مجال نفيس عبر التاريخ هجرات متعددة إلى حدود القرن 15 ومطلع القرن 16 82
- 2.2. نتائج الهجرات في نفيس: 84
3. البنيات الاجتماعية والاطار القبلي لنفيس: 85
- 1.3. التنظيم الاجتماعي ومؤسسات المجتمع: 85
- 2.3. السكان والمجال: 86
4. الخصائص الديمغرافية لعالية حوض نفيس 86
- 1.4. يعرف عالية حوض نفيس نموا ديمغرافيا متزايدا 86
- 2.4. تتميز عالية حوض نفيس بارتفاع عدد الأسر الامر الذي ينعكس على المجال الغابوي 89
5. تتميز المؤشرات السوسيو اقتصادية بالهشاشة ويتحكم فيها نمط العيش السائد بالمنطقة 90
- 1.5. بنيات عقارية متباينة تغطي عليها الحيازات المجهرية 90
- 2.5. يعتبر عالية نفيس مجال رعي وصراع بامتياز حول الموارد: 93
- 3.5. عرف نمط عيش القبائل لعالية حوض نفيس تحولات عديدة: 95

الباب الثاني: مظاهر الهشاشة الاجتماعية لعالية حوض نفيس ودورها في تدهور المجال الغابوي

- مقدمة: 98
- الفصل الأول: مظاهر هشاشة مؤشرات التمدرس بعالية حوض نفيس ودورها في تدهور المجال الغابوي 99
- مقدمة: 99
1. تعتبر الهشاشة السمة الرئيسية التي تطبع مختلف مؤشرات التمدرس بعالية حوض نفيس 100
 - 1.1. تعاني منطقة عالية حوض نفيس من ضعف البنيات التحتية في قطاع التعليم: 100
 - 2.1. يشكل ضعف المرافق التعليمية أبرز مظاهر ضعف مؤشرات التمدرس بعالية نفيس 101
 2. تعتبر ظاهرة الأمية و الإنقطاع الدراسي من أبرز مؤشرات الهشاشة الاجتماعية 102
 - 1.2. نسبة الأمية بعالية حوض نفيس تعكس عمق الهشاشة الاجتماعية التي تعاني منها المنطقة. 107
 - 2.2. ظاهرة الانقطاع الدراسي تعزز الهشاشة الاجتماعية لعالية حوض نفيس 109
 - 1.2.2. يشكل الانقطاع الدراسي أحد مظاهر ضعف المنظومة التربوية وطنيا 109
 - 2.2.2. يعكس الانقطاع الدراسي لعالية حوض نفيس واقع هشاشة المنظومة التربوية 111
 3. يعتبر التكرار وضعف سنوات التمدرس من أهم ملامح هشاشة مؤشرات التمدرس بالمنطقة. 115
 - 1.3. يسجل عالية حوض نفيس معدلات مرتفعة فيما يتعلق بالتكرار الدراسي. 115
 - 2.3. ضعف متوسط سنوات التمدرس يعبر عن عمق هشاشة مؤشرات التمدرس بعالية نفيس 117
 4. مؤشر جيني للتعليم يعكس عمق هشاشة مؤشرات التمدرس بالمجال المدروس: 119
 5. عندما تصبح المدرسة مشغلا لإنتاج الهشاشة والتمهيش 120
 6. هشاشة التعليم وتدهور المجال الغابوي آية علاقة 122
 - 1.6. تساهم هشاشة التعليم في استنزاف المجال الغابوي لعالية حوض نفيس 122
 - 2.6. تغييب الرأس مال البشري في معادلة التنمية بالمنطقة ينعكس سلبا على الغابة 124
 - 3.6. استنزاف المجال الغابوي لعالية حوض نفيس جواب على الهشاشة والتمهيش التربويين 125

127..... خلاصة الفصل

129..... الفصل الثاني: الهشاشة الصحية بعالية حوض نفيس ودورها في تدهور المجال الغابوي

129..... تقديم

130..... 1.ترتكز الصحة على عدة محددات اجتماعية

131..... 1.1.الثقافة كمحدد اجتماعي للصحة (التمثيلات الثقافية)

133..... 2.1.الفقر محدد اجتماعي آخر للصحة

137..... 3.1.التغذية محدد اجتماعي ثالث للصحة

140..... 4.1.المجال القروي كمحدد آخر للصحة حيث معاناة ساكنة المناطق المعزولة في العالم القروي

143..... 2.ضعف البنيات التحتية والموارد البشرية في قطاع الصحة بعالية نفيس من أبرز مظاهر الهشاشة

145..... 1.2.المرافق والخدمات الصحية لعالية حوض نفيس تعكس عمق الهشاشة التي تعيشها المنطقة

146..... 2.2.الموارد البشرية الصحية لعالية حوض نفيس تكرر أزمة الهشاشة الصحية

149..... 3.الهشاشة الصحية بعالية نفيس بين إشكالية تعدد البرامج الصحية ومحدودية النتائج

149..... 1.3.نظام المساعدة الطبية (الرميد) يعبر عن عمق الهشاشة الاجتماعية لعالية حوض نفيس

152..... 2.3.برنامج الحماية الاجتماعية

153..... 4.يتميز عالية حوض نفيس بارتفاع معدلات ذوي الاحتياجات الخاصة أو ما يسمى بالهشاشة المزدوجة

154..... 1.4.واقع الإعاقة لعالية حوض نفيس يكشف النقاب عن عمق الهشاشة الصحية بالمنطقة

156..... 1.1.4.الإعاقة لعالية حوض نفيس تبرز بشكل كبير فئات الشيوخ وذوي المستويات الدراسية المتدنية

156..... 1.1.1.4.يعتبر الشيوخ من أكثر الفئات عرضة للإعاقة بالحوض

157..... 2.1.1.4.ترتبط الإعاقة بشكل أكبر بأصحاب المستويات التعليمية المتدنية

158..... 2.1.4.تختلف درجة ذوي الاحتياجات الخاصة لعالية حوض نفيس من الخفيفة الى المتوسطة

159..... 5.ترتبط الهشاشة الصحية لعالية حوض نفيس بهشاشة الوضع العام للمنطقة

159..... 1.5.أدت الهشاشة بعالية نفيس إلى هشاشة التصور الثقافي للصحة

161..... 2.5.يتأثر المجال المدروس وموارده الطبيعية بهشاشة التصور الثقافي للصحة

164..... 3.5.حدود تأثير غابة عالية نفيس بالسلوك الصحي الهش بالمنطقة

165..... خلاصة الفصل

167..... الفصل الثالث: الاوضاع الاقتصادية بعالية نفيس تعكس حجم الهشاشة الاجتماعية وتساهم في تدهور المجال الغابوي

167..... مقدمة:

169..... 1.يتسم عالية حوض نفيس بانتشار مختلف مظاهر الهشاشة الاقتصادية

169..... 1.1.تشكل البطالة سمة رئيسية تطبع مجال نفيس

170..... 2.1.تتميز الوضعية الاقتصادية للأسر القروية لعالية حوض نفيس بالتدهور

173..... 3.1.دخل فلاحي هزيل يعتمد أساسا على الفلاحة

176..... 4.1.تتميز عالية نفيس بضعف فعالية الاقتصاد الاجتماعي التضامني

179..... 2.المرأة والشغل بنفيس، واقع مقلق تحكمه العديد من العوامل

179..... 1.2.تعاني المرأة في عالية نفيس من التهميش

180..... 2.2.تساهم مجموعة من العوامل في تهميش مساهمة المرأة في الاقتصاد لعالية حوض نفيس

182	3. ترتبط الهشاشة الاقتصادية لعالية حوض نفيس بمجموعة من العوامل
183	1.3. هشاشة الوسط الطبيعي لعالية حوض نفيس تساهم في تكريس الهشاشة الاقتصادية.
185	2.3. بنايات عقارية متباينة تغطي عليها الحيازات المجهرية
188	3.3. نظام زراعي غير متطور ويكشف عن عمق الهشاشة الاقتصادية بعالية نفيس
189	4.3. تراجع أهمية الرعي بحوض عالية يعمق الهشاشة الاقتصادية للسكان المحلية
192	4. الهشاشة الاقتصادية بعالية نفيس تدفع بالسكان في اتجاه الضغط على الموارد الغابوية
192	1.4. يشكل ضعف الدخل الفردي أبرز دوافع الضغط على المجال الغابوي
194	2.4. تضخم النشاط الرعوي بعالية نفيس يستنزف المجال الغابوي بعالية نفيس
197	5. العلاقة بين الدخل الفردي وتدهور المجال الغابوي علاقة جدلية
199	خلاصة الفصل
200	الفصل الرابع: السكن الريفي: سكن هش يساهم في تدهور المجال الغابوي لعالية حوض نفيس
200	مقدمة:
201	1. السكن الريفي: المفهوم والمقاربات المعتمدة في دراسته جغرافيا وسوسولوجيا
201	1.1. في دلالة مفهوم: السكن الريفي
202	2.1. المقاربة المعتمدة في دراسة السكن الريفي
202	1.2.1. المقاربة السوسولوجية للسكن:
204	2.2.1. المقاربة الجغرافية للسكن القروي وخصائصها
206	1.2.2.1. الخصائص الجغرافية للسكن الريفي لعالية حوض نفيس
208	2. هشاشة السكن الريفي لعالية حوض نفيس تتركز واقع الهشاشة الاجتماعية
208	1.2. قطاع الماء بعالية نفيس أرقام مشجعة مع وجود عدة اختلالات
213	2.2. قطاع الكهرباء: تغطية شبه شاملة لكنها لا تعكس الواقع
217	3. السكن لعالية حوض نفيس بين الهشاشة وضعف التجهيزات الأساسية
217	1.3. يتميز عالية حوض نفيس بهيمنة السكن القروي الهش
218	2.3. يتميز السكن لعالية حوض نفيس بضعف تجهيزاته الأساسية
220	4. أية علاقة بين هشاشة السكن الريفي وتدهور المجال الغابوي لعالية حوض نفيس
221	1.4. استغلال خشب الغابة في بناء وإنتاج السكن الريفي:
221	1.1.4. تعتمد الساكنة المحلية على خشب الغابة بنسبة كبيرة في بناء مساكنها
225	2.1.4. قطع وجمع حطب التدفئة لعالية حوض نفيس يسرع من وثيرة التدهور
226	3.1.4. تعتمد ساكنة عالية حوض نفيس على عدة وسائل من أجل جمع وقطع خشب الغابة
228	4.1.4. يستهدف جمع الحطب لعالية حوض نفيس مجالات متعددة
230	خلاصة الفصل
231	خاتمة الباب

الباب الثالث: مظاهر تدهور المجال الغابوي لعالية حوض نفيس وآفاق التنمية المستدامة بالمنطقة.	232
مقدمة:	232
الفصل الأول: المجال الغابوي لعالية حوض نفيس : خصائصه وديناميته ومظاهر تدهوره	233
مقدمة	233
1. يتميز عالية حوض نفيس بثروة غابوية غنية ومتنوعة:	233
1.1. تتجلى أهمية الغابة على عدة مستويات	233
1.1.1. الأهمية الإيكولوجية:	233
2.1.1. الأهمية الاقتصادية:	235
2. تتسم المعطيات الفيتوجغرافية بتنوع التشكيلات النباتية لعالية حوض نفيس	236
3.1. يتميز عالية حوض نفيس بغطاء نباتي كثيف	236
1.3.1. يشكل البلوط الأخضر وسرو الأطلس أهم التشكيلات النباتية لعالية حوض نفيس	238
2.3.1. تشكيلات الصنوبريات والمورقات من أهم الأصناف الناتية المنتشرة بالحوض:	238
1.2.3.1. أهم التشكيلات الصنوبريات بالمنطقة	238
2.2.3.1. تشكيلات المورقات حاضرة بشكل كبير لعالية حوض نفيس	240
4.1. يزخر عالية حوض نفيس بتشكيلات شجرية وعشبية متنوعة	241
1.4.1. يعتبر الخروب من أهم التشكيلات الشجرية بعالية نفيس	241
2.4.1. عالية حوض نفيس : مجال غني بتشكيلات عشبية متنوعة	242
2..التصنيف المورفولوجي للأصناف الغابوية لعالية حوض نفيس	242
1.2. تتسم التجمعات النباتية بعالية نفيس بعدة خصائص مورفولوجية	242
1.1.2. البلوط الأخضر يعتبر من بين الأصناف الغابوية الأكثر استهدافا من طرف الساكنة المحلية	243
2.1.2. العرعار صنف غابوي مميز لجبال الأطلس	243
3. الغابة لعالية حوض نفيس بين الملك القانوني للدولة وذوي الحقوق واستمرار إشكالية التدبير	245
1.3. الغابة: جدلية الصراع بين القبيلة والدولة	245
2.3. الغابة لعالية حوض نفيس وظهور أشكال جديدة لتنظيم المجال	248
4. المجال الغابوي لعالية نفيس: تدهور كبير ودينامية سريعة	250
1.4. بعض مظاهر تدهور الغابة المغربية:	250
2.4. مظاهر تراجع المجال الغابوية بعالية نفيس وعواملها:	251
1.2.4. أهم مظاهر تراجع المجال الغابوي لعالية حوض نفيس ما بين 1980 – 2019	251
2.2.4. العوامل المفسرة لتراجع الغطاء الغابوي بالمنطقة عالية حوض نفيس :	256
1.2.2.4. يتسبب الضغط الرعوي في إعاقة التجديد الطبيعي لمختلف أصناف النباتات والأشجار:	256
2.2.2.4. يساهم الاجتثاث العشوائي في تدهور المجال الغابوي	258
3.2.2.4. يساهم الضعف التنموي بالمنطقة في تراجع المجال الغابوي:	260

262	 خلاصة الفصل:
263	 الفصل الثاني: المجال الغابوي بعالية نفيس من التهيئة القطاعية الى التهيئة التشاركية
263	 تقديم:
263	 1. تعتبر التهيئة مدخلا أساسيا لتجاوز مسالة تدهور الموارد الطبيعية لعالية حوض نفيس
263	 1.1. تعرف المنطقة المدروسة خصا صا كبيرا على مستوى التدخلات المرتبطة بالتهيئة
264	 2.1. تعتبر المقاربة التشاركية مدخلا أساسيا لتهيئة منطقته عالية حوض نفيس
266	 2. التهيئة الغابوية بالمغرب مسار طويل و مردودية محدودة
266	 1.2. تحكمت العديد من التشريعات والقوانين في تدبير الملك الغابوي بالمغرب
267	 2.2. أدت سياسة التدبير القطاعي للغابة بمنطقة عالية نفيس إلى تكريس التدهور والهشاشة
269	 3.2. المقاربة التشاركية مدخل لتحقيق التنمية المستدامة بعالية نفيس
271	 4.2. أهداف التدبير التشاركي للموارد الغابوية لعالية حوض نفيس
272	 3. تستهدف التهيئة الشمولية لعالية حوض نفيس كسب رهان التوازنات البيئية
272	 1.3. تعد المقاربة الشمولية للتهيئة مدخلا لتحقيق التنمية لعالية حوض نفيس
273	 2.3. التهيئة المندمجة مدخل أساسي للتنمية المستدامة لعالية حوض نفيس
274	 خلاصة الفصل
276	 الفصل الثالث : آليات ومداخل التنمية لعالية حوض نفيس
276	 مقدمة:
276	 1. يعتبر مطلب تحقيق التنمية المستدامة مطلبا ملحا لعالية حوض نفيس
276	 1.1. يقتضي مطلب التنمية المستدامة القطع مع مقاربات الماضي وتبني مقاربات جديدة
278	 2.1. التنمية المستدامة رهينة بالإستجابة لحاجيات الساكنة المحلية
280	 3.1. إشكالية التنمية المستدامة هي إشكالية مركبة تقتضي استحضار عدة آليات
280	 1.3.1. المشروع الترابي آلية لتحقيق التنمية
282	 2.3.1. المقاربة التشاركية مدخل أساسي لدعم التنمية لعالية حوض نفيس
286	 3.3.1. التشخيص الترابي مفتاح لتنمية ناجعة
289	 4.3.1. الديمقراطية التشاركية آلية لتعزيز التنمية لعالية حوض نفيس
291	 2. يقتضي تحقيق التنمية المستدامة لعالية حوض نفيس اعتماد عدة مداخل
291	 1.1. تنمية عالية حوض نفيس تتطلب تعزيز الحكامة المحلية
292	 2.2. المجتمع المدني فاعل أساسي لكسب رهان الحكامة الترابية
294	 3.2. دعم المشاريع الصغيرة آلية فعالة لتحقيق التنمية المحلية:
296	 4.2. تسويق المنتجات المحلية دعامة أساسية لتنمية المنطقة
298	 5.2. تسويق البيئية الطبيعية باعتبارها تراثا محليا متعدد الأبعاد:
299	 1.5.2. استغلال الموارد الرملية لنفيس لتنمية مالية الجماعات الترابية:
300	 2.5.2. السياحة الإيكو ثقافية رافعة أساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية بحوض عالية نفيس
302	 خلاصة الفصل:
303	 خاتمة الباب

304	مناقشة الفرضيات:
307	خاتمة عامة:
307	لائحة المراجع

فهرس الجداول

11	جدول رقم 1: الجماعات الترابية لمجال البحث
20	جدول رقم 2: بعض المؤشرات المقارنة بين 2004-2014، المغرب.
23	جدول رقم 3: مظاهر ومستويات الهشاشة البيئية
23	جدول رقم 4: خطاطة العوامل المفسرة للهشاشة البيئية
39	جدول رقم 5: أهم خصائص تغييرات الصبيب بين العالية وقطاع السافلة ما بين 1975 – 2014.
46	جدول رقم 6: التوزيع المجالي لصخرة حوض نفيس
57	جدول رقم 7: توطين المحطات المناخية المدروسة وفترتها المرجعية
70	جدول رقم 8: توزيع معدل الحرارة بالمحطات الرئيسية بحوض نفيس
75	جدول رقم 9: أهم الخصائص المناخية لنفيس
86	جدول رقم 10: تطور عدد سكان عالية حوض نفيس ما بين 1994 و 2014
105	جدول رقم 11: توزيع نسب الأمية بالمغرب حسب الجنس ما بين 1960 – 2014
107	جدول رقم 12: معدلات نسبة الأمية بالجماعات الترابية لعالية حوض نفيس
111	جدول رقم 13: نسبة الانقطاع الدراسي لعالية حوض نفيس
115	جدول رقم 14: نسب التكرار لعالية حوض نفيس لسنة 2019
117	جدول رقم 15: متوسط سنوات التمدرس لعالية حوض نفيس
119	جدول رقم 16: مؤشر جيني للتعليم بالجماعات الترابية لعالية حوض نفيس
120	جدول رقم 17: عناصر القوة والضعف في عالية نفيس
134	جدول رقم 18: أهم الأمراض التي تعاني منها الأسر لعالية حوض نفيس
138	جدول رقم 19: بعض الأمراض المرتبطة بسوء التغذية:
145	جدول رقم 20: المرافق والخدمات الصحية بعالية نفيس
146	جدول رقم 21: عدد الأطباء والممرضين لعالية حوض نفيس
150	جدول رقم 22: نسبة المنخرطين في نظام المساعدة الطبية (راميد) لعالية حوض نفيس
155	جدول رقم 23: ذوي الاحتياجات الخاصة بعالية نفيس نتيجة حتمية للهشاشة الاجتماعية
163	جدول رقم 24: أهم النباتات والأعشاب الطبية لعالية حوض نفيس
170	جدول رقم 25: نسبة البطالة لعالية حوض نفيس
173	جدول رقم 26: الوضعية الاقتصادية لعالية حوض نفيس حسب المجال
176	جدول رقم 27: عدد التعاونيات في جهة مراكش اسفي لسنة 2015
185	جدول رقم 28: الإنتاج الزراعي بعالية نفيس
193	جدول رقم 29: الدخل الشهري لعالية حوض نفيس
218	جدول رقم 30: طبيعة السكن المتواجد بعالية نفيس
218	جدول رقم 31: نسبة الأسر المتوفرة على أهم التجهيزات لعالية حوض نفيس
222	جدول رقم 32: علاقة طبيعة السكن باستغلال الغابة spss
222	جدول رقم 33: أهم الأصناف الغابوية المعتمدة في بناء المسكن لعالية حوض نفيس
224	جدول رقم 34: تطور عدد المخالفات المسجلة بغابة أغبار ما بين 2008-2014
228	جدول رقم 35: التزايد الديمغرافي لعالية حوض نفيس ما بين 1994-2014

جدول رقم 36:	طبيعة الغطاء النباتي المهيمن على عالية حوض نفيس	237
جدول رقم 37:	تطور معدلات استعمال الأرض بمجال الدراسة ب كلم ² بين 1980 و 2019	255
جدول رقم 38:	أشكال الرعي لعالية حوض نفيس اغبار نموذجا	257
جدول رقم 39:	مجالات تردد الرعي والانتجاع بالمقطعان في عالية نفيس	258
جدول رقم 40:	الاستعمالات الرئيسية للخشب بعالية نفيس	258
جدول رقم 41:	تطور مخالفات قطع الأشجار بالمنطقة ما بين 2008/2014:	260
جدول رقم 42:	القوانين المنظمة لتدبير المجال الغابوي بالمغرب منذ 1917	266
جدول رقم 43:	خصوصيات التدبير الأحادي للموارد الغابوية وأثر ذلك على عالية حوض نفيس	268
جدول رقم 44:	الرهانات التي تعول عليها التهيئة المندمجة لعالية حوض نفيس	274
جدول رقم 45:	أهم نقط الضعف والقوة بعالية حوض نفيس	287
جدول رقم 46:	مرتكزات البرنامج الجماعي لثلاث نيعقوب	290
جدول رقم 47:	بعض الجمعيات الفاعلة بعالية حوض نفيس	293
جدول رقم 48:	نسبة المستفيدين من برامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية بعالية حوض نفيس	295
جدول رقم 49:	أهمية العناصر الطبيعية في تحضير الرمال	299

فهرس الأشكال

- الشكل رقم 1: خريطة توطين مجال الدراسة ضمن التراب الوطني 9
- الشكل رقم 2: رسم ثلاثي الأبعاد لمجال الدراسة لعالية حوض نفيس 9
- الشكل رقم 3: مؤشر الفقر المتعدد الأبعاد 20
- الشكل رقم 4: بعض مؤشرات التنمية بالمغرب سنة 2014 بالنسبة 21
- الشكل رقم 5: توزيع معدلات الهشاشة الاجتماعية لعالية حوض نفيس 22
- الشكل رقم 6: المقاربة النسقية لمشاكل الهشاشة و التهميش 27
- الشكل رقم 7: قبائل اتحادية كنفيصة: ما بين القرنين 11م. و 18م. 30
- الشكل رقم 8: لوحة خاصة بواد نفيس 35
- الشكل رقم 9: خريطة الشبكة المائية لعالية حوض نفيس 36
- الشكل رقم 10: لوحة مظاهر تراحع حقينة سد ويركان باجوكاك 38
- الشكل رقم 11: خريطة جيولوجية لحوض عالية نفيس 46
- الشكل رقم 12: خريطة جيولوجية لعالية حوض نفيس 49
- الشكل رقم 13: توزيع متوسط التساقطات السنوية محطة نكوريس ما بين 1973 و 2019 59
- الشكل رقم 14: المعدلات الشهرية للتساقطات المطرية بالملم بالمحطات المدروسة ما بين 2008-2019 60
- الشكل رقم 15: الانحراف عن المعدل السنوي للتساقطات بالمحطات المدروسة 64
- الشكل رقم 16: المعامل المطري السنوي بالمحطات المدروسة 67
- الشكل رقم 17: منحنيات المعدلات الحرارية بمحطات الدراسة 72
- الشكل رقم 18: لوحة للثلوج في منطقة اغبار بعالية نفيس 73
- الشكل رقم 19: الموقع البيومناخي لنفيس على مبيان أومبرجي 75
- الشكل رقم 20: مسار تحرك القبائل واتجاه الوديان بالاطلس الكبير 81
- الشكل رقم 21: توزيع معدلات النمو بعالية حوض نفيس 87
- الشكل رقم 22: متوسط سن الزواج لعالية حوض نفيس مقارنة بالمتوسط الوطني 88
- الشكل رقم 23: عدد الأسر لعالية حوض نفيس 89
- الشكل رقم 24: صورة لحجم الحيازات بالجماعة الترابية اجوكاك 91
- الشكل رقم 25: حجم الحيازات لعالية حوض نفيس 92
- الشكل رقم 26: أهم مرافق التعليم الإبتدائي بعالية نفيس 102
- الشكل رقم 27: تطور معدل الأمية بالمغرب بين 1960 و 2014 104
- الشكل رقم 28: تباين نسبة الأمية حسب الوسط بالمغرب سنة 2018 105
- الشكل رقم 29: تفاوت نسبة الأمية حسب جهات المملكة 106
- الشكل رقم 30: خريطة توزيع نسبة الأمية لعالية حوض نفيس 107
- الشكل رقم 31: الانقطاع الدراسي حسب الوسط والسلوك بالتعليم العمومي 2015 110
- الشكل رقم 32: نسبة الانقطاع الدراسي حسب مؤسسات التعليم الابتدائي العمومي لسنة 2018 112
- الشكل رقم 33: نسبة الانقطاع الدراسي حسب الجهات 2018(التعليم العمومي جميع الأسلاك) 114
- الشكل رقم 34: نسبة التكرار في التعليم الاعدادي لعالية حوض نفيس مقارنة مع المعدل الوطني 116
- الشكل رقم 35: توزيع مؤشر جيني لعالية حوض نفيس 119

126	الشكل رقم 36: خطاطة: العلاقة بين هشاشة قطاع التعليم وتدهور المجال الغابوي
133	الشكل رقم 37: توزيع معدلات الفقر لعالية حوض نفيس
135	الشكل رقم 38: الاستشارة الطبية خلال سنة 2019 لعالية حوض نفيس
136	الشكل رقم 39: قيمة المصاريف الشهرية على الصحة لعالية حوض نفيس (بالدرهم)
140	الشكل رقم 40: لوحة نماذج من الحملات الطبية الموجهة لساكنة عالية نفيس (أغبار نموذجاً)
141	الشكل رقم 41: خريطة الارتفاعات لعالية حوض نفيس
144	الشكل رقم 42: بعد المراكز الصحية لعالية حوض نفيس
147	الشكل رقم 43: خريطة متوسط عدد السكان لكل ممرض بعالية نفيس
148	الشكل رقم 44: خريطة متوسط عدد السكان لكل طبيب لعالية حوض نفيس لسنة 2020
154	الشكل رقم 45: نسبة ذوي الاحتياجات الخاصة بالمغرب
155	الشكل رقم 46: خريطة توزيع معدلات ذوي الاحتياجات الخاصة لعالية حوض نفيس
156	الشكل رقم 47: نسبة انتشار الإعاقة حسب السن لعالية حوض نفيس
157	الشكل رقم 48: نسبة انتشار الإعاقة لعالية حوض نفيس حسب المستوى التعليمي
158	الشكل رقم 49: أهم المجالات التي تشملها الإعاقة لعالية حوض نفيس
164	الشكل رقم 50: مجالات تسويق النباتات والأعشاب الطبية لعالية حوض نفيس
172	الشكل رقم 51: مبيان حول الوضعية الاقتصادية للأسر لعالية حوض نفيس سنة 2019
173	الشكل رقم 52: مصادر الدخل السنوي للأسر بالجماعة الترابية أغبار
175	الشكل رقم 53: خطاطة دائرة الهشاشة الاقتصادية بمجال الدراسة
177	الشكل رقم 54: نسبة انخراط الفلاحين لعالية حوض نفيس في التعاونيات الفلاحية
181	الشكل رقم 55: موقف السكان المحليين من انخراط المرأة في سوق الشغل
187	الشكل رقم 56: حجم الحيازات لعالية حوض نفيس
194	الشكل رقم 57: أهم دوافع استغلال المجال الغابوي لعالية حوض نفيس
197	الشكل رقم 58: علاقة الهشاشة الاجتماعية بتدهور المجال الغابوي
206	الشكل رقم 59: لوحة غزو البناء العصري لعالية حوض نفيس
207	الشكل رقم 60: لوحة تعكس هشاشة السكن لعالية حوض نفيس
209	الشكل رقم 61: تطور نسبة الولوج لخدمات الماء الشروب ما بين 1995 و 2015
210	الشكل رقم 62: نسبة رضى الساكنة على خدمات الماء الشروب
212	الشكل رقم 63: نسبة الربط الفردي بالماء الشروب حسب المستوى الاقتصادي بعالية نفيس
215	الشكل رقم 64: معدل الاشتراك الفردي في الكهرباء بعالية نفيس مقارنة مع المعدل الوطني
215	الشكل رقم 65: ربط عالية حوض نفيس بشبكة الكهرباء
217	الشكل رقم 66: رأي الأسر بعالية نفيس في كلفة الربط بالكهرباء
220	الشكل رقم 67: خريطة وضعية الصرف الصحي بعالية حوض نفيس
223	الشكل رقم 68: أهم الانواع الغابوية الأكثر استهدافا لعالية حوض نفيس
225	الشكل رقم 69: جانب من حرائق الغابات بعالية حوض نفيس
227	الشكل رقم 70: مبيان طرق جمع وقطع خشب الغابة بالنسبة %
229	الشكل رقم 71: الأراضي المعتمد عليها في جمع الحطب لعالية حوض نفيس
238	الشكل رقم 72: توزيع الأصناف الغابوية لعالية حوض نفيس

241	الشكل رقم 73: لوحة: تشكيلات من شجر سرو الأطلس لعالية حوض نفيس
248	الشكل رقم 74: الانقسامية الاجتماعية وتنظيم التراب بالأطلس الكبير
252	الشكل رقم 75: خريطة الغطاء النباتي لعالية حوض نفيس سنة 1980
253	الشكل رقم 76: خريطة الغطاء النباتي لعالية حوض نفيس سنة 1990
254	الشكل رقم 77: خريطة الغطاء النباتي لعالية حوض نفيس سنة 2000
254	الشكل رقم 78: الغطاء النباتي لعالية حوض نفيس سنة 2019
255	الشكل رقم 79: خريطة الغطاء النباتي لعالية حوض نفيس بين 1980 و 2000
257	الشكل رقم 80: أهم الأنشطة التي تزاوّل داخل المجال الغابوي لعالية حوض نفيس
259	الشكل رقم 81: صور لنماذج من المناطق الغابوية بعالية نفيس التي تعرضت للتدهور
278	الشكل رقم 82: المقاربة التشاركية مدخل رئيسي لتحقيق التنمية المستدامة
282	الشكل رقم 83: التنمية الترابية مدخل أساسي للتنمية المستدامة
284	الشكل رقم 84: أسس المقاربة التشاركية لعالية حوض نفيس
286	الشكل رقم 85: خطاطة: أهم أهداف المقاربة التشاركية بمجال الدراسة
296	الشكل رقم 86: الجماعات الترابية المستهدفة ببرامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية
297	الشكل رقم 87: صور لبعض المنتجات المجالية بحوض عالية نفيس
301	الشكل رقم 88: صورة لمسجد تنمل بين الأمس واليوم

ملخص البحث :

يعالج هذا البحث موضوعا يتعلق بدينامية الأوساط الجبلية بالمغرب عامة، وبمنطقة عالية حوض نفيس على وجه التحديد. وهو عمل يندرج ضمن سياق دراسة العلاقة الجدلية بين الإنسان والوسط الذي يعيش فيه كواحدة من العلاقات الكلاسيكية والمواضيع الأساسية في البحث الجغرافي. إنه بالضبط اشتغال على دينامية المجال الغابوي بالمنطقة في علاقته بالهشاشة الاجتماعية، وذلك بتسليط الضوء على إشكالية رئيسية لهذا العمل تتمثل في: دور الهشاشة الاجتماعية في تدهور المجال الغابوي لعالية حوض نفيس؟ السؤال هو: لماذا حوض نفيس؟ والضبط لماذا عالية هذا الحوض؟ والجواب هو تلك الخصوصيات الطبيعية والإرث التاريخي المهم بالمنطقة، والذي يرتبط هو الآخر باستقرار بشري قديم جدا، جعل من المنطقة مجالا ذا أهمية للدراسات الجغرافية باعتبارها تمكن الباحث من الوقوف على الثابت والمتحول في هذا المجال خاصة، وفي المجالات الجبلية الشبيهة به في المغرب عامة. هذا بالإضافة إلى أن المنطقة لم تستنفذ بعد كل إمكانياتها البحثية التي يمكن أن تكشف عنها للباحث، خاصة فيما يتعلق بالموضوع الذي اخترناه كشكل من أشكال المزوجة في البحث بين خصوصيات المجال الطبيعي من جهة وبين سلوك الإنسان وآليات تدبيره لهذا المجال من جهة ثانية. إن الدارس للإمكانيات الطبيعية والبشرية التي اعتبرناها خصوصية مميزة لمجال عالية حوض نفيس، والتي كانت دافعا من دوافع اختيارنا له كمنطلق لهذا البحث، تجعله يستنتج بدهشة مدى إمكانية تحقيق التنمية وخلق الثروة في هذه المنطقة. لكن واقع الحال يؤكد لنا سير الأمور عكس هذا الاستنتاج وهذه النتيجة. حيث تعاني المنطقة من التدهور على مستوى المجال الغابوي، ومن الهشاشة على مستوى المورد البشري. مما يحولها إلى مجال نموذج لمختلف المناطق الجبلية الشبيهة به من حيث حجم التحديات التي تواجه التنمية البشرية والتنمية المستدامة والحفاظ على الموارد الطبيعية عامة والمورد الغابوي خاصة. وذلك بهدف العمل على بلورة حلول عملية للتخفيف من ثقل التحديات التي يعاني منها المجال والإنسان على حد سواء .

لعل من نقط قوة هذا العمل محاولته إيجاد علاقة جدلية بين الهشاشة البشرية التي تعرفها عالية حوض نفيس خاصة، والمناطق الجبلية عامة. وبين تدهور المجال الغابوي بالمنطقة. وما يطرحه ذلك من إشكاليات كبرى على عدة مستويات تقتضي تعزيز الأبحاث والدراسات من أجل إيقاف نزيف تدهور الموارد الطبيعية عامة وأيضا خلق حلول لقضية الهشاشة البشرية وكل ما يرتبط بها من سلوكيات سلبية تجاه المجال وموارده في عالية حوض نفيس. وظفنا في هذا العمل أسلوبين للتحليل، أحدهما كمي والآخر نوعي وذلك تماشيا وانسجاما مع آليات البحث الجغرافي وأيضا مع المقاربة الموظفة في العمل والتي تهدف إلى تحصيل ومعالجة أكبر قدر من المعطيات والبيانات الكمية والإحصائية التي تتعلق بدينامية المورد الغابوي الحالية في علاقتها بدينامية الساكنة المحلية. ودراسة الثابت والمتحول في هذه الدينامية وأيضا العلاقة بين الديناميتين وأثر ذلك على التوازنات الكبرى بالمنطقة سواء تلك المتعلقة بالبيئة أو بالتنمية البشرية والتنمية المستدامة. ومن أجل دراسة إشكالية الهشاشة البشرية في علاقتها بالموارد الغابوية بعالية حوض نفيس، وظف

البحث مختلف الإمكانيات التي يسمح بها العمل النظري والعمل الميداني والتي تتناسب مع طبيعة الموضوع عبر ضبط المفاهيم الأساسية، وتوظيف آليات من قبيل: المقابلة والاستمارة وزيارة مختلف المصالح المختصة...من جهة. وأيضاً استعمال نظم المعلومات الجغرافية ونظام معالجة المعطيات والإحصائيات SPSS كآليات أثبتت فعاليتها في تحليل وضعية الأوساط الطبيعية ودراسة وتصنيف ديناميتها عبر معالجة كم كبير من المعطيات والبيانات والوقوف على التداخلات والعلاقات فيما بين الهشاشة كوضع بشري مميز لسكانه المجال المدروس، وبين تدهور المجال الغابوي في العقود الأخيرة. وبالاعتماد على كل هذه الوسائل والإمكانيات استطاع البحث الخروج بمجموعة من النتائج التي يمكن تلخيصها كالتالي:

- أن تشخيص خصوصيات المجال المدروس سواء الطبيعية أو البشرية أثبت لنا وجود وجهين من أوجه الهشاشة بالمنطقة. الأول يتعلق بالهشاشة الطبيعية والبيئية، وتتمثل في مختلف المظاهر المرتبطة بتدهور الأتربة وتآكل السفوح وتراجع الغطاء النباتي وتدهور المراعي... وتراجع مساحة الغابة... والثاني يتعلق بالهشاشة البشرية ليس فقط من خلال المعطيات المرتبطة بمختلف المؤشرات المتعلقة بالتنمية البشرية من صحة وتعليم ودخل وسكن... الخ والتي تؤكد جميعاً صعوبة الوضع البشري بالمجال المدروس. وإنما أيضاً دور ومكانة هذا الإنسان على مستوى إشراكه في تدبير وتقرير مصير المجال الذي يعيش فيه. وهو الأمر الذي جعلنا نقر بالعزلة المزروجة لهذا المجال العطوب.
- يبين البحث بأن دينامية تدهور المورد الغابوي بالمنطقة، على الرغم من أهميته سواء على المستوى الإيكولوجي أو الاقتصادي، بالنظر إلى أهمية وتنوع التشكيلات النباتية والشجرية والعشبية... من جهة، وبالنظر إلى ما تشكله الغابة من ثروة طبيعية حقيقية للمنطقة من جهة ثانية. هي دينامية تدهور سريعة في السنوات والعقود الأخيرة. أدت إلى تراجع مساحة الغابة بنسبة 75% ما بين سنتي 1975م و 2019م. وهو ما يشكل مظهراً من مظاهر الخلل البيئي المتمثل في تسارع وثيرة التدهور مقارنة مع الوضع في السنوات السابقة.
- حاول البحث تفسير مظاهر هذا الخلل البيئي ليتضح بأنه إلى جانب العوامل المرتبطة بالخصوصيات الطبيعية والإيكولوجية والمناخية للمجال المدروس. والتي تفسر جزءاً من هذا الخلل. توجد علاقة ثابتة بين السلوك الإنساني المطبوع بالهشاشة، وبين تدهور المجال الغابوي بالمنطقة. وهي تلك العلاقة المركبة والمتداخلة التي عبرنا عنها في خاتمة هذا العمل. والتي تقيد بأن مسألة تدهور المجال الغابوي في علاقته بالهشاشة الاجتماعية هي علاقة مركبة ذات أوجه متعددة تتداخل فيها الأسباب بالنتائج في سلسلة من العلاقات اللامتناهية.
- خلصت معالجة المعطيات المرتبطة بالدينامية الحالية للمجال الغابوي بعالية حوض نفيس في علاقتها بالسياسة التدبيرية لهذه المجالات على مدى عقود من الزمن. على وجود خلل مرتبط بالتدخل البشري لا على مستوى الساكنة المحلية التي تعتبر هذا المورد ملكاً عاماً وجزءاً من خصوصيات المجال الذي تعيش فيه فقط. وإنما أيضاً على مستوى التدبير المرتبط بسياسة الدولة التي غيّبت الساكنة المحلية لعقود وفرضت تدبيراً أحادياً لم يؤد إلى أي نتائج إيجابية تذكر، رغم كثرة التدخلات والاستراتيجيات والمقاربات والسياسات المتعاقبة. وهو ما يفرض إعادة النظر في هذه المقاربة التدبيرية للمجالات الغابوية عامة.

- أن الفشل في الاستثمار في الإنسان في عالية حوض نفيس وفي تنميته كان له تأثير سلبي على الموارد الطبيعية عامة وعلى المجال الغابوي خاصة. مما ينبغي معه التفكير في خلق آليات التنمية البشرية والمستدامة بهذه المجالات الهشة. عبر تغيير المقاربات التدبيرية وتبني الديمقراطية التشاركية والتهيئة المندمجة التي تجعل من الإنسان غاية ووسيلة في نفس الوقت. كما تجعل منه شريكا حقيقيا في التدبير وفي تحمل المسؤولية.
- لقد بينت لنا دراسة مجال عالية حوض نفيس بأن المجالات الجبلية بالمغرب عامة تعاني من عزلة مزدوجة فرضتها الخصوصيات الطبيعية والإيكولوجية والمناخية من جهة. وفرضها التدبير البشري للموارد الطبيعية المتاحة من جهة ثانية. مما جعلنا نؤكد على الحجم الكبير للعطب بهذه المناطق. وعلى ضرورة تسريع وثيرة التدخل من أجل تدارك حجم التأخر سواء فيما يتعلق بتنمية الإنسان أو فيما يتعلق بالحفاظ على الموارد الطبيعية وصيانتها. وما كان الهدف من مثل هذه الأبحاث والدراسات إلا المساهمة العلمية القائمة على التشخيص الدقيق للمشاكل وتقديم الحلول العملية والممكنة حتى لا تتم إعادة إنتاج الهشاشة بمختلف تجلياتها الطبيعية والبشرية.

Résumé de thèse

Cette recherche porte sur une thématique liée à la dynamique des milieux montagneux au Maroc en général, et au bassin de haut N’Fiss en particulier. C’est un travail qui s’inscrit dans le cadre de l’étude de la relation dialectique entre l’homme et l’environnement dans lequel il vit, comme l’une des relations classiques et des thèmes fondamentaux de la recherche géographique. Il s’agit précisément d’un travail sur la dynamique des ressources forestières de la région en relation avec la précarité sociale, dont la problématique majeure est : le rôle de la précarité sociale dans la dégradation des ressources forestières dans le haut bassin de N’Fiss.

Pourquoi le Bassin de N’Fiss ? Et plus exactement pourquoi le haut de cet aquarium ? La réponse réside dans ses particularités naturelles, et dans l’héritage historique important de la région qui est, quant à lui, lié à une sédentarité humaine très ancienne. Ceci a fait de la région un domaine important pour les études géographiques car elle permet au chercheur de se trouver face au constant et à le variable dans cet espace en particulier, et dans les zones montagneuses qui lui sont similaires au Maroc en général. Vient s’ajouter le fait que la région n’a pas encore épuisé toutes ses capacités de recherche qu’elle peut révéler au chercheur, notamment en ce qui concerne le thème que nous avons choisi comme réunion, dans la recherche, des particularités de l’espace naturel aux comportements et mécanismes de gestion de l’homme de cet espace. Effectivement, l’étude des potentialités naturelles et humaines, que nous considérons comme un trait distinctif de la zone haute du Bassin de N’Fiss, et qui étaient à l’origine de son choix comme point de départ de cette recherche, ferait conclure l’incontestable possibilité de développer et de créer de la richesse dans cette région. Mais la réalité contredit cette conclusion. La région souffre d’une détérioration au niveau de la ressource forestière, et d’une précarité au niveau de la ressource humaine. Ce qui en fait un Espace modèle pour les différentes régions de montagne qui lui ressemblent en termes d’enjeux de développement humain, de développement durable, et de préservation des ressources naturelles en général et forestières en particulier. L’objectif visé par cet Espace modèle est celui de travailler sur le développement de solutions pratiques pour relever les défis dont nous avons parlé à propos de l’espace et de l’homme. L’une des forces de cet ouvrage est, peut-être, sa tentative de trouver une relation dialectique entre la précarité humaine, que connaît le haut bassin de N’Fiss en particulier et les régions

montagneuses en général, et la détérioration de la ressource forestière dans la région. Ces deux composantes posent des problèmes majeurs à plusieurs niveaux qui nécessitent de renforcer les recherches et les études afin d'arrêter la dégradation des ressources naturelles en général et aussi de créer des solutions à la question de la précarité humaine et de tous les mauvais comportements qui lui sont associés envers l'espace et ses ressources en haut Bassin de Nafis.

Dans ce travail, nous avons employé deux méthodes d'analyse. L'une quantitative et l'autre qualitative, en cohérence avec les mécanismes de la recherche géographique et aussi avec l'approche employée dans le travail qui vise à collecter et traiter le plus grand nombre de données quantitatives et statistiques relatives à la dynamique actuelle de la ressource forestière en rapport à la dynamique de la population locale. L'approche vise en plus à étudier la part du constant et du variable dans cette dynamique, ainsi que la relation entre les deux dynamiques et son impact sur les grands équilibres de la région, qu'ils soient liés à l'environnement ou au développement humain et au développement durable. Afin d'étudier la problématique de la précarité humaine dans son rapport aux ressources forestières dans le haut bassin de la N'Fiss, la recherche a utilisé les différentes possibilités, permises par la théorie et la pratique, qui correspondent à la nature du sujet, tout en maîtrisant les concepts de base et en mettant en œuvre des mécanismes tels que : l'inspection, le formulaire, les visites dans les services concernés... Et aussi l'utilisation des systèmes d'information géographique et du système de traitement de données et de statistiques SPSS qui ont prouvé leur efficacité pour analyser l'état des milieux naturels, étudier et classer leur dynamique en traitant une grande quantité de données et en identifiant les interactions et les relations entre la précarité comme condition humaine caractérisant la population de l'espace étudié, et la dégradation des ressources forestières comme dynamique distinctive du même espace au cours des dernières décennies. En s'appuyant sur tous ces moyens et capacités, la recherche a pu aboutir à un ensemble de résultats qui peuvent être résumés comme suit :

- Le Diagnostic des particularités de l'espace étudié, qu'elles soient naturelles ou humaines, nous a révélé la présence de deux aspects de précarité dans la région. Le premier

est naturel et environnemental, qui se traduit par les diverses manifestations liées à la dégradation des sols, l'érosion des pentes, la diminution du couvert végétal, la dégradation des pâturages... et le déclin de la superficie forestière... Le second concerne la précarité non seulement à travers des données relatives à divers indices de développement humain tels que la santé, l'éducation, le revenu et le logement...etc., qui tous confirment la difficulté de la condition humaine dans l'espace étudié, mais aussi le rôle et le statut de l'homme au niveau de son implication dans la gestion et la décision du sort du territoire dans lequel il vit. Ce qui nous a fait reconnaître le double isolement de cet espace défaillant.

- La recherche montre que la dynamique de dégradation de la ressource forestière dans la région croît rapidement au cours de ces dernières décennies. Et ce malgré l'importance écologique et économique de cette ressource : la diversité des formations végétales, arborées et herbacées...d'une part, et la richesse naturelle réelle que constitue la forêt pour la région d'autre part. Cette dynamique décroissante a entraîné une diminution de 75 % de la superficie forestière entre 1975 et 2019. Ceci constitue une manifestation du déséquilibre environnemental représenté par l'accélération du rythme de détérioration par rapport à la situation des années précédentes.

- La recherche a tenté d'expliquer les manifestations de ce déséquilibre environnemental. En effet, les facteurs associés aux particularités naturelles, écologiques et climatiques de l'espace étudié expliquent en partie le problème. Alors qu'il existe une relation constante entre les comportements humains marqués par la précarité et la détérioration des ressources forestières de la région. C'est justement cette relation complexe et interdépendante que nous avons exprimée dans la conclusion de ce travail stipulant que la question de la détérioration des ressources forestières en rapport avec la précarité sociale est une relation complexe aux multiples facettes dans laquelle les causes et les conséquences s'entremêlent dans une série interminable de relations.

- Le traitement des données relatives à la dynamique actuelle des ressources forestières dans le haut bassin du N'Fiss et à la politique de gestion de ces espaces pendant des décennies a permis de conclure qu'il existe un dysfonctionnement relevant de l'intervention humaine, non au niveau de la population locale, qui considère cette ressource comme un bien public et une

partie intégrante des particularités de la zone dans laquelle elle vit, mais c'est plutôt au niveau des mesures politiques prises par l'État. En fait, l'État a marginalisé la population locale pendant des dizaines d'années et a imposé une mesure unilatérale qui n'a abouti à aucun résultat positif, malgré le grand nombre d'interventions, de stratégies, d'approches et de politiques successives. Cela nécessite de reconsidérer cette approche de gestion des espaces forestiers en général.

- L'échec à investir dans le capital humain et à le développer dans le haut bassin de N'Fiss a eu un impact négatif sur les ressources naturelles en général et sur la ressource forestière en particulier. Il faut donc réfléchir à la création de mécanismes de développement humain et durable dans ces zones précaires, en changeant les modes de gestion et en adoptant une démocratie participative et un aménagement intégré qui feront de l'être humain à la fois un moyen et une fin et aussi un véritable partenaire dans la gestion et dans l'assumption des responsabilités.
- L'étude de la zone haute du Bassin N'Fiss nous a montré que les zones montagneuses au Maroc en général souffrent d'un double isolement imposé par les particularités naturelles, écologiques et climatiques d'une part, et par la gestion humaine des ressources naturelles disponibles d'autre part. Ce qui nous a fait souligner l'ampleur des dégâts dans ces zones, et la nécessité d'accélérer le rythme des interventions pour combler l'ampleur du retard, que ce soit en matière de développement humain ou en matière de préservation et d'entretien des ressources naturelles. Le but de ces recherches et études n'était qu'une contribution scientifique fondée sur un diagnostic précis des problèmes et apportant des solutions pratiques et réalisables afin de ne pas reproduire la précarité dans ses diverses manifestations naturelles et humaines.

استمارة خاصة بأطروحة: الهشاشة الاجتماعية وتأثيرها على المجال الغابوي بعلية حوض نفيس

حالة الجماعات الترابية "أغبار، ثلاث نيعقوب، اجوكاك

((هذه الاستمارة هدفها البحث العلمي وبياناتها تخص الباحث فقط ،لذا الرجاء توخي الموضوعية في الإجابة على

أسئلتها))

معطيات عامة حول المستجوب (ة)

رقم المستجوب (ة) :	التاريخ:	الجماعة والدوار
1	الجنس	- ذكر ☐ أنثى ☐
2	السن	- السن: أقل من 20 سنة - 21-40 41-60 - أكثر من 60 سنة لا أعرف
3	الحالة العائلية	- عازب(ة) ☐ متزوج (ة) ☐ مطلق(ة) ☐ أرمل (ة) ☐ - عدد الأبناء - المتدربون منهم :
4	عدد أفراد الأسرة	
5	المستوى التعليمي	- بدون ☐ إعدادي ☐ مهني ☐ - مسيد ☐ ثانوي ☐ محو الأمية ☐ - ابتدائي ☐ جامعي ☐
المحور الأول : الخصائص السوسيو -اقتصادية لسكان عالية حوض نفيس		
6	النشاط الذي تزاوله	- نشيط يعمل ☐ ربة بيت ☐ - عاطل سبق له أن اشتغل ☐ متقاعد ☐ - عامل موسمي ☐ آخر ☐ - عاطل لم يسبق له أن اشتغل ☐
7	المهنة الرئيسية التي تزاول(ين)ها	فلاح ☐ تاجر ☐ خياط ☐ جندي ☐ حلاق ☐ فقيه ☐ أستاذ ☐ موظف ☐ بناء ☐ اسكافي ☐ آخر ☐
8	ماهي مصادر دخلك	العمل ☐ المحصول الفلاحي ☐ التحويلات العائلية ☐ القرض ☐ زكاة أو عشور ☐ آخر:..... ☐
9	حدد(ي) دخلك السنوي بالدرهم	- أقل من 2000 درهم ☐ - ما بين 2000-4000 ☐ - ما بين 4000-5000 ☐ - ما بين 5000-10000 ☐ - أكثر من 10000 درهم ☐

10	ما قيمة مصاريفك على الصحة في السنة (خلال 12 شهر الأخيرة)	- أقل من 50 درهم - من 101 إلى 150 - 201 درهم فأكثر	☐ - من 51 إلى 100 درهم ☐ - من 151 إلى 200 درهم ☐
11	كم تنفق (ين) في السنة على الماء والكهرباء (خلال 12 شهر الأخيرة)	- أقل من 50 درهم - من 101 إلى 150 - 201 درهم فأكثر	☐ - من 51 إلى 100 درهم ☐ - من 151 إلى 200 درهم ☐
12	ما قيمة مصاريفك السنوية على الطاقة (الغاز) خلال 12 شهر الأخيرة	- أقل من 50 درهم - من 101 إلى 150 - 201 درهم فأكثر	☐ - من 51 إلى 100 درهم ☐ - من 151 إلى 200 درهم ☐
13	كم تنفق (ين) في السنة على النقل (خلال 12 شهر الأخيرة)	- أقل من 50 درهم - من 101 إلى 150 - 201 درهم فأكثر	☐ - من 51 إلى 100 درهم ☐ - من 151 إلى 200 درهم ☐
14	هل أنت منخرطة(ة) في تعاونية فلاحية	- نعم - لا	☐ ☐

15- ما موقفك من انخراط المرأة في سوق الشغل ؟

المحور الثاني: التمدرس ومظاهر الهشاشة الاجتماعية بعالية حوض نفيس

16	هل تتوفر منطقتكم على مؤسسة تعليمية	- نعم - لا	☐ ☐
17	ما طبيعة المؤسسة التعليمية؟	- مدرسة ابتدائية - ثانوية إعدادية - ثانوية تأهيلية	☐ ☐ ☐
18	هل يتابع أبناءك دراستهم	- نعم - لا	☐ ☐
19	إذا كان الجواب بلا، لماذا؟	- بعد المؤسسة التعليمية - عدم جدوى التعليم - العمل المبكر أفضل من التعليم آخر	☐ المسافة ☐ ضعف الموارد المالية ☐
20	هل تميز (ين) بين أبناءك الذكور والإناث في متابعة دراستهم	- نعم - لا	☐ لماذا؟ ☐ لماذا؟

21- هل هناك علاقة بين التعليم والتنمية ؟

22- ما مستقبل التعليم بمنطقة عالية نفيس في ظل الخصائص الموهول في الموارد البشرية والبنيات التحتية ؟

23	هل قمت باستشارة صحية خلال هذه السنة (2019) ؟	☐ نعم ☐ لا
24	في حالة الجواب بنعم حدد نوع الاستشارة	☐ طبيب عام ☐ طبيب اختصاصي ☐ طبيب الأسنان ☐ صيدلي ☐ آخر ☐ ممرض ☐ مولودة ☐ ضريح ☐ فقيه
25	في حالة الجواب بلا، لماذا لم تتم الاستشارة؟	☐ ضعف الإمكانيات المالية ☐ غياب الطبيب أو الممرض ☐ بعد مكان الاستشارة ☐ عدم توفر الخدمات الصحية ☐ إكراهات التنقل ☐ أسباب أخرى
26	هل يعاني أحد أفراد أسرتك من مرض معين؟	☐ نعم ☐ لا
27	إذا كان الجواب بنعم، حدد(ي) نوع المرض	
28	هل أنت منخرطة(ة) في نظام المساعدة الطبية "الراميد"	☐ نعم ☐ لا
29	هل يوجد ذوي الاحتياجات الخاصة ضمن أسرتكم .	☐ نعم ☐ لا
30	ما طبيعة الإعاقة التي يعاني منها ؟	☐ البصرية ☐ الذهنية ☐ الحركية ☐ التواصل ☐ الرعاية الذاتية
31	هل تعمل(ين) على تسويق الأعشاب والنباتات الطبية	☐ نعم ☐ لا إذا كان الجواب بنعم: أين يتم تسويقها ؟
		-

32	حدد(ي) نوع المسكن الذي تقطنه؟	- مسكن قروي بالأحجار أو من الطين ☐ - مسكن قروي بالصلب ☐ - دار مغربية عصرية أو تقليدية ☐ - آخر
33	حدد(ي) عمر المسكن	- أقل من 10 سنوات ☐ - من 10 إلى أقل من 20 سنة ☐ - من 20 إلى أقل من 50 سنة ☐ - 50 سنة فأكثر ☐
34	ما أهم الأصناف الغابوية المعتمدة في بناء السكن بعالية حوض نفيس	- سرو الأطلس ☐ البلوط ☐ العرعار ☐ آخر ☐
35	هل مسكنك مرتبط بشبكة الكهرباء	- نعم ☐ - لا ☐ - إذا كان الجواب بـ "لا" ما مصدر الإنارة؟ الغاز(البوتان) ☐ - قنديل أو شموع ☐ الطاقة الشمسية ☐ - مولد كهربائي ☐ مصادر أخرى ☐
36	ما رأيك في كلفة الربط بالكهرباء	- باهضة جدا ☐ - باهضة ☐ - مناسبة ☐
37	هل مسكنك مرتبط بشبكة الماء	نعم ☐ لا ☐
38	إذا كان الجواب بلا، فما مصدر الماء	بئر أو مطفية ☐ عين ☐ واد ☐ ساقية ☐ مصدر آخر ☐
39	هل أنت راض(ية) على جودة خدمات الماء والكهرباء التي تستفيد منها	- نعم ☐ - لا ☐ لماذا؟
40	ما هي طريقة تصريف المياه المستعملة	- شبكة عمومية (الواد الحار) ☐ - حفرة ☐ في الطبيعة ☐ وسيلة أخرى ☐

41	ما الدور الذي تقوم به الغابة بعالية حوض نفيس في نظرك؟	- دور بيئي ☐ - دور ترفيهي ☐ - دور وقائي ☐ - دور اقتصادي ☐ - لا أعرف ☐
42	ما هي أهم الأنشطة التي تزاوّلها (ن)ها في الغابة	- الرعي ☐ الفحم ☐ الحطب ☐ الاجتثاث ☐ آخر ☐
43	ما طبيعة الأنشطة التي تزاوّل (ين)ها داخل الغابة	- انتجاع بالقطيع ☐ - القطف وجمع الحطب ☐ - الترفيه ☐ - آخر ☐
44	وضعية المجال الغابوي الذي تستهدفه	ملك للدولة ☐ ملك للقبيلة ☐ ملكية عائلية ☐ آخر ☐
45	ما هي الأصناف الغابوية التي تستهدف (ين)ها	البلوط ☐ العرعار ☐ سرو الأطلس ☐ آخر ☐
46	ما هي الوسائل المستعملة في قطع أشجار الغابة	فأس ☐ منشار بالديزل ☐ آخر ☐
47	ما هو المصدر الذي تعتمد (ين) عليه من أجل تلبية احتياجاتك اليومية من الطاقة	الحطب أو الفحم ☐ الغاز ☐ الكهرباء ☐ آخر ☐
48	ما تقييمك الخاص لوضعية الموارد الغابوية والرعية بالمنطقة ؟	- جيدة ☐ لا بأس بها ☐ - مستقرة ☐ في تدهور مستمر ☐

49- كيف تقيم (ين) تدبير الدولة للمجال الغابوي بعالية حوض نفيس ؟

.....

50- هل تلتزم (ين) بالقوانين التي تعتمد عليها الدولة من أجل تدبير المجال الغابوي؟

نعم: لماذا

لا: لماذا

51- كيف تساهم التدخلات الرسمية للدولة في تدبير الغابة؟ وكيف تؤثر على الساكنة المحلية من ذوي الحقوق .

.....

52- كيف تنظر (ين) إلى طرق الاستغلال الجماعي التقليدي للموارد الغابوية والرعية مقارنة بطرق الاستغلال الحديث المرتبط بتدخلات الجهات الوصية على المجال الغابوي بعالية حوض نفيس ؟

.....

53- ما هي الحلول التي تقترحها للحفاظ على المجال الغابوي بعالية حوض نفيس

.....

54- هل المغرب بلد يعاني من الهشاشة الاجتماعية؟

55- هل تعتقد (ين) أن هناك علاقة بين الهشاشة الاجتماعية التي تعاني منها وتدهور المجال الغابوي؟

.....

56- هل سبق وأن تمت استشارتكم في المشاريع التي تهم منطقتكم ؟ نعم لا